

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي - العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة السادسة- العدد (٢٢) خريف ٢٠٠٨

موقع المجلة على الإنترنيت
www.serdam.info

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩
سانا تيل: ٠٧٥٠١١٨٠١٤٢

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

محتويات العدد

سردم العربي – العدد (22) 2008

محتويات العدد

سردم العربي – العدد (22) 2008

ملف/ شخصية الفرد العراقي

الحوار

وثائق

شخصيات كردية

محطات ثقافية

أخطاء لغوية!

ليس غريبا ان نعثر في ثنايا سطور الصحف والمجلات والكتب الصادرة باللغة العربية، ولاسيما في كردستان، وحتى في العالم العربي كله، اخطاء لغوية، نحوية واملائية ومطبعية، ويعود ذلك لاسباب كثيرة، لسنا بصدد الدخول في تفاصيلها، يكفي ان نذكر هنا، ونذكّر، بتباين وجهات نظر المدارس النحوية حول العديد من الحالات الاعرابية والكتابية والاملائية، اذ قد نرى بعض الاخطاء اللغوية، او ما نعدها اخطاء، بينما هي عند علماء نحويين اخرين ليست كذلك.

عانينا، في مجلة سردم العربي، منذ عددها الاول، من هذه الاخطاء اللغوية، اضافة الى اخطاء مطبعية قليلة او كثيرة، بالرغم من مراجعة المجلة من قبل مختصين في هذا المجال.

راجع السيد دانا احمد مصطفى المجلة لغويا، ابتداء من العدد الاول لغاية العدد التاسع عشر، كما تولى الاستاذ محمد الملا عبدالكريم مراجعة العدد العشرين، وتولى الاستاذ بيستون علي مراجعة العدد الحادي والعشرين، الا ان هذه الاعداد من المجلة لم تخل، مع ذلك، من هذه الاخطاء، مما ادت، في الآونة الاخيرة، الى خلق حالة من التوتر و سوء الفهم، كادت ان تؤثر في اصدار المجلة او تغيير كادرها.

اما في الوقت الحالي، فتمت اناطة الامر بالسيد مهدي مجيد عبدالله لمراجعة هذا العدد(٢٢)، بغية معالجة (الاخطاء) وتقليصها، لغوية كانت أم املائية او مطبعية.

وسنسعى، في الاعداد القادمة، قدر الامكان، التقليل من هذه الاخطاء في المجلة، على الرغم من اعتقادي بان الاخطاء اللغوية قد لا تعالج بشكل نهائي!!

مدير التحرير



أعلام الكرد في الحجاز

الدكتور محمد علي الصويركي
اتحاد الكتاب الأردنيين - عمان/الأردن

تمهيد:

الفتح الإسلامي العربي لبلاد الكرد:

اتصل العرب المسلمون بالكرد لأول مرة بعد ما فتح العرب تكريت وحلوان التي كان الملك الفارسي يزدجر معسكرا فيها سنة (١٦هـ/٦٣٧م)، وقام بفتح بلادهم الصحابة: سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم، وأبو موسى الأشعري وسواهم، وغدت كردستان بعد ذلك الزمن جزءاً من الدولة الإسلامية مع حلول عام ٢٥هـ/٦٤٥م، وبعد فتح (تكريت) أرسل سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن خطاب سنة ١٨ هـ ثلاثة جيوشاً لفتح الجزيرة.

كما وجه عمر بن الخطاب سنة ٢١هـ (٦٤٢م) جيشاً نحو شهرزور في كردستان العراق، ولم ينجح في مسعاه، فوجه إليها جيشاً آخر تمكن من فتحها بعد قتال شديد. وبين ١٨هـ و ٢٣هـ اشترك الكرد مع الفرس في الدفاع عن الاحواز وغيرها.

وغدت كردستان بعد ذلك الزمن جزءاً من الدولة الإسلامية مع حلول عام ٢٥هـ/٦٤٥م، وأصبح الكرد ضمن نسيج المجتمع الإسلامي، يشتركون في جيوش الفتوحات وخدمة الأمراء والسلاطين، وينتظم بعضهم في حلقات العلم والدرس، مع انتظام بعضهم أو اشتراكهم في الفتن والقلاقل التي تنشب في مناطقهم أو بالقرب منها، شأن بقية الشعوب.

وكان هناك اتصال اسبق بين الكرد والعرب المسلمين، فيذكر أن أحد الصحابة الكرد الذين عاشوا في مكة المكرمة وصحب النبي محمد عليه السلام

وهو الصحابي (جابان الكردي)، وابنه التابعي المدعو (ميمون) الذي روى عن أبيه بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

أما بخصوص الصحابي جابان (كابان) أبو ميمون الكردي، فهو من صحابة الرسول الكريم. ويبحث محمد أفندي الألوسي عنه في كتاب تفسير (روح المعاني)، ويقول: أنه نظر الى كتاب (الإصابة في تميز الصحابة) لحافظ بن حجر العسقلاني أن جابان الكردي روى بعض الأحاديث حول المهر وبعض المواد الأخرى. وقد جاء في كتاب (أسد الغابة) لابن الأثير، وفي كتاب (تجريد أسماء الصحابة) للحافظ الذهبي، أنه سمع من النبي محمد عليه السلام حديثًا يفيد أن أيّ رجل تزوّج امرأة وهو ينوي ألا يعطيها الصداق لقي الله عز وجل وهو زان. أما في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة) لابن حَجَر العَسْقلاني فجاء الخبر عنه كما يأتي:

« جابان والد ميمون: روى ابن مَنْده، من طريق أبي سعيد مولى بني هاشم، عن أبي خالد: سمعت ميمون بن جابان الصردي، عن أبيه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم غير مرة، حتى بلغ عشرًا، يقول: من تزوّج امرأة وهو ينوي ألا يعطيها الصداق، لقي الله وهو زانٍ »، ولكن تاريخ ولادته ووفاته وترجمة حياته بقيت مجهولة تماماً . وفي نفس الكتاب يبحث عن (ميمون) ولده أيضاً الذي يعتبر من التابعين .

ولم يذكر ياقوت الحموي في (معجم البلدان) مكانًا أو بلداً أو مدينة باسم (صرد)، لكنه أورد اسم (سَرْدَرُوذ)، وهي من قرى همذان، وقد يكون النسبة (صردي) محوّرة من (سردي) نسبة إلى (سردروذ)، وإذا صحّ ذلك فالأرجح أن جابان الصردي هو والد ميمون الكردي، لأن همذان تقع في إقليم الجبال، وهي من بلاد الكرد، بل هي نفسها (أَكْبَتانا) العاصمة القديمة للميديين (أجداد الكرد) قبل سنة (٥٥٠ ق.م).

ويقول الدكتور احمد الخليل:» ولعل جابان كان من المقيمين في مكة، فهاجر إلى المدينة بعد إسلامه مع من هاجر من المستضعفين؛ إذ المعروف أن جاليات من الفرس والروم والصابئة والأحباش كانت تقيم في مكة، لأغراض تجارية أو تبشيرية أو سياسية، وقد يكون جابان أحد أفراد تلك الجاليات، أو أحد أولئك الأرقاء؛ على أن نأخذ بالاعتبار أن الكرد كانوا حينذاك معدودين في التبعية الفارسية سياسيًا وثقافيًا.

فقد يكون جابان ممن وقعوا في الأسر خلال الحروب الفارسية – البيزنطية الكثيرة، ثم بيع في أسواق النخاسة، وانتهى به الأمر إلى مكة أو الطائف أو يثرب أو غيرها من المراكز التجارية، وقد يكون من العاملين في التجارة حينذاك، وكان يتولّى بعض الشؤون التجارية في مكة أو المدينة أو الطائف، أو غيرها، شأنه في ذلك شأن كثير من الفرس والروم والأحباش وغيرهم، وسمع بالدعوة الإسلامية، فانضم إلى صفوفها»[1].

الأيوبيون الكرد يقرون آل قتادة الأشراف على الحجاز:

استطاع البطل الكردي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م من القضاء على الخلافة الفاطمية بمصر، ثم اخذ يتطلع إلى إقليم الحجاز لكي يحقق هدفين رئيسين:الأول إعادة الحجاز إلى نفوذه، وثانيهما السيطرة على تجارة البحر الأحمر.

وقام بإرسال أخيه (توران شاه) في حملة إلى الحجاز سنة ٥٦٩هـ١١٧٣م ، فدخل مكة دون قتال، وأعلن

شريف مكة دخوله في طاعة الأيوبيين سياسيا ،وقد أقر الأيوبيون العائلتين الشريفتين من آل الحسن في مكة، وآل الحسين في المدينة المنورة شرط التوقف عن تحصيل ضريبة(المكوس) التي كان يأخذها الأشراف من الحجاج والتجار خلال موسم الحج.

ولكن استفحال الصراع بين الأشراف من الأسر الحاكمة في مكة والمدينة قد شجع الأيوبيون على التدخل في الشؤون الداخلية للشرافة في الحجاز، وتعيين نائب لهم في مكة تسنده كتيبة من الجند وإدارة خاصة به.

ولا بد أن يذكر للأيوبيين حمايتهم للأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة من الهجوم الذي خطط له الصليبيون الذين استولوا على بلاد الشام، ففي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م قاد صاحب الكرك الصليبي (ارناط) حملة عسكرية بهدف احتلال الحجاز وبسط النفوذ الصليبي على البحر الأحمر وتجارته المزدهرة وخاصة في موسم الحج، ولكن الأيوبيون افشلوا خططه بهجومهم على حصن الكرك والاستيلاء عليه ونهب أمواله، ما دعا ارناط إلى الرجوع مسرعا إلى إمارته في الكرك، كما أن جنوده لم يتحملوا الحر الشديد في الصيف، وشعروا بحاجتهم إلى المياه العذبة للشرب.

كما أعاد ارناط الكرة سنة٥٧٨هـ/١١٨٢م ووصل إلى (ينبع) شمالي الحجاز وأصبح على بعد مرحلة واحدة من المدينة المنورة، وهنا أمر صلاح الدين أخاه الملك العادل وكان نائبه على مصر بالتفرغ لهذه المهمة وإرسال الأسطول لمواجهة الصليبيين، وقد استطاعت هذه الحملة من تحطيم الأسطول الصليبي وأسرت أكثر من ثلاثمائة جندي قتلوا بأمر صلاح الدين في الإسكندرية عام٥٧٨هـم١١٨٢م ليكونوا عبرة لغيرهم من المعتدين الذين يفكرون في الاعتداء على المقدسات الإسلامية، وبذلك حقق صلاح الدين السيادة على البحر الأحمر ونجح في حماية الأماكن المقدسة في الحجاز[٢].

حكم الأشراف الهاشميون الحجاز (مكة والمدينة) منذ منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وكانوا يتمثلون في ثلاث بيوت مثلت نظام الشرافة وهي:بنو موسى وبنو سليمان (٩٦٨-١٠٦١م)، وبنو هاشم(١٠٦٣-١٢٠٠م)، وبنو قتادة (١٢٠٠-١٩١٠م).

والأسرة الأخيرة بنو قتادة (القتاديون) تعود بنسبها إلى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي محمد عليه السلام. وقد حكمت هذه الأسرة مكة المكرمة منذ سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م إلى سنة ١٣٢٨هـم١٩١٠م، ويشير تاريخ بداية شرافتهم للحجاز بأنه تم خلال العصر الأيوبي، عندما أقر الأيوبيون حكم العائلة الشريفة من آل الحسن على مكة المكرمة، وهذه الأسرة ينتمي إليها الشريف حسين بن علي (أبو الملوك: علي، عبد الله، وفيصل، والأمير زيد) مفجر الثورة العربية الكبرى سنة١٣٣٥هـ/١٩١٦م، وقد أعلن الشريف حسين تأسيس مملكة الحجاز الهاشمية وانهي بذلك نظام الشرافة، وبقيت المملكة الهاشمية الحجازية مستمرة في حكم الحجاز حتى سنة ١٣٤٤هـم١٩٢٥م[٣].

وبعدها آلت الحجاز الى حكم آل سعود الذين استطاعوا توحيد الجزيرة العربية تحت حكمهم وعرفت البلاد بعد ذلك باسم المملكة العربية السعودية.

الثائر الكردي عبيد الله النهري يسكن الحجاز:

الشيخ عبيد الله النهري قائد كردي ساعد الجيش العثماني في الحرب الروسية سنة (١٨٧٧-١٨٧٨م)، من

جهات ارضروم مساعدات قيمة، ثم أعلن الثورة مطالبا بالاستقلال الداخلي لكردستان سنة ١٨٨٠م، واستولى على مناطق عديدة، واستطاعت القوات العثمانية والإيرانية من إخماد ثورته، فسلم نفسه الى العثمانيين ـ وطالب بالذهاب الى الحجاز وسكن مدينة الطائف،حيث توفي سنة١٩٠٠م.

الكرد يشاركون ملك الحجاز في الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩١٨:

قبل قيام الثورة العربية ضد الاستبداد والطغيان التركي عليهم في بلاد الشام والعراق، كان هناك حركة قومية وثورية في سورية ولبنان تطالب باستقلال العرب عن التبعية التركية، وقد شارك كرد سوريا ولبنان والعراق في إرهاصات الحركة العربية، فقد وقع كل من زعيم كرد دمشق عبد الرحمن باشا اليوسف، والزعيم الكردي في مدينة حماة خالد البرازي، والأمير اسعد الأيوبي في جبل لبنان على وثيقة تطالب الشريف حسين بإعلان الثورة ضد الأتراك.

كما كان الشهيد نايف تللو - من كرد دمشق- ضمن شهداء القافلة الأولى من أحرار سوريا الذين أعدمهم جمال باشا السفاح في بيروت يوم ٢١ آب ١٩١٥

وعندما أسست "جمعية العهد السرية" في الآستانة سنة ١٩١٣ كان من بين أعضائها الكرد الضابط العسكري جعفر العسكري الذي لعب فيما بعد دورا كبيرا في قيادة جيش الثورة العربية في الحجاز والشام ، وأيضا انضم لها جلال بابان من كرد العراق الذي أصبح وزيرا في العهد الملكي في العراق[٤].

وبعد أن أعلن الشريف حسين بن علي أمير مكة الثورة ضد الاستبداد التركي، وجاهد في استقلال العرب وحريتهم، انضم الى صفوف ثورته العديد من الجنود والضباط الكرد القاطنين في سوريا والعراق.

فقد انضوى تحت راية لواء الثورة العربية الكبرى عددا من القادة والجنود الكرد وقاتلوا في صفوفها حتى حققت الثورة انتصاراتها الباهرة على الأتراك وطردتهم من البلاد العربية، وكان يقف في مقدمتهم كل من جعفر باشا العسكري وجميل المدفعي ورشيد باشا المدفعي، فقد لبى جعفر العسكري نداء الثورة العربية الكبرى والتحق بالأمير فيصل بن الحسين في شهر حزيران ١٩١٧ واسند إليه قيادة القوات النظامية في الجيش الشمالي المؤلف من المتطوعين العراقيين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين، فتولى تنظيم هذا الجيش في وحدات ترتبط بأصول الضبط العسكري، وبلغ تعداده يوم وصل الى العقبة في شهر آب ١٩١٧ حوالي ألفين جندي، وخاض هذا الجيش بقيادته معارك الثورة العربية في شمالي الحجاز والأردن وسورية، وبرهن خلالها على انه ذلك الجندي المحترف الذي لا هم له إلا أداء واجبه العسكري[٥].

واستمر جعفر العسكري يخوض غمار معارك الثورة في بلاد الشام حتى تم لها تحقيق هدفها الأول وهو طرد الأتراك من البلاد العربية عام ١٩١٨، وبعد تشكيل الحكومة العربية السورية بزعامة الملك فيصل الأول(١٩١٨-١٩٢٠)، عين جعفر العسكري حاكما عسكريا في معان ثم حلب، وبعدها عين مرافقا له، وعندما تولى الملك فيصل عرش العراق خدم في معيته، فعينه وزيرا للدفاع، فعمل على تأسيس الجيش العراقي الحديث، ثم تقلد رئاسة الوزراء في بغداد ثلاث مرات، وظل يخدم الهاشميين بكل صدق وإخلاص وتفان حتى يوم اغتياله عام ١٩٣٦.

كما تطوع رشيد باشا المدفعي في جيش الثورة

العربية،وتسلم قيادة قوة المدفعية في جيش الثورة، وشارك في معارك الحجاز، والهجوم على قلعة المعظم ١٩١٧،وعندما وصل الجيش الشمالي الى العقبة ١٩١٧ كان تحت أمرته أربعمائة ضابط وجندي، وبعدها عين قائدا للمدفعية في رابغ مع الأمير علي بن الحسين، ثم انتقل لقيادة القوات النظامية في جيش الأمير فيصل، فخدم قائد فرقة في العقبة ١٩١٧حتى نهاية الحرب ١٩١٩.

كما التحق اللواء بها الدين نوري الشيرواني - من كرد مدينة السليمانية ـ في الجيش العربي في الحجاز وسورية، وأصبح فيما بعد وزيرا مفوضا للعراق في الأردن خلال العهد الملكي في العراق[٦].

كما التحق الضابط جمال رشيد بابان(١٨٩٣-١٩٦٥) بجيش الثورة العربية في العقبة، وكان برتبة ملازم أول، ورافق جيش الثورة في احتلال بلاد الشام، ثم رقي الى رتبة رئيس وعهد إليه إمرة بطارية مدفعية[٧].

وعندما انتصرت الثورة الشيوعية في روسيا ١٩١٧ توجه صديق رسول القادري- وهو كردي عراقي- الى الشريف حسين في مكة وحثه على استصدار فتاوى تحرم الشيوعية[٨].

أما بخصوص هجرة الكرد الى الحجاز فكان اغلبها بدافع ديني محض، فكان بعضهم يقصد مكة لأداء فريضة الحج وهناك يستطيب له المقام بجوار الكعبة المشرفة لينال الأجر والشفاعة والموت في الأراضي المقدسة، ومنهم من قصد مكة والمدينة للتدريس والخطابة والقراءة، وقد سجلت لنا كتب التراجم العديد من الكرد الذين نزلوا مكة والمدينة المنورة وعرفوا بلقب الكردي نسبة الى جنسهم، أو الهكاري نسبة الى الكرد الهكاريين الذين كانوا يقطنون منطقة الهكاري في جنوب شرقي تركيا، والحصنكيفي نسبة الى (حصن كيف) بجوار ديار بكر، والديار بكري نسبة الى مدينة ديار بكر عاصمة كردستان تركيا، والكوراني نسبة الى سهل كوران في كردستان تركيا، والحراني نسبة الى مدينة (حران) في كردستان تركيا، والآمدي نسبة الى مدينة (آمد) من اسماء مدينة ديار بكر الأخرى، والعينتابي نسبة الى مدينة عينتاب، والبرزنجي نسبة الى عشيرة البرزنجي القاطنة في كردستان العراق... وفيما يلي بعض من أعلام الكرد الذين عاشوا في بلاد الحجاز:

من أعلام الكرد في مكة المكرمة

إبراهيم الكردي

(كان حياً سنة٨٤٦هـ =١٤٣٩م)

ابراهيم بن محمد(برهان الدين) الكردي، ثم المكي: مدرس. نزيل الحرمين، ومؤدب الأطفال بمكة المكرمة، كان متولي مشيخة البيمارستان بمكة بعد موت الشمس البلوي، وهو المجدد في أوقاته، المجاور لباب الدربية، وله شهرة بالصلاح والخير، وكثرة الزيارة لمسجد الرسول عليه السلام على قدميه، توفي بمكة[٩].

احمد الهكاري

احمد بن أبي بكر بن احمد شهاب الهكاري الكردي الشافعي: نزيل مكة. اشتغل بالعلم والتقوى. وكان في رباط العز الاصبهاني توفي في سنة ٨١٨ هـ، ودفن بالمصلاة[١٠].

احمد الحصنكيفي

(٧٩٠-٨٥٥هـ =١٣٨٧-١٤٤٨م)

احمد بن يوسف بن حسين بن علي بن يوسف بن محمد بن رجب بن احمد المجد أبو البركات الحسنى الحصنكيفي الأصل، المكي المقرىء بالحرف، ويعرف

بابن المحتسب: مقرىء، مؤذن بالحرم المكي. ولد بمكة، ونشأ بها، وأجاز له العراقي والهيثمي، وعائشة بنت عبد الهادي وغيرهم، وناب في الحسبة بمكة، ثم تركها ودخل مصر واليمن مرارا للاسترزاق، وكان يقرأ ويمدح في الجامع، ويؤذن بالجامع بالمسجد الحرام، وعليه في كل ذلك أنس كبير، مع التودد الزائد للناس، حتى وصفه ابن فهد بشيخ المقرئين بالمسجد الحرام، أجاز للسخاوي ورآه وأخوه أبو عبد الله فيما سمع على التقي ابن فهد، توفي بمكة[11].

حسين الديار بكري

(٠٠٠-٩٦٦هـ =٠٠٠-١٥٥٩م)

حسين بن محمد بن الحسن الديار بكري: قاض، فقيه، مؤرخ. ولد بديار بكر ، ثم استقر به المقام في مكة، وتولى منصب القضاء فيها. كان حنبليا أو مالكيا . توفي بمكة في حدود سنة ٩٦٦هـ.

وقد صنف: «تاريخ الخميس في أحوال ألف نفيس ـ ط» مجلدان، أجمل فيه السيرة النبوية وتاريخ الخلفاء والملوك، وهذا التاريخ سيرة للنبي أسهب فيه إسهابا، ولكنه حاول أن يزن مختلف الروايات ويميز الخبيث منها من الطيب. ثم أردف السيرة بتاريخ موجز للخلفاء عن اعتلاء مراد الثالث عرش السلطة العثمانية. وقد طبع «تاريخ الديار بكرى» في القاهرة سنة ١٣٠٢ هـ . والثاني كتاب « مساحة الكعبة والمسجد الحرام ـ خ» رسالة وهو محفوظ في برلين تحت رقم ٦٠٦٩ والثاني في دار الكتب المصرية، جـ ٣، ص ١٧٧ من الفهرس، و» أهبة الناسك والحاج لانتفاعه بها لدى الاحتياج « على المذاهب الأربعة[12].

حسين الحصنكيفي

(٧٣٤-٨٠١هـ =١٣٣٣-١٣٩٨م)

حسين بن يوسف بن يعقوب بن حسين بن إسماعيل البدر الحصنكيفي المكي، ويعرف بالحاصني: مؤذن، فقيه. ولد بمكة، وسمع الزين الطبري وابن بنت أبي سعيد الهكاري والنور الهمداني وغيرهم، أجاز وناب بمكة في الحسبة عن المحب النويري، وكان يقرأ ويمدح للناس في مجتمعاتهم ويؤذن بالحرم وهو مأنوس في هذا لله مع تودد، سافر الى مصر والشام غير مرة، توفي بمكة ودفن بالمعلاة.

ذكره الفاسي بمكة وحكى أنه رؤى في النوم، فقيل له ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي، وأدخلني الجنة[13].

عبد الرحمن الدياربكري

(٠٠٠-١٢١٩هـ =٠٠٠- ١٨٠٣م)

عبد الرحمن الدياربكري: محدث، ومدرس. مكي المولد والمنشأ والوفاة. ولد بمكة واكب على كسب العلوم وجد واجتهد، واخذ عن جماعة من علماء عصره وانتفع بهم. ودرس وحدث وأفاد، وانتفع به خلق كثير، وكان عالما بالكتاب ولسنة، ومازال متصفا بمحاسن الصفات إلى وقت الممات[14].

علي الحصكفي

(٠٠٠-٨٢٥هـ =٠٠٠-١٤٢١م)

علي بن احمد بن علي بن عيسى العلاء أبو الحسن الحصكفي، المارداني المقدسي: نزيل مكة، ينسب الى حصن كيفا على جانب دجلة، سمع بدمشق على ابن السراج البخاري وغيره، وحدث بمكة وسمع منه ابن

فهد، وقال الفاسي في تاريخ مكة: كان من أعيان بلده ماردين، ثم تزهد وقصد مكة للحج والمجاورة، وسكن في مدرسة البنجالية مدة سنتين ثم انتقل منها الى رباط خوزي فأقام به الى أن توفي ودفن بالمعلاة. كان صالحاً خاشعاً ناسكاً عابداً زاهداً، وأقام بمكة نحو عشر سنوات[١٥].

محمد صادق الكردي

(كان حياً سنة ١٣٤٩هـ =١٩٣٠م)

محمد صادق ماجد الكردي: مدرس. نشأ في كنف والده، وأنهى دراسته في مدرسة الفلاح بمكة، ووالده هو ماجد الكردي صاحب مكتبة معروفة، مارس التعليم، وكان مديراً لدار البعثات السعودية بالإسكندرية لفترة طويلة[١٦].

محمد طاهر الكردي

(١٣٢١-١٤٠٠هـ =١٩٠٠- ١٩٨٠م)

محمد طاهر بن عبد القادر الكردي: خطاط، باحث، علم من أعلام المملكة العربية السعودية، ومن رجالات الفكر والتعليم فيها، وممن شارك في النهضة التعليمية الحديثة في السعودية بجهد كبير، فأفنى شبابه في خدمة العلم.

ولد بمكة المكرمة، وتعلم فيها، وتخرج من مدرسة تحسين الخطوط العربية الملكية بالقاهرة، وعمل بالمحكمة الشرعية الكبرى في مكة المكرمة ١٩٢٩، ثم انتقل إلى مدرسة الفلاح بجده حيث كل بها مدرسا للخط العربي لمدة أربعة أعوام١٩٣٠-١٩٣٤، سافر إلى مصر وقضى مدة بالقاهرة والإسكندرية لطباعة كراريسه وبعض كتبه هناك. ثم عاد إلى السعودية وعمل في مدارسها المختلفة، وعلاوة على ذلك فانه كان يعمل خطاطا بمديرية المعارف، ثم اختير للعمل مستشارا في الجهاز الإداري لمشروع توسعة الحرم المكي الشريف، وشارك في وضع حجر الأساس لتوسعة المسجد الحرام. كما شارك ومعه المشرفين على مشروع ترميم الكعبة المشرفة وتجديد سقفها. أصيب بمرض في بصرة فتعثرت صحته، واعتزل العمل الحكومي. لكنه استمر في التأليف وممارسة أعماله الفنية في مجال الخط العربي والزخرفي الإسلامية. اشرف وارفع ما قام به وهو كتابه المصحف الشريف بخط النسخ الرائع الجميل «المصحف الملكية».

وله مؤلفات بلغت نحو ٤٣ منها:

ـ التاريخ القومي لمكة وبيت الله الكريم ـ مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، ١٣٨٥ هـ/١٩٦٥ (يقع في ستة مجلدات، طبع منها أربعة).

ـ حسن الدعابة فيما ورد في الخط وأدوات الكتابة. القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٧ هـ/١٩٣٨، ٥٦ ص.

ـ تاريخ الخط العربي وآدابه: هو كتابة تاريخية اجتماعية أدبية مزين بالصور الخطية والرسوم الفوتوغرافية، ١٣٥٨هـ.

ـ ط ، فيها زيادات مهمة وفوائد كثيرة ـ الرياض: الجمعية العربية السعودية الثقافية والفنون، ١٤٠٢ هـ، ٥٥٢ ص.

ـ مجموعة الحرمين في تعليم الخط النسخ ـ القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٨ هـ/١٩٦٦ ، ١٦ ص (قررت مديرية المعارف العامة تدريسها بمدرسة السعودية).

ـ مجموعة الحرمين في تعليم الخط الرقعة ـ ؟ ، ٧

جـ (قررت مديرية المعارف العامة تدريسها بمدارس السعودية).

ـ تبرك الصحابة بآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وبيان فضله العظيم ـ القاهرة: مطبعة المدني، ١٣٨٥ هـ، ٦٤ ص. ط ٢، مزيدة ومنقحة. ـ القاهرة، ١٠٤ ص.

ـ تحفة الحرمين في بدائع الخطوط العربية.

ـ أدبيات الشاي والقهوة والدخان ـ القاهرة: ١٣٦٩ هـ، بيروت، دار الفكر، ١٣٨٧ هـ /١٩٦٧م، ١٧٦ ص.

ـ رسالة النسب الطاهر الشريف ـ القاهرة: مطبعة الحلبي، ١٣٨٦ هـ، ١٦ ص (وط٢، ١٧٦ ص)

ـ منظومة في صفة أشهر بنايات الكعبة، وتقع في ٣٥٢ بيتا. ثم زاد عليها ونشرها ضمن كتاب «التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم».

ـ إرشاد الزمرة لمناسك الحج والعمرة (على المذهب الشافعي). القاهرة: مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٧٤ هـ/ ١٩٥٥، ١٤٨ ص.

ـ بدائع الشعر ولطائف الفن القاهرة ١٣٦٧ هـ، ٤٠ ص.

ـ تحفة العباد في حقوق الزوجين والوالدين والأولاد. ط ٢٠، القاهرة مطبعة مصطفى الحلبي، ١٣٥٣ هـ، ١٤٤ ص.

ـ دعاء عرفة.

ـ مقام إبراهيم عليه السلام.

ـ الأدعية المختارة.

ـ التفسير الملكي.٤ مج.

ـ زهرة التفاسير.

ـ تاريخ القران وغرائب رسمه وحكمه.

ـ حفظ التنزيل من التغيير والتبديل.

ـ الأحاديث النبوية في الآداب الدينية والتربية الإسلامية.

ـ الشوق والرغبة في معرفة ما حصل في الكعبة، في العهد السعودي.

ـ كتاب عيش الرسول صلى الله عليه وسلم و أصحابه الكرام.

ـ رسالة في انتقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى.

ـ استحالة الإقامة في القمر والكواكب.

ـ تعليق مختصر على تاريخ مكة القطبية.

ـ نفحة الحرمين في تعليم خط النسخ والثلث.

ـ لوحات في الخطوط العربية.

ـ لوحة فنية جميلة فيها صور الكعبة المشرفة لأشهر بناياتها.

ـ رسالة في الدفاع عن الكتابة العربية في الحروف والحركات.

ـ الهندسة المدرسية (كان مقررا في مدارس السعودية).

وله مؤلفات غير مطبوعة هي:

ـ مختصر المصباح والمختار في اللغة.

ـ الموعظة الحسنة في عدم اليأس وفي الصبر والتفويض.

ـ المقارن بين خط المصحف العثماني واصطلاحنا في الإملاء.

ـ تراجم من لهم قوة الحافظة.

ـ عجائب ما رواه التاريخ.

ـ المحفوظات الأدبية المختارة.

ـ منظومة في التعاريف الفقهية.

ـ حسن الباسط في ديوان محمد طاهر الكردي الخطاط.

ـ البحث والتحقيق في معرفة معنى الصديق(١٧).

محمد ماجد الكردي

(١٢٩٤- ١٣٤٩هـ = ١٨٧٧- ١٩٣)

محمد ماجد بن محمد صالح ابن الشيخ فيض الله الكردي المكي: فاضل، عالم من أهل مكة المكرمة. مولده ووفاته بها.

انتقل إليها جده إلى مكة من بلاد الكرد، في أوائل القرن الثالث عشر للهجرة. فولد فيها ونشاء محب للعلم والعلماء، شغوفا بالكتب. وانشأ أول مطبعة في الحجاز ومكة ودعاها باسم «المطبعة الماجدية». ومن خلالها قدم خدمات جلى بطبعة الكتب المدرسية ويسر لمدارس الحجاز حاجتها من الكتب. بالإضافة إلى طباعة عشرات المطبوعات التجارية والكتب الأخرى.

كانت له مكتبة خاصة تعد من أفخم المكتبات في الحجاز لما حوت من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب. كما كان منزليه (الكردي في القرارة) و (دار الكردي في منى) مخصصان لاستقبال الناس من العلماء ورجال الدين وحجيج بيت الله من مختلف أرجاء المعمورة . فكانت داريه منتدى علميا وأدبيا تعقد بهما الندوات الخطابية وخاصة في موسم الحج.

وفي عهد آل السعود عين مديرا للمعارف تقدير لعلمه وفضله، ثم اسند إليه مديرية الأوقاف العامة بمكة المكرمة، وفي عهده إ دارته للمعارف تم إرسال أول بعثة علمية إلى مصر.

له كتب ورسائل لم يتم أكثرها، منها، «معجم كنز العمال ـ خ»، و «معجم التخاميس ـ خ» شعر. و «المنتخبات الماجدية ـ خ» أدب، و «فهرس ـ خ» لمكتبته الخاصة التي عني بجمعها.

توفي محرما بالحج ودفن في عرفات وهو في سن الخامسة والخمسين. بعد أن كان واحدا من أفذاذ الرجال ومكارمهم. عرف من أولاده :الشيخ صادق مدير البعثات السعودية بالإسكندرية لفترة طويلة، والشيخ عادل عضو مجلس الشورى ، والشيخ طاهر[١٨].

سعيد الكوراني

(٠٠٠-٨٧٢هـ =٠٠٠- ١٤٦٥م)

سعيد بن محمود بن أبي بكر الكوراني الشهير بالكردي: نزيل مكة. ودلال الكتب بها، سمع على التقي ابن فهد، وشاهده السخاوي في سنة ٨٧١هـ، توفي في منتصف ٨٧٢هـ بالمدينة المنورة[١٩].

محمد أمين الكردي

محمد أمين بن محمد صالح الكردي الخالدي: اشتغل بالأسفار ونأي عن الأوطان حتى قدم مكة المكرمة، وصحبه واليها محمد وجيي باشا شيخ الحرم المكي في صحبه مع قاضي المدينة، ولاه نيابة الشرع الشريف بها، فجلس سنة كاملة، ثم رجع الى مكة المكرمة، وعمل مأموراً بديوان الحكومة، ولما توفي الوالي ترك جميع ذلك، جاور بمكة، وكان له معرفة بالنجوم، وله» حكمة الراغبين ورغبة الطالبين»، توفي بمكة[٢٠].

يوسف الحصنكيفي

(٠٠٠-٨١٦هـ =٠٠٠-١٤١٢م)

يوسف بن حسين بن يوسف بن يعقوب الحصنكيفي المكي وأبناه أبو عبد الله محمد وأحمد، كان ينوب

في حسبتها عن العز بن المحب النويري، ثم عيسى الجمال بن ظهيرة وذلك من حين وفاة أبيه حتى مات، وكذا كان يقرأ في المسجد الحرام وغيره من المجالس التي يجتمع فيها الناس، توفي بمكة ودفن بالمعلاة وقد قارب الستين[٢١].

الحاج علي أفندي

(٠٠٠-١١٩٨هـ =٠٠٠- ١٧٨٣م)

الحاج علي أفندي ابن الحاج حسن الأرضرومي: ومن أعيان علماء أرضروم الكرد. نشأ في بلده نشأة علمية وحضر إلى الآستانة، فنال رتبة المدرس سنة ١٠٩٨ ثمة تولى منصب مفتش الأوقاف العامة، ونال منصب قضاء مكة المكرمة . فتولاه بجدارة وكفاءة. وتوفي في ذي الحجة من سنة (١١٩٨)[٢٢].

فاطمة الحراني

(٧١٠-٧٨٣هـ =١٣٠٩-١٣٨٠م)

فاطمة بنت احمد بن قاسم الحراني المكية: محدثة . ولدت بمكة بعد سنة ٧١٠هـ .وسمعت على جدها لأبيها الرضي الطبري الكثير. وسمعت على أخيه احمد حضورا. وأجاز لها الغز التوزري والعفيف الدلاص وأبو بكر الدشتي وغيرهم، وروى عنها ابن شكر، وبالإجازة عبد الرحمن بن عمر القبابي المقدسي، وعبد الرحيم بن الطرابلسي، وتوفيت بالمدينة المنورة سنة ٧٨٣هـ[٢٣].

محمد بن حسن الكردي

(٧٨١-٨٤٣هـ = ١٣٧٨-١٤٣٦م)

محمد بن حسن بن أحمد بن محمد، شمس الدين، أبو عبد الله الكردي، ثم المقدسي، ويعرف بابن الكردية: طبيب، نزيل مكة، ولد ببلاد الكرد، وقدم مع أبويه بيت المقدس، وأخذ العلم عن فقهائها وعلمائها كالزين القلقشندي والشهاب الهروي وغيرهم، وتدرج في تحصيل العلوم والإقامة بالقدس عشرين سنة، ثم بعد وفاة أبيه بها أنتقل بأمه إلى مكة، وقطنها وصار يتردد منها الى بيت المقدس والمدينة المنورة، وسمع بدمشق من عائشة بنت ابن عبد الهادي، وأخذ عنه نجم الدين بن فهد، واستمر على الاستفادة من العلماء الأعلام، وكان مولعا بالطب وتقدم فيه. ومولعاً في حب ابن عربي بحيث اقتنى جملة من كتبه، وكان يؤدب الأولاد في الحرم المكي، وتوفي فيها (١٣ شعبان سنة ٨٤٣ هـ) ودفن بالمعلاة[٢٤].

محمد الآمدي

(٠٠٠-٧٥٩=٠٠٠-١٣٥٧م)

محمد بن محمد بن عثمان بن موسى الآمدي المكي الحنبلي (شمس الدين، أبو عبد الله): إمام مقام الحنابلة بمكة المكرمة. ولي الإمامة بعد وفاة والده، فبأشرها أحسن مباشرة. واستمر ثلاثين سنة، توفي سنة ٧٥٩هـ[٢٥].

المدينة المنورة

إبراهيم (الشيخ إبراهيم)

الشيخ إبراهيم بن حسن الكردي: نزيل المدينة المنورة. كان من أشهر علماء عصره. وله مؤلفات عديدة منها " الأمم لإيقاظ الهمم " ويبحث عن تراجم مشايخ الدين، ولم يعثر على مفصل ترجمة حياته[٢٦].

إبراهيم الكوراني

(١٠٢٥-١١٠١هـ = ١٦١٦-١٦٩٠م)

إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الشهراني الشهرزوري الكوراني (أبو الوقت، برهان الدين): مجتهد، محدث، من فقهاء الشافعية. عالم بالحديث. ولد بشهران (من أعمال شهرزور) بجبال الكرد، وسمع الحديث بالشام ومصر والحجاز، وسكن المدينة المنورة وتوطنها، وتوفي بها ودفن بالبقيع، وكان مع علمه بالعربية يجيد الفارسية والتركية.

وهو صاحب المؤلفات العديدة، الصوفي النقشبندي، اشتهر ذكره. وعلا قدره، وهرعت إليه الطالبون من البلدان القاصية للأخذ عنه، ودرس بالمسجد النبوي الشريف، وألف مؤلفات عديدة في الفقه والتوحيد والتصوف تنوف على المائة، منها: «إتحاف الخلف بتحقيق مذهب السلف ـ خ» رسالة في مكتبة عيدروس الحبشي، في الغرفة بحضرموت، ومعها من تأليفه أيضاً « التعريف بتحقيق التأليف «كتبه سنة ١٠٩١هـ ، و «جلاء الأنظار بتحرير الجبر والاختيار» مخطوطتان. ومن كتبه أيضاً «إمداد ذوي الاستعداد لسلوك مسلك السداد ـ خ»، و «الأمم لإيقاظ الهمم ـ ط» ، و «الواسع الآل في الأربعين العوال»، «تكميل التعريف لكتاب فن التصريف»، و «حاشية شرح الأندلسية» للقصيري. و «شرح العوامل الجرجانية»، و «النبراس لكشف الالتباس الواقع في الأساس»، و «جواب العتيد لمسألة أول واجب ومسألة التقليد»، و «ضياء المصباح في شرح بهجة الأرواح»، «القول الجلي في تحقيق قول الإمام زين الدين بن علي»، «وتحقيق التوفيق بين كلامي أهل الكلام وأهل الطريق»، و «وقصد السبيل إلى توحيد الحق الوكيل»، و «شرح العقيدة المسماة بالعقيدة الصحيحة»، و «الجواب المشكور عن السؤال المنظور»، «إشراق الشمس بتعريف الكلمات الخمس»، «بلغة المسير إلى توحيد العلي الكبير»، «عجالة ذوي الانتباه بتحقيق إعراب» لا اله إلا الله ، «الجوابات الغراوية عن المسائل الجاويَّة الجهرية»، و «العجالة فيما كتب محمد بن محمد القلعي سؤاله»، «القول المبين في مسألة التكوين»، «إنباه الأنباه على تحقيق إعراب لا اله إلا الله»، «إفاضة العلام بتحقيق مسألة الكلام»، «الألماع المحيط بتحقيق الكسب الوسط بين طرفي الإفراط والتفريط»، «إتحاف الزكي بشرح التحفة المرسلة إلى النبي»، «مسالك الأبرار إلى أحاديث النبي المختار»، «مسلك السداد إلى مسألة خلق أفعال العباد»، «المسلك الجلي في حكم شطح الولي»، «حسن الأوبة في حكم ضرب النوبة»... وغير ذلك من المؤلفات التي تنوف عن المائة.

جاء في موجز دائر المعارف الإسلامية (مركز الشارقة/١٩٩٨م): كان له تأثير كبير في نشر الإسلام في اندونيسيا بسبب علاقته بحاكم سنجكل والأجيال المتعاقبة من الطلبة الجاويين، وكانت علاقته بعبد الرؤوف سنكل، فكانا أصدقاء في المدينة المنورة، وتبادلا الرسائل ثلاثين عاما عبر المحيط الهندي، وحتى بعد عودة سنكل إلى بلاده عام ١٠٧١هـ/١٦٦١م، كما قام سنكل بترجمة بعض أعماله في الملايو(٢٧).

الشيخ إبراهيم الكوراني

(١١١٤- ١١٨٨هـ = ١٧٠١-١٧٨٤م)

الشيخ إبراهيم ابن الشيخ محمد أبي طاهر الكوراني الشافعي: فاضل، مدرس.ولد بالمدينة المنورة ونشأ وعاش وتوفي بها، وطلب العلم وأخذه عن أبيه، والشيخ عبد الله البصريّ، وغيرهما. درّس بالمسجد

النبوي، وكان رجلاً فاضلاً، وذا همة، لا يقصده أحد في أمر من الأمور إلا ساعده، وأبدى جهده معه(٢٨).

احمد البرزنجي

(٠٠٠-١٣٣٧هـ = ٠٠٠-١٩١٩م)

احمد بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد بن زين الدين بن جعفر بن حسن بن عبد الكريم البرزنجي، الحسيني، الموسوي،المدني، شهاب الدين: أديب، مؤرخ عارف بالرجال، من أعيان المدينة المنورة، من أسرة كبيرة أصلها من شهروز (بجبال الكرد) ترفع نسبها إلى الحسين السبط، ولد في المدينة المنورة، وتعلم بها وبمصر. وكان من مدرسي الحرم بالمدينة، وتولي إفتاء الشافعية فيها. وانتخب نائباً عنها في مجلس النواب العثماني باسطنبول. واستقر في دمشق أيام الحرب العالمية الأولى، وتوفي بها.

له رسائل لطيفة، منها «المناقب الصديقة ـ ط»، و «مناقب عمر بن الخطاب ـ ط»، و «والنظم البديع في مناقب أهل البقيع ـ خ» في الرباط (٩٤٥ك)، و «النصيحة العامة لملوك الإسلام والعامة ـ ط»، و «فتكة البراض، بالتركز على المعترض على القاضي عياض ـ ط » وهو رد على محمد الشنقيطي، و «وإصابة الدواهي في أعراب إلّاهي ـ ط»، و «جواهر الإكليل ـ ط» في الخديوي إسماعيل، و «مقاصد الطالب في مناقب علي بن أبي طالب»[٢٩].

احمد الكوراني

(٤٨٥-٥٨٨هـ = ١٠٩٢- ١١٩١م)

الشيخ احمد ابن الفتوح ابن الشيخ محمد سعيد ابن المنلا إبراهيم الكوراني: فاضل، محدث. ولد بالمدينة المنورة ونشأ و توفي بها. اخذ عن أبيه وعمه الشيخ أبي الطاهر، وغيرهما وشملته الإجازة العامة من جده المنلا إبراهيم وكان رجلاً صالحا[٣٠].

إسماعيل الآمدي

(كان حياً ١١٢٤-١٧١٢م)

إسماعيل بن إبراهيم الآمدي: قاض. تولى القضاء بالمدينة المنورة. من آثاره «درر النفائس في زجر الأشرار والخبائث» في السياسة الشرعية فرغ من سنة ١١٢٤هـ[٣١].

جعفر البرزنجي

(١٢٥٠-١٣١٧هـ =١٨٣٤-١٨٩٩م)

جعفر بن إسماعيل بن زين العابدين بن محمد البرزنجي: فقيه، قاض من أعيان المدينة المنورة. له اشتغال بالتاريخ والأدب، كان يحسن مع العربية التركية والفارسية والكردية. ولد ونشأ في السليمانية، من أعمال شهرزور في كردستان العراق ، وكان أبوه رحل إليها ، من المدينة عند مهاجمة محمد علي باشا للحجاز ، وسافر جعفر إلى مصر، فدخل الأزهر. وعاد مع أبيه إلى المدينة المنورة ، (سنة ١٢٧١) واستكمل فيه دراسته. وتصدر للفتوى والتدريس بعد وفاته أبوه (١٢٧٧هـ) وسافر إلى استنبول، فعين قاضيا لصنعاء، فأقام فيه ست سنوات، وعاد إلى المدينة مستعفيا. ودعي إلى القضاء بسيواس (في تركيا) سنة ١٣٠٧ فأقام عامين ، وعاد إلى المدينة مفتيا ومدرسا إلى أن توفي .

له مصنفات، منها « نزهة الناظرين في سجل سيد الأولين والآخرين ـ ط» في تاريخ المسجد النبوي، و «الشجرة الأترجية في سلالة السادة البرزنجية ـ خ»

أوراق منه، و «تاريخ الابتهاج على نور الوهاج في الإسراء والمعراج ـ ط» و «شواهد الغفران ـ خ» بخطة، في الرباط (٤٣٥ ك) في فضائل رمضان، و «الكوكب الأنور على عقد الجوهر ـ ط» شرح لقصة المولد من تأليف جعفر بن حسن البرزنجي، و «جالية الكروب بأسماء سيد العجم والعرب»، و «عقد الجوهر في مولد صاحب الحوض والكوثر»، و «قصة المعراج. وله نظم [٣٢].

جعفر البرزنجي

(٠٠٠-١١٧٧هـ =٠٠٠- ١٧٦٤م)

جعفر بن حسن بن عبد الكريم بن السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي (زين العابدين) المدني، الشافعي: فقيه، أديب. فاضل. من أهل المدينة المنورة. مفتي السادة الشافعية بالمدينة النبوية. ولد بالمدينة ونشأ نشأة صالحة. وبرع في الخطب الترسل. وصار إماما وخطيبا ومدرسا بالمسجد النبوي، وتولى إفتاء الشافعية بها، وتوفي بها، ودفن بالبقيع.

ألف مؤلفات نافعة ، وإنشاءات رائعة. منها:

«قصة المولدة النبوي ـ ط» ، و «قصة المعراج ـ ط»، و «الفيض اللطيف بإجابة نائب الشرع الشريف»، و «مناقب سيد الشهداء سيدنا حمزة»، و «البرء العاجل بإجابة الشيخ محمد غافل»، و «الجنى الداني في مناقب الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ ط»، و «جالية الكرب بأصحاب سيد العجم والعرب» رسالة في أسماء البدريين والأحديين، وكتاب «النفخ الفرجي، في فتح الجته جي ـ ج» في الظاهرية، الرقم ٨٧٢٤. و «التقاطع الزهري من نتائج الرحلة والسفر ـ خ» في دار الكتب (تيمور)[٣٣].

عبد الله الكردي

(٠٠٠-١٠٦٤هـ =٠٠٠-١٦٥٣م)

عبد الله بن محمد الكردي: مفسر، درس وولي قضاء المدينة المنورة. من آثاره «حاشية على أنوار التنزيل» للبيضاوي[٣٤].

عبد الكريم الكوراني

(٠٠٠- بعد ١٠٥٠هـ =٠٠٠-١٦٤٠م)

عبد الكريم بن أبي بكر ابن السيد هداية الله الحسيني، الكوراني، الشاهدي: عالم، مفسر، واعظ،مصنف. نزيل المدينة المنورة، أخذ عن والده ثم رحل إلى الفاضل المنلا أحمد الكردي المُجُلى قبيلة من الكرد قال بعضهم نسبة إلى (مجلان) قرية تلميذ المنلا حبيب الله الشهير بميرزاجان الشيرازي تلميذ جمال الدين محمود تلميذ جمال الدين محمد الدواني، فقرأ عليه إثبات الواجب، وشرح حكمة العين ، وشرح مختصر ابن الحاجب للقاضي عضد الدين ثم عاد وأبوه موجود وأقام على بث العلم ونشره.

وله من التصانيف: «تفسير القرآن» وصل فيه إلى سورة النحل في ثلاث مجلدات، وكتاب في «المواعظ» وعنه أخذ علامة الوجود الأمام الكبير المنلا إبراهيم بن حسن الكردي الكوراني نزيل المدينة المنورة[٣٥].

عبد المحسن الكوراني

(٠٠٠-١٠٤٠هـ =٠٠٠-١٦٣١م)

عبد المحسن بن سليمان الكوراني الكردي، الشافعي: مفسر، درس في روض الرسول عليه السلام بالمدينة المنورة، وتوفي في حدود سنة ١٠٤٠هـ. من آثاره: «جامع الأسرار في التفسير»[٣٦].

علي البرزنجي

(١١٣٣-١١٩٧هـ = ١٧٢٠-١٧٨٠ م)

علي بن السيد حسن المدني الشافعي الشهير بالبرزنج: فاضل، عالم، ناظم، ناثر من أعيان المدينة المنورة، ولد بالمدينة المنورة سنة ١١٣٣هـ ، واخذ بها عن أخيه السيد جعفر البرزنجي، والشيخ عطا، والشهاب احمد الأشبولي وغيرهم. وله شعر لطيف منه قوله مخمساً:

أيا كوثر العرفان يا خير مرسل
ويا مورد الظمآن والعارف الولي
وسلفي حميّا الحب من حضرة العلي
أظما وأنت العذب في كل منهــل
وأُظلم في الدنيا وأنت نصيري
حبيبٌ بك الرحمنُ في الحجر أقسما
وخصك بالتصريف في الأرض والسما
أغثني إذا ما الضيم بالسهم قد رمى
وعار على راعي الحمى وهو في الحمى
إذا ضاع في البيد عقال بعير

وكانت له اليد الطولى في النظم. نظم «أسماء أهل بدر»، و «مولد النبي صلى الله عليه وسلم» لأخيه السيد جعفر البرزنجي. وكان معتزلا ً عن الناس ملازماً للخلوة. وكانت وفاته بالمدينة المنورة[٣٧].

محمد الكوراني

(١٠٨١-١١٤٥هـ = ١٦٧٠-١٧٣٣م)

محمد بن إبراهيم بن حسن المدني، الشافعي (أبو الطاهر) الكوراني: محقق مدقق، فقيه.

مولده ووفاته في المدينة المنورة. ونشأ بها وتعلم على يد والده وعلماء عصره. وبرع واشتهر بالذكاء والنبل. وكان كثير الدروس، وانتفعت به الطلبة. وتولى إفتاء الشيخ الشافعي بالمدينة المنورة مدة.

قال عنه الشمس الغزالي: زرته في داره ورأيت من ديانته ونسكه وتواضعه وخفض جناحه ما لم أراه على أحد من مشايخنا خلا المنلا إلياس الكوراني فانه كان يقاربه في ذالك. وكان عالما صالحا فقيها .توفي في المدينة ودفن بالبقيع. له اختصار» شرح شواهد الرضي» للبغدادي[٣٨].

محمد الكردي

(١١٢٥-١١٩٤هـ =١٧١٧-١٧٨٠م)

محمد بن سليمان الكردي ،المدني، الشافعي: فقيه، مشارك في بعض العلوم النقلية والعقلية. وهو خاتمة الفقهاء بالديار الحجازية.

ولد بدمشق، وحمل إلى المدينة المنورة وهو ابن سنة ونشاء بها، وأخذ عن أفاضلها، انتهت إليه رياسة الفقه على المذهب الشافعي، وتولى إفتاء السادة الشافعي سنة ١١٨٩هـ، إلى حين وفاته بالمدينة المنورة، بعد أن كان رجل فاضلا، كاملا، وجيها، لطيفا، متخلقا بأخلاق السلف الصالح. جبلا من جبال العالم.

له مؤلفات ورسائل منها: «شرح فضائل التحفة» في نحو أربعين كراسا. و «الحواشي المدنية على شرح المقدمة الحضرمية» لابن حجر الهيثمي كبرى وصغرى في فروع الفقه الشافعي، و «عقود الدرر في بيان مصطلحات تحفة ابن حجر»، و «حاشية على شرح الغاية» للخطيب، و «الفوائد المدنية فيمن يفتي بقوله من أئمة الشافعية»، وفتح الفتاح بالخير في معرفة شروط الحج عن الغير»، ثم اختصره وسماه «فتح القدير»، و «كاشف اللثام عن حكم التجرد قبل الميقات بلا إحرام»، و «الثغر

البسام عن معاني الصور التي يزوج فيها الحكام»، و «الدرر البهية في جوانب الأسئلة الجارية»، و «شرح منظومة الناسخ والمنسوخ»، و «زهر الربا في بيان أحكام الربا»، و «الانتباه في تعجيل الصلاة»، و «كشف المروط عن مخدرات ما للوضوء من الشروط»، و «جالية الهم والتوان عن الساعي لقضاء حوائج الإنسان»، وفتاوى عدة في مجلدين ضخمين وغير ذلك[٣٩].

محمد بن مصطفى (وانقولي)

(٠٠٠-١٠٠٠هـ =٠٠٠-١٥٩٢م)

محمد بن مصطفى الكوراني، الواني، الحنفي، الشهير بوانقولي: فقيه، أصولي، من العلماء الأفاضل. تولى قضا المدينة المنورة، وقد أفاد المطالعين عدة سنوات، ودرس لهم وكان آخر عهده في (بروسه)، توفي سنة (١٠٠٠ هـ) في المدينة المنورة.

ومن آثاره: «حاشية الدرر والغرر» لمنلا خسرو في الأصول، و «وترجيح البينات»، «حاشية على شرح الجرجاني لفرائض السجاوندي، و «نقد الدرر».

وله بعض الآثار والمؤلفات في السياحة والأدب. كما ترجم إلى اللغة التركية «الصحاح للجوهري»، و «كيمياء السعادة» للإمام الغزالي. وكان له حظا وافرا في الشعر والأدب[٤٠].

محمد سعيد الكوراني

(١١٣٤-١١٩٦هـ =١٧٢١-١٧٨١م)

الشيخ محمد سعيد بن إبراهيم بن محمد أبي الطاهر بن المنلا إبراهيم الكوراني المدني الشافعي: الشيخ الفاضل، الصالح النبيل البارع.

ولد بالمدينة المنورة ونشأ بها، وحفظ القران، وطلب العلم. واخذ عن أبيه، ومشايخ عصره. كان رجلا متكلماً، درس بالروضة المطهرة بعد أبيه(٤١).

محمد عمر الكردي

(٠٠٠- ١٥١٥هـ = ٠٠٠- ١٩٩٥م)

محمد عمر الكردي: أحد وجهاء المدينة المنورة. وهو والد السفير «عمر» العامل بالوفد الدائم للسعودية بجامعة الدولة العربية.

وافته المنية بالقاهرة، ودفن بالبقيع في المدينة المنورة صباح يوم السبت ١٤ ذي الحجة، بعد الصلاة عليه في المسجد النبوي الشريف[٤٢].

نجيب العينتابي

(٠٠٠-١٢١٩هـ =٠٠٠-١٨٠٤م)

نجيب العينتابي: فاضل. من المدرسين، درس بالمدينة المنورة. له مصنف «شرح الشفا للقاضي عياض» بالاشتراك مع محمد بن مصطفى القونوي[٤٣].

محمد البرزنجي

(١٠٤٠-١١٠٣هـ =١٦٣١-١٦٩١م)

محمد بن عبد الرسول بن عبد السيد بن عبد الرسول بن قادر بن عبد السيد، الشافعي البرزنجي الأصل والمولد :المحقق، مدرس، مفسر، أديب. من فقهاء الشافعية.

ولد بشهرزور ونشأ بها. وقرأ القران وجوده على والده. وبه تخرج من بقية العلوم. وقرأ في بلاده على جماعة. ودخل همذان وبغداد ودمشق والقسطنطينية ومصر. واخذ عمن بها من العلماء.

ثم توطن المدينة المنورة. وتصدر للتدريس. وصار من سراة رؤسائها، وألف تصانيف عجيبة، منها «انهار السلسبيل لرياض أنوار التنزيل» في شرح تفسير البيضاوي، و «الإشاعة في أشراط الساعة - ط»، و «النواقض للروافض»، وألف شرحا على ألفية المصطلح، و «العافية في شرح الشافية» لم يكمل، و «خالص التلخيص - خ»، مختصر تلخيص المفتاح ٣٧ ورقة في دار الكتب بمصر، و «القول السديد والنمط الجديد في وجوب رسم الإمام والتجويد – خ»، و «مرقاة الصعود في تفسير أوائل العقود»، و» مزاج الزنجبيل لحياض أسرار التأويل «في التفسير، و «ضياء السراج في ليلة الإسراء والمعراج»، و «بقية الطالب لإيمان أبي طالب»، و «النفحة الفايحة في مسايل الفاتحة»، و «الضاوي على صبح فاتحة البيضاوي»، و «قدح الزند في رد جهالات أهل سرهند»، ورسالة في الجهر بالبسملة في الصلاة، وقام بترجمة كتاب» الجانب الغربي في حل مشكلات ابن عربي» من الفارسية إلى العربية وسماه» الجاذب الغيبي – خ».

وكانت له قوة اقتدار على الأجوبة على المسائل المشكلة في أسرع وقت، وأعذب لفظ وأسهله وأوجزه وأكلمه. وبالجملة فقد كان من أفراد العلماء علماء وعملا. توفي ودفن بالمدينة المنورة[١٤].

الهوامش

(١) مشاهير الكرد:١٥٦/١، جابان الكردي بقلم احمد الخليل، مقال منشور على الإنترنت ضمن عنوان «مشاهير الكرد في التاريخ الإسلامي».

(٢) فاروق عمر فوزي: المدخل إلى تاريخ آل البيت منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث. جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٨م.ص ٢٩٠-٢٩٣

(٣) فاروق عمر فوزي:المدخل إلى تاريخ آل البيت، ص٢٨٩-٢٩٠

(٤) أعلام الكرد:٢١٤

(٥) سليمان موسى: معارك الثورة العربية الكبرى: الحرب في الحجاز، عمان، ١٩٨٩ ،٢١٠، ٢١٠، عن سيرته انظر: مشاهير الكرد، بغداد، ١٩٤٥، ١٦٠/١

(٦) مير بصري: أعلام الكرد،٢٢٧

(٧) مير بصري: أعلام الكرد،٢١٧

(٨) مير بصري: أعلام الكرد،٢١٩

(٩) الضوء اللامع:١٧٠/١، إتحاف الورى: ٢٨٩/٤، أعلام المكيين: ٧٩٥/٢

(١٠) مشاهير الكرد: ١٠٢/١.

(١١) الضوء اللامع: ٢٤٧/٢

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية: ٣٥١/٩-٣٥٢، معجم المؤلفين:٤٧/٤-٤٨، الموسوعة العربية :٨٢٧/١، الأعلام:٢/ ٢٥٦ كشف الظنون:٢٠٣، ٧٢٥، تاريخ آداب اللغة العربية:٣٠٨/٣، فهرست الخديوية:٥٠، ٥١، ٤٧، المنتخب من مخطوطات المدينة:٧٩، فهرس التاريخ بالظاهرية:٢/ ٢٣١-٢٣٣، المستدرك على معجم المؤلفين:٢١٥، هدية العارفين:٣٠٦/١، أعلام المكيين:٣٣٢/١

(١٣) الضوء اللامع:١٦٠/٣

(١٤) المختصر من كتاب نشر النوادر والزهر:٢٤٢

(١٥) الضوء اللامع:١٧٤/٥-١٧٥

(١٦) أعلام المكيين:٧٩٧/٢-٧٩٨، أعلام الحجاز:١/ ٣٤٦ضمن ترجمة والده ماجد الكردي

(١٧) مقتطفات من كتاب: محمد طاهر الكردي الخطاط، حياته وآثاره، ٣٥:١٩٧٠-٦٣. وله ترجمة في معجم مؤرخي الجزيرة العربية:١٢٦-١٢٧، ومعجم مصطلحات الخط والخطاطين:١٢٨، وموسوعة الأدباء والكتاب السعوديين:١٢٦/٣، ذيل الأعلام:١٨٣/١، تتمة الأعلام:٩٤-٩٦، معجم الكتاب والمؤلفين السعوديين:٣/ ١٢٦-١٢٩، أعلام الحجاز:٣١٥/٢، معجم المطبوعات العربية(السعودية):٢٩٠/٢-٢٩٥. ، إتمام الأعلام:٢٤٦

(١٨) الأعلام: ٧/ ١٦، أعلام الحجاز: ٣٠٧ — ٣١٣، أعلام الكرد:٩٨

(١٩) الضوء اللامع ٢٥٦/٣

(٢٠) نشر الدرر بتذيل نظم الدرر:٥٦، أعلام المكيين:٧٩٦/٢

(٢١) الضوء اللامع:٣١١/١٠

(٢٢) مشاهير الكرد:٨١/٢

(٢٣) أعلام النساء:٢٩/٤-٣٠

(٢٤) أطباء من التاريخ:٢٣٦/٢، الضوء اللامع:٧/ ٢١٩، إتحاف الورى:١٥٨/٤، أعلام المكيين:١٧٧/١، مشاهير الكرد:١٥٢/٢

(٢٥)شذرات الذهب:١٨٨/٦

(٢٦) مشاهير الكرد:٦١/١

(٢٧) معجم المؤلفين:٢١/١، الأعلام ٣٥/١،مشاهير الكرد:٦٢/١، وفيه أسماء ٢٤ كتابا له. البدر الطالع ١١/١، سلك الدرر:٩/١-١٠، هدية العارفين: ٣٥/١، إيضاح المكنون:١٧/١،١٠، ٩٨٢، نشر المثاني لابن الطيب: ١٣٠/٢- ١٣٧، طبقات الصلحاء للمراكشي: ٢١٠-٢١١، موجز دائرة المعرف الإسلامية:٨٦٥٣/٢٨ ، فهرس التصوف بالظاهرية:٥٠٦/١، فهرس النحو بالظاهرية:٨٥، ٨٦- ٤١٦، فهرس مخطوطات الحديث بالظاهرية:٣٨٣، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق:٢٤٧/٢٠، المستدرك على معجم المؤلفين:١٤

(٢٨) تراجم أعيان المدينة المنورة:١٠٥

(٢٩) معجم الشيوخ: ١٠٦/١-١١١، قال الزركلي: كانت وفاة صاحب الترجمة «بالمدينة» سنة ١٣٣٢هـ/١٩١٤م، ثم علق مؤلفه على ذلك بخطه- أنه توفي بدمشق عام ١٣٣٧هـ ودفن بالصالحية. معجم المطبوعات: ٥٤٧، الأعلام: ٩٩/١-١٠٠، إيضاح المكنون:٢/ ٦٥٤،فهرست الخديوية:١٨٠/٢، فهرس التيمورية:٢/، ١٥٦،١٦٣،٢٢٤معجم المؤلفين: ١٦٤/١-١٦٥

(٣٠) تراجم أعيان المدينة المنورة :١٠٨

(٣١) إيضاح المكنون:٤٧٠/١، معجم المؤلفين:٢٥٤/٢

(٣٢) معجم المؤلفين:١٣٥/٣، هدية العارفين:٢٥٦/١، ٢٥٧، فهرست الخديوية:٣٩٢/١، إيضاح المكنون:٣٩٣/٢، معجم المطبوعات:٥٤٨، الاعلام١٢٢/٢، فهرس التاريخ بالظاهرية:١٩٣/٢، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٨٢، ٣٨٣، ٤٧٠،٤٧٢، ٢٥٢، ٢٥٤، المستدرك \على معجم المؤلفين:١٦٩، محمد سعيد دفتر دار في جريدة المدينة المنورة: ١٤ و ٢١و٢٨ ذي القعدة ١٣٧٩

(٣٣) سلك الدرر:١٣/٢، آداب اللغة: ٣١١/٣، إيضاح المكنون:١٧٦/١، هدية العارفين ٢٥٥/١، مخطوطات الظاهرية، تاريخ: ٥٥٢/٢، الأعلام: ١٢٣/٢، معجم المؤلفين: ١٣٧/٣، فهرست الخديوية:٣٨٥/١، ٤٣٨، ٤٣٩، ١٩٠/٢، ٨٥/٥، ٨٦، إيضاح المكنون:١/ ١٧٦، ٦٦٧، ٦٩٦، ٣٧٠، ٥٩٠، ٥٢/٢، ٨٧، ١٠٠، ١٦٤، ٢١٥، ٦٦٧، ٦٩٦

(٣٤) هدية العارفين:٤٧٧/١، معجم المؤلفين:١٣٨/٦

(٣٥) خلاصة الأثر:٢/٤٧٤،إيضاح المكنون:١/٣٠٨، هدية العارفين:١/٦١٢، معجم المؤلفين:٥/٣١٥، مشاهير الكرد:٢/٣٣-٣٤

(٣٦)كشف الظنون:٥٣٤، هدية العارفين:١/٦٢٢، فهرس التيمورية:١/٧٩، ١٧٥، ٣/٢٦١، معجم المؤلفين:٦/١٧٢

(٣٧) هدية العارفين:١/٧٧٠، معجم المؤلفين:٧/٦١، تحفة المحبين:٨٩، سلك الدرر ٣/٢١٣. والبرزنجي نسبة إلى المدينة» برزنج» وهي مدينة من نواحي أرذّان بينها وبين برذعة ثمانية عشر فرسخاً(معجم البلدان)، تراجم أعيان المدينة المنورة:٨٧

(٣٨) سلك الدرر:٤/٣٥، الأعلام: ٥/٣٠٥، تراجم أعيان المدينة المنورة: ١٠٤

(٣٩)هدية العارفين:٢/٣٢٤، فهرس الخديوية:٣/ ٢٢٣، ٢٢٥، إيضاح المكنون: ١/١٢٩، ٢٥١، ٣٤٥، ٤٢٣، ٤٥٦، ٦١٧، ٢/ ١١٣، ١٥٧، ١٦٨، ٢٠٤، ٣٦٧، ٥٤٣، تراجم أعيان المدينة المنورة :٥٥، سلك الدرر:٤/ ١٣١-١٣٢، معجم المطبوعات:١٥٥، الأعلام: ٦/ ١٥٢ ، مشاهير الكرد:٢/١٣٩، معجم المؤلفين:١٠/٥٤

(٤٠) مشاهير الكرد:٢/١٢٩-١٣٠ ،هدية العارفين:٢/ ٢٦٠، كشف الظنون:٣٩٨، ١١٩٩، ١٢٤٨، فهرست الخديوية:٣/١٤٤، فهرس الأزهرية:٢/٢٩٠، الكشاف:٨٠، ٢٤٠،معجم المؤلفين:١٢/٣٣٠

(٤١) سلك الدرر:٤/٣٥-٣٦، الأعلام:٥/٣٠٤، تراجم أعيان المدينة المنورة:١٠٦

(٤٢) جريدة المدينة ع ١١٧٢٦ (١٥/١٢/١٤١٥هـ)، تتمة الأعلام: ٢/١٢٥

(٤٣) إيضاح المكنون:٢/٥٢، ٤٣٠،معجم المؤلفين:١٣/٨٠

(٤٤) فهرس الخديوية:١/١٣٠، معجم المؤلفين:٩/ ٣٠٨، سلك الدرر:٤/٧٨-٧٩،مشاهير الكرد:٢/١٢٨، الأعلام:٦/٢٠٣، تاريخ السليمانية:٢٧٧

البدرخانيون
في يوميات الميجر نويل

ترجمه وعلق عليه وأَعدّ ملحقه
حسين فيض الله الجاف

المقدمة :

إدوارد وليـم جارلس نويـل [١٨٨٦-١٩٧٤] ضابط بريطانـي كان برتبة ميجر أثنـاء كتابته يومياته . شـارك في قوات الحملة البريطانية في ميسـوبوتاميا [بـلاد مـا بين النهرين] لسـت سـنوات . وهو رجل غير عادي يجمـع بين قدرات غير محـدودة وتحمل جسـماني كبير وحنكة سياسـية . له معرفة واسعة وشاملة باللغة الفارسية وأسلوب معيشة العشائر، ويُعد خبيراً بأمور وشـؤون عشـائر البختياري، ومن ثم في شؤون كوردستان.

كانت نشـاطات الميجر نويل وأعماله في كوردستان تتقد حماسـاً وتتسم بالشـجاعة المدهشة في مجابهة الصعاب. وقـد عُيِّن في الأول من تشـرين الثاني عام ١٩١٨ بوظيفـة ضابـط سياسـي لمنطقـة كركوك في كوردستان، وعند وصوله إلى السليمانية بعد إسبوعين قوبل باسـتقبال حماسي كبير، وكانت تعليمات ولسن إليه: «لقد عُيِّنْتَ ضابطاً سياسـياً لمنطقة كركوك... التـي تمتد من الزاب الأسـفل إلى ديالى وإلى الشـمال الشـرقي من الحدود التركيـة- الإيرانية... ويجب أن يكون واضحاً لدى الرؤسـاء [الكورد] بأن أية ترتيبات تتخذهـا مؤقتة وخاضعة لإعادة النظر في أي وقت... وأنـت مخول بتعيين الشـيخ محمود ممثـلاً عنّا في السـليمانية، مع تعيينات أُخرى في جمجمال وحلبجة ومناطق أخرى (ولسن: ص١٢٨).

باشــر نويل بتنفيذ التعليمات تلــك فأقام نظاماً حكوميــاً مؤقتــاً في الســليمانية والمــدن والقصبات الأخرى، وقام بتعيين الشــيخ محمود حاكماً للمنطقة مــع تعيينات أخرى مــن الموظفين الكــورد بدلاً من الأتراك والعرب وتحت إشــراف الضباط السياســيين البريطانيــين، وأعاد النظام للمنطقة. وأصبح واضحاً، كما يقول آرنولد ولسن، أن فكرة «كوردستان للكورد» تحت الحماية البريطانية قد لاقت شعبية واسعة.

في نهاية كانون الأول ١٩١٨ غادر نويل الســليمانية، وتجــول في المناطق الغربية والشــمالية حتى رواندز غرضها التعرف على الكورد وتأسيس إدارات حكومية، مــع ضباط سياســيين بريطانيين، في كويــه ورانية وروانــدز. وبعــد عدة أســابيع عــاد إلى الســليمانية ليجــد أن هناك تعارضــاً وموقفاً بريطانيــاً مختلفاً من الشــيخ محمود بحجة «أنه كان يُســيء التصرف بسلطاته» حسب تعبير آرنولد ولسن في كتابه «ولاءات في ميســوبوتاميا» (جـ٢، ص: ١٣٣). وبعد مناقشــات مســتفيضة بين الضباط البريطانيين وبموافقة نويل التامة تقرر أن يتولى مكانه في السليمانية الميجر إيلي بانستر سون.

حتــى ذلــك الوقــت كان الميجر نويل قــد تقلد الوظائف التالية:

١-مساعد ضابط سياسي في مهمة خاصة ١٩١٥/٣/٣١.

٢-نائب قنصل في عربســتان – الأهواز، بختياري، لورستان وپشت كوه ١٩١٦/٩/١.

٣-مســاعد ضابــط سياســي في مهمــة خاصة إلى القفقاس ١٩١٨/٢/١.

٤-مســاعد ضابــط سياســي في مهمــة خاصة إلى طهران ١٩١٨/٩/١.

٥-ضابــط سياســي في كوردســتان (كركــوك والسليمانية) ١٩١٨/١١/١.

٦-مهمة خاصة إلى رواندز وكوردستان ١٩١٩/٢/١.

وتنفيذاً لمهمته الخاصة الأخيرة التي أُنتدب لها قام نويل بجولة واسعة في طول كوردستان وعرضها للوقوف علــى آراء الكــورد والتقصي حول مصير كوردســتان فزار ماردين وديار بكــر وملاتيا وغيرها من البلدات والقصبات والقرى الكوردية فالتقى بالقرويين الكورد ورؤساء العشائر والزعماء المتنفذين وإستطلع آراءهم. ونتيجــة لذلك كتــب الكثير من الرســائل والتقارير واليوميــات حول الكورد إلى المســؤولين البريطانيين. وتعــد هذه الكتابات مــن الوثائــق البريطانية المهمة المتعلقــة بالقضيــة الكورديــة وتطوراتها[1]. ويشــير الدكتور أحمد عثمان أبو بكر إلى تقرير لنويل بعنوان «ملاحظات حول الوضعية الكردية - الترجمة العربية – اســتانبول، ١٩١٩» (هامش ٤، ص٦ من كتابه المذكور في الملحــق)، ولا يبدو واضحاً إن كانــت هذه الترجمة مطبوعة أم مخطوطة[2].

ويقول آرنولد ولســن، الحاكم المدني البريطاني في بغداد، أن مغامرات نويل يمكن أن تؤلف مجلداً ضخماً إن تسنى لأَحدٍ الكتابة عنه. وهو كان أكثر الشخصيات أهميــة في أعــين الفُرس، كما [الميجر] ســون في أعين الكــورد. ونــرى أنه كان يتمتع بدرجــة من الإحترام بين الكورد أكثر من سون. وحسب دبليو. آر. هَيْ كان نويل يوجه بشــكل عام السياسة [البريطانية] المتبعة في جنوبي كودرستان. ويقيم الدكتور أولسن نشاطاته تقييمــاً عالياً قائلاً «أن سَــيْر حياتــه العملية كانت طويلة جداً ومثمرة ومغامرة كما دَلَّتْ جميع الروايات . وهناك تغطية شــاملة في سجلات وزارة المستعمرات

[البريطانية] لمآثره وأعماله الجريئة في القفقاس أثناء الحــرب العالمية الأولى ، وبــين جنـ◌ليي كـ◌ك خان في ◌يلان عام ١٩١٩ حيث تم ســجنه ، وبين البختياريين والكورد... وشارك في مؤتمر القاهرة في شهر آذار ١٩٢١» (راجع مقالة أولسن ص٩٧)

كتــب الميجــر نويــل يومياته خــلال جولاته في كوردســتان، وطُبعــت بمطبعة الحكومــة في البصرة بعنــوان «يوميات الميجر ئي. إم. [كذا] نويل في مهمة خاصــة في كوردســتان للفترة من ١٤ حزيــران إلى ٢١ ايلــول ١٩١٩». وتقع في ٧٦ صفحة بحجم ٢١ × ٢٧ســم، وتضم ٦٢ صورة فوتوغرافية إلتقطها نويل بنفســه ، وبعضها مكررة ، دون ذكــر تاريخ الطبع. وبالرجوع إلى كتابات نويل ورســائله نرى أنهــا طُبعت في أواخر العام ١٩١٩[٣]. وتبــدأ الصفحة الأولى من هذه اليوميات بجملة توضيحية منه يقول فيها «إن يومياتي الأخيرة أُخْتُتِمَتْ بتقرير عن دواعي زيارتي إلى ديار بكر للفترة من ٤ حزيــران إلى ١٤ منه». ولعــل ملاحظاته حول الوضعية الكوردية هي جزء من تلك اليوميات، إن لم تكن هي خلاصة، أو تقرير، كما يقول هو، عنها.

تبــدأ اليوميات التي نحــن بصددها من الصفحة ١ (١٤ حزيران) إلى الصفحــة ٢٨ (٢١أيلول). أما الصفحات من ٢٩ وحتى ٧٦ فقد خصصها لتقارير وملاحظات عن الموضوعات التالية وحسب العنوانات التي وضعها هو:

-تقرير عن عشيرة رشوان جنوب ملاتيا، ص ص: ٢٩-٣٣.

-قرى رشوان، ص ص: ٣٤-٣٦.

-ملاحظة حول كورد سيناملي: ص: ٣٧.

-تقرير حول كورد آتمي، ص ص: ٣٨ -٤١.

-ملاحظة حول عشيرة بايزيك الكوردية، ص ص: ٤٢-٤٥.

-كورد ◌وريجك في قضاء آلجي داغ، ص ص: ٤٦-٤٨.

-ملاحظة حول سكان قضاء ◌ازارجك، ص : ٤٩-٥٠.

-العادات بين العشائر الكورية، ص ص: ٥١ – ٥٢.

-الأُسرة البدرخانية، ص ص: ٥٣ – ٥٥.

-تقريــر حول أرقام الإحصاءات التركية، ص ص: ٥٦- ٥٧.

-التقويم الكوردي، ص ص: ٦١- ٦٢.

-ســمات الكــورد كما تمثلهــا حكمهــم وأمثالهم الشعبية، ص ص: ٦٣- ٧٣.

وقد أعيد نشــر هذا الموضوع بوصفه دراســة في «مجلــة مدرســة الدراســات الشــرقية والأفريقية» الصادرة في لندن، المجلد الأول، القسم الرابع، ١٩٢٠، ص ص :٧٩-٩٠.

-ملاحظة حول العشائر الكوردية، ص ص: ٧٣- ٧٤.

-ملاحظة حول عشيرة باليان الكوردية، ص ص: ٧٥ – ٧٦.

إضافة إلى ذلك، يشــير نويــل في مواضع غير قليلة من يومياته إلى العلاقــات الكوردية الأرمنية وكيفية إنقاذ الكورد للكثير من الأرمن وحمايتهم.

في موضوعه المعنون الأُســرة البدرخانية يتحدث عن تاريخ الأُسرة وشخصياتها، وعند ذكره لخليل بيك يحيل القارئ إلى يوميات شــهر أيلول ، حيث يخصص يومياتــه ليومي ٣و٧ أيلول لوضعية الكورد ومتصرف ملاتيــا البدرخاني، كما يتحــدث في الصفحتين ١- ٢ من يومياته، التي تشــمل الفترة من ١٤ حزيران إلى ٢٣ آب، عن لقائه بالقادة الكــورد المتنفذين ومنهم أمين عالــي بدرخان ومرافقة ولديه جلادت وكامران له في جولتــه هذه. وقد وجدنا من المفيــد ترجمتها أيضاً،

وألحقنا بها قائمة بالمصادر والمراجع حول الموضوع. وفيما يلي ترجمة الصفحات المتعلقة بالبدرخانيين من يومياته مع موضوع « الأسرة البدرخانية»:

يوميات ١٤ حزيران إلى ٢٣ آب:

بقلم : الميجر إدوارد وليم جارلس نويل

إن يومياتي الأخيرةً أُخْتُتِمَتْ بتقرير عن زيارتي إلى ديار بكر للفترة من الرابع من شهر حزيران إلى الرابع عشر منه.

سرتُ من ديار بكر قاصداً حلب وإلتقيتُ بالكيرنل ولسن الذي كان قد وصلها جواً من بغداد يوم ٢٦ حزيران . وكان قد إقترح ، في ١٣ حزيران ، على حكومة صاحب الجلالة تأسيس دولة كوردستان مستقلة تحت رعايتنا، ولتشمل تقريباً ولايات وان، بتليس [بدليس]، ديار بكر ومعمورية العزيز. وبالتشاور معه تقرر بأنه ينبغي عليَّ زيارة القسطنطينية لكي ألتقي بأُسرة بدرخان وأن أصطحب معي واحداً أو أكثر منهم بالإضافة إلى آخرين من الكورد المتنفذين، في مهمة إلى كوردستان هدفها الوقوف بوجه الدعاية الإسلامية الواسعة للأتراك وجهودهم لتحويل الكورد جميعاً ضدنا بترويعهم ببعبع الهيمنة الأرمنية عليهم مسنودة بالحراب البريطانية.

إلتقيتُ ، عند الوصول إلى القسطنطينية في ٣ تموز، بالقادة الكورد من ذوي الشأن، حيث كان أكثرهم أهميةً الشيخ عبد القادر وأعضاء الأُسرة البدرخانية. وبعد محادثات عديدة أُقْتُرِحَ وجوب تشكيل وفد من المندوبين لمرافقتي يتكون من إثنين من أبناء أمين عالي بدرخان، مع سيد معين صهر الشيخ عبد القادر وسيد إبراهيم من وجهاء درسيم. وكان هؤلاء الأشخاص جميعاً، إلى حد ما، من ذوي الشأن الثانوي. ويكمن السبب وراء عدم تقدم الفاعلين الرئيسيين إلى الصفوف الأمامية [لمرافقتي]، ألا وهما عبد القادر وأمين عالي أن الأول كان قد جرى تخويفه من قبل الأتراك بإمكانية توجيه تهمة الخيانة العظمى له ، والأخير بسبب تجريده من ثروته كان يتحاشى كوردستان خجلاً بدون التمتع بالمنزلة الرفيعة والوضع المالي التي كانت تتطلبها تقاليد أسرته. لم أكن نادماً لأخسر عبد القادر، بالرغم من أنه ذو شخصية رقيقة، لكنه صدمني لتعصبه وتقوقعه. وباختصار شخص صعب الإرضاء للتعامل معه على المدى البعيد . ومن الناحية الأخرى كنتُ سوف أتمنى إصطحاب أمين عالي، وهو رجل متقدم في السن وذو حضور جذّاب ومكانة مرموقة وشهرة عالية ويمتلك صفات القيادة ومن نوع الرجال الذين يتمكنون من النجاح نجاحاً باهراً في التأثير على الكورد ويلقون قبولاً جيداً مع رجال العشائر الكوردية. أما ولديه [جلادت وكامران] فكانا، بالأحرى، شخصين رقيقين ممتلئين ترعرعا وعاشا في القسطنطينية حيث كانا يتكسبان من عملهما في الصحافة. ومهما يكن الأمر، وعلى الرغم من حضورهما غير الجذّاب كثيراً قررتُ إصطحابهما معي بسبب عواطفهما الشديدة الولاء للبريطانيين والهيبة التي لا يزال البدرخانيون يحتفظون بها في كوردستان دون أي شك. وليس من الضروري أن ننظر بعين الإعتبار لعضوي البعثة الآخَرَيْن لأنهما تراجعا عن الأمر الذي إعتبراه، بلا ريب، محفوفاً بالخطر جداً ومشروعاً يتطلب الجرأة ومُهلكاً. وقبل أن تُجرى الانتخابات النيابية فعلاً، طَلَبَ أعضاء النادي الكوردي من المندوب

السامي [البريطاني] أن يلتمس من الحكومة التركية ضمانات الحماية وتأمين سلامة عوائل أولئك الذين عليهم مرافقتي. وقد أُبلغوا بانه طالما إقتصرت نشاطاتهم بواجب إحلال السلام والوئام بين العشائر وليس تهييجهم ضد الحكومة التركية فأننا سوف نستخدم نفوذنا باتجاه تأمين سلامة عوائلهم في القسطنطينية.

في الثالث والعشرين من شهر تموز عُدتُ إلى حلب، ثم ذهبتُ جواً إلى بغداد، عائداً إلى حلب مرةً أُخرى في التاسع عشر من آب، وهو التاريخ الذي كان قد وصل فيه الأخوان بدرخان، جلادت عالي وكامران عالي، من القسطنطينية.

ولاستبدال عضوي البعثة اَللذَيْن كانا قد إنسحبا من السباق، إتخذتُ أكرم بيك عضواً معنا، وهو إبن جميل باشا من ديار بكر. وأكرم بيك شاب دمث الأخلاق وكان لبقاً في الحديث جاعلاً من نفسه شخصاً في وئام وتوافق مع الكورد[٤].

لقد إلتقيت به لأول مرة في ديار بكر في شهر حزيران حيث وفد عليَّ في زيارة قصيرة مرتدياً زيه القومي الكوردي وعبَّر عن أفكاره وعواطفه القومية الكوردية صراحةً ، ورغبة الكورد الموجهة إلى بريطانيا العظمى لوضعهم تحت الانتداب. ومن جراء ذلك قرر الوالي إعتقاله، لكنه تمكن من الفرار إلى حلب. وفي طريقه عبر جرابلس جرى التعرف عليه من قبل مترجم أرمني الذي إتهمه علناً باعتباره مساهماً في مذابح الأرمن، وترتب على ذلك أن يكون على قاب قوسين أو أدنى من نطاق الحبس في حلب، ولكن، لحسن الحظ، كان حاذقاً للتنويه باسمي فأُرجئ إعتقاله إلى حين عودتي.

من يوميات ٣ ايلول [١٩١٩] ، ص : ١٧

ان متصرف [ملاتيا]، خليل بيك، أحد أفراد الأسرة البدرخانية هو عم البدرخانَيَيْن اَللذَيْن يرافقاني [جلادت وكامران]. وهو قومي كوردي يلتهب حماساً، وفي الواقع مؤسس النادي الكوردي والصحيفة الكوردية في القسطنطينية. كما انه شخص عالي الإدراك ومتحرر الفكر مع تعاطف ظاهر موالٍ للبريطانيين . وهو يُذْكَرْ بالخير ويُمتَدحْ من قبل ألـ A.C.R.N.E [الهيئة الأميركية للإنقاذ في الشرق الأدنى] والأرمن الموجودين في ملاتيا الذين، على أي حال، يُضيفون قائلين بانه، بسبب كونه يقف بالضد من المحاباة التركية، لا يستطيع عمل الشيء الكثير من أجلهم بمواجهة العناصر التركية المتعصبة في المدينة. ويمكن للمرء أن يسأل نفسه، إلى حد معين، كيف تسنى له بوصفه كوردياً ان يتم تعيينه متصرفاً لسنجق ذو غالبية كوردية؟ وتفسير ذلك يكمن في حقيقة أن تعيينه قد تم بواسطة مصطفى عارف بيك، وزير الداخلية، الذي كان لفترة طويلة صديقاً شخصياً للأُسرة البدرخانية. وصحيح أن مصطفى عارف لم يَعُد في منصبه الآن، وأَن خليل بيك يُنظَر إليه من قبل الدوائر العليا بارتياب مع مشاعر شك كبيرة، مع ذلك فان الحكومة لم توطد العزم على التخلص منه، جزئياً بسبب التأثير الكبير له بين الكورد ، وأيضاً لانه جعل المنطقة آمنة أكثر مما يستطيع عمله أي تركي آخر.

كان خليل بيك قد أخبر أعضاء ألـ A.C.R.N.E [الهيئة الأميركية للإنقاذ في الشرق الأدنى] بأَنه في حالة نشوب نزاع بين الأتراك والحلفاء فأن الكورد في سنجق ملاتيا سوف يثورون ويطردون الأتراك.

وكانــت هــذه المعلومة قد تــم توصيلهــا إلى المندوب السامي الأميركي في القسطنطينية.

يوميات ٧ ايلول [١٩١٩]، **ص ص : ٢٠ – ٢١**

إن المتصرف خليل بيك، قد أراني البرقيات التالية التي جرى فك رموز شفرتها والتي تبودلت بين وزير الداخلية والوالي :

في ٦ أيلول أبرق وزيــر الداخلية إلى والي خربوت وكما يلي . تبدأ [البرقية] :

«بالإشــارة إلى برقيــة الميجــر نويــل إلى المندوب الســامي، اننا ندرك بأن إعتقال البدرخانِيَيْن ســوف تَتَرتــب عليه عواقــب مؤذية لتركيا، ومــن الناحية الأُخرى ، وإستناداً إلى ما جاء في التقارير المرفوعة من الفيلق الثالث عشــر فأنه مــن المتوقع أن تكون نتائج الدعاية القوميــة الكوردية التي يقومــان بتوجيهها أكثر جديــة وخطورة . أبرقوا لنــا وجهة نظركم». إنتهت [البرقية].

أرســل الوالي برقية جوابية. تبــدأ [البرقية]: « إنني أعترض على الإعتقال للأسباب التالية:

١-أكد لي الميجر نويل أنه سوف لن يوافق على أية محاولة لتقويض سلطة حكومتنا.

٢-إن الدعايــة التي يقودهــا البدرخانيان هنا لا تذهب إلى الحد الذي كانت تتضمنه جريدة «سَرْبَسْتي» ومنشورات النادي الكوردي في القسطنطينية ، اللَذين كانا مســؤولان عنها والتي لم تكونوا قد تَدَخلْتُمْ أبداً لعرقلتها.

٣-مــن المحتمل أن يؤدي الاعتقال إلى إندلاع نيران الإحتجاج بين الكورد ولا نمتلك القوة للتعامل معها.

٤-انني لا أتخذ وجهة النظر الخطيرة حول عواقب دعايات البدرخانِيَيْن كما يراها الفيلق الثالث عشر». إنتهت [البرقية].

وصل هذا اليوم، في زيارة تفتيشــية، شخص باسم الميجــر برونــو، وهو ضابط فرنســي يعمل مفتشــاً للجندرمة في ولايتي خربوت وســيواس. وهو يتحدث علانيــةً لصالح مصطفى كمال ومؤيــداً له، وذلك ما يثير ســخط الوالي كثيراً الذي أرسل برقية مشفرة إلى الحكومة التركية وكما يلي:

«إن ضابطاً فرنســياً، وهو مفتش جندرمة، وكان قد وصل هنا في طريقه من خربوت إلى سيواس يقاوم علانية إتخاذي إجراءاً [عســكرياً] مضــاداً لمصطفى كمال. أما الميجر نويل فانه على العكس من ذلك يعمل لصالحنا بقوة.

«وإنما هذا يؤكد تقاريرنا بأن الفرنسيين يدعمون مصطفى كمال وموتمر سيواس بشكل سري».

بالإضافة إلى ذلك يدَّعي الوالي بأن جهاز اللاسلكي يُــدار حالياً مــن قبل رجال فرنســيين وأن الإهتياج الحالــي في المدينــة هو ، في معظمه، يعود إلى تشــجيع برونو لجمعية الإتحاد والترقي.

في الأول مــن أيلول أبرق الوالي إلى المتصرف، خليل بيك [بدرخان] ، طالباً منه تجميع مائة فارس كوردي من عشــيرة رشــوان . فقــرر خليل بيــك، معتقداً أن الحاجة إليهم هي لضرب عشــيرة كوردية أخرى، أن لا يصبــح هذا العدد [من الكورد] جاهــزاً. ولكن، لمّا كان عليــه التظاهر بأنــه مهتم بالموافقة علــى تنفيذ أمر الوالــي، فأنه أرســل الطلب إلى بدر آغا رئيس عشــيرة رشوان. وكانت له، على أي حال، ترتيبات خاصة بينه وبين رؤساء العشائر الكوردية في الجوار المحيط به بأن الأوامر التي ربما يصدرها بصفته الرســمية لا ينبغي

الامتثال لها إذا جرى توقيعها بصورة متفق عليها سلفاً. لذلك قام بتوقيع الأمر الخاص بتجميع الفرسان الكورد بهذه الصورة ، وبالطبع لم يفعل بدر آغا شيئاً.

ولكن يتضح الآن من زيارة الوالي أنه يريد هؤلاء الفرســان للزحف لمواجهة المؤتمر الوطني في سيواس، الــذي، كما يقــول هــو، كان أعلن نفســه منضماً إلى الاتحاديين ومســتقلاً عن القسطنطينية. وإلى جانب ذلــك فان الحكومة قــد عينته قائــداً لفيلق الجيش الثالــث مع أوامر لجمــع مثل هذه الميليشــيا المحلية حسب الإمكان والزحف إلى سيواس.

ان هذا أفــرز، بالطبع ، تعقيداً مختلفاً تماماً حول القضية من وجهة نظر الكورد، فهم يجادلون أنه بتقديم العون للوالي سوف يقدمون خدمة إلى الحلفاء ويمهدون بتقدم قضية الكورد، وفي نفس الوقت يهيئون الأرضية للإمســاك بزمام الحكم باســم الكورد لو قُدّر للسلطة العثمانية أن تنهار وتصبح مختفية عن الأنظار. لذلك، وللإعتبارات المنوه عنها أعلاه، فان المتصرف يتخذ الآن الخطوات الضرورية لتحشــيد ٥٠٠ رجل [من الفرسان الكورد] بدلاً من ١٠٠ رجل حسبما طُلب منه.

الأُسرة البدرخانية، ص ص ٥٣- ٥٥

تنحــدر الأســرة بأُصولها مــن أحد قــادة النبي محمد الأكثر شــهرةً ، خالد بن الوليــد، ولهذا تُعرف أحياناً بالأُســرة الخالدية[٥]. فبعد سنتين من الهجرة، ترك عبد العزيز بن عمر، ســليل الأُســرة الخالدية، الجزيرة العربية مهاجراً إلى كوردســتان حيث أســس مدينة جزيرة إبن عمر المسماة باسم والده تيمناً به. والأسرة الحاكمة التي أسَّســها سميت باسمه، الآزيزية [ئازيزان]، دامــت حتى العام ١٨٤٧. وتمتعت الحكومة الآزيزية بالاســتقلال التام حتى عهد حكم الســلطان ســليم (١٥٦٦)، حيث أن الأمير الذي تولى الحُكم ، شاه علي بيك، على الرغم مــن أنه كان يحافظ على قدرٍ وافٍ من الاســتقلال الذاتــي الداخلي، أقَرَّ بالســلطة التركيــة ووافق على أن يدفع مبلغــاً من المال ضريبة سنوية. والفرمانات المتعلقة بهذا الاتفاق محفوظة في الأرشــيفات الحكومية في القسطنطينية. وفي السنوات التالية قام أمراء جزيرة [إبن عمر] بثورات من حين إلى آخر، إلاّ أنهم، في أحيان أُخرى، نهضوا بأعباء القوات العســكرية للأتراك أثنــاء حروبهــم. وفي عهد حكم السلطان ســليمان القانوني قاد الأمير الكوردي رجاله حتى حدود ڤيينا.

في العام ١٨٣٩ جــرى تعيين الأمير الحاكم بدرخان قائداً فخريــاً في الجيش العثماني وشــارك في معركة نصيــب [نصيبين]، التي تكشــفت عــن هزيمة تامة للأتراك على أيدي إبراهيم باشا[٦] . سحب الأمير قواته العســكرية إلى ديار بكر ، ومن هناك إلى جزيرة [إبن عمــر] حيث تقدم، مغتنماً فرصة إنتكاســة الأتراك، لتوســيع حدود [إمارته] لتشــمل هكاري، فأُسْــتُقبل بالإجلال والتأييد والجهوزية للطوارئ.

نَبَّهتْ هذه الأحداث الباب العالي إلى خطورة الوضع حيــث تخوف من إحتمــال وقوع أقاليم كوردســتان المتبقية تحت حكم بدرخان ، فجرى تولية عمر باشا مارشالاً على جيوش الأناضول مع أوامر لتحشيد عدد كبير من الجنود والزحف لقتال الأمير الكوردي.

تَجمَّعتْ القوات التركية في ديار بكر وســارت قدماً لقتــال الكورد حيــث كانت المعركة التــي نجمت عن ذلك غير حاســمة، إلاّ أن بدرخان إضْطَرَّ للانســحاب إلى معقلــه في أوْراك (ئــهڤراك) حيــث أُلقــي القبض

عليه بعد مقاومة إستمرت عدة أشهر. عُدَّ بدرخان أسيراً وأُرْسل إلى القسطنطينية العام ١٨٤٧ وبقي فيها حوالي ستة أشهر قبل أن يتم نفيه إلى كريت [جزيرة يونانية]. وسُمح له أن يأخذ معه مائتين من أتباعه وخدمه الشخصيين. وكان دوره فعّالاً بالأخص مع مجموعة الأنصار هؤلاء في قمع الثورة اليونانية عام ١٨٥٦. وتقديراً لفضله وخدمته هذه دُعي للعودة إلى القسطنطينية حيث أجيز له البقاء فيها.

في سنة ١٨٦٦ إنتقل إلى دمشق للاقامة فيها حتى وفاته في العام ١٨٧٠ في سن الخامسة والستين، فدُفن في قرية الصالحية الكوردية، على مبعدة ساعة واحدة من دمشق. ويقع ضريحه بالقرب من قبر [القائد] الأشهر بين الكورد صلاح الدين [الأيوبي].

أنجب بدرخان تسعين إبناً، وقد كانت هذه الأسرة الكثيرة العدد تُعد صنواً متماثلاً على الدوام بارتباطها بحركات التمرد المسلح على سلطة الحكومة العثمانية. وهناك فريق متخصص لمتابعة نشاطات البدرخانيين في دائرة الرسائل المشفرة السرية التركية. ولقد عانى جميع البدرخانيين، مهما كانت مديات مقدرتهم ونشاطاتهم، من النفي والسجن.

في عام ١٨٨٠ إستولى عثمان باشا على مدينة جزيرة [إبن عمر] وإحتفظ بالسيطرة عليها لمدة ستة أشهر، فجرى إستمالته للإستسلام بوعود معسولة للاعتراف الجزئي بسلطته، ومن ثم جرى حبسه مع عدد آخر من البدرخانيين.

في ١٩١٠ خاض حسين باشا وحسن بيك معركة الانتخابات بوصفهم نواباً [في مجلس المبعوثان] عن كوردستان. وبمجرد أن تم إنتخابهما أصدرت جمعية الإتحاد والترقي [الحاكمة] أوامر باعتقالهما، عندها قاما بالفرار من هذا الخطر إلى الجبال حيث واصلا البقاء بشكل غير مستقر لمدة ستة أشهر، فأُلقي القبض على حسين باشا وأُعدم سراً. أما رفيقهما في عملية الفرار هذه، سليمان بيك، من الأسرة البدرخانية أيضاً، فقد ظل خارجاً عن القانون [قانون الاتحاد والترقي] لثلاث سنوات، إلاّ أنه أُلقي القبض عليه في نهاية الأمر في دير ويل نتيجة خيانة عبد الرحمن آغا من شيرناخ الذي كان باستمرار خصماً لدوداً للأسرة [البدرخانية].

في السنوات الأخيرة، ونتيجة حالة اليأس التي أصيبوا بها بسبب عدم قدرتهم أبداً لرمي سهم في سبيل حرية بلدهم دون مساندة من أحد، إلتجأوا إلى روسيا طلباً للعون ، والشخصان اللذان كانا متميزين بالأخصّ مع هذه الحركة هما كامل بيك وعبد الرزاق بيك، فجرى تعيينهما من قبل الروس واليَيْن على بتليس [بدليس] وأرضروم عام ١٩١٧. في عام ١٩١٨ ألقى الأتراك القبض على عبد الرزاق ودسّ له السم في الموصل. ولا يزال كامل، كما يُقال، في تفليس.

وتعويضاً عن الممتلكات الشخصية من أراضٍ وأطيان وأغراض العائدة للبدرخانيين التي كانت الحكومة التركية قد صادرتها ، فأنها تَدفع لهذه الأسرة منحة شهرية تبلغ ٢٠٠ ليرة تركية.

وفيما يلي قائمة مختصرة للأعضاء الأكثر أهمية من الأسرة البدرخانية:

أبناء بدرخان على قيد الحياة الآن

أمين عالي بدرخان: العضو الممثل للأسرة والشخصية البارزة فيها. رجل متقدم في السن، طويل القامة ذو لحية بيضاء وحضور جذّاب . يمتاز بقوة

الشخصية وتأثير عظيم في الكورد، وبشكل خاص أولئك الكورد في بوتان. وكان الأتراك يفكرون في تعيينه والياً على ديار بكر في ربيع العام ١٩١٩، لكن هذه الخطة قد إنتهت بالفشل حيث أُدْرِكَ بوضوح أن أمين عالي لا يمكن أبداً أن يتخلى عن أحلامه بالاستقلال الكوردي. وكان قد قام، طيلة حياته، بمحاولتين للإفلات من منفاه في القسطنطينية والتوجه إلى كوردستان إلاّ أنه أُعيد إلقاء القبض عليه، مرةً في طرابزون والمرة الثانية في بايزيد بعد مقاومة قصيرة لبعض الوقت .

طاهر بيك: يُقيم في قونيه حيث يمتلك خبرة جيدة بوصفه محامياً. إنه مهذب جداً ويتصرف طبق قواعد السلوك المرعية، لكن لا يبدو أنه يمتلك الكثير من قوة الشخصية أو السيطرة على الرجال.

ممد [محمد] علي بيك (ليس ذا شأن): عقيد متقاعد مقيم في القسطنطينية. قاد، في فترة ما، الجندرمة في بيروت.

حسن بيك: عضو المجلس البلدي في القسطنطينية. كان أُنتُخب نائباً [في مجلس المبعوثان] عن كوردستان عام ١٩١٠عندما أصدرت جمعية الاتحاد والترقي أمر إلقاء القبض عليه. وبعد ستة أشهر من الحياة غير المستقرة المحفوفة بالمخاطر في التلال أُلقي القبض عليه ورُمي في السجن حيث عومل بصورة سيئة. ونتيجة لهذه المعاملة التي تلقاها، فانه الآن، كما يُقال، أصمّ بعض الشيء وبه لوثة.

مراد بيك (ليس ذا شأن) : عضو المجلس البلدي في القسطنطينية .

خليل بيك: رجل متقدم في السن، مهذب ويتصف بروح الدعابة العالية مع رصيد عالٍ من الإدراك والشعور بالمسؤولية . يتعامل مع رجال العشائر الكورد بطريقة لبقة ومناسبة لمقتضى الحال. وتكمن نقاط ضعفه في كونه لا ينظر للأمور نظرة واقعية أو بدقة، ويفتقر إلى الصلابة إلى حدٍ ما. (راجع يوميات الميجر نويل لشهر أيلول ١٩١٩) [يومي ٣ و٧ أيلول].

عبد الرحمن بيك: أقام في سويسرا لمدة ١٥ سنة حيث تزوج هناك من فتاة سويسرية. يُقال أنه شخص راجح الرأي إلى درجة كبيرة وذو آراء عصرية وأفكار تقدمية . كان يشغل وظيفة متصرف آيدين في أثناء المشاكل التركية اليونانية حيث كان قد تصرف ، كما يُقال، بطريقة ملائمة وبعقلانية.

زبير بيك: ملاّك في دمشق. ليس شخصاً مهماً. يقال أنه أحدب.

كامل بيك: إنضم إلى الروس في وقت مبكر ليقاسمهم السراء والضرّاء ونصَّبوه والياً على أرضروم عام ١٩١٧ ، ويقال أنه خدم في الجيش الروسي كضابط. وتفيد الأخبار أنه موجود الآن في تفليس (أيلول ١٩١٩).

أبناء أمين عالي بدرخان هم:

١- ثريا: صحفي في مصر. لا يذكره الجنرال ديديس إلاّ بالخير.

٢-حكمت: يعمل مديراً في ولاية قونيه.

٣-جلادت عالي (٢٥ عاماً): مساعد رئيس تحرير صحيفة سَرْبَسْتي التي تصدر في القسطنطينية وكانت قد إتخذت على الدوام موقفاً صريحاً منحازاً للإنكليز. وهو يعاني من الآثار التي لا مناص منها نتيجة ترعرعه وإقامته الطويلة وتدربه في القسطنطينية، لكنه يُنْتَظَرْ أن يكون، لخصاله المميزة ، رجل المستقبل البارع.

٤-كامران عالي (٢٤ عاماً): محامٍ في القسطنطينية. بالكاد يعرف الكرمانجية [اللغة الكوردية]. شخص مدرك وهادئ. لم يكن، حتى الآن، قد برز إلى الصفوف الأمامية.

٥-توفيق: يدرس علم الغابات في ميونيخ.

٦-صفدر : يقيم مع والده في القسطنطينية.

أولاد طاهر بيك هم:

فريد بيك: مدير التعليم العام في إيسميت (Ismidt).

أولاد خليل بيك هم:

فايز بيك: قائممقام سابق.

آصف بيك: أُستاذ اللغة الفرنسية في المدرسة الثانوية الفرنسية الحكومية (الليسيه) في القسطنطينية.

أما الأعضاء البارزون من الفروع الأُخرى للأُسرة البدرخانية فهم:

حسين حسني باشا (٦٠سنة): عضو مجلس الدولة. كان قد أشغل وظيفة متصرف لعدة سناجق.

حسين عوني: رجل طويل القامة، نحيف الجسم، ويضع نظارات طبية. أستاذ القانون في المدرسة العسكرية في القسطنطينية. يُعطي الانطباع بكونه رجلاً حريصاً ودقيقاً إلاّ أنه لا يتمتع بقوة شخصية عالية.

عبد القادر: شقيق حسين عوني. ضابط برتبة ميجر في [صنف] المشاة.

الكيرنل [العقيد] بدرخان بيك: شقيق عبد الرزاق الذي قُتل بدس السم له من قبل الأتراك في الموصل عام ١٩١٨. كان قد ربط مصيره مع الأتراك ولا يؤيد الحركة الكوردية.

الهوامش:

(١) تضم ملفات وزارة الهند البريطانية في لندن ١٩٣ ورقة بحجم الفولسكاب ليوميات الميجر نويل من آذار ١٩١٩ إلى نيسان ١٩٢٠، ومن ضمنها يومياته المطبوعة في البصرة التي نحن بصددها. وتوجد نسخة من هذه اليوميات [الأخيرة] في مكتبة المتحف العراقي- مجموعة عباس العزاوي.

(٢) كتب نويل تقريره عن الوضعية الكوردية نتيجة جولاته وإتصالاته في كوردستان. ويشير دليل ملفات وزارة الهند، حيث توجد نسخة منه، أنه كتب في شهر تموز ١٩١٩. أما دليل مجموعة إدموندز، المحفوظة في مركز الشرق الأوسط بكلية سانت أنتوني– أوكسفورد، فيذكر أنه طبع في بغداد بمطبعة الحكومة عام ١٩١٩. إلاّ أن الباحث الأميركي الدكتور روبرت أولسن يذكر في مقالٍ له أن التقرير مطبوع سنة ١٩٢٠. وقد علمت عام ١٩٧٣، وأنا في الموصل، أن هناك ترجمة عربية لتقرير مكتوب بخط اليد موجود في المكتبة العامة في حقل الممنوعات ولا يُسمح لاحدٍ الإطلاع عليه.

(٣) يضع أولسن سنة ١٩٢٠ تاريخاً لطبعها؛ ويصفها بأنها رسالة عن إستطلاعاته وأعماله الإستخباراتية بين الكورد.

(٤) أكرم بيك جميل باشا من مواليد دياربكر. أنهى دراسته الثانوية في استانبول وسافر إلى سويسرا ليدرس الهندسة المعمارية، لكنه لم ينه دراسته، بل أنهاها عبر المراسلة وهو في دمشق. ترأس عام ١٩٢٢ فرع جمعية آزادي. حُكِمَ عليه بعد ثورة شيخ سعيد [illegible]يران بالسجن ثلاث سنوات ونصف. تزوج وهو في الإسكندرونة من فتاة [illegible]ركسية تعود أصولها إلى

قفقاســيا. في عام ١٩٦٢ رافق الصحفــي الأميركي دانا آدمز شمدت ســراً إلى مناطق الثورة الكوردية المحررة حيث قام بدور المترجم له باســم جومرد، ثم تكررت زياراته إلى كوردســتان للالتقاء بالقــادة الكورد. وهو شــقيق قدري جميل باشا الذي نشــر مذكراته باسم زنار ســلواي. كانت علاقة عائلة جميل باشا حميمة ومستقرة مع البدرخانيين وعملوا معاً من أجل قضية واحدة.

(٥) هناك رؤســاء وزعماء كورد غير قليلين كانوا يدّعون الانتســاب إلى أسرة النبي محمد أو أحد الأئمة أو الصحابــة الى وقت قريب جــداً. الواقع ليس هناك دليــل تاريخي أو قرائن ماديــة تؤيد ذلك، بل يتعلق الأمر بالوجاهة ودغدغة مشاعر عناصر المجتمع الذي كان أمياً بشــكل عام. وجاء في كتاب «نســب قريش» للزبيري (المتوفى سنة ٢٣٦هـ) «وقد إنقرض ولد خالد بــن الوليد؛ فلم يبق منهم أحــد» — ص٣٢٨. أما إبن حزم الأندلسي (المتوفى سنة ٤٥٦هـ) فيقول في «جمهرة أنســاب العرب» ما يلي: «وكثر ولــد خالد بن الوليد حتى بلغوا نحو أربعين رجلاً وكانوا كلهم بالشــام، ثم إنقرضــوا كلهم في طاعون وقع فلــم يبق لأحد منهم عقــب» — ص١٤٨. وهكذا فقد تبين أن عقب خالد بن الوليد قد إنقطع ولا تصح نسبة أي من الناس إليهم ، فليس الأمر إلاّ بدعة. (أقدم الشــكر للمثقف والباحث الكوردي البارز الأســتاذ صباح محمد علي كاظم الذي نبهني ودلني على الكتابين أعلاه).

(٦) إبراهيم باشــا (١٧٨٩-١٨٤٧م) بن محمد علي باشــا والي مصر بعد أبيه، وكان ساعده القوي، باسلاً مقدامــاً لا يتهيب المــوت. عينه والده قائــداً للحملة المصرية ضــد الوهابيين (١٨١٦-١٨١٩م) فأخمد ثورتهم وقضى على حكمهم وأســر أميرهــم. وبأمر من والده قاد جيشــاً مصرياً قوياً طمعاً في ممتلكات العثمانيين ففتح فلســطين والشــام وعبر جبال تــوروس حتى وصل إلى كوتاهيــه (١٨٣٢-١٨٣٣) وحينما تجدد القتال بين المصريين والأتراك انتصر إبراهيم باشــا في هذه المعركة الفاصلة (حزيران ١٨٣٩). كان يعرف الفارسية والعربية والتركية.

الملحــق:

بعــد إتمام ترجمــة ما كتبه الميجــر نويل نقدم قائمة بالمؤلفات المتعلقة بالموضوع إرادة الفائدة للقارئ المستفيد.

١- د. إبراهيم الداقوقي.

أكراد تركيا. دمشــق، دار المدى للثقافة والنشــر، ٢٠٠٣، ٤٩٤ ص.

٢- أبو شوقي.

لمحات من تاريخ الانتفاضــات والثورات الكردية. بيروت، رابطة كاوا للمثقفين اليساريين الاكراد، ١٩٧٨، ١٨٢ص.

٣- د. أحمد عثمان أبو بكر.

كردســتان في عهد الســلام «بعد الحــرب العالمية الأولى». بــيروت— أربيل، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ٢٠٠٢، ٢٦٦ص.

٤- سيسل جون إدموندز.

كرد وترك وعرب؛ سياســة ورحلات وبحوث عن الشمال الشرقي من العراق ١٩١٩-١٩٢٥؛ ترجمة جرجيس فتح الله. بغداد، منشورات شركة دار العروبة العالمية، ١٩٧١، ٣٩٢ص.

٥- جليلي جليل.

إنتفاضة الأكراد عام ١٨٨٠؛ ترجمة سيامند سيرتي. بيروت، رابطة كاوا للمثقفين اليساريين الأكراد، ١٩٧٩، ١٢٨ ص، (سلسلة الثقافة الكردية التقدمية-٧).
٦- جليلي جليل.
من تاريخ الإمارات [الكردية] في الإمبراطورية العثمانية في النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ ترجمة د. محمد عبدو النجاري، دمشق، الأهالي للطباعة والنشر، ١٩٨٧، ١٦٠ص.
٧- جليلي جليل.
نهضة الاكراد الثقافية والقومية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين؛ نقله عن الروسية باقي نازي، د. ولاتو وكدر، بيروت، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ١٩٨٦، ٢٢٨ ص، (سلسلة المكتبة التقدمية الكردية-٩).
٨- ديميد مكدول.
تاريخ الاكراد الحديث؛ ترجمة راج آل محمد. بيروت، دار الفارابي، ٢٠٠٤، ٧٣٣ ص.
٩- روشن بدرخان.
ذكرى الأمير جلادت بدرخان الثانية (١٨٩٧-١٩٥١). [بيروت، ١٩٥٣]، ٣٦ص.
١٠- روهات آلاكوم.
خويبون وثورة آكري؛ ترجمة رابطة كاوا، مراجعة شكور مصطفى. بيروت — أربيل، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ٢٠٠١، ٢٠٠ ص.
١١- زنار سلواي [قدري جميل باشا].
في سبيل كردستان (مذكرات)؛ ترجمة ر. علي. بيروت، رابطة كاوا للثقافة الكردية، ١٩٨٧، ٣٣٦ ص، (سلسلة المكتبة التقدمية الكردية -١٢).
١٢-سليمان أبو عز الدين.
إبراهيم باشا في سوريا. بيروت، المطبعة العلمية ليوسف صادر، ١٩٢٩، ٣٤٤ ص.
١٣- صالح بدرخان.
مذكراتي؛ ترجمة روشن بدرخان، دمشق، الناشر دولار زنكي، (مطبعة الجاحظ)، ١٩٩١، ١٠٣ص.
١٤- د. صلاح محمد سليم هروري.
الأُسرة البدرخانية؛ نشاطها السياسي والثقافي ١٩٠٠- ١٩٥٠. دهوك، دار سبيرز للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ٢٣٦ ص.
١٥-صلاح محمد سليم هروري.
إمارة بوتان في عهد الأمير بدرخان ١٨٢١-١٨٤٨؛ دراسة تاريخية سياسية. أربيل، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، ٢٠٠٠ ، ١٧٢ ص.
١٦- د. عثمان علي.
دراسات في الحركة الكوردية المعاصرة ١٨٣٣-١٩٤٦؛ دراسة تأريخية وثائقية. أربيل، مكتب التفسير، ٢٠٠٣. ٨١٣ ص.
١٧- علي صالح ميراني.
الحركة القومية الكوردية في كوردستان— سوريا ١٩٤٦-١٩٧٠، دهوك. دار سبيرز للطباعة والنشر، ٢٠٠٤، ٣١١ص.
١٨- ماليسان [محمد طيفون].
البدرخانيون في جزيرة بوطان ووثائق جميعة إتحاد العائلة البدرخانية؛ ترجمة ولبهار بدرخان ودلاور الزندي؛ مراجعة وتقديم نذير جزماتي. بيروت، مطبعة أميرال، ١٩٩٨، ٢٨٠ص.
-نشرت وزارة الثقافة في إقليم كوردستان ترجمة شكور مصطفى لهذا الكتاب بعنوان «بدرخانيو جزيرة بوتان ومحاضر اجتماعات الجمعية العائلية

البدرخانية» عام ١٩٩٨ وبـ ٣١٦ صفحة.

١٩- منصور شليطا ويوسف ملك.

ذكـرى الأمـير جـلادت بدرخـان (١٨٩٧-١٩٥١). [بيروت، ١٩٥٢]. ٣٠ ص.

20- Dr. M. Nuri Dersimi .

Kürdistan Tarihinde Dersim. Halep, Ani Matbaasi, 1952. 342 S.

د. محمـد نـوري درسـيمي. درسـيم في تاريخ كوردستان، حلب، ١٩٥٢. ٣٤٢ص.

21- Capt . Godfrey Rolles Driver .

Kurdistan and the Kurds . Mount Carmel , Palestine . Printed by the G.S.I . [c 1919] 144 p.

الكابتن جودفري رولز دراي. كوردستان والكورد. جبل الكرمل، فلسطين [حوالي ١٩١٩]. ١٤٤ص. طبعته شعبة الاستخبارات في هيئة أركان الحرب في فلسطين.

22- Great Britain . Foreign Office .

Armenia and Kurdistan . London , Prepared under the direction of the Historical Section of the Foreign Office , No.91, 1919 . iv +85 p . map, Confidential.

أرمينيا وكوردسـتان. لندن، أُعِدَّ بإشـراف القسم التاريخـي لوزارة الخارجية، رقـم٩١، ١٩١٩ ٤+ ٨٥ ص. سري.

23-Great Britain .Office of Civil Commissioner , MES . EX . FORCE.

Precis of Affairs in Southern Kurdistan during the Great War. Baghdad , Government Press , 1919. 20 p.

دائـرة الحاكـم المدنـي العـام. قـوات حملـة ميسوبوتاميا. خلاصة الاوضاع في جنوبي كوردستان أثناء الحرب العظمى.

الفصل الخامس بعنـوان: «مهمة الميجر نويل إلى السليمانية وجنوبي كوردستان.

24- W . R . HAY .

Two Years in Kurdistan ; Experiences of a political Officer 1918-1920 . London , Sidgwick & Jackson , 1921. 383p.

سنتان في كوردستان؛ تجارب ضابط سياسي ١٩١٨-١٩٢٠.لندن ، ١٩٢١. ٣٨٣ ص.

25-Edward William Charles NOEL.

Diary of Major E.M [Sic] Noel on Special duty in Kurdistan from June 14th to September 21st 1919. Basrah, Government Press, [1919] 76 p.

يوميـات الميجـر إي . إم . [كذا] نويـل في مهمة خاصة في كوردستان للفترة من ١٤ حزيران إلى ٢١ أيلول ١٩١٩ . البصرة ، مطبعة الحكومة [١٩١٩] . ٧٦ص.

-توجـد تقارير الميجر نويل حول مهمته الخاصة في كوردسـتان للفترة من آذار ١٩١٩ إلى نيسـان ١٩٢٠ في ملفـات وزارة الهند تحت رقـم ١٩١٩/١٥١٢ وتقع في ١٩٣ ورقة من حجم الفولسكاب.

26- Major E. W . C . NOEL

Note on the Kurdish Situation . Baghdad , Government Press, 1919. 20 p.

ملاحظات حول الوضعية الكردية. بغداد ، مطبعة الحكومة، ١٩١٩ [١٩٢٠؟]. ٢٠ ص.

27- Robert Olson .

«The Second Time around : British Policy toward the Kurds (1921-1922) ; in Die welt des Islams , New Ser., Bd. 27 , Nr. 1/3 , 1987 , pp . 91-92.

روبرت أولسن. السياسة البريطانية حيال الكورد ١٩٢١-١٩٢٢.

28- Peter Sluglett .

Britain in Iraq 1914-1932 . London , Ithaca Press, 1976. 360 p.

ترسل ليت . بريطانيا في العراق . لندن ، ١٩٧٦ ، ٣٦٠ ص.

29- Lt . Col . Mark Sykes .

«The Kurdish Tribes of the Ottoman Empire», in Journal of the Royal Anthropological Institute , Vol.38, July- Dec . 1908 . pp. 452-486.

المقدم مارك سايكس. «القبائل الكوردية في الإمبراطورية العثمانية»؛ في مجلة المعهد الملكي الأنثروبولوجي، المجلد ٣٨، تموز – كانون الأول ١٩٠٨، ص ص: ٤٥٢ – ٤٨٦.

- أعادت وزارة الحربية البريطانية طبعه سنة ١٩١٥ في كتيب مستقل، كما نُشر ثانية كملحق لكتاب مارك سابكس نفسه المعنون «تراث الخليفة الأخير» المطبوع في لندن عام ١٩١٥.

- ترجمه إلى العربية الدكتور هه وراز سوار علي [اسم مستعار] ونشره في دهوك عام ٢٠٠٢. وأعادت دار الزمان بدمشق نشره هذه السنة (٢٠٠٧) ووضعت اسم الدكتور خليل علي مراد بوصفه مترجم الكتاب، إلاّ أنها حذفت منه الاهداء الواقع في صفحتين، كما أسقطت مقاطع من مقدمة الدكتور عبد الفتاح على بوتاني وكذلك بعض هوامشه، والجدول الموجود في نهاية طبعة دهوك.

30- Arnold WILSON .

Loyalties Mesopotamia ; Vol.II , 1917-1920 , A Personal and Historical Record , 3rd ed. London , Oxford University press, 1936. 420 p.

ترجم جعفر الخياط أقسام من الفصل المتعلق بكوردستان مع أربعة فصول أخرى عن ثورة العشرين ونشرها بعنوان «الثورة العراقية» ؛ بيروت، مطبعة دار الكتب، ١٩٧١، ص ٢٤٦.

اصول اسماء المدن والمواقع الكردستانية

جمال بابان

مقدمة قصيرة:

عندما قدمت الجزء الاول من كتابي الموسوم (اصول اسماء المدن والمواقع العراقية) عام ١٩٨٨ الى رقابة المطبوعات في بغداد للموافقة على طبعه. اعيد لي بالموافقة باستثناء اسماء كل من (مخمور، تلعفر، جمجمال، حلبجة.. وبعض الأماكن الاخرى. حيث لم تتم موافقة الرقابة على ادراجها ضمن الكتاب لاسباب معلومة لانها اسماء مدن ومواقع كردية.

لذا أرتئيت من المناسب نشر المعلومات الخاصة باصول اسماء تلك المدن الكردستانية مع اضافة اصول اسماء بعض المواقع والقرى الكائنة في اربيل استنادا على مصادر ظهرت في الفترة الاخيرة. وسوف انشر اصول اسماء الاماكن والمواقع الباقية التي منع نشرها في وقته، في حلقة اخرى باذن الله.

اربيل: شرحت في الجزء الاول من الكتاب (ص١٥-٢٠) اصل اسم اربيل ومحلاتها ومواقعها (قلعة اربيل/ قةلآ، محلة المتكية، مجلة السراي، الطوبخانه في (القلعة) مع محلة ازادي، سيطاقان، طيراوا- تةيراوا. فلا اراني بحاجة الى اعادتها هنا.

لذا انقل توابع منطقة اربيل نقلا من كتاب (ميْژووى دهشتى هەولێر- تاريخ اطراف اربيل- المجلد الاول ٢٠٠٤ للاستاذ عباس سليمان اسماعيل مع ملاحظاتي واضافاتي الضرورية.

باقرت: اسم قرية هي مركز لناحية (قراج) في

قضاء مخمور: يتكون الاسم من مقطعين (با-بيت- بيث- قرية) و (قرت- قرد- كورد) تسمية ارامية تفيد مخيم الكرد.

ويقول مؤلف الكتاب: المسيحيون من الكرد يسمون المسلمين من الكرد حتى في ايامنا هذه (قوردابي).

بحركة: قرية او قصبة قرب اربيل تسكنها عشيرة (گەردى) اصلا. عمَر هذه القرية اصلا رجل اسمه (عباس) وكانت مياه عين بحركة تفيض في بعض السنوات بحيث تغمر مساحات من الاراضي لذا سميت تصغيرا (بحروكة- بحيرة- بحركة).

بنەسلاوە: قرية قرب اربيل. كان سكانها اصلا من المسلمين والمسيحيين الذين تركوا القرية فيما بعد. فبقى فيها المسلمين . كانت فيها كنيسة بالاضافة الى جامع للمسلمين ويظهر ان اسم القرية مشتق من اسم رجل مسيحي اسمه (بني صليوه) الذي لايستبعد ان يكون هو القائم بانشاء القرية.

چغەميرە: قرية تابعة لناحية كنديناوه. وكانت ملكا لآغاوات الذربية. تسمية تركية تعني (ضوغ مير- الامراء) ثم حور بمرور الايام الى ضغة ميرة ثم عدل الاسلام رسما الى (تل المسيرة).

حمرين: سلسلة جبلية أو سلسلة تلال جرداء وكانت تسمى سابقا (كاردا) ويعتبر الحد الفاصل بين كردستان العراق عن بقية انحاء العراق. واسمها جاء من احمرار التراب الذي يغطي بعض انحاء الجبل.

بهذه المناسبة نقول: ان الكاتب او الشاعر الكردي المعروف المرحوم (محمد علي الكردي) دفن بناء على وصيته على احدى قمم جبال حمرين المسماة (قمة قشقة) قائلا: عندما التفت يمينا اشاهد كردستان وشمالا اشاهد عربستان، عندئذ. امان قرير لعين.

ديبةطة: مركز ناحية كنديناوه في قضاء مخمور والكائن على طريق السيارات بين اربيل- مخمور.

يقال ان اصل الاسم هو (ديّى بگ- قرية البيك او الاغا) وهو تفسير سطحي. كما يقال الاسم اصلا هو (ديب+ گه) ويعني القرية الكائنة على النهر، الا ان ديبطة في الوقت الحاضر هي ابعد ماتكون عن النهر، اللهم الا اذا كانت كذلك في العصور السحيقة.

شمامك: منطقة في ناحية الطوير قضاء مخمور. وفي تفسير الاسم يقال:

١-(شمام) الحسناء التي تزوجت من احد الدراويش الذي كان مالكا للمنطقة ومن شدة حبه له اوشغفه بهها سمى المنطقة بأسمها.

٢-الاسم في الاصل (شاه مولك) اي املاك الشاه او السلطان و بلغة العصر (الاراضي الاميرية).

٣-(شامەمك) اي المرأة ذات الثديين الكبيرتين (الكاعب/ بحيث تعتبر اميرة الثدي. وهذا تفسير الكاكائية ولايخفى ان هذا تفسير سطحي ليس الا.

شناغة: تقع عبى نهر الزاب الصغير قرب مدينة (دوبز) والاسم حسب قول مؤلف الكتاب ينسب الى صانعي (شەن- المذرف) حيث يقدمونه الى رئيس او مالك القرية (شەن بۆ ئاغا) ثم حور الى (شناغة) هذا تأويل ضعيف.

شيروان مازن: تسكنها عشيرة (شيروان) وكان مالك القرية في الاصل هو حسين بط رئيس شيروانه. وبما ان افراد العشيرة في المنطقة انتخبوا حسين بط واعتبروه رئيسهم و كبيرهم لذا سميت القرية باسمه (شيروان- مه زن) اي شيروان العظيم.

شيوه سوور: الوادي الاحمر. وفي الواقع هناك وادي من الزاب الاحمر (يكتسب هذا اللون بسبب احتوائه

على الحرير). ويقول مؤلف الكتاب ان معركة كبيرة دارت بين (الذرئين) بقيادة (حبيب اغا) الذي استشهد فيها وبين عشيرة هماوند و انتهت الحرب بانهزام الاخيرة.

عاللا (عولا گوجيلان): قرية في ناحية كنديناوه، كانت ملكا لاغاوات الذرةئية واصل الاسم هو (عبدالله) الذي كان يملك عودا كبيرا من الجرو (طوجيل او گوجيلان). وهذا تفسير ضعيف لذا يقتضى الاعتماد على اصل الاسم (عبدالله) الذي صحف الى عاللا.

عوينة: من قرى منطقة شمامك والاسم من (عين) الماء (كاني). ويقول مؤلف الكتاب لايستبعد ان يكون الاسم من (حاوي) الذي يطلق على الاماكن المنخفضة قرب الانهار حيث تسيل مياهها. ومما يجدر بالذكر وجود نفس الاسم (بغداد) التي هي محلة من محلات الجانب الشرقي في بغداد (الرصافة) وحسب تفسير الاستاذ فخري الزبيدي في كتابه (بغداد): (قيل لها العوينة لان فيها ارض منخفضة يخرج منها الماء كالعيون الا انها جارية وكانت تسمى (الريان) يعني المرتوي.

قازيخانه: قام باعادة انشاء القرية من جديد مواطن اسمه (فقي ملكي) وكانت القرية تسمى (قساوات) وبعد الحرب العالمية الاولى وصلت حدود القرية الى مكانها الحالي، حيث تسكنها جماعة ومن ضمنهم (قاضي) فحور الاسم الى (قازيخانه- دار القاضي). اما (القساوات) فلا يستبعد ان تكون جاءت نتيجة القساوة البالغة التي سلكتها (ضبطية –شرطة) العثمانيين بسبب حادثة مؤلمة وقعت قرب القرية.

فتوى: يقول المؤلف لان الاسم ينسب الى (قەتێ) وهو طير كسول هادئ الطبع ينتشر في اطراف اربيل ويرتوون من ماء جدول القرية. ويضيف المؤلف الا ان كتاب (الرؤساء) قبل (١١٠٠) عام يشير الى اسم قرية في هذه المنطقة باسم (قطوى) وهو اسم ارامي دون ان يفسر المعنى.

قراج: سهل مترامي الاطراف في قضاء مخمور الذي اشتهر بقوته الانباتية للمزروعات الشتوية في السنوات التي تهطل فيها الامطار بغزارة. ومعنى الاسم حسب قول مؤلف الكتاب ان لم يأت من (قره-الاسود) التركية، فانه جاء من نبات (قەرەقاچ) الذي ينبت بكثرة في هذه المنطقة.

وفي رأي اخر اورده المؤلف، يقصد منه في لهجة شنكار - سنجار (زورك) ولم يفسر معناه. ورأي ثالث قراج من قرةج- الغجر واذا نظرنا بعين الفاحص الى هذه الاراء، نجد ان كلها سطحية الا(نبات قرەقاچ) حيث لها وجود في المنطقة.

ويقول المرحوم (غالب الطالباني) ان اسم قراج مشتق من (قره اچو خلق) التركمانية ومعناه (المنبسطة السوداء) او (ارض السواد) وهو يفسره اسوة بجبل (قره چوغ) الذي يفصل سهل كنديناوه عن مخمور و لأن لون الاراضي في هذه المنطقة يميل الى السواد لتوفر المواد الكيمياوية الطبيعة فيها مما ادت الى قوة ابناتها وزيادة انتاجها. راجع اصول اسماء المدن والمواقع العراقية- ج الاول. ص ٢٢٤ لمؤلفه جمال بابان.

قرەجوغ: سلسلة جبلية جرداء. تفصل بين سهلي كنديناوه وقراج في قضاء مخمور. و ربما يكون الاسم تركي من بقايا عهد العثمانيين. اذ ان (قره- اسود) و (چوخ- كثير- شديد) اي شديد السواد وذلك لكون الجبل جرداء. فتحول لون صخوره الى اسود داكن، في

الوقت الذي كان هذا الجبل في السابق كثير الاشجار والغابات مثل جبل (سفين) في شقلاوه وكان فيه عيون للماء بالاضافة الى وجود عدد من الكهوف.

قرهچناغه: قرية تابعة الى ناحية قوشتهپه في اربيل وهي تسمية تركية عثمانية تعني (الفؤ الاسود). سكنها على مر العصور عشائر الرعاوند وساريي والروذبيانية.

قوشتهپه: اسم ناحية تابعة الى قضاء مركز اربيل. مركزها نفس القرية. والاسم اصطلاح تركي معناه (تل الطيور).

يسميها الرحالة (نيبور) (قوشتهپه) وقرية (قوشتهتپه) تسمى خان عادلة ايضا وهي عادلة خاتون بنت الوالي احمد باشا وهي التي سميي جامعين في بغداد باسمها. وكانت رحلة نيبور في هذه الانحاء سنة ١٧٦٦. (راجع ص ٢٤٣. ج الاول من كتاب (اصول اسماء المدن والمواقع العراقية) جمال بابان.

كاريتان: قرية في ناحية كنديناوه. سميت باسم الاشجار او الاخشاب التي صعنت منها سقوف المساكن ومفردها (كاريته- خشبة- (عامة) وكانت في القرية فيما مضى عيون للمياه تنبت هذه الاشجار.

كشاف: يقول مؤلف الكتاب ان الاسم قريب من (موشاف) العبري الذي يفيد (المجمع الزراعي) الا انه يشير في نفس الوقت الى مجلة (مرؤڤايهتى ص١٨) بانه في زمن السلطان سليمان لقانوني كانت ولاية الموصل وبموجب سندات الطابع مقسمة الى خمس سناجق هي (اسكي موصل، تكريت، زاخو، عانه وكشاف).

هناك قريتان باسم كشاف (كشاف سهرو- الاعلى) و (كشاف خوارو- السفلى) وهناك ادلة تثبت ان تاريخ القرية يعود الى زمن الامويين.

اما حول معنى (كشاف) فيقول المؤلف ان يتكون من مقطعين (كۆ+ شاف) او (كۆش+ ئاڤ) مجمع المياه او الماء المعدني.

كنديناوه: اسم ناحية تابعة الى قضاء مخمور في محافظة اربيل مركزها (ديبگه). يقع سهل كنديناوه بين سلسلتي (جبال قهرهچوخ) وسلسلة تلال (زورگهزراو). يبلغ طول هذا الوادي الكائن بين السلسلتين (٥٠) كيلومترا وعرضه (٢٣) كيلومتر.

اصل الاسم (كند يعني وادي) و (ئاوه يعني معمورة) ومجمل المعنى (معمورة الوادي).

گرمامك: قرية تقع على نهر الزاب الكبير (زێى بهعدينان). تقع ابنية القرية على جانبي وادي (بستورة). فقام رهط من موظفي دائرة الاثار العراقية في وقته بالتنقيب في گرمامك فعثروا على اثار عديدة يرجع عهدها الى ماقبل الميلاد.

گرمامك يتكون من مقطعين: (گر- گرد-تل) و (مامك وهذا اسم مختار او رئيس القرية) الذي قام بتشييد مسكنه ابتداء فوق التل لذا سميت بقرية گرمامك اختصارا.

كسنزان: قرية تقع شرق مدين اربيل. على طريق السيارات بين اربيل- كوسنجق. كان بعض اراضي القرية عائد الى اغاوات الدزئية والبعض الاخر الى مواطن من سكان قلعة اربيل.

اما الاسم فله تفسيران: الاول: ان عيون القرية للمياه الفائضة كانت مجهولة المصدر، فلم يعلم احد من اين تأتي او تفيض المياه.

والثاني: هو ان الماديين قرب القرية لم يصلوا الى معرفة هوية سكان القرية بل بقوا مجهولين لديهم لذا سميت كسنزان- مجهولو الهوية).

گوير: اسم ناحية في قضاء مخمور مركزها نفس

القرية.

يقول مؤلف الكتاب ان اسم محرف من (القير) ويمكن تفسير ذلك كالآتي: (ڤير- گير باللغة العامية العربية – طوير تصغير للطير). وانا اعتقد ان هذا التفسير هو تفسير سطحي.

كيله شين: قرية تعود الى قضاء مخمور (بالرغم من وجود اماكن عديدة في انحاء كردستان بهذا الاسم). يقول مكلف الكتاب: يقال ان هناك شاهد كبير لضريح ينسب الى احد اصحاب النبي ويضيف ان (شين) يرد هنا بمعنى كبير مثل (شينه بەرد- الصخرة الكبيرة، شينه زەلام- الرجل الضخم) واخيرا (شينه كێل- الشاهد الكبير).

بل ان الاسم يعني النصب الازرق.

توجد مسلة كيله شين التاريخية الكائنة في ناحية برادوست والاسم هنا يفيد الملك الخالدي (اشبويني) في القرن الثامن قبل الميلاد تخليدا لانتصار هذا الملك وابنه (منوآ) على الحامية الاشورية واقتطاع اجزاء من الامبراطورية الاشورية في فترة ضعف لها وهي منطقة مصاصير ونائري وضمها الى مملكته . ولعل هذا الملك الخالدي كان معاصرا للملك الاشوري (شمس اود الخامس ٨٤٨-٨١٠ قبل الميلاد). وكان آخر من زاد هذه المسلة ونصب طوبزاوا بعثة لتحريات الاثرية تابعة لجامعة مشيغان في صيف عام ١٩٥١ (راجع اصول اسماء المدن المواقع العراقية. ص ٢٦٨ جمال بابان).

ماجداوا: قرية تابعة الى ناحية الطوير في قضاء مخمور، يسكنها الكرد و (العرب لغجر) الذين يقال انهم قادمون في وقته من الجزائر، فلم يكونوا عربا بل عبيدا الا انهم اكتسوبا العادات الكردية في اللغة والملبس والمأكل. غير انهم سجلوا انتسابهم في احصاء ١٩٧٥ الى عشيرة (طي) ويسأل المؤلف عما اذا جاء الاسم من (ماجد) او من (نجاجير) ثم حور الى ماجد واخيرا ماجداوا.

مخمور: بالاضافة الى ما اوردته في كتابي (اصول اسماء المدن والمواقع العراقية ص ٢٧٤) اضيف هنا ماورد في كتاب (ميضذووي دەشتي هەولێر) تاريخ اطراف هولير) الذي يقول فيه المؤلف: ان اصل الاسم هو (مغمور) حيث كانت اراضي المدينة تنغمر بالمياه نتيجة هطول الامطار بغزارة مما ادى الى انخساف اراضي المنطقة.. ويضيف: انه حدث في اواسط السبعينات من القرن الماضي فيضان ادى الى الاطاحة باكياس البطاطا من داخل البيوت وحرفها الى ان تم حفر خندق بغية حصر المياه والمحافظة على المدينة وصيانتها. ثم يستطرد المؤلف فيصف رايا اخر قائلا: لايستبعد ان يكون اصل الاسم (موغ) هؤلاء هم رجال الدين الزرادشتيين، و (موور) يفيد بعض الاغاني التي تنشد اثناء المآتم عند (يارسان) اي نشيد الموغان، ثم يقول: وهذا قريب من (موغ+ ئوور) اي مدينة مغ باللغة السومرية. خاصة وقد ورد اسم (ديريك) قبل ١١٠٠ سنة (ديرمه ركانا- ديرمه ركة) قرب مخمور. فلا يستبعد ان كان في هذا المكان. فهناك (دير-مرگه) اي (مرگه) وهو معبد ومكان سكن لكبار رجال الدين اليزيديين مثل (مرگەی داسنیی ژوورو و مرگەی دانسیی خواروو- مرگه داسنى اعليا ومرگه داسنى السفلى) و (مرگه باعذري) في منطقة اليزيديين. اي ان (مرگەی بازارگه) كانت معبدا مدينة اليزديين، وفي نفس الوقت هاجر بعضهم هذا المكان، فسكنه المسيحييون واتخذدوا من المعبد ديرا باسم (دير مركانا او ديرمرگه).

ويستطرد المؤلف: لايستبعد ان كان في (مركة

بشدر) معبد من هذا القبيل.

اما عن معنى (مركة): فيقول (مركة اصلها ميهركة) اي المكان. انني افضل الرأي الاخير نظرا لقرب مخمور من منطقة اليزيديين الذين هم بدورهم كانوا اقرب الناس من الديانة الزردشتية.

واضيف انا (كاتب المقال): انه ورد في الكتاب الذي صدر حديثا وعنوانه (افستا- الكتاب المقدس للديان الزرادشتية. اعداد. د. خليل عبدالرمى وهو كوردي سوري- مطبعة دار الحياة دمشق/ ٢٠٠٧) يقول (ثمة طقوس متماثلة ومشتركة بين الزرادشتية و اليزيدية، وهما تتفقان في رؤيتها الاخروية Apokalypsis ومشتركان في عرف بنص على تراتبية اجتماعية- دينية تتجلى في نواح عديدة، منها تقسيم المجتمع وفق مراتب اجتماعية- دينية يحظر فيها التزاوج بين ابنائها. وتتفقان ايضا على احترام الحيوانات الاليفة كالحصان والبقرة والثور، وعلى تجبيل النار بوصفها عنصرا نورانيا الهيا. وتقديس النباتات ، فالمؤمنون بهما لايقطعون غصن رطبا. وكان الزرادشتيون ولايزالون يدفنون موتاهم بحيث يكون وجه الميت متجها نحو الشمس، وهو مايتبع عند اليزيديين ايضا. فالشمس وهي عين (اهورامازدا) اهم عنصر تبجيل في الزرادشتية، حيث كرس لها ا(لياشت) السادس في افستا.. واليزيديون يصلون لها في اثناء شروقها وغروبها، ويقبلون اعلى حجر تسقط عليه اشعة الشمس اول سطوعها. وفي القرن الحادي عشر الميلادي كان سكان مدينة حران حول اورفة يعبدون اله القمر (سين) وهو (مياه) في افيستا وعند اليزيديين شيخ سين.

تلعفر: مركز قضاء تلعفر في محافظة الموصل وتبعد عنها ٦٨ كيلومترا. يرقى تاريخ تلعفر الى عهود سحيقة في ال (٦٠٠٠) قبل الميلاد، ففي منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، اصبحت مع سنجار جزءا من الدولة الميتانية، وفي العهد الاشوري نمت وتوسعت ومنعت قلعتها التاريخية الاثرية، وكانت تعرف باسم (نمت عشار) وبعد سقوط نينوى اصبحت منطقة تلعفر والجزيرة مسرحا للحروب الطويلة بين الحثيين والرومان، وذكرها احد مؤرخي الرومان باسم (تلسافانا) وهو (اميانوس/ وانتشرت الديانة المسيحية في تلعفر والجزيرة في القرن الرابع الميلادي، وكانت للنصارى كنسية في تلعفر، وفي صدر الاسلام فتحت منطقة تلعفر كسائر منطقة الجزيرة في سنة ١٨ الهجرة عهد الخليفة عمر بن الخطاب، وكان الخليفة الاموي مروان بن محمد واليا على منطقة الجزيرة، ولما آلت اليه الخلافة، جاب هذه الديار وهو يقود جيشا للقضاء على فتنة الخوارج، وقيل انه هو الذي بنى قلعتها، فسميت بقلعة مروان، وفي العصر العباسي كانت تسمى (تل اعفر) و (تل يعفر) نسبة الى التل الاعفر في لونه، فتغير بكثرة الاستعمال وطلبا للخفة (هذا ماورد في كتاب ثورة تلعفر ١٩٢٠ قحطان احمد عبوش، مطبعة الازهر بغداد ١٩٦٩).

ورد في كتاب المرشد الى مواطن الاثار والحضارة، الرحلة الثالثة ص ٦٠، ان بعض الباحثين يرون ان (تل اعفر، موضع المدينة الاشورية القديمة (نمت اعشار) كما يرى بعضهم ان الموضع الوارد في التوراة باسم (تلاسار) يمكن تعيينه بتل اعفر.

فالاسم اذا ينسب الى التل الكائن في موضع المدينة بدليل وجود تلال اخرى في نفس المنطقة عمرت كقرى واخذت كل قرية اسم التل مثل (تل عزو، تل جمال، تل جدوع، تل دراج، تل سنجار، تل مطر، تل

رحال، تل عواد، تل ذيبان، تل الهوى..).

جمجمال: مركز قضاء جمجمال التي كانت تابعة في الاصل الى محافظة كركوك، الا ان القضاء الحقت عام ١٩٧٥ في زمن البعث والاغراض سياسية بمحافظة السليكانية. وهي التي تقع على طريق السيارات العام بين كركوك- السليمانية. وقد توسعت من مدينة صغيرة مغمورة في الفترة الاخيرة وبعد الحاقها بمحافظة السليمانية الى مدينة كبيرة معمورة.

في جمجمال تل اثري مرتفع كان مركزا اداريا للاقليم في العهود الموازية البابلية واشورية، وقد عثر فيه على لوح من الطين فيه كتابة من منتصف الالف الثاني قبل الميلاد، وهي من بقايا مدينة (دور الليني) التي ورد ذكرها في حملة اشور ناصرثال الثاني عام ٩٠٠ ق. م على بلاد الطوتيين.

ان اسم جمجمال كما هو ظاهر يتكون من مقطعين (جم) ومعناه الوادي و (جمال) ولعله اسم علم.

ورد في كتاب العراق الشمالي ان معنى جمجمال هو الفيضة وهو المحل الذي تغيض فيه المياه فتكسب الارض خصوبة فتنشأ عن ذلك الاشجار والادغال.

ان عشيرة هماوند التي تستقر في هذه المنطقة اتخذت من جمجمال مركزا لهم. ولايخفى بان هماوند عشيرة كبيرة لها فروع عديدة، وكان يغلب عليها سابقا طابع الترحال والتنقل، وقد ترحت في حدود ١٧٠٠ الى هذه الديار وقامت بمحاربة والى بغداد العثماني في سنة ١٧٨٧ تاييد الحاكم السليمانية الباباني.

ان تاريخ هماوند حافل الصراع مع العثمانيين والايرانيين ويبدو بان الهماوند هم الذين اطلقوا اسم جم جمال على البلدة الواقعة على بعد (١٧) كيلومترا من دربند بازيان نسبة الى مدينة (سلطان آباد) بل وسموها في زمن ما مدينة (سلطان اباد)، وكانت سلطان اباد هذه عاصمة لمقاطعة كردستان فيما مضى كما ورد على لسان حمد الله المستوفي المتوفي سنة ٧٤٠ هـ.

يقول الدكتور ذنون بيريادي (ن جم جمال مدينة حديثة بدأت كقرية صغيرة مكونة من عشرة الى اثنا عشرة بيتا سنة ١٨٥٠ ويضيف: كان مركز المنطقة ذلك الوقت هو قرية (بيريادي) الواقعة جنوب جم جمال، وفي هذه القرية ضرع ومزار (باباذنون) الذي يعد الجد الاكبر لسادة (بيريادي) الذين سكنوا هذه القرية منذ مئات السنين واصبح لهم شأنا دينيا في المنطقة.

وعلى هذا الاساس فلوى مجيء العثمانيين الذين كان من سياستهم احترام الاتقياء ورجال الدين والسادة، فقاموا بتسجيل قرية بيريادي مع (٤٥) قرية مجاورة وبضمنها قرية ضمضمال باسم (تكية باباذنون) وذلك لصرف وارداتها على التكية والفقراء والمصلون في المسجد. بقيت الامور هكذا الى ان جاءت عشائر الهماوند، فاستولوا على منطقة بازيان وضم ضمال وقرية ثيريادي وما حولها) وكانوا اقوياء لايخضعون سلطان استانبول.

وبصدد اسم (جم جمال) يقول الدكتور بريادي انه اختلفت الاراء بشأنه فمنهم من يقول بان معناه (وادي جمال) واخرون يفيدون بان الاسم يعني (قرية محصورة بين واديين). ثم يضيف الدكتور بيريادي وباعتباره من ابناء المنطقة: مهما يكن من امر جم جمال فمنطقتها تعد من اقدم المناطق الاثرية في العراق وكردستان، فقد عثر المنقبون الامريكان والفرنسيون في الخمسينات والستينات القرن المنصرم على اثار للحبوب المحفوظة منذ نهاية العصر الحجري

في كهوف معينة وتحت الارض وخاصة قرب القرية المنقرضة (جارمو) وبكلمة اخرى اثبت الباحثون عن الاثار بان منطقة جم جمال هي بداية سكن الانسان القديم، عند تحوله من حياة الصيد الى الزراعة وبهذا الصدد يشير الى مجموعة من البحوث منشورة باللغة الانكليزية ومحفوظة في قسم الاثار بجامعة شيكاغو.

حلبجة: مركز قضاء حلبجة في محافظة السليمانية وتبعد عنها مسافة ٧٠ كم تقريبا وتقع في شرقها، وتسمى حلبجة الشهيدة و هذا المسمى اتي من جراء رشها بالمواد الكيميائية، عام ١٩٨٨ من قبل النظام البعثي المقبور مما أدى الى استشهد حوالي خمسة الاف من المواطنين الابرياء.

هناك ارء عديدة حول اصل الاسم:

اولا: ان (هلبجة- اصلها ههلوجه)

اي ان الاسم مشتق من (ههلوجه- الاجاص)، ويعللون هذا الرأي باسم قرية (عنب) الكائنة بقربها و التي يقال ان اصل الكلمة هو (عِنَبْ). الا ان هذا التأويل مجرد اجتهاد سطحي ويحتاج الى دليل مقنع. ان الاستاذين طه باقر وفؤاد سفر قد تطرقا اليه وهم من علماء الاثار. حيث اوردا في (المرشد) (.. ويذكر المحليون في تاويل اسم حلبجة الذي يلفظه الكرد- هةلَةبجة- من مجلة المسيمي بالكردية –حلوجك- ويسمى في بغداد الآن –الوجا- وهو من فصيلة كوجا الذي يجفف ويطبخ، كما توجد قريتان بالقرب منها سميت احداها (عَنَبْ) لكثرة ما فيها من الكروم، والآخرى (باموك) لما فيها من الحمص. ان تأويل هذين العالمين وخاصة بالنسبة الى (باموك) غير موفق. لأن الحمص في اللغة الكردية (نؤك وليس باموك).

ثانيا: يرى المرحوم حسن بك الجاف الذي كان من سكنة حلبجة ابا عن جد وهو من رؤساء عشيرة الجاف، وهو اديب وباحث له مؤلفات كثيرة : يقول ان الاسم مشتق من (عجب- جا) اي المكان المثير والعجيب. الا انه لم يتمكن من تفسير المحب والاثارة في هذا الموضع. كما يضيف قول اخر ايضا وهو ان حلبجة سميت تيمنا باسم مدينة (حلب) لاوجه الشبه بينهما الا انها اصغر منها لذا سميت حلبجة اي ال (حلب الصغيرة).

ثالثا: يقول المرحوم حامد بك الجاف من رؤساء عشيرة الجاف ومن سكان المنطقة ابا عن جد (ايضا): ان اصل التسمية هو (الب- جا) اما (الب) فهو الب ارسلان محمد بن داود الملقب بعضد الدولة والسلطان المعظم الذي حكم من (٤٥٥-٤٦٥هـ) (١٠٣٣-١٠٧٢م) المنطقة وحكم ((مرو وهراة وارمينية ونيسابور ومدينة السلام و الري). و(جا) المكان او المسكن. ويقارن الاسم في (قزلجة) الكائنة في منطقة بنجوين القريبة من حلبجة. على اساس ان قزلجة اصلها (قزل-جا) وقزل هو قزل ارسلان من نفس الارومة.

رابعا: يقول المرحوم محمد امين زكي في (تاريخ السليمانية وانحائها) وفي كتابه الثاني (الكرد وكردستان) ان ناحية (هارهار) تعرضت لهجمات الملك ساركون الاكدي في القرن الثامن والعشرين قبل الميلاد. حيث غير اسمها الى (كارشاروكين) اي مدينة (ساركون) التي يظهر انها كانت محل بلدة (هلبجة) الحالية او على مقربة منها. وبالرغم من ان اسم (هارهار) قريب نوعا ما من اسم هلبجة، الا انني ارجح رأي المرحوم حامد الجاف لما له من مكانة تاريخية في المنطقة الذي يمكن الاستناد عليه في التأويل.



الزاب الأسفل والتأريخ العريق لمدينة (پردێ – التون كوبري)

معتصم سالٚەیی

لم يعرف العراق بأسمه الحالي على امتداد التأريخ الموغل في القدم. الخريطة الحالية لدولة العراق خطتها انامل المستعمرين الانطليز بعد الحاق الهزيمة بالدولة العثمانية على اعقاب الحرب العالمية الاولى، وذلك خدمة لأغراضهم ومصالحهم الاستراتيجية والاقتصادية معاً. اطلق اليونانيون القدماء على هذه البلاد تسمية (ميسوبوتاميا) أي بلاد مابين النهرين. وشاعت كلمة العراق بعد الفتوحات الاسلامية، وبالاخص انتشرت كلمة عراق العرب، جنباً الى جنب مع عراق العجم أي المناطق الشمالية العليا من بلاد مابين النهرين. وكانت تطلق ايضاً على المناطق الجنوبية من العراق تسمية ارض السواد، وذلك لكثرة تواجد اشجار النخيل في تلك المناطق الجنوبية. ويكتب الدكتور سامي سعيد الاحمد في ترجمته بهذا الخصوص قائلاً (ان لفظة عراق ليست بالاصيلة، واختلف الباحثون في تفسيرها. وقد تكون مشتقة من لفظة ايراك التي تعني باللغة الفهلوية الارض المنخفضة او الجنوبية. وربما معناها الجرف او الساحل وحتى الجسر مأخوذة من عرقا الواردة في كثير من اللغات الجزرية. كما ربطت مع اقليم اطلق عليها اريقا في نصوص العصر الكاشي. او قد تكون ذات علاقة مع الكلمة السومرية انوك او اوروك بمعنى المستقر وبها سميت مدينة اوروك المهمة ذات الماضي العريق ومركز عبادة كبير الالهة انو. ولم يطلق أي من الاسمين على القطر كله...)[1]

على امتداد مسار التأريخ لم تمارس دولة واحدة او امبراطورية معينة حكمها المطلق على مجمل اراضي بلاد مابين النهرين، بل نجد بروز دول وامبراطوريات متعددة وهي تحكم قبضتها على مناطق محددة في بلاد مابين النهرين. حكم العديد من الشعوب في المناطق الجنوبية امثال السومريين والاكديين والبابليين والكاشيين والكلدانيين. وظهر العديد من الشعوب في بلاد سوبارتو الشمالية أي في المناطق الكوردية الحالية، امثال الكوتيين واللولوبيين والخوريين والميتانيين والميديين.. وحسب وجهة نظر الكثير من الباحثين والمؤرخين تعتبر تلك الشعوب القديمة اجداد الكورد الحاليين.. ومن جانب آخر يجب ان لا نغفل اسم الامبراطورية الاشورية القوية، والتي كانت مدينة نينوى عاصمتهم لردح كبير من الزمن. ويصنف الاشوريون كجنس من الشعوب السامية. واستطاعوا من تأسيس دولة قوية لفترة طويلة من الزمن في المناطق الشمالية من بلاد ميسوبوتاميا. ويشكلون اجداد الشعب الاشوري الحالي.

على النقيض من بلاد مابين النهرين، نجد دولة موحدة وقوية في بلاد مصر الا وهي دولة الفراعنة. وحكمت الفراعنة بلاد مصر على امتداد عدة آلاف من السنين. ولم يشهد ذلك البلد التناحر بين مجاميع من الشعوب والامم المتنافرة كما كان يحصل في بلاد مابين النهرين. بل عاش على ارض النيل شعب متجانس وموحد في ظل دولة الفراعنة لفترات طويلة من الزمن. ومعروف عن التضاريس الجغرافية لبلاد مصر بأنها ايضاً بدورها متجانسة، بمجملها هي اراضي صحراوية او شبه صحراوية، بخلاف تضاريس بلا ميسوبوتاميا والتي تتباين مابين الجبال والصحاري والسهول والتلال..

عرفت عن الاراضي الشاسعة لبلاد ميسوبوتاميا بأنهارها المتعددة. ومن ابرز تلك الانهر هي نهرا دجلة والفرات. واللذان ينبعان من جبال زاكروس في كوردستان. وبالاضافة الى هذين النهرين يوجد ايضاً العديد من الانهر الاخرى. ومن اشهر تلك الانهر هي زاب الاعلى وزاب الاسفل. وفي مقالنا المتواضع هذا نتناول زاب الاسفل بالبحث قليلاً. يروي نهر زاب الاسفل اراضي شاسعة ويمر عبر اراضي العديد من المدن والقصبات. تنبع مصادر مياه زاب الاسفل من جبال كوردستان الايرانية. في مناطق (لاجان) و(بيران) يعرف بأسم (لاوين). عند وصوله الى بدايات مناطق (منكور) يصب فيه نهر (باديناوي). وفي منطقة (ربةت) في غرب اراضي (سوسنايةتي) التابعة ل(سردشت) يعرف بأسم (زي) وعند الحدود العراقية الايرانية يسمى ب(كةلوي). ولدى دخوله اراضي كوردستان العراق يسمى ب(زيى خوارو) أي (زاب الاسفل)[٢]. وفي منطقة دوكان التابعة لمدينة السليمانية اقيم على النهر سد دوكان المعروف. ومن ثم يقطع النهر قصبة (تةق تةق) ويواصل سيره ويمر عبر القصبات التابعة لمدينة كركوك ابتداءاً من (التون كوبري) ومروراً بقضاء (دبس) وانتهاءاً بقضاء الحويجة، وفيما بعد يصب في مجرى مياه نهر دجلة. عرف نهر دجلة بأسماء عديدة قديماً مثل ايلاد بالسومرية وايدكن وايدكينا وايدجلات وامو ونهر الاله ايشوم بالاكدية وارنزاخ بالحورية واروند وتيكراه بالفهلوية التي ربما معناه السهم لسرعة سيره والتي منها اخذت التسمية تايكرس وتكريدين. وتذكر اسطورة يونانية تقول ان الاله ديونيسيوس عندما وصل الى نهر دجلة، بعث له الاله زووس نمراً ليحمله

عبر النهر ولهذا سمي النهر تيكرس على منوال كلمة نهر (تايكر) باليونانية...[٣]

في اعالي قضاء دبس شيد سد ومن ذلك السد يبدأ مشروع ري كركوك المشهور. والمعروف عن ذلك المشروع المائي بأنه يقوم بأرواء مساحات شاسعة تقدر بمليون ونصف مليون دونم من الاراضي الزراعية.

يطلق في كوردستان على نهري زاب الاعلى والاسفل بكلمة (زي). ويعتقد بعض اهل المنطقة بأن كلمة (زي) تعني النهر. لكن الحقائق التأريخية تتناقض مع ذلك التوجه الخاطيء. لأنه تقصد بكلمة (زي) تحديداً مياه ذلك النهرين فقط. المؤرخ الكوردي المشهور دكتور جمال رشيد، له نفس توجهات وتأويلات العلامة توفيق وهبي بخصوص تلك التسمية. ويكتب بهذا الخصوص قائلاً: اسم الزاب لم يكن اصله من ذهب – ويقصد به الترجمة التركية الخاطئة لأسم بلدة التون كوبري – وان كلمة (زى Ze) باللغة الكردية ليس معناها (النهر) اطلاقاً وانما اسم خاص ل(نهر الزاب) لكن العثمانيين اعتقدوا في حينه بأن الاكراد لا يستطيعون لفظ الحرف (ذ) في كلمة (ذهب) لذا تصبح لديهم بشكل (ذهب = زاب) والترجمة التركية لكلمة الذهب هي (التون) وهذا هو سر الخطأ في التسمية الرسمية لهذه البلدة في العالمية. لكن كلمة (زي) عممت في المناطق الجنوبية لبلاد الاكراد، والتي تقع اغلبها على نهري الزاب، مرادفاً لأسم (النهر) بالرغم من وجود كلمة (روبار) القديمة في هذه اللغة..[٤]

واشتهرت مدينة بردي او التون كوبري بصيغة (شهرا) او (شهرات) حيث بنى احدهم كذلك مدينة (شهراكرت sahra – kart) على نهر الزاب الصغير او الاسفل التي تعرف عند الكورد بأسم مدينة (بردي – pirde) أي بمعنى الجسر او القنطرة. وسجله الاراميون بصيغة شهرقذ من (شهراكرت). ثم اعتقد العثمانيون في وقت لاحق بأن الزاب تحريف كوردي لكلمة الذهب العربية فسموا البلدة خطأً (التون كوبري) أي (القنطرة الذهبية)[٥]

ولا يعلم متى اسست هذه المدينة ولا من اسسها؟ ويروى عن اخبار حملة السلطان التركي مراد الرابع على بغداد وفتحه لها في عام (١٦٣٨) انه اقام جسراً على الزاب الاسفل في هذا الموضع. وزار الجسرين الاثريين في البلدة الاثاري الالماني (هرتسفيلد) سنة (١٩١٦) ووصف الجسرين وسجل للجسر الكبير منهما مخططاً. (ورأى بعض الباحثين ان في هذا الموضع كانت تقوم المدينة المعروفة بأسم (شهركرد) التي ازدهرت في القرون الاولى في العهد الميلادي. كما ارتأى باحثون اخرون انها موقع المدينة القديمة التي ذكرتهما النصوص الاشورية بهيئة (شيمورو shiomurru) والواقعة في اقليم عرف بالأسم نفسه. وان المدينة نفسها جاء ذكرها في العهود الاقدم مثل العصر البابلي القديم وعهد سلالة اور الثالثة (في مطلع الالف الثاني قبل الميلاد) وعين باحثون اخرون في هذه المنطقة المدينة القديمة التي ذكرت بهيئة (زبان) في اخبار حملة الملك الاشوري سرجون الثاني (٧٢١ – ٧٠٥ قبل الميلاد) على اذربيجان وارمينية. وهي الحملة العسكرية التي عرفت بين الباحثين بأسم (حملة سرجون الثامنة)..)[٦]

الملك الاشوري اشردن الاول (١١٨٩ – ١١٥٤) ق . م، ومن بعده الملك الاشوري (شمش ادد الخامس ٨٢٥ – ٨١٢) ق . م يذكران بأنهما مرا مع جيشهما بمدينة (زبة̄ن) الواقعة في المناطق السفلية من الزاب الاسفل. ويذكر بعض الملوك الاشوريين اسم منطقة او قصبة

مشتق من (زاب) فقد ذكر (اشر نصربل ٨٨٣ – ٨٦٠ ق . م) ارضاً وراء الزاب الاسفل بأسم (زبن). وورد في كتابه ل(شلمنصر الثالث ٨٦٠ – ٨٢٥ ق . م) اسم مدينة (زبن) وذكر شمش ادد الخامس (٨٢٥ – ٨١٢ ق . م) مدينة (زبن). يقول الاستاذ (جورج كامرون) انها مدينة التون كوبري الحالية. وبعد السنة العاشرة من حكم تكلات ثلسر الاول (١١١٦ – ١٠٩٠ ق . م) وقعت بينه وبين البابليين مصادمة فوق مدينة (زبن) مقابل (ارزهن – التون كوبري) ويجوز انه لم تكن على معابر نهر الزاب الاسفل قصبة تستحق الذكر. وان قصبة المنطقة كانت بعيدة عن محل العبور.[٧] نحن نقول فمن المحتمل ان تكون (ارزهن) القديمة، قرية (قايه باشي) الحالية التي تقع قبالة قصبة التون كوبري عند الضفة الغربية للنهر..

ويعرف الزاب الاسفل او الصغير في الاشورية بأسم (زابوشبالو) أي الزاب الاسفل. وفي اليونانية بأسم (كابروس). والتسمية الاخيرة اطلقها الجغرافي اليوناني بطليموس. في حين ذكرها (زينفون) بأسم (زابوتوس). وقد عبر (راوولف) النهر المذكور وذكر انه لابد ان يكون هو النهر الذي سماه (بطليموس) بأسم (كوركوس). وان اسم (زاب) مأخوذ من كلمة (زي) الكوردية. وهو يكتب بأسماء مختلفة ابرزها: زابا وانزابا ودياقا وادياقا وكلتاهما من الكلمة (ديب) الكلدانية. وكلمة (زيب) او (زاب) العبرية التي تعني (الذئب) وذلك لكثرة فيضاناته اثناء موسم الامطار. فقد استعمل (بطليموس) كلمة (لوكوس وليوكوس) وهي تعني الزاب المجنون ويريد بها الزاب الاسفل[٨].

لانجد في اسم الزاب تحويراً، الا عند اميانس مارسللينس فقط، في كتابه التأريخ الروماني الموضوع في القرن الرابع للميلاد. فقد وردت فيه كلمة (زاب) بشكل (دياب) ومعناه (الذئب) وقد يجوز ان يكون هذا التحوير بدافع الكشف عن معنى لأسم يوافق المسمى به. واول من لاحظ معنى (دياب – دياو) وهو (بوخارت) فقال: معنى (دياب) هو الذئب باللغة الكلدانية..[٩]

وقد عبر النهر وكتب عنه ووصف مجراه عدد من الرحالة الاجانب. ومنهم (راوولف) الذي بذل جهداً كبيراً في عبوره. و(تافرنيه) في سنة (١٦٥٢) و(اوشز) سنة (١٧٣٤) و(فنسنت) و(كلوديوس جيمس ريج) سنة (١٨٢٠) الذي وصفه بدقة فذكر ان يتميز بوجود صخور نهرية وفي قاعه مواد حصوية جلمودية. وتحدث (راوولف) عن استخدام الكلك والارماث للنقل. فأشار الى كثرة الاطواف التي تتوفر فيها (قرب) العجول والمعز المنفوخة التي توضع تحت الاخشاب. وينقل القوم عليها سلعاً متعددة سيما التين والزبيب والجوز واللوز والقمح والشراب والصابون وغيرها. وينقل القسم الاكبر منها الى الهند. واشتهرت التون كوبري منذ القدم بتصدير الحبوب بواسطة الاكلاك التي كانت واسطة النقل النهرية لنقل البضائع التجارية.[١٠]

ولما سار الاسكندر بعد انتصاره على (دارا الثالث) الهخمنشي (٣٣١ ق . م) من اربل نحو الجنوب ماراً بموقع كركوك. وجد جسراً عائماً في محل التون كوبري او على مقربة منه. ويجوز انه كان على الزاب الاسفل اكثر من معبر في ذلك اليوم. معد لمواصلات جيش دارا العظيم وتموينه..

يقدر طول نهر زاب الاسفل ب(٤٠٠) كيلومتر. ويمر في وسط قصبة بردي او التون كوبري، تلك المدينة الصغيرة التي تقع في منتصف الطريق الرئيسي بين كركوك واربيل. ويتفرع النهر عند دخوله المدينة الى

فرعين. وفي اسفل المدينة يلتقي الفرعان مرة اخرى. ووجد منذ القدم جسران مشيدان على فرعي النهر داخل المدينة. واقدم ذكر ل(التون كوبري) نراه في كتاب ذيل جامع التواريخ رشيدي لحافظ ابرو المتوفي في النصف الاول من القرن التاسع الهجري (القرن الخامس عشر الميلادي) وفي كتاب (ظفرنامه) في تأريخ تيمورلنك لعلي اليزيدي (النصف الاول من القرن التاسع للهجرة) ويجب ان نعتقد ان جسري التون صو كوبروسو او التون كوبرو الذي ذكره المؤلفان كان مشيداً بالحجارة والابرق. ولكننا لا نعلم متى بني ذلك في الاصل ومن بناه؟ كان الجسر موجوداً في القرن العاشر، عندما مر السائح الالماني الدكتور (لون راوولف في سنة ١٥٧٦ م) بالتون كوبرو في طريقه من بغداد الى الموصل، فسجل التون كوبرو بأسمها الكوردي. لكن مع شيء من التحريف. كما كان دأبه في ذكر اكثر اسماء الاقوام والاماكن التي مر بها. فقد سماها ب(برسته) تحريفاً للفظة (بردي) الكوردية[١١] ومر السائح الانكليزي (ه. ساوت كيت) في سنة (١٨٤٠) ب(التون كوبرو) في طريقه من بغداد الى اربيل ووصفها بأن هناك جسرين مشيدين بالطابوق ومبلطان على فرعي النهر الذي يمر داخل المدينة. وتسمى المدينة ب(التون كوبرو) وتعني باللغة التركية العثمانية نهر الجسر الذهبي. ولم يكن سكان المدينة تتجاوز مئة اسرة. فقد كان اكتسحها قبل مدة وباء الطاعون[١٢].. عندما اندحر العثمانيون امام الجيش البريطاني سنة (١٩١٨) قامت القوات العثمانية المتقهقرة بتدمير الجسرين الاثريين المشيدين على نهر الزاب الاسفل داخل مدينة التون كوبري[١٣]. لكن البريطانيين عندما استقرت اوضاعهم قاموا بأقامة جسرين حديديين في محل الجسرين المدمرين. وهذان الجسران الحديديان لم يزل باقيان ليومنا هذا في مكانهما.

دارت العديد من الحروب الدامية على ضفاف الزاب الاسفل. ووقعت احداث تأريخية ومعارك ضارية على اطرافه قبل الميلاد وبعده. ونشب صراع بجوار مصبه بين الامويين والعباسيين، حيث كان يحارب هناك يحيى بن معاوية بن هشام بن عبد الملك مستقتلاً. وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد بن ابيه، حيث قتله ابراهيم بن مالك الاشتر اخذاً بثأر الامام حسين. وقال يزيد بن مفرغ يهجوه:

ان الذي عاش ختاراً بذمته
ومات عبداً قتيل الله بالزاب
العبد للعبد لا اصل ولا ورق
الوت به ذات اضفار وانياب

كما حدثت معارك بين الخراسانيين متمثلة في ابي مسلم الخراساني العباسي وعبد الله بن مروان سنة (٧٤٣)م. ثم بين الخراسانيين وابي مسلم نفسه سنة (٧٥٠)م. وهذه المعارك ادت الى انتهاء الدولة الاموية ومجيء الدولة العباسية على اثرها.

وعلى ضفاف هذا النهر تصادم عبد الله بن علي ومروان بن محمد عندما بلغ مروان خبر ابي مسلم واتباعه وما جرى بأرض خراسان. تحول من حران وسار حتى نزل نهر الزاب الصغير وحفر خندقاً. فتقدم اليه ابو عون بن ابي يزيد، وهو احد امراء ابي العباس السفاح، في جيش كثيف فنازله على الزاب وجاءته امدادات السفاح. وقد انتدب عمه عبد الله بن علي لمقاتلته، فتحول ابو عون عن سرادقه وتصادم الفريقان في اول النهار. ويقال انه كان مع مروان يومئذ (١٢٠،٠٠٠) مقاتل، اما عبد الله بن علي فكان

عسكره (٢٠،٠٠٠) مقاتل. وقد خسر مروان المعركة، وكانت هزيمته يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من جمادي الاخرة سنة (١٣٢ ه). وقد انهزم اهل الشام وكان من غرق منهم اكثر ممن قتل. وقيل من غرق من بني امية في ذلك اليوم (٣٠٠) رجل دون من غرق من سائر الناس ومنهم ابراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع وهو اخ ليزيد الناقص. وقد انتشل من الماء، وقيل بل قتله عبد الله بن علي بالشام.(١٤)

تتابعت الاحداث وتوالت الكوارث في العصور القديمة والحديثة على ساكني المناطق المحيطة بالزاب وعلى طوله وعرضه. وتعرضت المدن والقرى المتناثرة على ضفاف النهر الى التدمير والتهجير والقصف المدفعي والجوي منذ نشوء الدولة العراقية الحديثة. بعد انتكاسة الانتفاضة الشعبية سنة (١٩٩١) تعرضت مدينة التون كوبري الى هجمة عدوانية شرسة من قبل السلطات البعثية. وقام الجيش البعثي الغازي بأعدام اكثر من خمسين شخصاً من المواطنين العزل الابرياء من سكنة المدينة. وكانوا كلهم من القومية التركمانية.

تتكون مدينة (بردي) او (التون كوبري) من ثلاثة احياء رئيسية. اولها حي (سالةيي) ويقع على الضفة الشرقية للزاب وعلى الطريق المؤدي الى كركوك وتسكن هذا الحي عوائل تنتمي الى عشيرة (سالةيي) الكوردية ويتكلمون باللهجة الكركوكية السورانية وتعيش معهم ايضاً الاسر التركمانية. وهناك حي في وسط المدينة يسمى بحي (اورته) أي الوسط باللغة التركمانية. وتتكلم العوائل الساكنة في هذا الحي باللغة التركمانية. والحي الثالث يقع على الضفة الغربية للنهر على الطريق المؤدي الى مدينة اربيل، ويسمى هذا الحي ب(تسين) ومعظم مواطني هذا الحي من القومية الكوردية ويتكلمون باللهجة الاربيلية. ومن المعروف والمثبت تأريخياً بأن بعض العوائل والاسر التركمانية في المدينة ينحدرون ايضاً من القومية الكوردية.. لكننا هنا لسنا بصدد الدخول في متاهة الجدل البيزنطي غير المجدي. بل المهم التأكيد على ترسيخ قواعد الاخوة الكوردية التركمانية. ويجب احترام المشاعر القومية للأخوة التركمان. والشيء المتعارف عليه هو ان جميع المكونات في المدينة يعيشون في حالة من الاخوة والمودة والاحترام المتبادل. ولم يعرفوا في أي وقت من الاوقات أي معنى للتنافر والتناحر والشقاق. جميع القرى المحيطة بالمدينة هي قرى كوردية خالصة امثال: قةرةبةك. شيخةيي. ضيا جةرموك. دةرماناو الاعلى. دةرماناو الاسفل. سةربير. كةلوزي. قادر باغر. روزبةياني. بيرةسثان. زةردك. يارمجه. بيبانى الكبير. بيبانى الصغير. كةوةني. كةلور. قةرغةتو. كتكه. كورزةيي. نةبياوة. شانشين. قزنةفةر. قةرة باشي. شيراوه. جومةزردلة الاسفل. جومةزردلة الاعلى.. وغيرها(١٥). جميع هذه القرى تعرضت في زمن البعث البائد الى التدمير والتهجير والتعريب. وسيقت عشائر عربية للسكن فيها. وتعرضت القرى واطرافها الى عمليات التغيير في اسمائها ومسمياتها. لكن بعد انهيار الصنم وسقوط الطاغية بدأت تلك المناطق المهجرة والمهدمة تستعيد عافيتها. والآن تشهد قرى المنطقة عمليات واسعة من البناء والتعمير، ويعمر الاخيار ما دمره الاشرار..

تسكن عشيرة سالةيي الكوردية في السهول المنبسطة والمترامية الاطراف بين كركوك ومدينة التون كوبري.

وابتداءاً ايضاً من مدينة كركوك ومروراً بمنطقة بابا كركر النفطية الازلية وانتهاءاً بقضاء دبس، تسكن تلك المناطق ايضاً عشيرة سالةيي الكوردية. وكما هو معروف قامت الحكومات العراقية منذ البداية من تغيير اسم مدينة (دووبز) الكوردية وتحريفها الى اسم (دبس) العربية. وهذه التسمية الكوردية مشتقة من كلمة (دوو) أي اثنين باللغة الكوردية وكلمة (بز) وكما هو معروف تعيش داخل الزاب نوعية من السمك الكبير الحجم بأسم (بز). ومن اسم تلك السمكة سميت المدينة ب(دووبز)..

عشيرة سالةيي الكوردية التي تعيش بكثافة في كركوك وجنوب كركوك وغربها بما فيها ناحية التون كوبري وقضاء دووبز او دبس، كانوا فيما مضى يتكلمون باللهجة اللورية البختيارية والتي هي شائعة في مناطق كرمنشاه الايرانية. لكن بمرور الزمن اختفت تلك اللهجة لدى عشيرة سالةيي، والاجيال الجديدة الناشئة يتكلمون الآن باللهجة الكركوكية السورانية. والمعروف ان (سالةيي) الكوردية و (صالحي) التركمانية لهما ارومة واحدة. ويؤكد المؤرخ المعروف (ملا جميل رؤذبةياني) بأنها تنتمي الى عشيرة (سارايي) الكوردية في لورستان ضمن كوردستان ايران.[١٦]

الهوامش:

١. تأريخ العراق في القرن السابع ق . م. ترجمة: الدكتور سامي سعيد الاحمد ص (٣) بغداد ٢٠٠٣ بيت الحكمة. للأسف لم يسجل اخ المترجم اسم المؤلف على الكتاب.

٢. حبيب الله تاباني. هاونةتةوةيي قةومي كوردو ماد. الترجمة الى اللغة الكوردية: جليل كاداني. ص (٥١) سليمانية ٢٠٠٤. وزارة الثقافة.

٣. تأريخ العراق في القرن السابع ق . م. ترجمة الدكتور سامي سعيد الاحمد. ص (١٠ – ١١).

٤. دكتور جمال رشيد. دراسات كردية في بلاد سوبارتو. بغداد ١٩٨٤ ص (٥٥).

٥. دكتور جمال رشيد. كركوك في العصور القديمة. دار ئاراس للطباعة والنشر. اربيل ٢٠٠٢ ص (٤٤).

٦. دكتور طه باقر. جولات تأريخية بين مواطن الآثار في شمال العراق. مجلة المجمع العلمي العراقي. الجزء الثالث بغداد ١٩٧٥ ص (٦٣٢).

٧. الاستاذ توفيق وهبي. الآثار الكاملة. اعداد: رفيق صالح. الجزء الاول. السليمانية ٢٠٠٦. مؤسسة زين ص (٢٧٠ – ٢٧١).

٨. مجلة العاملون في النفط. آب ١٩٦٩ العدد (٨٦). الزاب الصغير في التأريخ. عباس فاضل السعدي. ص (٤).

٩. الاستاذ توفيق وهبي. الآثار الكاملة.. ص (٣٦٥).

١٠. مجلة العاملون في النفط آب ١٩٦٩.. ص (٤).

١١. الاستاذ توفيق وهبي. الآثار الكاملة... ص (٢٧٣).

١٢. المصدر السابق.. ص (٢٧٥).

١٣. سيسيل جون ادمونس. كورد تورك عرب. الترجمة الكردية: حامد كوهري. دار ئاراس اربيل ٢٠٠٤ ص (٢٦١).

١٤. مجلة العاملون في النفط. آب ١٩٦٩... ص (٥).

١٥. جريدة (رونيا) ٢٠٠٦/٨/١٠. مدينة بردي في التأريخ. سيروان كاروانى.

١٦. ملا جميل رؤذبةياني. كةركوك ناويء ميَذووي كوَني. اعداد: شيَرزاد محةمةد ئةمين رؤذبةياني. اتحاد كتاب الكورد. فرع كركوك ٢٠٠٦ ص (٦٥).

انتشار المسيحية في كوردستان

د.فرست مرعي

المسيحية او النصرانية احدى الديانات السماوية الثلاث الاكثر عدداً فهي تأتي زمنياً بعد اليهودية التي بشر بها نبي الله موسى (عليه السلام) وتأتي قبل الاسلام و التي دعا لها نبي الله محمد (عليه الصلاة والسلام) وتطلق لفظة النصرانية عموماً مرادفة للفظة المسيحية، والاخيرة اكثر شهرة حالياً، وان كان الكثير من كتابها واساقفتها يطلقون على انفسهم لفظة النصارى. يرى بعض المستشرقين ان لفظة النصارى من اصل سرياني هو نصرايا Nasraya وتطلق على مسيحي الشرق، ويرى بعض المؤرخين بان لها صلة بـ(مدينة الناصرة)[١] التي ينتمي اليها السيد المسيح (عليه السلام) حيث يقال: يسوع الناصري، او لها صلة بـ(الناصريين) وهم احدى الفرق اليهودية المتنصرة[٢].

وقد انتشرت المسيحية بعد رفع السيد المسيح الى السماء ابتداءً من فلسطين الى بقية انحاء المعمورة، وما يهم موضوع بحثنا فقد وصلت طلائع المسيحية الى بلاد مابين النهرين (ميسوبوتاميا - Mesopotamia) وكوردستان والهضبة الايرانية في نهاية القرن الاول وبداية القرن الثاني الميلادي على رأي الكنيسة وكتابها، وفي بداية القرن الثالث على رأي المستشرقين وعلماء اوربا المتخصصين بالسريانيات.

تقول الرواية المسيحية ان مار أدي او أداى بشر بالمسيحية وانه تمكن من تعميد وتنصير رجل اسمه (فقيذا) نحو سنة ٩٩م الذي كان من عائلة فقيرة في اربيل، هرب من عائلته والتحق بمار أدي الذي كان

يكرز (يبشر) بالانجيل في البلاد الكوردية في امارة حدباب (اديابين) لمدة خمسة سنوات، ثم جعله أسقفاً وارسله الى اربيل سنة ١٠٤م. ويذكر المطران أدي شير[٣] قائمة باسماء عشرة اساقفة تولوا الكرسي الاسقفي في مدية اربيل للفترة من ١٠٤ ولغاية ٣١٢م. وفيما يلي تسلسل وزمن توليهم كرسي اسقفية اربيل:

ت	الاسم	مدة اشغالهم الاسقفية وزمنها
١	بقيدا	١٠ سنوات (١٠٤ - ١١٤م)
٢	شمشون	٣ سنوات (١٢٠- ١٢٣م)
٣	اسحاق	١٣ سنة (١٢٣ – ١٣٦م)
٤	ابراهام	سنة (١٥٠ - ١٦٥م)
٥	نوح	١٦ سنة (١٦٥ - ١٨١م)
٦	هابيل	٧ سنوات (١٨٤ - ١٩١م)
٧	عبيد مشيحا	٢٥ سنة (١٩١ - ٢١٦م)
٨	حيران	٢٣ سنة (٢١٦ - ٢٤٩م)
٩	شحلوبا	١٥ سنة (٢٤٩ - ٢٥٤م)
	احادابوي	١٨ سنة (٢٥٤ - ٢٧٢م)[٤]

وعلى السياق نفسه تمضي الرواية المسيحية قائلة بان مارأدي ومار ماري[٥] كانا أول مبعوثين بشرا بالمسيحية الى مدينة كرخ بيث سلوخ والمناطق المحيطة بها[٦].

وكان أدي شير يستند في رواياته على تاريخ اربيل لمشيحا زخا، وهذا التاريخ قد نشر لأول مرة عام ١٩٠٧ على يد الفونس منكنا[٧] بعنوان تاريخ اربيل Choroniqued Arbele الذي حاول انتحال اسم مشيحا زخا لهذا المؤلف استناداً على قول المؤرخ السرياني عبد يشوع الصوباوي في فهرسه، ان لمشيحا زخا تاريخاً كنسياً صحيحاً[٨]، وقد اثار هذا الكتاب ضجة كبيرة في اوساط الباحثين والمهتمين بالمخطوطات والمصادر السريانية اذ اعتبره المستشرق الالماني ادوارد ساخو Edward Sachau مصدراً مهماً للتعرف على صفحات غامضة من تاريخ المسيحية بصورة عامة وكنيسة المشرق بصورة خاصة، وقام بترجمة المانية له عام ١٩١٥، بينما قام فرانس زوريل بترجمة لاتينية له، وقام المطران بطرس عزيز بترجمة عربية له نشرها على صفحات مجلة النجم التي كانت تصدر في الموصل باشراف المطران سليمان الصائغ في السنوات ١٩٢٩ – ١٩٣١[٩].

غير ان الاب بول بيترس P.Paul Peeters ابدى شكوكه واعتراضاته في قيمة النص التاريخي وضعفه[١٠]، وسانده في ذلك اليسوعي اورتيزدي اوربينا

المتحامل على منكنا والنص الذي نشره، بينما دافع اليسوعي الاخر مسينا عن منكنا[11]، وللخروج من هذا المأزق قام عالم المخطوطات (اسفالج) بامتحان الخط على المخطوطة موضوعة البحث واستنتج بانها حديثة العهد، ثم حسم المؤرخ الدومنيكي الشهير (جان موريس فييه) الموضوع في بحث نشره عام ١٩٦٧ حصيلته: «انه لا يمكن الاعتماد على هذا النص كمصدر تاريخي لأننا لا نستطيع ان نميز الفقرات الاصلية والمنحولة الا على ضوء مصادر اخرى، لذا من الافضل الاستغناء عنه وكأنه غير موجود[12]».

ومما تجدر الاشارة اليه ان النقاد في اعتراضهم على النص المنشور لتاريخ مشيحا زخا توصلوا الى ان المخطوطة الاصلية التي باعها منكنا عام ١٩٢٧ الى مكتبة برلين (وسجلت تحت رقم ٣١٢٦) بمبلغ ٣٥٠٠ فرنك ليست قديمة العهد، بل حديثة كتبها القس اوراها شكوانا الالقوشي (١٨٥١ - ١٩٣١) واجرى عليها محاولة تزوير باشباعها من دخان تنور، حسبما توصل اليها الخبير في المخطوطات اسفالج. كما ان القس اوراها شكوانا اعترف لصديقٍ له بأن منكنا علمه الطريقة التي يمكن فيها أن تبدو المخطوطة قديمة[13]. واستناداً الى التفاصيل التي جمعها المؤرخ الكنسي الدومنيكاني فييه Fiey لم يعثر احد على مخطوطة (اقرور) القديمة التي زعم منكنا بأنه توصل اليها[14]. وهنا يتساءل الباحث الكلداني العراقي يوسف حبي، لماذا لجأ القس منكنا الى هذه الحيلة: عملية تلفيق واضافة الى النص الاصلي؟ وفي معرض الجواب يؤكد بان النقاد توصلوا الى أن غرض منكنا ليس المادة بقدر ما هو تفنيد مزاعم المتسرينين المحدثين (يقصد بهم المستشرقين)[15]، الذين فندوا الاساطير والحكايات السريانية التي تؤكد الانتشار المبكر للمسيحية في بلاد ما بين النهرين وايران على ايدي الرسل أو تلاميذهم، وتجعل من الاعمال المنسوبة لتوما ومارأدي وماري مجرد قصص وحكايات اكثر منها شواهد تاريخية.

وللتوفيق بين هده الآراء المتناقضة بين كتاب الكنيسة وبين المستشرقين، يبدو ان المسيحية قد تغلغت في شمال بلاد ما بين النهرين قادمة من مدينة الرها[16]، حيث وصلت طلائعها الى اقليم حدياب (اديابين) وبيث كرماي وبعدها وصلت الى ما وراء جبال كوردستان (زاكروس)، وبمرور الزمن تحول العديد من سكان هذه المناطق الى المسيحية فتكونت مجتمعات ومستوطنات مسيحية صغيرة لم يكن لها شأن في نهاية الدولة البرثية (الاشكانية) وبداية ظهور الدولة الساسانية، ويؤكد المستشرق الالماني ارثر كريستنسن الى هذه الناحية بقوله: «والخرافة تجعل سانت توما (مارتوما) مبشراً في [illegible]ارثيا وفي اعمال توماس المنتحلة نجد انه سار برسالته حتى بلاد الهند، ولكن هذه الاعمال ليست صحيحة من الناحية التاريخية»[17]، وعندما يتطرق الى الدور السياسي المزعوم الذي لعبه المسيحيون في الدولة الثارثية نراه يقول: «بانه لم يكن للنصارى اي دور سياسي ايام الاشكانيين... وان رتبة جاثليق لم توجد في عهد الاشكانيين»[18]، في الوقت الذي يشير المطران أدي شير بان الرسول ماري اخذ«يطوف في بلاد حدياب وكركوك... حتى وفاته في المداين سنة ٨٢م. وكان قد اقام في المشرق ثلاث وثلاثين سنة فاسس هناك كرسي الفطركية في المداين (المدائن- سلمان باك)، وصار هو أول الاساقفة على (كرسي الفطركية)[19].

وقد عاش نصارى ايران وبلاد ما بين النهرين

وكوردستان في سلام ما دامت اعدادهم قليلة، وافكارهم التي يحملونها لا تؤثر في الخط العام للدولة الساسانية، ولكن الموقف تغير في بداية القرن الرابع الميلادي حين اصدر الامبراطور الروماني قسطنطين (Costantin) (٣٠٦-٣٣٧م) مرسوم ميلان الشهير في سنة ٣١٣ معترفاً بالمسيحية كاحدى الديانات المصرح باعتناقها داخل الامبراطورية الرومانية[٢٠] فكان على المسيحيين داخل الامبراطورية الفارسية الساسانية ان يتحملوا نتيجة هذا العمل لأن الدولة الساسانية اعتبرتهم بمثابة عملاء (الرتل الخامس) للدولة الرومانية[٢١]. ومما زاد من تفاقم هذه المشكلة ان ارمينيا الدولة الحدودية بين فارس وبيزنطة قد تنصرت مع اعلان الملك تيريدات الثالث Tradt III تنصر ارمينيا رسمياً في عام ٣٠١ او ٣١٤م[٢٢]، ومما يؤيد هذا القول تلك الرسالة التي وجهها الملك الفارسي شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) الى أمراء ألارمن بقوله: «عندما تعلمون بامرنا هذا نحن الآلهة الاخرين وهو في الدرج الذي بعثناه اليكم، فعليكم ان تقبضوا على سيمون رئيس النزاريين، ولا تطلقوه ما لم يرقم هذه الوثيقة ويقبل ان يجمع جزية وغرامة مضاعفين يؤيدها الينا عن كل النزاريين الذين يعيشون في بلاد قداستنا والذين يسكنون اراضينا، لأنا نحن الآلهة الاخرين ليس لنا غير متاعب الحرب وهم ليس لهم غير الراحة واللذات! انهم يسكنون بلادنا ويشاركون قيصر، عدونا المشاعر[٢٣].

وبمرور الزمن زادت التجمعات المسيحية في المنطقة واصبحوا يشكلون مجتمعات محددة داخل الامبراطورية الساسانية، وانتقلت عدوى الخلافات اللاهوتية التي سادت الكنيسة المسيحية فكان المذهب المنوفستي هو المذهب المنافس للمذهب النسطوري السائد داخل اراضي الامبراطورية الساسانية.

وقد كانت هذه الحوادث مقدمة لأول اضطهاد وقع على المسيحيين عامة والكورد المسيحيين خاصة ابتداءً من سنة ٣٣٩م حتى وفاة الملك شابور الثاني عام ٣٧٩م التي اطلقت عليها المصادر السريانية (الاضطهاد الاربعيني)[٢٤] لشدته وضراوته والمدة التي استغرقها، يشير الاب البيرابونا الى هذه الناحية بقوله: «ويعجز القلم عن ماعاناه المسيحيون في تلك الفترات العصيبة والتضحيات الجسام التي قدموها في سبيل ايمانهم. وكثيرون منهم لم يذكر التاريخ اسمائهم، وغيرهم عديدون لم يزودنا التاريخ عنهم الا النز القليل من المعلومات[٢٥].

وقد اكد المستشرق الالماني الاستاذ في جامعة كوبنهاكن الدانماركية وقوع الاضطهاد على المسيحيين الكورد بقوله: «وقد وقع الاضطهاد خاصة في الولايات الشمالية والشرقية وفي المناطق المتآخمة للامبراطورية الرومانية [كوردستان تركيا]. كان هناك مقاتل ومذابح كما كان هناك تشريد. وفي سنة ٣٦٢م نفي تسعة الاف مسيحي مع الاسقف هيليودور من قلعة فنك[٢٦] في بزابدة الى خوارزم[٢٧] بعد ثورة[٢٨].

ومن جهة اخرى فقد تطرقت المصادر السريانية الى كثير من المسيحيين الكورد وغير الكورد من الذين لاقوا حتفهم ايام الاضطهاد الفارسي، وقد حافظ قسم منهم على أسمائهم الكوردية رغم تبوئهم مراكز عليا في السلم الكهنوتي المسيحي كالجاثليق[٢٩] شاهدوست الذي كان قد احتفظ باسمه الكوردي ومعناه صديق الملك[٣٠] وقد انتخب جاثليقا، ولكن أمره افتضح فقبض عليه الفرس مع مائة وثمانية وعشرين اسقفاً وراهباً وسجنوهم خمسة اشهر تعرضوا خلالها الى أقسى صنوف التعذيب، وعندما لم يرجعوا عن معتقدهم

قتل منهم مرزبان المدائن مائة وعشرين شخصاً، وارسل الى الملك شابور الثاني بالجاثليق شاهدوست ومن بقي معه، فلاطفه شابور في الكلام ليدخله في الزرادشتية، ولما ابى هو واصحابه قتلوا في اليوم العشرين من شهر شباط سنة ٣٤٢م[٣١].

وفي السنوات الاولى لحكم الملك الفارسي بهرام الخامس (٤٢٠-٤٣٨م) قتل مير شابور وفيروز والكاتب يعقوب[٣٢]، اما ناثنيال الشهرزوري فقد درس في نصيبين واهتم بدراسة التفسير، وقد سجنه الملك كسرى الثاني (٥٩٠-٦٢٨م) ست سنوات قبل ٦٢٨م، ثم قتله لأن الجماعة التي كانت بأمرته طردوا قائداً فارسياً من المدينة بحجة هدمه لكنيستها.

وسبق للملك الفارسي شابور الثاني ان امر باعدام الكاهن مار ايثالاها النوهدري في امارة حدياب عام ٣٥٨م بعد ثباته على مبدئه، وقد بني دير تخليداً لذكراه في منطقة نوهدرا (دهوك) لايزال شامخاً[٣٣].

وكان نرساي الملفان سباقاً في كتابة مقالة تخص اضطهادات الفرس الساسانيين للمسيحيين الكورد وغيرهم في عهد الملك شابور الثاني الذي استمر حكمه سبعين عاماً، حاول خلالها ان يستأصل شفة المسيحية من مملكته والتي اصبحت تشكل خطورة كبيرة على عبادة النار الزرادشتية، وقد الحق نرساي بتلك المقالة انشودة هي حوار بين الملك شابور الثاني وشهداء المسيحية[٣٤].

الصراع الزرادشتي المسيحي وانعكاسه
علـــى الاوضاع في المنطقة الكـــوردية

يشير العديد من الكتاب المحدثين الى ان الزرادشتية أصبحت الديانة الرسمة للامبراطوريات الثلاث الاحمينية والثرثية (الاشكانية) والساسانية، غير ان المؤرخ الايراني حسن بيرينا والمؤرخ الالماني كريستنسن أشارا الى هذه الناحية بالقول ان الساسانيون اتخذوا من الزرادشتية ديناً رسمياً لأيران ولم يكن لها دين رسمي حتى ذلك الوقت، وكانت الشعوب التابعة لأيران حرة في اعتناق الدين الذي يقبله كل شعب منها[٣٥].

ومنذ ان تولى اردشير الاول (٢٢٤ - ٢٤١م) عرش الدولة امر الهربدان هربد تنسر بجمع النصوص المبعثرة من الآفيستا الاشكانية التي سبق وان جمعها الملك الاشكاني ولغاش الاول (٥١-٧٨م)[٣٦]، وبكتابة نص واحد منها، ثم اجيز هذا النص واعتبر كتاباً مقدساً[٣٧].

ومهما يكن من امر فان الملوك الساسانيون لم يهتموا في بادئ الامر بالدين المسيحي الذي ابتدأ بالتغلغل داخل الاقاليم الايرانية شيئاً فشيئاً كما ذكرنا آنفاً، ولكن عندما طلب الملك شابور الثاني (٣٠٩-٣٧٩م) من الدولة الرومانية استرداد الولايات التي كانت الدولة الساسانية في عهد ملكها نرسي (٢٩٣-٣٠٢م) قد سلمتها لهم[٣٨]، بدأت الحرب وتغيرت سياسته تجاه رعاياها المسيحيين وابتدأت حملة الاضطهادات كما بينا، واستمر المسيحيون في المقاومة نتيجة ايمانهم القوي واستبسالهم في الدفاع عن مبدأهم وعدم خضوعهم لعبادة الشمس والنار، رغم انها تنقذهم من العذاب والموت. وهكذا استمرت الامور تجري على هذا المنوال الى ان جاء الملك الساساني يزكرد الاول (٣٩٩-٤٢٠م) الذي احسن معاملة المسيحيين ولذلك عرف لدى رجال الدين الزرادشتي بالاثيم، ففي عصره اقيمت الكنائس للمسيحيين واعتنقت أسر كثيرة الدين المسيحي[٣٩]، غير ان المشاكل السابقة عادت تواجه المسيحيين، ولكن زاد بعد ذلك التجرؤ على رجال الدين المسيحي، ويحمل

كريستنسن ذلك المسيحيين بقوله: «ذلك انهم عتو [اي المسيحيين] وتحدوا الرأي العام حتى لم يكن مفر من مقابلة الشر بمثله. ففي مدينة هرمزد- اردشير بخوزستان (عربستان الحالية) تجرأ احد القساوسة واسمه هاشو على ان يهدم باذن صريح او ضمني من الاسقف (عَبدا) بيت نار قريب من الكنيسة النصرانية. وقد قبض على القسيس والاسقف وغيرهما.. وارسلوا جميعاً الى المدائن. وقد سأل الملك نفسه عَبدا فنفي كل اتفاق جنائي، ولكن هاشو اعترف انه هو خرب بيت النار هذا ثم فاه هذا الاعتراف بالفاظ عدائية فيها اساءة الى الدين الزرادشتي، وحينئذ امر الملك عَبدا باعادة بناء المعبد، ولكنه رفض الامر باصرار فحكم عليه وقتل، وقد اشار المؤرخ الديني تيودورت بسلوك هذا الاسقف الذي اصر على خطته، بالرغم من اعتباره هدم المعبد عملاً بعيداً عن الحكمة[٤٠].

وكان جل الصراع الفكري بين الزرادشتية المسيحية يخفي وراءه مصالح الطبقة الساسانية الحاكمة التي تدعمها طبقة رجال الدين الزرادشت من الموبدان والمغان والهرابذة وبين مصالح الطبقات الاخرى الذين وجدوا في تعاليم المسيحية وغيرها من الديانات والمذاهب المعارضة كالمانوية والمزدكية سبلاً للخلاص من تسلط الطبقات الحاكمة وجورها، لذا فلا عدوا ان تعاون الجانبان الدولة والدين ضد المعارضين، لاسيما وانهما توأمان حسب قول مؤسس الدولة اردشير[٤١]. ولكن حكم الزمن والتطور بدأ ينخر في الزرادشتية ويقلل من عنفوانها، وهذا ما يتجلى واضحاً في عهد الملك كسرى انوشروان (٥٣١-٥٧٩م) الذي بدأ في مطلع حكمه متعصباً للزرادشتية[٤٢]، لكنه كان من مشجعي المناظرات الفكرية والدينية بين رجال الدين الزرادشتية وبين الاساقفة المسيحيين، كما انه من جانب اخر شجع العلوم والفلسفة وبلغ الامر من اضطراب موقع الزرادشتية حتى ارتد عنها بعض رجالاتها العظماء مثل (الموبدان موبد بزر جمهر)، وكان الذين تركوا الزرادشتية ابدوا اضطرابات وقلقاً قادهم الى طريق تشاؤمي في نظرتهم الى الحياة والواقع يبدو ذلك واضحاً في حال الفيلسوف الايراني ورجل الدين الزرادشتي (برزوية) من خلال الاسطر التي كتبها حول حال الديانة الزرادشتية والمكانة التي وصلتها في نفوس هؤلاء المفكرين: «فلما وقع ذلك في نفسي اشتبه علي امر الدين. اما كتب الطب فلم اجد فيها لشيء من الاديان ذكراً يدلني على اهدائها واصوبها.. واما الملل فكثيرة ليس منها شيء الا وهو على ثلاثة اصناف قوم ورثوا دينهم عن آبائهم واخرون اكرهوا عليه حتى ولجوفيه واخرون يتبعون الدنيا وكلهم يزعم انه على صواب ومبتدأ الامر ومنتهاه وما سوى ذلك؟[٤٣].

ومن مؤشرات ضعف الزرادشتية في اواخر ايام الدولة الساسانية انتشار المسيحية في ايران وازدهار كنائسها واسقفياتها، حتى لقب ملك الفرس كسرى الثاني ابرويز (٥٩٠-٦٢٨م) بالملك النصراني بسبب تشجيعه اياهم ومنحهم الحرية الكاملة[٤٤].

وقد كادت المسيحية ان تنتصر في ايران على عهد الملك كسرى ابرويز اكثر من أي وقت اخر، ودخل في المسيحية عدد كثير من اقرباء الملك الذين لم يكونو الا ايرانيين اقحاح، كما اضطر كسرى ابرويز ان يلتجيء الى خصمه القوي الملك البيزنطي موريكيوس اثر انقلاب القائد الساساني الشهير بهرام ضوبين عليه، ولكن الملك البيزنطي موريكيوس استطاع ارجاع كسرى ابرويز الى عرشه فلذلك يقال بانه

قد مال الى المسيحية منذ ان كان هناك في العاصمة القسطنطينية.

وعلى اية حال فلم يفرح الموابدة برجوع كسرى الذي كان قد تزوج من الاميرة البيزنطية ماريا وأغرم بالمسيحية اليعقوبية شيرين التي اصبحت ملكة البلاط فيما بعد[٤٥]. ولكنه اي كسرى ابرويز اتخذ اجراءات مشددة تجاه المسيحية بعد الانتصارات التي احرزها الملك البيزنطي هرقل (٦١٠-٦٤١م) وتمكنه من الاستيلاء على معبد بيت نار آذركشناسب واحراقه واطفاء نيرانه انتقاماً لانتزاع كسرى ابرويز الصليب المقدس من بيت المقدس سنة ٦١٤م وارساله الئ العاصمة طيسفون[٤٦] وعلى اية حال يخلص احد المؤرخين الى القول بحيث نستطيع القول بانه لو لم يأت الاسلام الى ايران لكانت المسيحية تعم جميع نواحي هذا البلد، ولكن زرادشت قد تحطم على يد المسيحية، كما ان الدينين المانوي والمزدكي اللذين ظهرا في اواسط ايران كانا يعدان مناوئين شديدين لدين زرادشت، ولهذا فان الزرادشتيين كانوا يضمرون له (للدين المسيحي) حقداً شديداً، ولهذا ايضاً كان الزرادشتيون يعادون المانويين والمزدكيين اكثر من المسلمين، وكثيراً ما نرى في التاريخ ان رجال الدين الزرادشت يساعدون المسلمين على المانوبيين والمزدكيين، ومن ناحية اخرى نرى ان المسيحين في ايران كانوا يقدمون المسلمين على الزرادشتيين وذلك على اثر المذابح العامة التي تعرضوا لها على يد الزرادشتيين[٤٧].

الاديرة والكنائس في كوردستان

هناك ظاهرة ملفتة للنظر عند دراسة الواقع الجغرافي والتاريخي للمنطقة الكوردية وهي كثرة الاديرة والكنائس المسيحية، وقلة معابد النار الزرادشتية وتحديداً في غرب وأواسط كوردستان، وهذه تجعل الباحث المتخصص في التاريخ الكوردي يواجه اشكاليات عديدة، فاكثرية المصادر تتحدث عن زرادشتية الكورد وانها الديانة الرئيسية لهم قبل الفتح الاسلامي لبلادهم، بعكس المسيحية التي لم يؤمن بها الا قلة قليلة من الكورد، في الوقت التي تتحدث المصادر المسيحية وحتى الاسلامية عن وجود عدد كبير من الاديةر والصوامع في المناطق الجبلية الكوردية.

وقد اجرى الباحث نظرة على الواقع الجغرافي للمناطق غير الكوردية التي كانت الزرادشتية هي الديانة السائدة فيها مثل: اقليم فارس وخوزستان (عربستان)، وكيف انها حافظت على عدد كبير من معابد النار فيها حتى الفتح الاسلامي لها لحقبة طويلة، بعكس المناطق الكوردية[٤٨] التي تكاد تخلو منها ماعدا اجزاء من اقليم الجبال واذربيجان اي تحديداً شرق وشمال شرق كوردستان حيث لا تتجاوز عدد معابد النار المجوسية اصابع اليدين.

فياترى اين ذهبت هذه المعابد؟، هل ان المسيحية التي القت بظلالها على الاجزاء الغربية الشمالية والوسطى من كوردستان اكتسحت الزرادشتية في طريقها لنشر المسيحية في ربوع ايران وبقية اجزاء اسيا الوسطى[٤٩] هذا مالا تسعفنا به المصادر، وللخروج من هذا الاشكال يعتقد الباحث بان الاجابة على هذه التساؤلات لا تخرج عن عدة احتمالات:

اولاً: ان كثيراً من هذه الاديرة بنيت على انقاض معابد زرادشتية ازيلت بعد الفتح الاسلامي في المنطقة الكوردية، وكان الدافع الى ذلك هو أن

المسيحيين بسبب تعرضهم الى اضطهادات وملاحقات واسعة من جانب السلطات الفارسية الساسانية بفعل شكاوى رجال الدين الزرادشت، جاءتهم الفرصة السانحة للانتقام ورد الصاع صاعين، فطالبوا من المسلمين الفاتحين بحكم علاقتهم الخاصة لهم كأديان سماوية بازالة هذه المعابد التي تقدس النار، فلما ازيلت بنوا أديرتهم وصوامعهم على انقاضها، وهم أي المسيحيين أزالوا معابد نار عديدة حتى ايام قوة وجبروت الدولة الساسانية نظراً لقوة ايمانهم وثباتهم على مبدئهم وعدم اهتمامهم بالموت، يتجلى ذلك في استخفافهم برجال الدين الزرادشت عبدة النار والشمس[٥٠]. فكيف وقد ازيلت الامبراطورية الفارسية الساسانية التي كانت الزرادشتية الديانة الرسمية لها والدليل على ذلك ان كنيسة مار كوركيس في قصبة مانكيش مبنية على أنقاض معبد مجوسي قديم كما جاء ذلك في كتاب (مانكيش) لمؤلفه الدكتور عبدالله مرقص رابي.

ثانياً: حاول المسيحيون الهروب بدينهم والالتجاء الى الجبال هرباً من الظلم والبطش الساساني، وعلى اثرها انشأوا اديرة وصوامع للعبادة، فلا غرو ان كانت حصة المنطقة الكوردية وغاليبها أراضٍ جبلية من العدد الكبير من هذه الاديرة والقلايا.

ثالثا: ان المسيحيون من طائفة النساطرة بحكم علاقتهم السيئة مع الكنيسة البيزنطية (الملكانية) التي مقرها القسطنطينية والذين اعتبروا مهرطقين حسب قرارات مجمع افسس عام ٤٣١م، لذا فروا بمعتقداتهم الى المنطقة الكوردية التي كانت تتوسط بين الدولتين الساسانية والبيزنطية، استفادةً من طوبوغرافية اراضيها الوعرة وكثرة تضاريسها الجبلية، فانشأوا اديرتهم وصوامعهم فيها[٥١] وفيما يلي قائمة باسماء الاديرة والكنائس في المنطقة الكوردية حسب المصادر المسيحية والاسلامية:

	اسم الدير القديم	اسم الدير الجديد	الموقع الجغرافي	الملاحظات
١	دير أبون	ديربون	تقع على سفح جبل بيخير المشرف على الجهة الشرقية من نهر دجلة قرب الحدود العراقية السورية	
٢	دير مار يعقوب	دير ماقو (مار ايشو عياب)	تقع في حصن الجبل الابيض قرب قرية قشفر او في مدخل قرية شيزي شمال مدينة سميل.	استغل هذا الدير من قبل الارساليات الكاثوليكية (الدومنيكانية الى سنة19٣٩م)
٣	دير مار ايثالاها	دير بران (الكبش)	يقع في مدخل مدينة دهوك مقابل رئاسة جامعة دهوك	مارايثاها كان احد رجال الدين النصارى الذي اعدم من قبل الدولة الفارسية عام ٣٥٨م وله احتفال سنوي في فصل الربيع يقصده نصارى منطقة دهوك.
٤	دير الكلب	دير عبدا (عودا)	يقع في جنوب قرية مالطا (معلثايابالسريانية) على بعد خمسة كيلومترات غرب مدينة دهوك.	له احتفال سنوي في فصل الربيع يقصده نصارى منطقة دهوك.

٥	دير ماردانيال	دير جندي	قرب ناحية فايدة جنوب مدينة دهوك	يضم عدة اديرة يقام لها احتفال سنوي في شهر نيسان من كل عام.
٦	دير مارقرياقوس	ديركوم (دير كاني)	شمال شرق مدينة العمادية.	
٧	مارتوما	مارتوما	ناحية مانكيش (الدوسكي)	
٨	دير كشنيك	ديركشنيك (دير النساء)	تقع في السفح الثاني للجبل المقابل لناحية مانكيش.	
٩	- دير الربان يوسف	دير الربان يوسف	في قرية اينشكي الواقعة في سفح جبل متينا.	
١٠	دير صياري	ديرصياري	قرب قرية الداودية جنوب غرب قصبة بامرني في وادي سبنة	
١١	دير مارساوا	دير مارساوا	تقع في مدخل [illegible]لي ديرش عند سفح جبل كاره.	
١٢	دير مار صليبا	دير مار صليبا	تقع شمال قرية قصروك في منطقة السندي(زاخو)	
١٣	١٣- دير مار سبريشوع	دير مار سبريشوع (الغاب الجميل)	غربي قرية سناط قرب الحدود العراقية التركية	
١٤	دير مار جرجيس	دير ماركوركيس	قرية دوري شرق ناحية كاني ماسي	اقدم دير في منطقة برواري بالا.
١٥	سلطان مادوخت	سلطان مادوخت	في قرية ارادن السفلى(نصارى) في سفح جبل متينا.	يقام لها احتفال سنوي في فصل الربيع.
١٦	دير مار قيوما	دير مار قيوما	في كل دوري على الحدود العراقية التركية.	
١٧	دير عمر الزعفران	دير الزعفران	٥كم، غرب مضيق كلي زاخو في سهل السليفاني.	
١٨	دير الربان هرمزد	دير الربان هرمزد	يقع في سفح جبل القوش شمال شرق مدينة الموصل	من الاديرة الكبيرة المحفورة في الجبل
١٩	دير اشموني	دير اشموني	تقع في عدة مناطق في كوردستان العراق.	هناك عدة اديرة تسمى بهذا الاسم في مناطق: عنكاوه- خطاري-ميزي-بيبوزي-خردس.
٢٠	دير بيث عابي	دير بيث عابي	تقع في قرية خربة الواقعة خلف سلسلة جبل عقرة.	من الاديرة المشهورة ولها تاريخ حافل في تخريج عدد كبير من الرهبان.
٢١	دير مار اوجين	دير الازل	تقع في الجبل المشرف على مدينة نصيبين في كوردستان تركيا.	

٢٢	دير الجودي	دير الجودي	تقع على بعد حوالي ٣٠كم شمال شرق مدينة جزيرة ابن عمر.	هذا الدير مبني في الحقيقة على الجبل الذي استقرت عليه سفينة نوح عليه السلام فوق قرية الثمانين.
٢٣	دير عمر احويشا	احويشا	قرب مدينة سعرد (سيرت) في كوردستان تركيا	وتفسير احويشا بالسريانية الحبيس اي الراهب المحبوس في سبيل الله.
٢٤	دير برقوما	دير برقوما	قرب مدينة ميافافين في كوردستان تركيا.	سكنه الرهبان الكلدان الى الحرب العالمية الاولى.
٢٥	دير لاشوم	داقوق	قرب مدينة داقوق جنوب كركوك.	
٢٦	دير بيث طوري	دير بيث طوري (منطقة الجبال)	يقع في سهل دينارتا خلف عقرة.	
٢٧	دير مار عبد يشوع	دير مار عبد يشوع	تقع جميعها في منطقة نحلة(نهلة) التابعة لقضاء عقرة.	
٢٨	دير باسكا	دير باسكا		
٢٩	دير مارتوما	دير مارتوما		
٣٠	دير مارمتى	دير مارمتى	تقع في سفح جبل مقلوب شرق مدينة الموصل.	وهو خاصة بالطائفة السريانية الارثوذكس(اليعاقبة).
٣١	ديرماربهنام	دير ماربهنام	تقع جميعها في الجبال القريبة من مدينة ماردين في كوردستان تركيا.	
٣٢	ديرمار يعقوب	ديرماريعقوب		
٣٣	دير مار عززائيل	دير مار عززائيل		
٣٤	دير قرتمين	دير قرتمين	تقع شرق مدينة مديات في طور عابدين في كوردستان تركيا.	
٣٥	دير القطرة	دير الناطق	تقع في الجبل المطل على مدينة نصيبين.	
٣٦	دير الصليب	دير الصليب	يقع قرب مدينة حسنكيفا في كوردستان تركيا.	
٣٧	دير مار قرياقس	دير مار قرياقس	قرب قرية زرجل في منطقة ديار بكر.	
٣٨	دير قنفرت	دير قنفرت	في ظاهر مدينة ديار بكر.	وهذا الدير سمي باسم ايليا النبي
٣٩	دير مار دانيال	دير مار دانيال	يقع في جبل المتينة شمال غرب قرية دركة في منطقة ماردين.	
٤٠	دير باعوث	دير باعوث	جوار مدينة خربوت في كوردستان تركيا.	

(١) مدينة الناصرة احدى المدن الفلسطينية التي تقع في منطقة الجليل شمال فلسطين المحلية، وفيها كنيسة مقدسة لدى المسيحيين تدعى بـ كنيسة البشارة تعد مع مثيلاتها كنيسة المهد في بيت لحم وكنيسة القيامة في القدس احدى اقدس الاماكن لدى مسيحيي العالم قاطبةً.

(٢) سلوى بالحاج صالح- العايب: المسيحية العربية وتطوراتها من نشأتها الى القرن الرابع الهجري، بيروت دار الطليعة الطبعة الاولى ١٩٩٧، ص٢٧.

(٣) أدي شير: احد اعلام الكنيسة والادب السريانيين، ولد في شقلاوة عام ١٨٦٧م، تخرج من المعهد الكهنوتي في الموصل عام ١٨٨٩، انتخب مطراناً لأبرشية سعرد في كوردستان تركيا، قتل بيد الجيش العثماني في ١٧ حزيران ١٩١٥ اثناء حوادث الحرب العالمية الاولى. ينظر (مجلة الفكر المسيحي، الموصل، العدد ٢٦٧-٢٦٨، -تشرين الاول) ١٩٩١.

(٤) تاريخ كلدو واثور، بيروت ١٩١٣، ج٢ ص١-١٤.

(٥) مراد كامل: تاريخ الادب السرياني من نشأته حتى العهد الحاضر، القاهرة، ٦٣

(٦) الفونس منكنا: ولد منكنا في ١٨٧٨ في قرية شرانش العليا(شمال مدينة زاخو)، دخل عام١٨٩١ معهد الاباء الدومنيكان في الموصل، وتعلم عدة لغات فيها، عين مديراً لدائرة اللغات الشرقية في مكتبة رايلاندز في مانشستر، وقصد الشرق ١٩٢٤-١٩٢٩ الاقتناء المخططات لها وقد عد بين كبار جامعي المخطوطات العربية السريانية، اثار جدلاً ولغطاً واسماً في نشره بعض المخطوطات او انتحاله لها مثل مواعظ (مايمر) فرساني وتحديداً نص برحد بشايا، أو تاريخ اربيل ضمن سلسلة مصادر سريانية عام ١٩٠٧ نقلاً عن مجموعة منكنا التي نشر منها عام ١٩٢٥ الوثيقة المنسوبة الى فيليكسينوس من (منسبج)، حيث شكك الباحث بول بيترز بالوثيقة في مقالة قصيرة نافياً صحتها، لكنه على اية حال كان له شأن كبير في المحافل العلمية الاوربية وكان يرد على المستشرقين بكل قوة، توفي عام ١٩٣٧. انظر (الاب الفونس منكنا، فاتحة انتشار المسيحية في اواسط اسيا والشرق الاقصى، ترجمة جرجيس فتح الله، السويد).

(٧) يوسف حبــي: التواريخ السريانية، مجلة المجمع العلمي العراقي، هيئة اللغة السريانية، بغداد ١٩٨١-١٩٨٢، المجلد السادس، ص٤٢-٤٣؛ الفونس منكنا: المرجع السابق، ص١٢-١١

(٨) ارثر كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة مطبعة لجنة التأليف، ١٩٥٧، ص٦٨؛ يوسف حبــي: التواريخ السريانية، ص٤٢

(٩) يوسف حبــي: كنيسة المشرق، بغداد ١٩٨٩، ص١٠٣-١٠٤

(١٠) ومما يجدر ذكره ان البطريرك الكلداني مار عمانوئيل الثاني، طلب من الاباء الدومنيكان ايقاف طبع الكتاب، وبعدها اتفق مع منكنا على ان ينشر الكتاب في اوربا شريطة ان تحذف من طبعته في الشرق جملة ازعجت البطريرك، تمس مار ماري. (انظر: الفونس منكنا، المرجع السابق، ص١٣، في الوقت نفسه اشاد (القس البطريرك فيما بعد) بولص شيخو بالكتاب في مقالة في مجلة النجم الموصلية عدد ٨-٩ لسنة ١٩٣٦. انظر (سامي بن خماس الصقار: امارة اربل في العصر العباسي ومؤرخها ابن المستوفي، الرياض، دار الشواف ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م)، ص١٧٦).

(١١) الاب الفونس منكنا: فاتحة انتشار المسيحية

في اواسط آسيا، ص١٢.

(١٢) حنافيي: مصادر كنيسة المشرق قبل الاسلام، مجلة بين النهرين، الموصل السنة الاولى العدد الثاني، نيسان ١٩٧٣، ص١٥٥؛ يوسف حبـي: كنيسة المشرق، ص١٠٤-١٠٥.

(١٣) يقصد بهم العلماء الناقدين الذين شككوا في بدايات انتشار المسيحية في القرن الاول وهم كل من دوفال، لابورت، فيليبس، لتنسيوس، تيكسرون... انظر (يوسف حبـي: كنيسة المشرق، ص٨٩).

(١٤) الرها: احدى مدن الجزيرة الفراتية الواقعة في شمال (بلاد مابين النهرين)، تقع على بعد ٤٠ كم الى الشمال الغربي من مدينة حران، اسمها باليونانية اديسا Edesa وبالسريانية اورهي Urhoi ويسميها المسيحيون في المؤلفات السريانية (المدينة المباركة او المؤمنة)، وتعتبر عند المسيحية من المدن المقدسة، وقد حرف اسمها في القرن الخامس عشر الى اورفة ولازال: ينظر بهذا الصدد: (أ.ولفنسون: تاريخ اللغات السامية، بيروت، ص١٤٥-١٤٦؛ محمد عطية الابراشي: الاداب السامية، ص٥٧ هامش(١).

(١٥) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٥٤.

(١٦) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤.

(١٧) أدي شير، ج٢ ص٢، وقد تعرض أدي شير الى نقد من قبل يوسف حبـي، حيث اتهمه بالاعتماد على كتاب مزيف وهو تاريخ اربيل، فضلاً عن تحيزه للنساطرة الكلدان ضد اليعاقبة السريان، انظر (يوسف حبـي: التواريخ السريانية، ص٦٢)

(١٨) سعيد عبد الفتاح عاشور: اوروبا العصور الوسطى، مكتبة الانجلو الحصرية، الطبقة السادسة، ١٩٧٥، ص٣٩.

(١٩) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٥٤؛ طه باقر: تاريخ ايران القديم، جامعة بغداد، ١٩٨٠، ص١٣٢

(٢٠) مروان المدور: الارمن عبر التاريخ، ص٢٧٧؛ محمد امين زكي: خلاصة تاريخية لتاريخ الكورد وكوردستان منذ اقدم العصور، بغداد، ص١٢١

(٢١) كريستنسن: المرجع السابق، ص٥٤

(٢٢) البيرا ابونا: شهداء المشرق، بغداد ١٩٨٥، ج١ ص٨٥

(٢٣) البيرا ابونا: المرجع نفسه، ج١ ص٨٥، الشابشتي: الديارات، تحقيق كوركيس عواد، بيروت ١٩٨٦ ص٢٨ الهامش.

(٢٤) قلعة فنك: مدينة كوردية تقع على بعد (٢٠ كم) شمال جزيرة ابن عمر الواقعة في كوردستان تركيا.

(٢٥) خوارزم: منطقة تقع شمال شرق ايران على الساحل الشرقي لبحر قزوين يطلق عليها الاوربيون اسم اقليم باكتريا، تقع حالياً ضمن اراضي جمهورية تركمنستان.

(٢٦) كريستنسن: المرجع السابق، ص ٢٥٤-٢٥٥.

(٢٧) الجاثليق: لفظ يوناني معناه العمومي، والمراد به الرئيس الاعلى للنصارى في ايام الملوك الساسانيين. ينظر (ابو الفرج الاصفهاني: الديارات، تحقيق جليل العطية لندن دار رياض الريس، ص٢٦٢؛ يقابله في وقتنا البطريرك.

(٢٨) يحتمل ان يكون شاهدوست فارسياً لأن المعنى في اللغتين الكوردية والفارسية متشابهان للقرابة اللغوية بين اللغتين.

(٢٩) مراد كامل: تاريخ الادب السرياني، ص٦٤.

(٣٠) مراد كامل: المرجع نفسه، ص١١٧.

(٣١) مراد كامل: المرجع نفسه، ص٢١١.

(٣٢) البير ابونا: شهداء المشرق، ج١ ص٢٤٣-٢٥٣؛ ولايزال هذا الدير ماثلاً للعيان في مدخل مدينة دهوك في الوقت الحاضر يقع على تل على الجهة اليسرى من القادم الى دهوك مقابل بناية رئاسة جامعة دهوك، وله عيد سنوي يقصده مسيحيو دهوك والمناطق المجاورة تحت اسم عيد (شير)؛ ولمزيد من المعلومات ينظر: افرام فضيل البهرو: مار ايثالاها النوهدري، دهوك مطبعة خبات،٢٠٠٠م.

(٣٣) بشير توما: مدرسة الرها – مجلة المجمع العلمي العراقي، الهيئة السريانية، ج٦، ص٢٨٢.

(٣٤) نرساي الملفان: ولد نرساي عام ٣٩٩م في قرية عين دولبي (دلب الحالية) القريبة من قرية مالطا (معلثايا في المصارد المسيحية والاسلامية) الواقعة على بعد عدة كيلومترات من مركز محافظة دهوك، وبعد ان تلقى العلوم في مدرسة قريبة من قريته ارسله عمه الراهب عما نوئيل الى الرها ليدرس في مدارسها الشهيرة حيث انتخب فيما بعد مديراً لها خلفاً لقيورا الذي توفي، وقد مات نرساي عن عمر يناهز ١٠٤ سنوات سنة ٥٠٣م ينظر (مراد كامل: تاريخ الادب السرياني، ص١٥٨؛ بشير متي توما: مدرسة الرها، مجلة المجمع العلمي العراقي الهيئة السريانية، المجلد السادس ص٢٨٠؛ ومن الجدير ذكره ان اسم نرساي يشابه اسم الملك الفارسي نرسي (٢٩٣-٣٠٢م) ويقصد به الكلب الذكر كعلامة على الوفاء والقوة (الباحث).

(٣٥) ايران في العهد الساساني، ص١٢٩.

(٣٦) حسن بيرنيا: تاريخ ايران القديم، ترجمة محمد نور الدين عبد المنعم والسباعي محمد السباعي، الفجالة الطبعة الثانية ١٤١٣ه- ١٩٩٢م ص٣١١؛ كريستنسن: المرجع السابق، ص١٣٠.

(٣٧) طه باقر: تاريخ ايران القديم، ص١٠٥.

(٣٨) كريستنسن: المرجع السابق، ص ١٣٠.

(٣٩) حسن بيرنيا: المرجع السابق، ص ٣٢٢-٣٢٣.

(٤٠) المرجع نفسه، ص٣٢٣.

(٤١) ايران في العهد الساسانين، ص٢٥٨.

(٤٢) يقول الشاعر الايراني الفردوسي بهذا الخصوص شعراً على لسان اردشير لولده شابور:

الدين والدولـــة فيـما ارى
كخيمة قائمـة بالعمـاد
لا الدين دون الحكم يبقى ولا
حكم بلا دين يسود البلاد

(٤٣) طه باقر: تاريخ ايران القديم، ص١٨٣.

(٤٤) المصدر نفسه، ص١٨٤.

(٤٥) طه باقر: المرجع السابق، ص١٨٤.

(٤٦) رشيد ياسمي: ايران درزمان ساسانيان (بالفارسية)، ص٤٦٦.

(٤٧) ا.ج.اربري: تراث فارس، ترجمة محمد كفافي وزملاؤه، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٩، ص٥٠٠.

(٤٨) رشيد ياسمي: ايران درزمان ساسانيان، ص٢٩٠

(٤٩) في الجبال المحيطة بمدينة دهوك من جهتها الشمالية والجنوبية هناك عدة كهوف كبيرة وواسعة يعتقد الباحث بانها كانت سابقاً للنار الزرادشتية او لعبادة آلهة ميثرا مثل كهف جوارستين (الاعمدة الربعة) الذي يقع في سفح كلي دهوك جنوب شرق سد دهوك، يلاحظ بوضوح وجود دكة في الوسط كانت محل النار المقدسة، وان الكهف مغطى بطريقة لا مجال

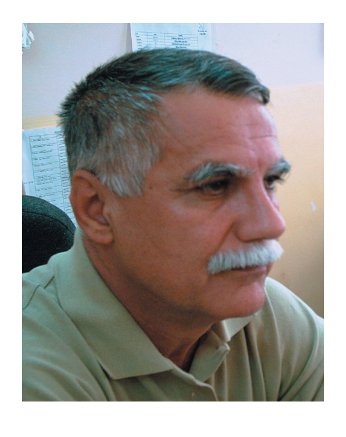
لدخول ضوء الشمس اليه، وهذا من الاركان المهمة في الزرادشتية بخصوص النار المقدسة على اساس عدم الاتصال ما بين النار المقداسة وضوء الشمس، والامر كذلك للكهوف الواقعة على سفوح جبل زاوة جنوب دهوك، والامر لاوال على دراسة وتدقيق.

(٥٠) هناك الكثير من المصادر المسيحية اشارت الى وجود اديرة وكنائس في المنطقة الكوردية. ينظر: مجهول: التاريخ الصغير، ترجمة جاك اسحاق، ص٥٥ وما بعدها؛ ايليا برشينايا: تاريخ برشينايا، ترجمة يوسف حبـي، ص١٠٣؛ توما المرجي: كتاب الرؤوساء، ترجمة البير ابونا، ص٢٢؛ ادي شير: تاريخ كلدو واثور، ج١ ص٤؛ افرام برصوم: الؤلؤ المنثور في الاداب والعلوم السريانية، ص٥١٤-٥١٧؛ اما بخصوص المصادر الاسلامية فلا ريب بأتي في مقدمتها: ابو الحسن علي بن محمد الشابشتي: الديارات، بغداد مكتب المثنى ١٩٦٦م/١٣٨٦ه، ص١٩٠ وما بعدها ترجمة كوركيس عواد بذيله الديارات لبرصوم؛ ابو الفرج الاصفهاني: الديارات، لندن دار رياض الريس للنشر، ص٦٢، تحقيق جليل العطية؛ ياقوت الحموي: معجم البلدان، بيروت دار صادر، ٢٩٠ ص٤٩٦-٥٤٣، مادة الدير.

(٥١) كريستنسن: ايران في عهد الساسانيين، ص٢٥٨-٢٥٩، ٢٨١.

كانت الدولة الفارسية الساسانية تساند الطائفة النسطورية وتوفر لها الحماية باعتبارها معارضة سياسية تشغلها في مصلحتها عند حدوث اي خلاف او مشاكل حدودية بينها وبين الدولة البيزنطية، وكانت تعتبر النسطورية المذهب الرئيسي لمسيحيي الدولة الفارسية، الا ان جاء المنوفستيون (اصحاب مذهب الطبيعة الواحدة) ونافسوا النساطرة في مناطق نفوذهم في الدولة الفارسية بدعم من محظية الملك الفارسي خسرو (كسرى الثاني أبرويز) الملكة شيرين التي كانت مسيحية على المذهب اليعقوبي.



التقابلات في الادب المقارن

أ. د. ظاهر لطيف كريم
د. نيان نوشيروان فؤاد
قسم اللغة العربية/ كلية اللغات/ جامعة السليمانية

عرف العسكري في الصناعتين المقابلة بانها «ايراد الكلام ثـم مقابلته بمثله في المعنى على جهة الموافقة المخالفة»(١).

ثم بين هذه المفردة اكثر بقوله «قد اجمع الناس على ان المقابلة في الكلام هي الجمع بين الشـيء وضده في جـزء من اجزاء الرسـالة او الخطبـة او بيت من بيوت القصيـدة مثل الجمع بين السـواد او البياض والليل والنهار والحر والبرد»(٢).

اما ابن رشيق فقد عرفها في العمدة بانها «مواجهة اللفظ بما يسـتحقه في الحكم والمقابلة بين التقسـيم والطبـاق بما يوافقه وفي المخالف بما يخالفه واكثر ما تجيء المقابلة في الاضداد»(٣).

بينما ابن الاثير في المثل السـائر قسـم المقابلة الى ثلاثة انواع:

١-مقابلة شيء بضده كالسواد والبياض

٢-مقابلة الشـيء بشيء اخر ليس بينهما مناسبة بحال من الاحوال

٣-مقابلة الشيء بمثله وهي على ضربين:

أ- التقابل في اللفظ والمعنى

ب- التقابل في المعنى دون اللفظ(٤)

امـا صاحب جواهـر البلاغة فقـد عرفها بقوله «يؤتـي بمعنيـين متوافقـين او معـان متوافقة ثم يؤتـي بما يقابل ذلك على الترتيب»(٥) وجون لاينز في «علم الدلالة» اسـتخدم هذا المصطلح Antonymy بمعنى التخالف او التعاكس، اي ان المقابلة تعني وجود لفظتـين تحمل كل منهما عكـس المعنى الذي تحمله

الاخرى[٦].

ومن نقـاد العــرب المعاصرين الذين اســتخدموا وعرفــوا هــذا المصطلح هــو محمد مفتــاح في كتابه «دينامية النص: تنظير وانجاز».

حيث انه صنف التقابل الى:

-التقابلات التناقضية والتضادية: كالخوف والامن، الحياة والممات

-التقابــلات التكاملية: كالــزوج والزوجة، الطفل والام

-التقابــلات المرتبية: كالجميل والاجمل، الاصغر، المتوسط، الاكبر[٧]

ان الكاتب، هنا، لم يذكر اكثر، بل انه لم يطيل في حديثه ومدى تطبيقه على النصوص الادبية ولاسيما النصــوص القصصية التي هي موضــوع بحث الكاتب نفســه، الا اننا نريد في هذه الدراسة ان نحدد وظيفة كل من هــذه التقابــلات وتطبيقها على الشــعر وفي ضوء الدراسات المقارنة الحديثة لانها تعد من الادوات الشعرية التي تكشف حدود الشعر والشاعرية[٨]

ومحتويات هذه العملية تشابه :

أ-نظريــة الجرجاني «الفصاحة ليســت في الكلمة ولكنها في النظم»[٩]

ب-باطــن الدلالــة في مقابل ظاهرهــا: حيث ان الظاهر هو المعنى اما ما يتلو ذلك فهو معنى المعنى .

ج-النص الذي يولد النص .

د-الناسخ والمنسوخ[١١]

فضــلا عن ذلك، في حالة وجــواد او حضور اكثر مــن دائرة في اطار النص الواحد، لابد من تقابل هذه الدوائر، ســواء اكانت المقابلة(ضديــة او ترتيبية او تكاملية) . ومــن اجل تطبيق هذا المبدأ حددنا ثلاث قصائد من الشعر الانكليزي، الكردي، العربي.

القصيــدة الاولى بعنــوان: Loves philosophy[٢] لـــ Shelley

-القصيدة الثانية بعنوان: ئافرةت و جوانى «المرأة والجمال» لـ طؤران[١٣]

-القصيدة الثالثة بعنوان: من اغاني الربيع لـ بدر شاكر السياب[١٤]

قبل ان نلج في تطبيق هذه القصائد الثلاثة، علينا ان نضع معيارا لكل واحــد من هذه التقابلات والذي يبين القيمة الوظيفية والجمالية في النصوص:

التقابل المرتبي (المرتبية)

نقصــد بهــذا التقابــل اقامة علاقــات ترتيبية، تسلســلية متبادلة بين المادة الشــعرية وبنائها وبين القضايا العامة للمعنى، يتعلق الاول بالظروف الخاصة لدخول الشــعرية الى فضاء اوســع واجمل وهي النص الخــاص وبحثه الداخلــي عن الدلاليــة التي بفضلها يتوصل الشــاعر الى ابراز الوظائف النفســية للمعاني في مختلف المســتويات الدلاليــة والتاثرية والانفعالية والتخاطبية.

مــن هنا ان الفاعلية في النــص الثاني لن تنفصل عــن المقايس الجمالية في النــص الاول وعندما تتغير وظيفــة القصيدة بفعل نقلــة متحركة جديدة فهذا لا يعنــي ســقوط العنصر الجمالــي في الدائرة الاولى. اذ ان الوظيفــة الثانية لاتنجــح دون مراعاتها للنص الاول لان «البنية الجمالية تقوم على علاقات التوافق والتبايد»[١٥].

ان قصائــد البحــث الثلاث تتكون مــن دائرتين: الطبيعة والمرأة وهي تجربــة فنية تخضع في نظامها

للتعبير عن ثنائيات الطبيعة والمرأة وتؤكد على تذوق جمالي خاضع لمظاهر الهندســة الشعرية التي تهدف الى تحريــر الوعي نحو المفاهيم الانســانية الشــاملة، لانه مهما تعــددت الدوائر والتي هي خاصية كل من شيلي وطؤران والســياب، يبقى الهدف واحدا عندهم الا وهــو البحث عن الافاق الانســانية. من هنا تبين، انهم لم ينقلــوا الطبيعة كما هو متدوال عند معظم شعراء عصرهم او قبلهم، وانما كانوا يهتمون بالمناظر ويخلدونهــا في ذاكرتهم ثــم في اوقات معينة يطلقون العنان لخيالهم كي يســاعد على كتابه قصيدة بوضع كل شــيء في محلــه بعد المــرور بحالة مــن العواطف والانفعال والتأثير فتحول المشــهد ليس مشهدا منقولا عــن الطبيعة فحســب وانما تحويــر الطبيعة بخيال وابــداع. لان هناك من يرى بــان بين الطبيعة والمرأة فضــاءات زمنية بعيــدة[١٦]، الا ان شــعراؤنا شــيلي، طؤران، الســياب- اســتطاعوا ان يقطعــوا بالطبيعة مســافات ليقربوها الى المــرأة وان يجعل من الطبيعة ادوات تعبيريــة لاتختلــف عن ادوات شــكل المرأة، بل اكثــر من هدف فان دائرة الطبيعــة هي مفتاح الذي ينطلق منه شــعراؤنا نحــو العالم، ذلك ان الاشــكال الانسانية والاحاســيس التي تحيط بها تأخذ عندهم تفسيرا خاصا نابعا من وعيهم. لذا علينا ان نؤكد بان الموضوعات التي شغلت شــعراءنا في اعمالهم الشعرية كانــت ذات ارتباط عميق بالطبيعة والمرأة فالاولى هي المؤثر الاول في التحرك نحو الابداع وهي النبع الانساني الذي يشــكل فيه الانســانية العنصر الاساس فالابداع عندهم لايتم فقط بالحس المباشــر ورســم المرأة بل لابد لهم مــن امتزاج الطبيعة بالمــرأة. نرى بوضوح ان شــيلي وطؤران والســياب يبدأون بوصف الطبيعة ويحركونها في فضاءات مختلفة دون تركيز على فضاء معين، مع ذلك فان جميع هذه الفضاءات تشكل لوحة رومانسية تتعانق بعضها ببعض، يقول شيلي:

The fountains mingle with the river
And the rivers with the ocean
The winds of Heanven mix for ever
With a sweet emotion

See the mountains kiss high Heaven
And the waves clasps one another

And the sunlight clasps the earth
And the moon beams kiss the sea

يقول گۆران:

به ئاسمانەوە ئەستێرەم دیوە
بە باخچەی بەهار گوڵم چنیوە
شەونمی درەخت لە رووم پژاوە
لە زەردەچ زۆر کەل سەرنجم داوە
پەلکەزێرینەی پاش بارانی زۆر
چەماوەتەوە بەرامبەر بە خۆر
....
خورەی قەڵبەزی کەف زیوینی چەم
لە هەزار چەشنە پرشنگی ناو تەم[١٨]

يقول السياب:

حلم بافاق السرور
رسمته اجنحة الطيور
وبشائر فوق الربى
بين الخمائل، في الصدور
ونسائم رقصت على

زهر الجنائن والغدير
وفراشة قد روحت
عن زهرة الحقل النضير
تعلو وتهبط في الرياض
كانه نغم الحبور
الفجر يبني في الندى
وكنا جميلا في الزهور

وهذا هو مبدأ مهم للبحث عن المبدأ الثاني –المرأة- اذ بدون مبدأ الطبيعة لايستطيع الشاعر ان يصل الى الحقيقة الجمالية للمرأة بدليل قولهم

What are all these kissings worth
If thon kiss not me [19]

ئەمانە هەموو جوانن، شیرینن
ڕۆشن کەرەوەی شەفامی ژینن[20]
بەڵام تەبیعەت هەرگیزاو هەرگیز
بێ ڕووناکییە بێ بزەی ئازیز[21]
فلنبن من قبلاتنا
للحب عشا في الثغور

مــن هنــا، ان الطبيعة، التي تكشــف بشــفافتيها وحيوتها واســتمراريتها جمال المــرأة التي تقع خلف جماليات الطبيعة، بمثابة مرتبة للوصول الى حقيقة الحياة بما فيها المرأة وهي مرتبية القصيدة كما تتضح في هذه المعادلة:

المرتبيــة = اوصــاف الدائــرة الاولى (الطبيعــة، الجميل) ٢ = اوصاف الدائرة الثانية (المرأة، الاجمل) = مرتبية القصيدة.

عدد اوصاف الطبيعة في قصيدة شيلي هو ثمانية (٨) ٢ = ٦٤ (المرأة = مرتبية القصيدة) .

عدد اوصاف الطبيعة في قصيدة طؤران هو عشرة (١٠) ٢ = ١٠٠ (المرأة = مرتبية القصيدة) .

عدد اوصاف الطبيعة في قصيدة الســياب هو ستة (٦) ٢ = ٣٦ (المرأة = مرتبية القصيدة).

التقابل الضدي

يقــول دي سوســير انــه (لاتوجد في اللغة ســوى الفروق)[22] ومفهوم الفرق هنا، كما بينه جون كوهن «يتضمن مفهوم النقيض»(٢٣) الا اننا بهذا التقابل هو تمرد الدائرة الثانية علــى الدائرة الاولى وذلك بفعل قوة الدائــرة الثانية وقيمتها الضروريــة اذ ان المرأة بالنســبة لهم شــيء جميل: لون، رشاقة، حب، انوثة، براءة، فضيلة، تعويض عن القيمة الاجتماعية الغائبة، الامومة، الحنين، وانها مصدر ومكوناتها تغني الشعراء المبدعين لأكتشــاف خفاياها والشاعر الذي يهمل هذا المصدر لن يتعرف على اساس معين لتجربته الشعرية الخلاقة. فالتمرد هنا بالاســاس هو تمرد الشاعر ضد الطبيعة من اجل المرأة وراح يوســع مخيلته ويغنيها بصــور المــرأة، اي ان الشــعراء امثال شــيلي، طؤران والســياب، استفادوا من رســومات و اوصاف الطبيعة كوســيلة تعبيرية لكنهم لم يجعلوا من تلك الوســائل قضية اساســية لان هذه الوسيلة وان كانت جزءا من اســاس بئتهم الا انها قادرة على ان تمنحهم وســيلة اخــرى لاعطاء النتائج الخلاقــة. فتمرد هؤلاء ليس فقط التمرد على الطبيعة بل ضد الاساليب والانماط السائدة من اجل البحث عن البديل الذي يمنح المخيلة مجالا اعتمدها الشــعر الســائد. والهــدف من هذا هو الاشارة الى ان كل دائرة بنفسها تكون شكلا واحدا من المعرفة، وهي في الواقع مغامرة هؤلاء الشــعراء لاعطاء نتائج واقع اخــر واعمق وهو المــرأة. فالمرأة عندهم

هي تعبيرية وليســت انطباعية، تعبيرية لانها تكشف عــن حالة داخليــة خاصة بمجمــل انطباعاتهم عن الموضــوع، وهذا مايفصح عــن تعاطفهم مع نظامهم الفكــري في فهم حالتهم العاطفية مع المرأة وكشــفهم عن وثائق خاصة بقدســية المــرأة وروحها فضلا عن الهدف الاساســي بخلق رؤية جماليــة وابداعية. لهذا يظهــر بوضوح الانعــكاس الاجتماعــي في قصائدهم وانهــم في هذا المجال بطرق خفيــة، قد اعطوا ذاتهم حرية سمحت لهم بالتعبير عن ذلك الموضوع.

ومن خلال هذا الاســلوب المعــبر، نلاحظ بحثهم المستمر عن فردوسهم المفقود -المرأة- وان فكرة قلقهم ليســت قصيرة في هــذا المجال، بل بلــدات منذ ريعان شــبابهم الى وفاتهــم وان هذا القلــق، عندهم، يعني معرفة دلالاتهم الانســانية والفنية وتكشف، في الوقت نفسه، عن وثيقة لروح الانسان وواقع المرحلة.

لنرى اين حصل هذا التمرد:

ففي قصيدة «Loves philosophy" يقول شيلي:

What are all thess kissings worth

If thun kiss not me

و في قصيــدة ئافرەت و جوانــي «المرأة والجمال» يقول گۆران:

بەڵام تەبیعەت هەرگیزاو هەرگیز

بێ رووناکییە بێ بزەی ئازیز

اكثر من ذلك، ان تمرد طؤران يبدو واضحا عندما يقارن جمال المرأة بجمال الطبيعة ويقول:

کام ئەستێرەی گەش، کام گوڵی کێوی

ئاڵە وەك کوڵمی، گۆی مەمکی! لێوی

کام ڕەشی ئەگا بە ڕەشی چاوی

برژانگی، برۆی، ئەگریجەی خاوی

کام بەرزی جوانە وەك بەرزی باڵای

کام تیشك ئەگاتە تیشکی نێو نیگای[٢٤]

ففي قصيدة «من اغاني الربيع» يقول السياب:

فلنبن من قبلاتنا

للحب عشا في الثغور

ان نظام الضدية ناتج من نظام المرتبية، وكما رأينا من خلال المعادلة المرتبيــة بان عداد اوصاف الدائرة الثانية (المرأة) اكثر بصورة مضاعفة عن عدد اوصاف الدائــرة الاولى (الطبيعة)، وان عــدد اوصاف الدائرة الاولى اقل من عــدد اوصاف الدائــرة الثانية بصورة مضاعفة، وهذا الامر يؤدي الى وجود صفتان ضديتان بصورة داخلية، اي بــين الاكثر والاقل. وبمعنى أدق، فان الاســاس هو (س) = مواصفات الطبيعة و (س) ٢ = مواصفات المرأة التي تشــكل تمــردا على (س) من ناحيــة الكيف والكم لان تغيير الكــم يؤدي الى تغيير الكيف.

التقابل التكاملي

نقصد بالتكاملية اقامة علاقات عضوية، تاثرية، جماليــة، بصورة واعية او غير واعية، بين الدائرتين مــن اجــل توســيع المنظــورات والحضور المشــترك والوصول الى صياغة فكرية عما يمكن ان يشكل بنية مجموع النص. اذ ان هناك صلة تاريخية، اســطورية، ميتافيزيقية وفلسفية بين الطبيعة والمرأة، وكلتاهما تتضمــن جماليــات ومظاهر من نوع مشــترك، مثلا ان الطبيعــة تهتم بجمالها من خــلال اوصافها المعبرة بخيالات متحركة مليئة بالانفعالات والهندسة البنائية والمرأة تتميز بالحركة الشخصية القوية المؤثرية ذاتيا ونفسيا وفكريا واجتماعيا. لهذا ان هناك التحاق كبيرا

بين جسم الطبيعة والمرأة. فالمظهر العام -في مثل هذه القصائد- يمثل وحدة لا انفصال بين كلياتها واجزائها، وطالما ان الطبيعة منذ اقدم العصور مصدر وحي للشعراء (٢٥) وانهم عالجوها باساليب متنوعة تبعا لفلسفتهم وعقيدتهم، فانها ليست في الجسم الخارجي وحده، وانما هي اصلا في تفاعل الشعراء واحاسيسهم مع موضوعات اخرى كالمرأة مثلا. وتفاعل الشعراء امثال شيلي، طؤران والسياب مع الطبيعة والمرأة، بطريقة شعورية او لاشعورية، يبقي في نفسيتهم اثارا مختفية تكون لها قيمتها -ايجابية او سلبية- وتختلط بدوافعهم المشابهة وحاجاتهم المشتركة. لهذا انه ليس من السهل التميز بين الطبيعة والمرأة والادعاء بان احد التعبيرين افضل من الاخر وذلك لان هناك عوامل كثيرة تؤثر في هذا التفصيل وربما تكون بعضها سايكولوجية والاخرى سوسيولوجية وفكرية.. من هنا، علينا ان نقول، بان الطبيعة في نظر شعرائنا -شيلي، طؤران، السياب- لم تكن مجرد اجسام تصور وانما عناصر بنوا بها فكرتهم وعبروا بها عن انفعالهم وهي مساحات متراكمة تدرك فيها صورة للمرأة لان الطبيعة لها قدرة على ادارك مستوى معين من النظام واذا استخدم الشاعر عدسته الشعرية ادرك تفاصيل اكثر في تعبير غير مظهري. فشعراؤنا لم ينظروا الى الطبيعة نظرة ثابتة فهم يتفاعلون باحساسيهم ومشاعرهم معها ويأخذون ويعطونها بقدر حاجاتهم اليها وحسب نوع هذه الحاجة. والمرأة، ف يجانب اخر، تتفاقل مع الطبيعة تتحرك حوافزها جميعا ومن بينها قوتها، شحصيتها، كيانها، عظمتها، وجمالها وهذا التفاعل هوالذي مانسيمه تكاملا وان الوجود الحقيقي في القصائد المذكورة سابقا هو في عملية التفاعل والتكامل التي تشكل دائرتين متعادلتين تمام التعادل ذات اوصاف واشكاليات تعبيرية فكرية. ينشأ التكامل في قصائد شعراءنا باضافة المساحة الاولى (الطبيعة) الى المساحة الثانية (المرأة) ونفرض، حسب الهندسة التجريدية، ان المساحة الاولى بشكل مربع والمساحة الثانية ايضا بشكل مربع وان طول ضلع المربع ن = س مساحة المربع = (طول الضلع)^{٢}

مساحة المربع الاول = س × س = س^{٢}

المساحة المربع الثاني = س × س = س^{٢}

المساحة الكلية التكاملية = س^{٢} + س^{٢} = ٢س^{٢}

واكثر من هذا، ان نظام التكاملية ايضا ناتج من نظام الضدية، اذ ان النص الادبي، بصورة عامة، لايكتمل الا بالصراع او الاضداد بين الشخصيات والصور والمواقف.. على سبيل المثال، ان جمالية المرأة لاتتضح الا بفعل وفضل جمالية الطبيعة رغم ان هناك صراع بين الاثنين، وهكذا الحال بالنسبة الى جميع الثنائيات الضدية كالخير والشر، الليل والنهار...

استنتاجات

في السطور الانفة من دراستنا توصلنا الى نتائج نذكرها بأختصار:

١- هناك تقارب شعري فكري، ثقافي انساني بين الاداب المختلفة بصورة عامة والاداب الثلاثة: الانكليزي، الكردي، والعربي بصورة خاصة بغض النظر عن عملية التأثير والتأثير واختلاف البيئة والثقافة والبعد المكاني والزماني.

٢- قدرة لشعراء شيلي، طؤران والسياب على توظيف دائرتين في داخل نص واحد وتقابلها بشكل ترتيبي او ضدي او تكاملي.

٣- وضعنا تعريفا مع معادلة لكل واحد من التقابلات الثلاثة: المرتبية، الضدية، التكاملية وحاولنا تطبيق هذه التقابلات في ان واحد عن ثلاثة نصوص شعرية مختلفة من الادب الانكليزي، الكردي والعربي.

الهوامش:

١-العسكري: ٣٢٨
٢-المصدر نفسه: ٢٩٧
٣-ابن رشيق: العمدة ١٤/٢
٤-ابن الاثير: المثل السائر ٢٨٠/٢ ومابعدها
٥-احمد الهاشمي: ٣٢٤
٦-جون لاينز: ١١١ وانظر ايضا احمد الجنابي: ١٣
٧-محمد مفتاح: ١٦٣
٨-رومان ياكبسون: ١٠
٩-الجرجاني: دلائل الاعجاز: ٤٠٣
١٠-عبدالله الغدامي: ٤٠
١١-المصدر نفسه: ١٦٣
١٢-C.F. Smith: ٢٨٤
١٣-ديوان طؤران: ٩-١٠
١٤-ديوان السياب: المجلد الثاني: ١٩٧-١٩٨
١٥-وائل بركات: ١٤
١٦-Fredriek Garber: ١٩٣-٢١١
١٧-ترجمة الابيات: (منقولة من: الرومانتيكية في الادب الانجليزي: ترجمة عبدالوهاب محمد ومحمد علي زيد)

الينابيع تختلط بالنهر
والانهار بالمحيط
ورياح السماء تمتزج ابدا
في محبة عذبة
....
انظري الجبال تلثم السماء العالية
والامواج تتعانق
ونور الشمس يحتضن الارض
واشعة القمر تقبل البحر

١٨- ترجمة الابيات: منقولة من: عبدالله طؤران- الاثار الشعرية ترجمة وتقديم: (الدكتور عزالدين مصطفى رسول)

شاهدت الانجم في كبد السماء
وجنيت الورد من جنان الربيع
واخضل وجهي باندا الشجر
وتأملت شعاع الاصيل
بارقا في الذرى الشامخات

كم شهدت قوس قزح، ينحني امام الشمس البازغة بعد انهمار المطر..

يتابع خرير الشلال الفضي المزبد، المتدفق في الوديان وخيوط ملونة، هي الوف تلمع في ثنايا الضباب

١٩-ترجمة البيت:
ماذا تساوي كل هذه القبلات
اذا لم تقبليني انت؟

٢٠- بامكان القصيدة ان تنتهي عند هذا البيت دون اللجؤ الى الابيات الاخرى التي تخص التفاصيل الدقيقة للمرأة وهذا بخلاف شيلي والسياب، اذ انهما خصصا بيتا واحدا للمرأة في نهاية القصيدة دون التفاصيل، مع هذا، اننا نرى، بان هناك وراء استخدام طؤران لهذا الاسلوب مبررات اهمها:

١-ان طؤران في هذا المضمار: وكبقية الشعراء

الشــرقيين، يميل الى التفاصيــل الدقيقة للوصول الى غايته الاساســية وهذا هو اسلوب الشــرقيين للكتابة كمــا بينه البلاغيون في الاســاليب الادبية والخطابية وموضوع الاطناب.

٢-يبــد، ان گۆران، في هذه القصيدة، بجانب تأثره بالشعر الانكليزي، كان متاثرا بقصائد الشاعر الكردي مولــوي (١٨٠٦-١٨٨٢) وبخاصــة في اوصــاف الطبيعة وتفاصيلها.

٣-ان گــۆران، عندمــا تأثــر بقصيــدة الشــاعر الانكليزي شــيلي بعنوان Loves philosoply لم يقتنــع بالصورة النهائية لهذه القصيــدة، بل اراد ان يفصل ويزيــد في حجم جمالية المــرأة نتيجة تعلقه وحبه الشديد بها ومن ثم اراد ان يجسد المرأة الكردية في مخيلة القصيدة. اما الســياب نتيجة تأثره المباشر بالشــعر الاوروبي بصورة عامة وقصيدة شــيلي هنا بصورة خاصة فنرى انه انهى قصيدته بدون زيادة او نقصان كما في قصيدة شيلي:

٢١-ترجمة الابيات: (منقولة من ترجمة الدكتور عزالدين مصطفى رسول)

حلوة كل هذه الاشياء
وهي تنير طريق الحياة
ولكن الطبيعة تخلو ابدا
من النور، ان غابت عنها بسمة الحبيبة.

٢٢-دي سوسور: ١٣٩

٢٣-جان كوهين: ٤١

٢٤-ترجمة الابيات: (منقولة من ترجمة الدكتور عزالدين مصطفى رسول)

فاي نجوم زاهية واي ازهار برية؟
تضاهي حمرة خديها وحلمتيها وشفتيها؟
واي سواد يضاهي سواد عينها؟
واهدابها وحاجبيها وشعرها المرسل؟
واي علياء ابهى من شموخ قامتها؟
واي شعاع يقارب شعاع الطرف منها؟

٢٥- ١٩٤-١٩٣ Frederick Groberl ورينيــة ويلك ١١٢-١١٥-١٢٣-١٢٤.

المصادر المراجع:

-ابن الاثير، المثل الســائر في ادب الكاتب والشاعر، لابي الفتح ضياء الدين نصرالله بن محمد عبدالكريم المعــروف بأبن الاثير الموصيل. تحقيــق: محمد محي الدين عبدالحميد. شــركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده، ١٩٣٩.

-احمــد الجمابي، ظاهرة التقابــل في علم الدلالة مجلة اداب المستنصرية العدد ١٠/ ١٩٨٤

-احمد الهاشمي، جواهر البلاغة دار الفكر- لبنان، ١٩٩٤

-جــان كوهــين (Jean cohen): اللغــة العليــا النظرية الشعرية المجلس الاعلى للثقافة، ١٩٩٥

-جون لاينز، علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، مطبعة جامعة البصرة ١٩٨٠

-دي سوســور: علم اللغة العام، ترجمة د. يوئيل يوسف عزيز، دار افاق عربية، ١٩٨٥

-ديوان الســياب: المجلد الثاني دار العودة بيروت، ١٩٧٤

-ديــوان گۆران، ســەرجەمی بەرهەمــی گۆران- بەرگی یەکەم کۆکردنــەوەی محەمەدی مەلا کەریم چاپخانە کۆڕی زانیاری عیراق- بەغدا، ١٩٨٠

-ابن رشيق، العمدة في صناعة الشعر ونقده، لابي

علي الحسن بن رشيق القيرواني، التدقيق السيد محمد بدرالدين النعساني الحلبي، الطبعة الاولى مطبعة السعادة مصر، ١٩٠٧

-رينية ويلك، مفاهيم نقدية، ترجمة محمد عصفور، الكويت، ١٩٨٧

-سالم الحمداني، مذاهب الادب الغربي ومظاهرها في الادب العربي الحديث، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة الموصل، ١٩٨٩

-عبدالقاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تصحيح وتعليق: محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت، ١٩٧٨

-عبدالله طؤران، الاثار الشعرية الكاملة ترجمة وتقديم د. عزالدين مصطفى رسول شركة المعرفة للنشر، ١٩٩

-عبدالله محمد الغدامي، المشاكل والاختلاف قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في الشبيه المختلف، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٤

-محمد مفتاح، دينامية النص (تنظير وانجاز)، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، ١٩٩٠

-مصطفى بدوي، الرومانتيكية في الادب الانكليزي، ترجمة عبدالوهاب محمد المسيري ومحمد علي، راجعه مصطفى بدوي ومحمود محمود، مؤسسة سجل العرب، ١٩٦٤

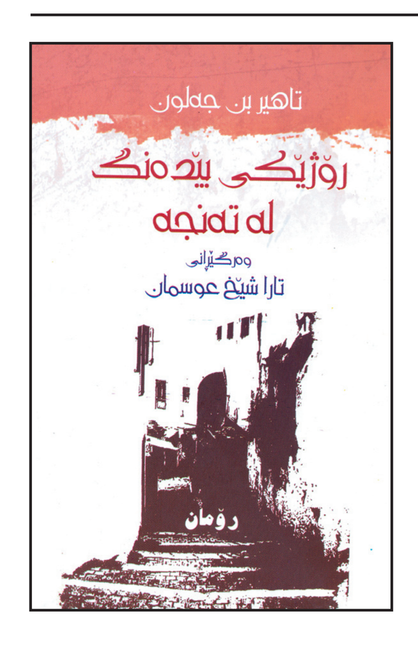
-ابو الهلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر لابي هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، الطبعة (٢)، مطبعة محمج علي صبيح، مصر

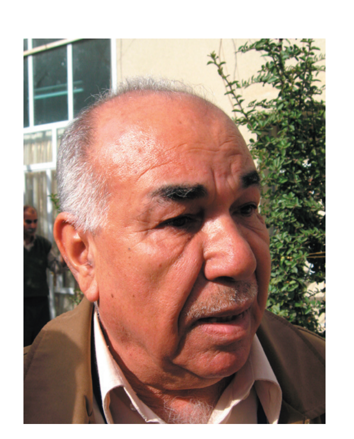
-وائل بركات، مفهومات في بنية النص- مجموعة مقالات مترجمة، دار مهد للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، ١٩٩٦

1-C.F. Smith, The Poets Sphere. A. Wheaton, Great Britain, 1978.

1-Frederick Garber, Irony, Comparative literature, vol- xxlx No. 3 University of oregojn U.S.A, Summer 1977.

يوم صامت في طنجة
رواية: طاهر بن جلون
ترجمة: تارا شيخ عثمان
من مطبوعات صحيفة جاودير - ٢٠٠٨





التكرار والتقاطع السردي
سيامند هادي إنموذجاً

ناجح المعموري

تميزت قصة (رحيل الأم الكبرى في الثلاثاء) بتعدد شخوصها وامتداد تاريخية السرد طويلا، بحيث كان زمنها ممتداً ومتداخلا، واتسعت القصة منفتحة على تنوعات حكائية قريبة جدا ً من المرويات التي هي سرديات ذات تخيلات شعبية موروثة، وصارت إرثا ً ثقافياً حقق نوعاً من التواصل وقبول المجتمعيات بها تداولا ً. وكانت الجدة الرامزة بشكل واضح هي المحور السردي الذي صاغ البنية الفنية للقصة، ولعبت الجدة باعتبارها رمزاً دوراً مركزياً واتسعت دلالتها الأمومية وانفتح تاريخها كثيرا ً وامتد طويلا ً بحيث تحولت الجدة في القصة الى تاريخ عائلي وعاشت وتعرفت على ثلاثة أجيال كانت هي محورهم ومركزهم الأمومي، كما تمكن النص من الإمساك بذاكرة رمزية شفافة دالة على تباين الأزمنة واختلاف وسائط التفكير والتعبير، لكننا وبسهولة نستطيع الإشارة الى أن القصة اهتمت كثيرا ً بالمخزونات الحكائية المتبادلة بين الجدة وحفيدها وبين الحفيد الآخر أيضاً، حيث أضاء السرد رمزية ما يعنيه الماضي ودلالة المحفوظات الخاصة بالجدة وموجوداتها البسيطة، لكنها ـ الجدة ـ كانت أكثر انشغالا ً بها ولا تستطيع الحياة بمعزل عنها وبعيداً عن تصوراتها التي أنتجت تخيلات ذلك الماضي، الذي لا يمكن لنا التعامل معه إلا عبر الجدة بوصفها وسيطا ً لمراحل اجتماعية وثقافية، لكنها ـ المراحل ـ ظلت خارج حاضر الحفيد المنشغل بالآتي وبمستقبل يريده هو ولا تريده الجدة، انشغالات الحفيد بالشباك المطل على زقاق ضيق تنطوي على



تخيلاته لما يريد من الأيام الآتية.

وشكل الشباك لديه بؤرة سردية، يتبدى عبرها ومن خلالها تكون هذا الحفيد الذي لم تحدد القصة عمره وتكوناته الثقافية، لذا كان مهموما ً للغاية بتنظيف الشباك، لأنه النافذة المطلة على الزقاق/ المكان الحاضن لتصوراته هو ومن بعد والده، كذلك وينطوي على دلالة رمزية شفافة تفضي بالتأويل نحو شعرية التعبير لترسم المعنى الإنساني للتطلع والتأمل، وترقب ما يجري وما يحتمل أن يكون. وعلى الرغم من تلك الشعرية الرمزية التي اختصرت المعنى الذي يريده القاص، أطاح بذلك منزلقا ً نحو التقرير (وفي لحظة سماعه النبأ أحس بذلك الضياع ثانيةً، وبعد برهة من تفهم النبأ، تنفس عميقاً وانقطع عن تنظيف الشباك، وفجأة جمع خيوط المستقبل ومع التفاتة سريعة لماض ٍ ذاب في حاضره، ربما لا يفهم ذلك السر، فكلما انقطع تأمله للمستقبل يذكر يوم رحيل جدته).

ويفضي الاهتمام بالشباك نحو كشوف مرتبطة بتكونات الحفيد الثقافية والفكرية المغايرة كليا ً عن محيط الجدة ومساعيها، وكرست القصة بوضوح نوعا ً من الصراع الكامن تحت السطح من خلال نداءات الجدة وإلحاحها بالحفاظ على موروثها الحياتي وممتلكاتها البسيطة المتعامل وإياها، باعتبارها ذاكرة الماضي وعلاقات الجدة والأماكن الكثيرة التي صاغت تلك الذاكرة وحافظت على خزين ساهمت المرويات ببلورة إطاره العام، وتجاهل الحفيد لتوسلاتها المتكررة في الانتباه لأشيائها، كاشف مجال أمومي وجدت فيه كل الامتداد الزمني والتاريخ الاجتماعي لتكونات العائلة، لأن الأشياء مخزوناتها وذاكرتها وهي دالة على التحولات الكثيرة التي عرفتها الجدة ولم يكشف عنها النص وظلت إفضاءات شعرية للقص. وكشفت تفاصيل السرد مجالاً صراعياً سببه التباين الزمني بين الطرفين، حيث كان الحفيد يتعامل مع تاريخ جدته ومحفوظاتها بالكامل باعتبارها زيادات ومهملات لا فائدة فيها ومنها، والتباين واضح بين مجالين اجتماعيين وثقافيين والصراع حتمي بينهما، وكل مجال كاشف عن روح المرحلة تاريخياً، لذا تعمق الاختلاف وتكرس خلاف واضح وعمقا معاً بنية الصراع السردي ـ ولم يكتف الحفيد بذلك بل عبر عن خلافه معها بوضوح تام بسبب انتماءه لمجال آخر كما قلنا (كانت جدته في خلاف مع حفيدها لأنه كان يضيع منها الأشياء المحببة اليها) الإشارة هنا مكتفية، بدلالة تكرس قطعية تبادلية وتضاد تواصلي، كل منهما حاول تجسيد دنيويته من خلال رموز وشفرات زاحمها كثيرا

ً التقرير الذي أخلّ تماما ً بإيقاع التعبيرية الشعرية ويصعد أحياناً التقرير ويتلاشى وسط انفتاح الفضاء الرمزي البسيط، الذي يبدو متكررا ً في السرديات العراقية والعربية.

وعل الرغم من مشاكساته الكثيرة وتحفظها عليه، لم تستطع الحياة إلا بواسطته، أنها ترى فيه امتدادا ً طويلا ً لها، وتريد منه أن يتحول راويا ً لها وعنها، لكنه غير مقتنع بذلك.

وتصطف الدنيوية كما وصفها ادوارد سعيد لتشغل فضاءً في السرد ويتداخل صوت الحفيد الأول/ الأب مع ولده وتمثل هذا الاتساع السردي في تنوعات الاستذكار والاستعادة ومع كل تنوعها وتباينها البسيط لم تغادر وحدة الحكاية وتمركزها الواضح الدال على تاريخانية كاشفة عن توصيفات مجتمعية، هي بعض من نتاج الجماعة التخيلية والتي سعت العائلة/ الجماعة للحفاظ على موروثها المخيالي والذي كانت الجدة مرآة له، موروث متنوع ولكنها- الجماعة/ العائلة - قد أغلقت نافذتها على الماضي بعد وفاة الجدة، وتناست أو هكذا حاولت القصة الإشارة لذلك أحيانا ً (بعد موت الجدة كانت ذكرياتها تلاحقه لحظة بلحظة، كان يتحسر دوما ً، لأنه لم يتمكن من الحفاظ على الممتلكات ولم يعرف كيف وفي طرفة عين، ضاعت كل تلك الممتلكات). ومع كل ذلك لم يحسم السرد ثنائية العلاقة الجدلية بين المجالات الثقافية والاجتماعية، لأن فعاليتها الثقافية - والدنيوية والماضي - باقية وهي مكونة لذاكرة مجتمعية طويلة الأمد. وحاولت القصة على الرغم من حسم الصراع نحو المستقبل الإشارة لبقاء الماضي عبر تخيلات الأب وأوهامه بوجود الجدة في الغرفة، وهو فعلا ً وجود ذاكرتي/ وثقافي وليس حضورا ً فيزيائيا ً (بعد موت جدته لم يكن يتوقع، بأنه كلما دخل ابنه رأى خيال جدته وهي تخرج من الغرفة، وحينما يقف في الغرفة كان يرى أشياء وحاجات جدته مبعثرة كما كانت جدته قبل موتها). وتضمنت القصة لإشارة صريحة لمكونات الماضي وموروثاته المهيمنة) تذهب لزيارة المشايخ والأماكن المقدسة. وكانت ترى بأن في زيارتها لتلك الأماكن خيرا ً كثيرا ً وفي كل مرة، تطلب من حفيدها أن يرافقها لكنه لم يكن يحب ذلك وكان يقول لها ((جدتي إن ذهبت بي للسينما فسآتي معك)).

الحاضر الوسيط بين الماضي البعيد والمستقبل أيضا ً هو بنية التشكل الجديد في الحياة والعلاقات الثقافية، مثلما هو بؤرة دالة على التغيير المؤكد باعتبارها حتمية قادمة، ولكنها ليست سهلة التحقق، وللمقدس هيمنة واضحة في ثقافة الماضي والحاضر، لكن الحفيد بذرة الآتي والمختلف، حتى آنية الحفيد وحاضره ارتبط بوضوح مع حلم التجدد والحداثة المعبر عنها عبر شفرة الميكانو التي اختصرت تماما ً طموحات الكورد الجديدة. وتشف القصة أيضاً عن روح المرحلة أو العصر كما قال هيغل المتمثلة بالصراع الثقافي والاجتماعي والسياسي العنيف بين التقليد والسلفية وبين التجديد والتحديث والانفتاح على العقل وحرية الرأي، والتفكير وعبرت الوظائف الشعرية للسرد عن ذلك، في لحظة تناوب الأب بعد الابن في تنظيف الشباك ويظل الموت شاهدا ً على ثنائية الحياة، لكن المأساة أكثر تبدّيا ً في قصص سيامند هادي واتضح أكثر إقحاما على ضوابط السردية عندما انفتح الراوي أكثر ليضع حدا تراجيدياً لحياة الابن.

(وعندما كان مشغولا ً بتنظيف شباك الغرفة

فجأة دخلت نفس المرأة التي أخبرته بالموت وكانت أمسية ثلاثاء أيضاً. وقطعت خيوط خياله. وبنفس متقطعة أخبرته نبأ موت أبنه).

الثلاثاء يوم الفجائع وحدوثها لا يتم إلا فيه وتحديداً في المساء من ذلك اليوم. ابتدأ الاستهلال في الثلاثاء وهو اليوم الذي ماتت فيه الجدة وأيضاً مات فيه الابن وتحول هذا اليوم الى جزء من ذاكرة فجائعية، ليس في قصة (رحيل الأم الكبيرة في الثلاثاء) فقط وإنما في قصة أخرى هي (الغرفة التي انتحر فيها صديقي).

ماتت الجدة واستمرت ماثلة وموجودة عبر علاماتها الموروثة وثقافاتها وستمارس دوراً معوقاً بواسطة حضور رمزي لها (وأينما يجلس كان ظل جدته يظهر من أمام عينيه. عندما كان يستلقي على ظهره يرى سقف الغرفة يصبح فضاءً للحكايات التي كانت جدته ترويها لأبنه، وحينما يستلقي على جنبه وينظر الى الشباك، تظهر من أمامه كل الأشياء التي كانت جدته تخيف بها ابنه) وتتداخل الرؤى والأوهام وتصورات الحفيد عن جدته وكان يعتقد بأن ما يرى هو حقيقة من حقائق وجود الجدة.

« بعد موت جدته لم يكن يتوقع، بأنه كلما دخل ابنه رأى خيال جدته وهي تخرج من الغرفة، وحينما يقف في الغرفة كان يرى أشياء وحاجات جدته مبعثرة، كما كانت جدته قبل موتها، لمْ يدرك لِمَ كلما تأمل في ابنه يرى صورة جدته في ملامح وجهه».

وتظل الغرفة عنصراً مكانياً في القصة التي انتحر فيها صديق السارد ويبدو لي بأن تكرر الغرفة عنصراً فنياً في قصص: رحيل الأم الكبيرة في الثلاثاء و الغرفة التي انتحر فيها صديقي وأيضاً في قصة عودة رجل من الظلام ولذلك وظيفة فكرية تشف عنها متتاليات السرود الحكائية وتنحصر في الكشف عن تآلف مع المكان الأصغر/ وربما الأضيق، الغرفة مكان بنائي يضيء محدودية حركة الشخوص وانحسارها عن الفضاء الأوسع، مكان صغير وإن لم تحدد تفاصيله السرود، لكنه يستدعي التخيلات وتشكل تصورات وأوهام لا معقولة تصل حداً غرائبياً مثلما في قصة عودة رجل من الظلام. وفيها يكون المكان/ الغرفة هو المظلم لا بمعنى انعدام الضوء وإنما بدلالة التشوش وضبابية الرؤية وتحقق ما يشبه الهلوسات، حيث وقائع السرود اليومية التي تبدو أحياناً مرويات مألوفة ومعتاد عليها، ويكشف الاستهلال انسجاماً في وقائعيات القص لحظة ابتداء فاتحة القصة التي تشير الى رغبة في السفر والتوق للخلاص حتى ولو كان مؤقتاً، وقد كشفت تفاصيل القصة لاحقاً بأن السفر رمزي وداخلي مثل رحلات المتصوفة وعروجهم، كما أنه ـ السفر ـ كان تعبيراً عن تراجيديا الغياب والموت، وهو ـ الموت ـ في هذه القصة أكثر تعبيرية مأساوية، لأنه كان بقرار ذاتي.

هذه القصة أكثر بنائية وتحققاً فنياً حازت على قدرة جيدة في السرد والبناء، واستدعاء تخيلات تراكمت وصاغت نمطاً حكائياً ً فيه كثير من الغرائبية ومتوفر على تكررات الموت عبر رموز دالة عليه، موت فردي وأحياناً تغيب جماعي قسري وظف القاص سيامند هادي إمكانات سينمائية في التوليف والضبط وتمكن من صوغ فضاء السرد الشعري المتداخل متشاكلاً بعضه مع كلّه، وصار للجزء وظيفة دلالية لا تختلف عن كليات التعبير والإفضاء نحو المعنى الذي كان متحركاً وليس سهلاً الإمساك به. والراوي في هذه القصة متحوط للمكان الذي وقع

فيه الموت الاختياري، ولم تهمل المحفوظات الخاصة به، مثلما كان حاصلا ً مع موجودات وأشياء الجدة ولذلك رمزية واضحة وكاشفة عن ارتباط وثيق بين الراوي وممتلكاته، التي هي كليات الحاضر والماضي، مثلما هي أيضا ً خاصياته في المستقبل، وصرح السرد بدنيوية الأشياء وأهميتها، حيث هي ملكيات الراوي خلال خمسين سنة، هي تاريخه الحياتي.

تميزت هذه القصة بتكررات سردية، صاغت مهيمنات النص، وأضفى التكرار جمالا ً وشعرية ولم يكن طافحاً بزيادات و حصل توظيفه جمالياً وبدلالة اقترحت من موت الصديق بؤرة في النص. وكشفت هذه القصة قدرات فنية جيدة في وعي السينما وما توفره من تزاوج الأمكنة والأزمنة وتداخل بين الوقائع المسرودة التي أضاءت فلسفيا ً موقف الصديق الذي انتحر من العالم والحياة وتبرمه من العيش وسط مدينة لا تعرف غير الاندثار والانطفاء (هذه المدينة تؤنسك بالموت منذ البداية. هذه كانت من أشهر مقولات صديقي التي كان يرددها يوما ً عند عودتنا الى المدينة). وواضح بأن المكان في هذه القصة تحرك بعيدا ً عن المكان التقليدي المألوف، وأعني به الغرفة، لكن ـ القصة ـ لم تغادرها حيث تكرست أيضا ً وتوحدت مع المدينة بالوظائف التغيبية على الرغم من الفارق الفضائي بينهما، لكنهما معا ً اشتركا بنسق موحد للمكان وهو نسق الموت الدال على حجم المأساة والتراجيديات التي عاشها الكورد وعرفوها عبر تاريخهم الطويل، وصار الموت ظاهرة مألوفة ولم يعد مشهد الجنازات مثيراً ً بل هو أكثر من تقليدي والدليل على مألوفيته احتضنت المدينة مقبرة الأموات في داخلها وتحولت المقبرة وشواهد الأموات وجوداً ً دائماً ً في قلب المدينة، للتعبير عن حجم الكوارث والتعايش مع الموت، لأن المواطنين ارتضوا وجود القبور في قلب مدينتهم، وهذا يفضي الى تأويل يوحي بأن نسبة كبيرة من الناس في المدينة غيبهم الموت وبطرق عديدة، ولذا اختاروا قبورهم في قلب الفضاء الدال على هوية خاصة هي التي استدعت هذا الكم الهائل من الموت بوصفه واحدة من وسائل التعبير القومية عن الهوية والعلاقة مع المكان، مثلما ينطوي على تمايز عن غيرهم في الانتماء للمكان والتاريخ لأنهم عبروا عن ذلك بواسطة المقبرة التي توسطت المدينة/ المكان للإشارة الى حجم التضحية والاستشهاد دفاعاً عن مكانهم، الذي استوعب الجماعات التي أبدعت مخيلاتها الاجتماعية والوطنية، ووجود المقبرة في ذلك المكان شكل من أشكال التخييل القومي كما قال بندكت اندرسن في كتابه الأنثربولوجي المهم (الجماعات المتخيلة) واجد أيضا ً دلالة أخرى في المقبرة معبرة عن تخيلات مستقبلية تحققت للكورد وظلت المقبرة ـ مكاناً ً ـ دالا ً على حجوم الخسارات التي لعبت دورا ً مهما ً في اقتراح وبناء تخيلات الأمة القومية وباختصار شديد للمقبرة شكل اللوجو المميز للمدينة والتعريفي لها ولتخيلات الجماعات السردية. أنها سرد رمزي لتصورات لم تكن وليدة الآن أو اللحظة، وإنما هي موروث ممتد في عمق الدنيوية والتاريخ. باختصار شديد تشكل المقابر ورموز الغائب نوعا ً سرديا ً للجماعات التي تعاملت معها تفاصيل العقائد الخاصة بها بوصفها تخيلا ً للغائب وإبقاء للعلاقة التي كانت بينه وبين تفاصيل الهوية المجتمعية/ و الأسرية. وتنطوي المقبرة، أية مقبرة على الإحيائية التي أشار لها ماركس بعد تحقق التدمير/ الموت.

ولا بد من الإشارة الى المقابر كتجمعات قرابية

والجناح المرتبط بهذا النسق ينطوي على مخيال جمعي تكافلي، ويأخذ هذا النسق الإندثاري والمحكوم بخطاب الأنساب والقرابات التي هي تخيلية وكثير منها غير نقي مثلما قال ابن خلدون. انها قرابات معبرة عن اصطفافات ثقافية/ ودينية، وأجد بمقبرة المدينة التي أشارت لها القصة مكاناً شمولياً غير محدد بمدينة ما وبالإمكان أن تكون وهذا محتمل جداً أن تلك المدينة تخيلية، لكنها استطاعت انتاج نسقها الثقافي والديني والأخير ضابط محقق للانسجام والاصطفاف بين الجماعات ولا بد من الإشارة الى أن هذه القصة أضاءت لي ممكنات دراسة المقابر كنظام ثقافي انثربولوجي واعتبر هذه المفاتيح السريعة مبرقات لما سيكون ثقافياً.

* * *

أخضع القاص (سيامند هادي) سببيات السرد وتطوراته لوصف دقيق اكتفى به لإضاءة حياة الصديق ما قبل ولم يقدم رأيه الخاص وإنما اتسع في أفضية الكشف السردي مستعيناً بالخارج العلاقاتي واستشرافات ما يتحقق لاحقاً وإشراك الخارج/ الخباز في الكشف. والإعلان يعني اتساع أزمة الصديق النفسانية وانتشارها بين الناس الذين يعرفونه مثلما ينطوي على ملاحظة تشوفية للآتي التراجيدي وتوسيع مجال الأزمة التي يعيشها الصديق المنتحر وشيوع تفاصيلها التي أغفلها القاص لأنها لا تعنيه فنياً بقدر اهتمامه بتفاصيل متحالفة فنياً كضرورات سينمائية ووقائعية بوصفها يوميات خاصة بالصديق، مثلما هي ـ اليوميات ـ كاشفة عن بنية أزمات عامة، استطاع الآخر المجتمعي التعايش معها، والقبول بها أو كانت حساسيته معها أقل، أما هو ـ الصديق المنتحر ـ فقد كان أكثر وعياً فكرياً وحتى فلسفياً بالأزمة الإنسانية وهو أنموذج لها وأدرك بأنه مغترب وسط بيئته وجماعته لذا لم يعد قادراً على التعايش مع المحيط أو الانصياع له. لذا اختار اقصر الطرق وأكثرها قسوة في اختيار نوع احتجاجي على ما يجري معبرا عبره عن درجة عالية من الإحباط والفشل وعدم القدرة على تجاوز الأزمة العامة/ الخاصة بما توفره إمكاناته الثقافية للانتصار على الواقع وقسوة سلطته وهذا ما كشف عنه النص (تذكرت تلك السكينة التي كان صديقي مشغولاً بشحذها قبل ثلاثة أيام من موته، تلك السكينة التي وضعتها والدة صديقي في أمتعته حين أتينا الى هذه المدينة. كانت السكينة من (الستيل) وطولها عشرون سنتمتراً وعرضها ثلاثة سنتمترات وكانت لها قبضة سوداء ثبت عليها ثلاثة مسامير صفراء، لم أكن أتصور أن نحتاج الى تلك السكينة أبداً. أجابني (أن السكينة التي لا تقطع لحماً ليست بسكينة).

كان الصديق المنتحر مستعدا لذلك والقرار هو ايضاً يعبر عن شجاعة، لأنه معلم ويمثل إنموذجاً اجتماعيا وسياسيا، ويبدو لي بأن القاص منشغل بالمجال السياسي ولكن انشغالاته تجد وسائلها الفنية الجيدة التي تخدش النص عبر التقرير والتصريح والإفشاء وإنما هو معني بجماليات القص ووظائف السينما ومفاضلة التكرار لما هو مركزي في سردياته.

وتعاود الغرفة رمزيتها في هذه القصة أيضاً وتطغي وظائفية الشبابيك التي اتخذت شكلاً مستطيلاً في القصة وأعتقد بأن هذا الشكل قريب تماماً من شكل القبر (كانت شبابيكها مستطيلات من النور تشع نوراً وتنير النظر. كان باب المدخل خيالياً حريرياً في دخولنا وخروجنا لم نكن نحس بالعبور). إضفاء

صفة النورانية المشعة على الشبابيك تعبر رمزياً عن لحظة الخروج من المكان المجتمعي ومغادرته الى مكان آخر هو الحل والخلاص الروحي/ الصوفي، حيث تعامل مع الموت وقراره الحازم بإنقاذ صوفي وهو - الصديق المنتحر - سيدخل لحظة الاختلاف عن الآخر ويرى في قراره لحظة زمنية ستأخذه عبر منفذ الشبابيك/ النور نحو مكان آخر لا يعرف عنه غير سرديات الجماعات المتخيلة عن حياة ما بعد الموت.

في قصة الصديق الذي انتحر يتداخل السرد الموضوعي والذاتي وتتشابك التفاصيل التي يكون السارد الراوي في الحكاية صوتا ً، مثلما يطغي صوت الراوي الموضوعي ويتحقق التشاكل بينهما ويختلط الزمن السردي، زمن الحكاية الأولى وزمن السرد المكتوب بحيث يبدو صعبا ً الإمساك بالزمان وإن تحقق فأنه يتشظى مرة أخرى من خلال ظاهرة التكرار الحكائي الذي يكون فيه الصديق بالقصة هو بؤرة الاستعادة والاستدعاء ليمنحه موقعا ً مهما ً (في تلك الليلة وبينما كان صديقي المعلم يسرد لي قصة أيامنا الأولى لمجيئنا كنت أتذكر الليالي التي قضيتها مع صديقي المتوفي نسكب أحاديثنا في الغرفة، لم يكن هناك في أحاديث صديقي فرصة لمعانقة الحياة. كان يلقي بكل الآمال والطموحات الى الهاوية).

وتتضح السوداوية القاتلة التي جعلت منه كينونة خارج الحياة والعالم بسبب وعيه لحالة الاغتراب التي يعيش ولذا اسودت الدنيا في عينيه ولم يعد قادرا ً على رؤية شيء مختلف أو مغاير لسوداويته وكما حددت الفلسفة الاغتراب باعتباره (عزلة الذات المتخيلة في إزالة أو إبعاد ما المرء عليه أو كان عليه بما في ذلك ارتباط حياته الحالية بماضيه. وجوهر هذا الاغتراب هو البعد عن مشاعر المرء ومعتقداته وطاقاته.. د. فاطمة عيس/ غائب طعمة فرمان روائيا ً : ١١٣) وبالإمكان تطبيق هذا الرأي على الشخص الذي انتحر والذي عاش قطيعة مع محيطه الاجتماعي واختار عزلته وأجرى شطبا ً لكل ذاكرته/ ماضيه ولم يعد مهتماً بما كان واكتفى باللحظة المريرة وكما قالت د. فاطمة عيسى جاسم بأن الاغتراب هو خاصية للمثقفين وتعود أسبابه الى عدم التطابق بين الواقع المفروض والمثال المنشود. والواقع المقصود هنا هو الواقع العام الذي يسهم بدوره في صنع الواقع الذاتي للشخصية... وينجم عنه التكيف لهذا الواقع، فما هو بقادر على تقبله أو مواجهته مع ما تتبع هذه المواجهة من تداعيات.. ولعل إحساس الفرد بعدم الاستقرار وفقدانه بسبب طبيعة الظروف الموضوعية التي أدت الى الاغتراب ظاهرة قد عولجت في الرواية العراقية.

وتنتمي الشخصية المغتربة الى الفئة المثقفة وهي تسعى دائماً الى أن ترسم صورة مثالية لمجتمعه ولواقعه محاولاً أن يحقق هذه الصورة وحين يتعذر تحقيقها تبدأ معاناة البطل المغترب... من هنا فأنه يحس بالانفصام الحاد او العزلة إزاء مجتمعه وضرورة أن يتغير هذا المجتمع وفق الصورة التي يرسمها هو في خياله. وتلك آفة الأبطال المغتربين الذين يترددون بين الفكر والمجتمع، بين النظر والعمل: المصدر السابق: ١١٤).

الذي انتحر شخصية مزدوجة المشاعر ومتشظي الوعي الذي قال السكينة التي لا تقطع اللحم ليست سكينة وهي موضوعة في إناء فيه خيار وعرف لحظات طويلة من الأزمات القاتلة هو أيضا ً الذي قال: عندما أكون موجودا ً فان العالم موجود، وكل شيء يكون طبيعيا ً، لكني حين أموت فليس

للعالم معنى ولا وجود « التناقضية واضحة في كلام الشخص الذي انتحر وهو سرد ذاتي اصطف مع السارد الموضوعي الذي كان وظل صوتاً للحكي المباشر ويبدو متفقاً وراضياً بالموقف. والغريب هو ارتباك شخصية المنتحر وتذبذبها لأنه يؤمن بأن كينونته وجود للعالم، وغيابه يلغي العالم لا بل الوجود كله، كذلك فأن العالم لا معنى له بغيابه. وهذه الحالة مرض نفساني والدخول الى تفاصيل الرأي الديكارتي المعروف والخاص بالعقل الأداتي الذي أسس مفاتيح الحداثة الغربية المفكفكة بالمقولات الفكرية لهايدجر وهابرماس التي ألغت تماما ً أداتية العقل ودوره الذاتي هو الذي فتح الآفاق واسعة أمام المشروع الغربي المعروف في ما بعد الحداثة. وعودة للموقف الفلسفي الديكارتي الذي جعل من العقل إرادة عليا اقترن بآلية العلاقة مع العالم من خلال التفكير والانشغاال (أنا أفكر إذن أنا موجود) ولأن الشخص الذي انتحر وكان حياً من قبل هو دليل على وجود العالم كله وعلاقة دالة على معناها الإنساني وموته يلغي هذا الوجود والمعنى أو شبكة المعاني. ويبدو التناقض في شخصية المعلم الذي انتحر اكثر في السرد الموضوعي لإيضاح التناقض في مكوناته النفسانية، حيث ألغى السارد الموضوعي آراء الذي انتحر والتي أشرنا لها قبل الآن عندما قال: (موت صديقي لم يعن لهم شيئا ً ولم يغير شيئا ً ولم يضف شيئا ً للحياة، كان صديقي يعرف ذلك قبل مماته) هذا السرد الموضوعي الذي قاله الراوي المحايد يضيء أيضاً تلك المنطقة الخاصة بتشوش رؤية المنتحر وضبابيته وهو الذي قال مؤكداً ارتباط المعنى الكلي والوجود بوجوده هو وغيابه يعني فقدانا للمعنى وللوجود، وهذا نوع من وهم الشخصيات المريضة التي وجدت السكينة أداة أفضل في الحياة وانشغل بشحذها قبل ثلاثة أيا من المأساة. كما كانت ـ السكينة ـ ماثلة أمامه وسط إناء فيه الخيار الذي عافته وحصدت رقبة المعلم وبيده.

لقد تغيرت الأمكنة في عيني الصديق الحي بعد الوفاة مباشرة ً، فالشبابيك التي كانت تمتص نورا ً شفافا ً صارت تمتص ظلاما ً، وتحولت هي الى ظلام يغطيها شبح الدماء، ورائحة الدم. تبدلت صورة العالم في عيني الصديق المراقب للمأساة التي تحدث ضجيجاً وكأنها تناظرت مع حياة المعلم المنتحر، الذي كان هادئا ً في حياته وهادئا ً في مماته وكان التناظر مطلوباً بين الحياة وخاتمتها الموت، ولأن القاص ذكي ويعرف بأن الهدوء صفة الحياة والعلاقة معها، وهو دليل امتلاء ومعرفة للتعامل مع الجمال والمتعة فأنه استدرك قائلا ً: (مات هادئا ً كهدوء احتراق سيجارة مرمية من قبل أحد المارة، هادئ، مثل ضياع قطرة على العشب. حين مات صديقي تجاهل الجميع موته وكانوا متسارعين لدفن جثته).

انتهى مثل النفاية ولم يعد له تأثير مثلما قال هو ـ وظل بمأساته محفزا ً لتنشيط التذكر به، كما هو حاصل مع صديقه الذي استذكره عندما لمح صديقه يذبح دجاجة (وفي تلك الليلة تذكرت موت صديقي ومر أمامي ذلك اليوم كفيلم قصير في ظهيرة الثلاثاء)

تغيرت أشياء واكتسب بعلائم رمزية توحي بالحزن والفقدان مثل ضباب كثيف يغطي سماء المدينة، لذا كان مسرعا ً في عودته من المدرسة حتى يصل الى الغرفة ويسرد على صديقه سردية أخرى عن السيدة التي أحرقت نفسها قرب المدرسة، لكنه فوجئ بموت أكثر قسوة ووحشية في الذي رآه قرب المدرسة ولسبب

تافه وبسيط. لقد لاحظ غرابا ً فوق سطح الغرفة وانتبه لدلالته الرمزية التي أكدها الموت لاحقا ً.

اختار الصديق ميتة أكثر تراجيديا عندما وضع السكينة في القلب من جسده حتى لا تكون محاولته خاضعة للاحتمال وترك في يده اليمنى ورقة كتب عليها:

(لا أتحدث عن محنة وأمراض نفسي

لأن صدري غارق حتى شفتي من دماء قلبي الحزين)

أعتقد بأنه أضفى على موته وطريقته شيء من القداسة، لأنه حمل بيمناه إشعار موته الذي لا يختلف عن ميتات المتصوفة وفي القصة إشارات لما هو صوفي أو موح به. وتبدأ لحظة أخرى أكثر تراجيديا إنها لحظة موت المكان/ المدينة ومع الغرفة التي انتحر فيها صديقه المعلم الذي دخل اليه وكان ما يزال ينزف دمه وهذا يعني بأن زمن الانتحار لم يكن بعيداً ً وإنما هو قريب التحقق.

لم تكن لحظة القطيعة مع المدينة موقفا ً عابرا ً أو اعتياديا ً، بل هي تعبير ثقافي/ فكري عن علاقة مع المكان، لم تعد سليمة ومكونة اعتمادا ً على قناعات بها، لأن المدينة/ الحضارة حاملة للمتاعب واستدعاءات الأمراض التي أفضت بالصديق نحو الموت التراجيدي وقرار صديقه مغادرة المدينة بعد الإنتحار قرار خطير لأنه يتبدّى عن عدم قناعة بالمدينة وثقافتها وحداثتها اذا لم نقل بأنه ينطوي على رفض لها وكراهية لما أنتجته. وهذا الموقف الذي أقدم عليه الصديق المغادر والانتحار الذي اختاره الآخر طريقة للموت متعارض تماماً مع المجال الوظيفي الذي مارساه وكانا معاً يمثلان نموذجين للمثقف الغرامشي وهذا يعني بأنهما تعرضا لإنتكاسة كان الأول أكثر استجابة لها ولتحديها. أما الثاني فأنه غادرها لهذا السبب ولأنها اختارت المقبرة في وسطها وجعلت من المقبرة علامة مستقطبة للآخرين.

وأجد بأن هذه المدينة لا تحمل شيئاً من دلائل المدينية سوى صفتها ولم تعرف أبداً عناصر المدينية وخصائصها، كما لم تضيء القصة وظائف خاصة بالمدينة وحصرا ً بها. فهي ليست مدينة ولا وجود لما يشير لذلك أو يؤكد عليه. إنها مدينة/ مكان بدون ملامح وتكونات مجتمعية كالتي عرفتها المدن حتى الصغيرة لذا كان سهلاً حصول القطيعة معها، ومغادرتها نهائيا ً مثلما حصل مع المنتحر وأيضا ً بفعل المغادرة ابتعاداً عنها. ويثير مغادرة المدينة ملاحظة جوهرية حول المدن الآن وهي عدم قدرتها على إنتاج خطاب ثقافي خاص بها، يميزها عن المدن الأخرى/ المجاورة/ أو البعيدة عنها، بمعنى تظل مثل تلك مراكز قوة وسلطة ولا تعرف أكثر من ذلك وتحدث الصدامات معها أو القطائع. وهذا يعني بأنها ـ المدن ـ خاضعة للتشكلات المجتمعية باستمرار وبقاء سيرورتها وحتى ملامحها غير محددة أو واضحة وتقترب في كثير خصائصها من القرى الريفية/ الزراعية الكبيرة وإذا أردنا عزل مراكز السلطة ورموزها فأن المدينة تتحول بشكل دراماتيكي الى تجمعات سكانية كبيرة

(لم أستطع أن أبقى في تلك المدينة بعد وفاة صديقي، كما لم أستطع أن أبقى في تلك الغرفة دون أن ألتفت وأترك المدينة الى الأبد (وأجد بأن السرد مفتوح ويضفي ـ وهذا ممكن ـ الى العودة للريف (اترك المدينة الى الأبد) ربما هو يعني المدينة التي انتحر فيها صديقه وربما تعني المدينة/ الحضارة التي ميزتها او مع وجود احتماليات في القراءة، ومع تنوع القراءة فإني أجد بقرار المغادرة لحظة خطرة بالنسبة للمعلم ولا أظن بالعودة الى الريف من أجل وظائف ثقافية/ وإنسانية لا بل عودة الى الرحم الزراعي الأول.

ملامح المرأة في «بواكير محي الدين زەنگەنە القصصية»

قراءة و رد

صباح الانباري

العنونة والمقدمة

جاء كتاب د.فاضل عبود التميمي "بواكير محي الدين زه نكه نه القصصية" ليسد الثغرة التي خلفها كتابان لي،من قبل، عن منجز زنكنه من النصوص المسرحية والقصصية التي طبعها فرادى أو مجاميع على امتداد مشواره الأدبي الطويل الحافل بالابداع والثراء(١). لقد مثّلت النصوص التي تناولتُها ،في ذينك الكتابين، المراحلَ المتقدمة في منجزه الأدبي المطبوع ولذلك اكتفيت بالاشارة ،فقط، الى بواكيره التي عدّها "بدايات سعيدة" لحياته الأدبية ولم يفكر يوما ما بطبعها كمجوعة في كتاب كما هو حال سائر المبدعين في مشارق الأرض ومغاربها. ولعل أولى فضائل التميمي علينا أنه استطاع أن يخرج هذه البواكير للنور وأن يجعل أمر الاطلاع عليها ميسورا وممكنا.ونظرا لأهمية ما ورد في هذا الكتاب من الناحية التوثيقية والأدبية والفنية رأينا من باب الدقة والمسؤولية أن نتناوله بدءً من غلافه الذي لم ينجح المصمم قادر ميرخان، على خلاف عادته،في اختيار الشكل الملائم له والمعبر عن محتواه والذي طغى على خلفيته لون واحد ولكن بدرجتين مختلفتين غير موحيتين بماهية النصوص أو بمرحليتها،ولم تستطع صورة الكاتب بألوانها الباهتة وقدمها أن تضفي على الغلاف جمالية مطلوبة في تصميم كتاب مثل كتاب البواكير فضلا عن طباعته المتواضعة في مؤسسة غير متواضعة

هي مؤسسة سردم للطباعة والنشر.أما عنونة الكتاب فقد جاءت مربكة بسبب استخدام الباحث لاسمين مختلفين في الرسم ، لـ (زنكنه) ومتطابقين في الدلالة إذ جاء الأول مرسوما بالحرف الكردي بدلا من الحرف العربي بعد أن الغى التميمي من (محيي) ياءه الثانية وأضاف لـ (زنكنه) هاءين بديلتين عن حركة الفتح العربية ، فضلا عن جعله الكاف في (زنكنه) منطوقا بالكردية أو الفارسية،وبقدر ما في هذه العنونة من اقرار بكردية اسم الكاتب وبطريقة رسمه بالحرف الكردي فان فيها مغايرة عما ورد في متن الكتاب فقد ورد الأول (محيي الدين زه نكه نه) في العنونة ولم يرد في المتن ورد الثاني (محي الدين زنكنه) في المتن ولم يرد في العنونة.وكان الأولى أن يستخدم أحدهما دون الآخر في المتن والعنونة؛ولما كانت العنونة تشي بدراسة "بواكير محي الدين زه نكه نه القصصية" تحديدا لذا وجدنا من غير الملزم تناول ما عداها كما حدث في المقدمتين اللتين اشتمل عليهما الكتاب واللتين تناولتا ، بشكل عام، منجز زنكنه الأدبي حسب.

في مفتتح المقدمة الأولى (مقدمة الكتاب) يقول التميمي "لا أعرف أديبا يمقت الشهرة المصطنعة مثلما يمقتها الكاتب المسرحي،والقصصي، والروائي:محي الدين زنكنه" وفي مفتتح المقدمة الثانية (مقدمة الدراسة) يقول "بدأ محي الدين زنكنه (١٩٤٠-...) حياته مهووسا بحب القصة" وداخل متني المقدمتين يسترسل في ذكر المنجز الأدبي والابداعي لزنكنه حتى تخلص كلا المقدمتين الى أن الكتاب أو الدراسة إن هي إلا محاولة لقراءة سرديات زنكنه البكر، ففي خاتمة المقدمة الأولى يقول إن الكتاب اشتمل "على مقدمة،ودراسة،حاولت أن تقرأ القصص في ضوء زمانها ومكانها " (القصص هنا تحديدا هي التي كتبها زنكنه في بداية مشواره الأدبي) ويقول في خاتمة المقدمة الثانية أن الدراسة تسعى "الى (قراءة) سرديات (طفولة) الكاتب" . ومن خلال المقارنة بين المقدمتين لم نجد فرقا واضحا بينهما من حيث الجوهر والهدف والمحصلة النهائية،فكلتاهما تتحدث عن زنكنه ومنجزه الابداعي وعن سعيها لقراءة قصصه البكر الأولى.

وانطلاقا من العنونة المحددة بالبواكير ،أيضا، سنجد أن المقدمة الأولى لم تتناول الكتاب ومحتواه أو كيفيات تناوله لبواكير زنكنه الابداعية كما يقتضي البحث الأكاديمي وإنما اكتفت بإلقاء الأضواء على الكاتب ومنجزه من خلال فقراتها العشر الآتية:

الفقرة الاولى : لا أعرف أديبا يمقت الشهرة المصطنعة مثلما يمقتها الكاتب المسرحي،

والقصصي، والروائي:محي الدين زنكنه

الفقرة الثانية : منذ اكثر من نصف قرن والكاتب محي الدين زنكنه يعمل بهمة مؤسسة .

الفقرة الثالثة : اما في ابداعه القصصي والروائي فهو متألق أيضا .

الفقرة الرابعة : هذا هو محي الدين زنكنه الأديب والانسان .

الفقرة الخامسة: محي الدين زنكنه، أشهر من نار على علم .

الفقرة السادسة: ترى لم يبخل النقد في حق المبدع حين يكون الأخير في اشد (الحاجة) الى كلمة

حق لا يراد بها الا الحق.

الفقرة السابعة: يخيل لي أن الكاتب محي الدين زنكنه لرفضه اليومي لأي شهرة تأتيه إنما

يمارس ضربا من الرياضة الفكرية.

الفقــرة الثامنة : هذا كتــاب لا يتحدث عن محي الدين زنكنه الذي أنجز الى يومنا هذا متنا أدبيا مميزا في السرد بأنواعه .

الفقرة التاســعة: إن ذاكرة محي الدين زنكنه،هي ذاكرة أجيال مرت عليها خطوط الزمن.

الفقرة العاشرة: اشتمل الكتاب على مقدمة ودراسة حاولت أن تقرأ القصص في ضوء زمانها ومكانها.

اما المقدمــة الثانية فقد تضمنــت على الفقرات الثلاث الآتية:

الفقرة الأولى: بدأ محــي الدين زنكنه (١٩٤٠_...) حياته مهووسا بحب القصة ، قارئا نهما ،

ومتابعا فطنا لكل ما ينشــر من قصص ، وروايات تقع تحت نظره.

الفقرة الثانية: لقد مال (زنكنه) الى القصة وعرف بها،ولكنه ما لبث ان كتب المسرحية،

والرواية أيضا .

الفقرة الثالثة: تســعى هذه الدراســة الى (قراءة) سرديات (طفولة) الكاتب محي الدين زنكنه

وهــذه الفقــرات لا تختلف جوهريــا عما ورد في المقدمــة الأولى بل انها تلتقي معهــا من حيث تناولها لمنجز زنكنه الابداعي وسعيها الى تقديم قراءة لبواكيره القصصية.عليــه كان الأجــدر أن تدمج المقدمتين في مقدمــة واحدة وإن كان في هذا تجاوز على مقتضيات الدراسة المنهجية.

البواكير

(في البدء كانت البواكير حاضنة النواة ، منها تسري رحلــة البحث عن الــذات لمواجهة (الآخر) وتشــكيل الرؤية التي يتجاوز من خلالها معميات الاشياء.

في البــدء كانت البواكير...منهــا تلصص (الكاتب) بوعي أولي حاور الحــواس،وأدام الصلة معها حتى اذا ما اكتملت أدواته المعرفية،والفنية كشف قناع الخوف ليبدأ مع نفســه، وأفكاره رحلــة الألف ميل التي تبدأ عادة بخطوة واثقة غير متعجلة.)

بهذه الكلمات اســتطاع د. فاضل عبود أن يختصر رحلــة الكاتــب الطويلــة التــي ابتدأت مــن لحظات التلصــص الواعي ومحاورة الحــواس وانتهت بتجربة الكتابة الابداعية . لقد اســتطاع د.فاضل عبود دون غيره من الوصــول الى تلك البواكــير، وهذا ما يميزه كباحــث دؤوب ومنقب يعرف كيــف يزيل تراكمات الماضــي من على تحــف كاد أن يغيبهــا الزمن . القى الأضــواء على ســيرة زنكنه منذ ولادتــه في كركوك ، ومنذ نشأته الأولى في بيت أبيه ، وتفرده عن مجايليه بحدة ذكائــه وبقوة ذاكرته الانفعالية ، وقدرتها على استرجاع اللحظات التي غيّرت مسار حياته وانعطفت به مــن الذات ومغامراتها الى الشــعور بمصائر الناس وآلامهم محدثة قفزة نوعية في حياته وكتاباته التي لولاها لما كان زنكنه الذي عرفناه .

وضــع الباحث يــده على دفتريــن لزنكنه(٢) :" الأول أخضــر اللون،أحمــر الكعب" ضمّ خمس قصص قصــيرة كتبت بــين الأعــوام١٩٥٥ ـ ١٩٥٧ ولم يطبعها زنكنه لســبب يحتمل الباحث أن لــه علاقة بـ "عدم رضاه عنها، وعزوفه عن نشرها فيما بعد".

ولنا أن نســأل إذن كيف وافق زنكنه على نشرها ضمن هذا الكتاب ؟

اما الدفتر الثاني والمغلف بجلد أسود فقد ضمّ أربع قصص نشرت اثنتان ضمن مجموعة زنكنه القصصية الأولى "كتابــات تطمح أن تكون قصصا" وهما (الســد

يتحطم ثانية) و (حرمان)

تتميــز قصص هذه المرحلة ،كمــا يخبرنا الباحث ، إن زنكنـــه ذيلها بتواريخ تشــير الى زمن الانتهاء من كتابتها ويستنتج من هذا أن زنكنه

"فطــن مبكرا الى أهمية توثيق نصوصه وهذا ما ظــلّ يفعله حتــى أيامنا هذه، وقد انجز الشـئ المهم والكثير في المسرح ، والقصة، والرواية."

ويخبرنا في الوقت ذاته أن زنكنه لم يذيّل قصص الدفــتر الثانــي بتواريخ انتهائه منهــا خلافا لما فعله في الدفــتر الأول وهذا يضعف قوة الاســتنتاج حتما . ويذكر أيضا أنه وجد

"الكاتب يزين عنوانات القصص بأشــكال جميلة تمثل طيــور البطريق،والبلابل، وهــذا يؤكد نزعتها الرومانســية التــي بدأ فيهــا الكتابة،ثم ســرعان ما غادرها بفعل تحولاته الفكرية اللاحقة"

لقد شــكّلت هذه التحولات المهمــة انعطافة كبيرة وخطــيرة في حيــاة زنكنـــه الأدبيـــة فصلــت مرحليا مراهقته القصيرة نسبياً عن نضجه المبكر الذي بسببه استبعد زنكنه قصصه الأولى من النشر مع أنها تستحقه فعلا خاصة تلك التي احتواها دفتره الثاني . إن زنكنه ينظر الى قصصه بمنظار الناقد الحصيف الذي يقســوا كثــيرا على نصه ولا يضعـــه في خانة القصة إلا بعد أن يقــرر ذلك ولهذا رأيناه في مجموعتـــه الأولى يختار لها عنونة موحية بما ذهبنا اليه "كتابات تطمح أن تكون قصصا" فبدلا من أن يقدمها كقصص مستوفية لشروط القص والابداع وقوانينهما يقدمها ككتابات بلا تحديد ويضيف اليها،بتواضع جم، طموحها الى أن تكون قصصا مع أنها قصص فعلا باعتراف نقاد القصة والرواية ممن كتبوا عن هذه المجموعة وأحسب نفسي واحدا منهم .

إن هــذا التحول المهم والكبير هو الذي جعله يغادر الكتابة عن المرأة وولعــه بها بوقت مبكر قبل تبلور تجربتــه معها، ولا أظن د.فاضــل مصيبا حين اعتبر كتابة زنكنه عن المرأة في تلك المرحلة المبكرة من حياته قد أدّت الى تبلور تجربته معها فضلا عن مطالبته لنا بتقديــم الدليل على ما ذهبنا اليه،وهوعلى يقين تام مــن أننا لو كنا مطلعين على "تلك البواكير، ودلالاتها النفسية "لغيرنا من مسار رأينا السابق.

وهنا أطرح على د.فاضل السؤال الآتي :

هــل يمكن أن تتبلور تجربــة الكاتب مع المرأة في مرحلة مبكرة من مراهقته؟

لــو عدنا الى البواكير وفتشــنا فيها عن المرأة التي أرادهــا زنكنه فماذا يمكن أن نجد؟ و من أي النصوص يمكن أن نســتخلص دليلنا على تبلور تجربته معها؟ وعلى أي الشــخوص أسقط شخصيته الحقيقية وعلى أي النساء أسقط شخصية المرأة التي يريد؟

لنبــدأ من القصة الأولى (أنــا الليل) ولنبحث عن ملامــح التجربــة التي تشــكلت عند زنكنـــه القاص والانسان في أولى محاولاته القصصية شبه الناضجة .

في القصة ثمة بوح شــعري لذيذ،وحزن شــفيف وآهات فتية ســطرها الكاتب عبر محاورة رومانســية الأجواء بينه وبين الليل .

البوح بالحزن يحتاج الى شــريك :"أجل اني أحتاج الى من يشاطرني أحزاني..بعد أن فقدت زهرتي التي لم اعرف في عهدها الحزن"

وفي هــذا اشــارة واضحة الى الحبيبــة التي فقدها بمجــرد ظهور رجل" اكثر نفــوذا واغنى مالا" تمكن من اســتلابها والاســتئثار بجمالها .. إنه هنا يتحدث عن نفســه وولعه بالمرأة أكثر مما يتحدث عنها أو عن

جمالهــا فهي عنده زهرة شــاء القدر أن يقطفها رجل آخر،عن طريق الخيانة، حسب.لقد أثر فعل الخيانة هذا في حياة الكاتب تأثــيرا كبيرا جعله يعاود الكتابة فيه، بعد أن استبعده في كتابات ما بعد المراهقة، كلما وردت المرأة كشــخصية في قصصه ومســرحياته ،ولنا على هذا أمثلة كثيرة (٣) تدل على نضوج التجربة في مراحلها المتقدمة حسب.

في القصــة الثانية (قبلة في الظــلام) ثمة امرأة تخــون أخلص صديقاتها بدافع الغيرة التي ســيطرت على مشاعرها متحولة الى رغبة انتقامية أدت الى موت جماعــي على الطريقة الشكســبيرية.أما المرأة الثانية التــي اســتطاعت بجمالها الملائكــي وإخلاصها المطلق وبراءتهــا ورقتها أن تهيمن على قلــب (أحمد) لزمن محســوب بحدود موتها بالســم فانها وإن كانت تحمل ملامح المرأة التي أرادها زنكنه في مراهقته لم تتبلور تجربته معها بسبب موتها المبكر جدا. في هذه القصة وحسب استنتاجي الخاص أخفى زنكنه شخصيته وراء شــخصية (أحمد) وربما تعمّــد أن يكتب عبارة مرنة التأويل على لسان سلوى وهي تدعوه الى البحر:

"تعال يا محيي آمالي"

هــذا من جهة ومن جهة أخرى فــان هذه القصة وأخــرى غيرها،كما ذكر زنكنــه في مقدمة مجموعته البكر، تصور حياته في تلك الفترة تمام التصوير. وقد وجدت في كتاباته الاســترجاعية عــن مدينته الأولى كركوك وتحديدا عن قلعتها إشــارة بل اعترافا واضحا عن تلك القبلة الخجول التي أظلت طريقها الى شــفتي حبيبته وســط ظلام تلك القلعة وهــذا اعتراف واف بصحــة كونها تصور تلك الفــترة من حياته بالضبط ،لقد قبّل (أحمد) محبوبتــه بحياء في الظلام فهل في هذه القبلة المشــوبة بالخجل والخوف والحياء والبراءة ما يشير الى جرأة في اقتحام عالم المرأة وتبلور التجربة معها؟

ربمــا يقول قائل وماذا عن تلك القبل الملتهبة في وضــح النهار أليس فيها اقتحــام لعالم المرأة ومطباته الخفيــة؟ ألا تعنــي أن تجربــة الكاتب مــع المرأة قد تبلورت حقا ؟

حسنا لنبحث عن هذا في قصة (اللحن الأخير).

في هــذه القصــة وكما في القصة الســابقة وجدت شــخصية (أحمد) ثانية وهو يتحدث عن نفسه أكثر مما يتحدث عن حبيبته وهذا ســلوك طبيعي لمراهق أحب وكتم وعانى ونسجت الهموم خيوطها على عينيه وشــعر في لحظة من الزمن أن سعاد تخونه بنظراتها التي غرزتها في ذلك العازف الذي بهرها لحنه الشــجي ويســتمر (أحمد) في تداعيات حرة ناسجا من خياله أوهاما واحلاما ورؤى ذاتيــة حتى صرنا نعرف عنه كل آهة من آهاته في الوقت الذي لم نعرف عن حبيبته سوى ما قرأناه في مفتتح القصة:

"أحبت الموسيقى والألحان
وطبيعي أن الدير خال
منهما مقفر...ليس فيه غير
تراتيل الرهبان ... ودقات
النواقيس ...فقضت عمرها
مرددة أغلى ما وعته
الا وهو...اللحن الأخير..."

وفي خاتمتهــا التي جعلهــا الكاتب درامية الى حد البكاء:

"ولما التصقت شــفتا سعاد بشــفتيه ما كان فيهما الا بقايا من روحه المعذبة أودعت فيهما سعاد أنفاسها

الحـــارة، كأنها تريد أن تنفخ فيها مـــن روحها .. وما رفعت شفتيها عن شـــفتيه إلا حينما شعرت بالبرودة التي سرت الى جسدها منتقلة من جسد عازفها الحبيب .. عازف اللحن الأخير".

هنا أعود لأسأل،مرة أخرى، أيمكن لقبلة على شفة بـــاردة وميتة مثل شـــفة (أحمد) أن تكـــون دالا على اقتحامـــه عالم المرأة التـــي أراد؟ وهل يمكننا التعرف علـــى كنـــه التجربة ولم تحدثنا القصـــة عنها الا من حيث كونها شـــخصية ســـقط أثر فعل الحـــب عليها حسب؟ ربما يسعفنا الحظ فنهتدي الى ذلك الدليل في قصة أخرى مع أنني موقـــن تماما أن القصص الأربع المتبقية لا تصور حياة زنكنه تمام التصوير بل تصور نظرتـــه الخاصة للتجارب التي ســـمع أو قـــرأ عنها أو شـــاهدها في الواقع أو من خلال شاشة السينما وهذه لا يمكن ان تنقل لنا شيئا عن خصوصية تجربة زنكنه مع المـــرأة التي أراد لأنه في هـــذه القصص بالذات بدأ بتدشين مرحلة فنية جديدة تقوم على جعل المتلقي يدرك كنـــه ما يريده الكاتب من خـــلال ما يطرحه الشخوص السلبيون أو ما يعجز عن تحقيقه الشخوص الايجابيون،فضـــلا عـــن قدرته علـــى زعزعة المواقف والثوابت.

في قصـــة (تضحيـــة) يقدم لنا زنكنه أنموذجا مختلفاً يســـوّغ الخيانة الزوجيـــة ولا يعممها، ويدعم ارتباط المرأة بغير زوجها ضمن معطيات ظرف خاص جـــدا ويبني القصة على أســـاس شـــكوك الزوج التي تتحول الى يقين بعد ان يســـمع ويشاهد زوجته وهي تبـــث آهاتها للرجـــل الغريب وتندمـــج معه في عناق وتقبيل يثير لذة الغرام الكامنة في نفسيهما ثم يقطع هذا الشـــعورَ اللذيذ صوتُ صرير البـــاب لنعرف بعد ذلك أن الزوج خرج من بيته تاركا رسالة يقول فيها:

"زوجتي العزيزة..

ســـمعت كل مـــا دار بينكما..وعرفت ان الحب قد ربطكما.......

ابق له يا عزيزتي ما دامت حياتك له"

وعلـــى ما في القصة من مؤاخذة اجتماعية أشـــار اليها د.فاضل عبود في معرض تناوله لها ضمن البواكير إلا أننا لن نتوسع في هذا وسنكتفي،فقط، بالبحث عن دالات التجربة التي أكد د.فاضل على تبلورها.

إن أول امتيـــازات هـــذه القصة عن ســـابقاتها أنها أعطت المرأة مساحة أكبر تتحرك عليها وتفرض ذاتها وتروي حكاياتها بشكل اســـتبعد كل مؤثرات تبعيتها .إنها هنا تتحدث عن نفسها ،عن لوعتها ،عن كوامنها، بحرية، وبلا تردد تقرر، وتهب نفسها لمن تريد. ولكن من ســـوء الحـــظ إن زنكنه قد أعانهـــا على هذا ضمن ظرف معقد وموقف شائك زعزع الثوابت الاجتماعية ولكنه لـــم يفلح في جعلنـــا نقرر بشـــكل نهائي وتام اقرارنا بحقيقة التجربة.

امتازت هذه القصة عن سابقاتها أن المرأة فيها هي التي تـــروي، بطريقة أنا ضمير المتكلـــم، كل أحداثها بعد أن كان الرجل يخبرنا كل شـــئ عن نفســـه وعنها في القصص الســـابقة.ومع أنها تقوم بنقل وقائع ما دار بينهـــا وبين حبيبها إلا أنها لم تتجاوز ضعفها أمام قوتـــه وضآلتها أمام هيمنته وســـيطرته على المواقف والاحداث.صحيـــح أنها اســـتطاعت أن تنقل لحبيبها اغتلامها بعـــد أن كان مؤمنا بنوع فريد من العشـــق الروحي لها إلا أنها لم تســـتطع فرض أي مهيمن آخر عليه ولهذا رأيناه قد غادرها ولم يعد اليها على الرغم من دعوتها له:

"احمد..بالله..عد..
ولكنه مضى.. "

إن زنكنه في هذه القصة يقدم لنا أنموذجا جريئا للمــرأة التي اقتحمت حياة الرجــل في مدينته ولهذا نراه يرفع اليها هذه الكلمات:

"الى التي جعلت من شــفتيها كأســا ومن رحيقها خمرا...أرفع هذه السطور"

وكأني بــه أراد الاحتفــاء بها ودفعهــا الى الهدف مباشــرة دون حاجة للتنازل عن دورها للرجل الذي تشتهيه حتى وان انتهى المطاف بها الى ان تستمر النار متأججة فيها جراء قبلته الأخيرة.لقد أراد زنكنه لهذه المرأة أن تكون بمنتهى الجــرأة والاقدام على ما تريد ولكن أهي المرأة التي أراد؟ وهل اقتحامها للرجل يعني تبلــور تجربتها معه أو تبلور تجربته معها كما ادعى د.فاضل عبود من خلال تأكيده على الانسياق "خلف مغامرات القلب المراهق" أو اشــارته الى وجود " قبلات في الظلام،وفي الضياء"،ثم ألا تتبلور تجربة الرجل مع المرأة الا من خلال القبلات والمضاجعات؟

في قصة (الليل والمطر) أتقن زنكنه طريقة اللعب بمشــاعر المتلقي وتوجيهها الجهة التي يشــاء. إختار موضوعة حساسة ذات أثر مباشر وكبير على المشاعر الانســانية جعلها تتســاوق مع الرغبات الكامنة التي أطلــق العنان لســيلها الجارف ولــم يوقفها إلا وهي في ذروة مــا وصلــت اليه من احتقــان طوفاني أدى كما يقــول د.فاضل عبود الى أن يكســب ثقــة القارئ وأن يحيِّد عواطفه. الشخصية الرئيسة في هذه القصة هي شخصية رجل اعتاد أن ينام في بيت أخيه عندما يكون الأخير منشــغلا بعمله كحــارس ليلي لا يعود الى بيته الا عند الفجر وقد هــئ غيابه هذا الأرضية الخصبة لالتقاء رجل القصة بامرأتها . لقد أخذته الوســاوس والأفكاروالمشــاعر الجنسية الى تصور امرأة أخيه وهي تلقي بنفسها عليه وزاد هذه الوساوس والأفكار تدفقا مشاهداته المتعمدة ،في غفلة منها، لأجزاء من جسدها البــض والمثير. أن دور المرأة هنا دور ثانوي وحضورها في القصة تحقق من خلال تأثيرها الجنسي على الرغم من انتصارها المتمثل بهروب الرجل في النهاية إذ يعلن عن قوته شفاهيا وعن هزيمته فعليا:

"إنني قوي ، إنني قوي ... واندفع هاربا."

ولا أبيــح ســراً إن أنا قلت أن محــي الدين زنكنه في هــذه القصة، وفي قصص أخــرى، وجدناه مقتحما فعلا،كما ذكر د.فاضل، لحياة المرأة الجنســية ولم يكن متأنيــا في الولوج الى عالمها. وهنــا أود التأكيد على أن مــا قلته بهذا الخصوص إنما عنيــت به المراحل التي تناولتها في دراســتي حسب، ولم تكن مراهقة الكاتب مشمولة بطبيعة الحال فيما عدا إشارتي الى أن زنكنه منــذ ذلك الزمن ،زمن المراهقة،ظل يحمل في دخيلته ملامح المــرأة التــي يريد،ولو انه اســتمر في الكتابة عنهــا،في مرحلة ما بعــد المراهقة، لأمكننا الامســاك بتلابيــب تجربته معهــا ولخرجنا بيقــين لا يحتاج الى برهنــة على نضوج تجربتــه وتبلورها.لقد عزف زنكنــه عن موضوعة المرأة في قصصه ولم يتناولها الا لماما،وظــل الرجل طاغيا في حضــوره داخل نصوصه القصصية والمســرحية الى وقــت طويل.هذا من جهة ،ومــن جهة أخرى وجدنا في كتــاب البواكير ما يؤكد ذلك على لسان الباحث في تحليله لفكرة المقدمة التي كتبها زنكنه إذ يقول على سبيل المثال لا الحصر:

"إن المجموعة كانت بمثابة التمرين الأدبي للكاتب ،يدل على هذا: عدم رضاه عنها،وعزوفه عن نشــرها

فيما بعد." ويقول أيضا:"إن الكاتب بعد أن عدّ مع نفسه هذه القصص تماريـــن أدبية،تجاوز بها،وبموضوعاتها مرحلة معينة أخذته الى مرحلة أخرى بدأ من خلالها يعي دوره في الحياة والادب"

الكاتـــب إذن،وكما يقـــول الباحث،لم يعي دوره في الحياة والأدب إلا بعد اجتيازه تلك المرحلة المبكرة من حياته.وهذا استنتاج سليم يؤكد صحة ما ذهبت اليه وإلا كيـــف يمكن أن تتبلور تجربته مع المرأة ولم يعي دوره في الحياة والأدب بعد ؟

الخاتمة

جاءت الخاتمة لدراسة البواكير قصيرة ومقتضبة وســـريعة ولكنهـــا في الوقـــت ذاتـــه متضمنـــة علـــى استنتاجات الباحث المهمة وهذا نصها:

" الحفر في مدونات محي الدين زنكنه الأولى أعطى انطباعا واضحـــا عن بواكير تميّزت باقترابها من نص قصصي اقترن بموهبة أدبية ليس من السهولة انكارها ...

بواكـــير محي الديـــن زنكه حلم شـــاب حاول ان يؤكد ذاته ، وان ينفتح على عالمه فكان له ما أراد من خلال حركة ابطال عبروا عن تجارب ذاتية عاشـــوها بصدق...

الكاتب في معالجته القصصية للأحداث قرأ الواقع في ســـياقه الذاتي،والعام وقال رأيه بصراحة تامة،وهو يتفاعل مع شخصياته بوصفها كائنات واعية في عالم يمور بالحركة ، والصخب ،والاضطهاد،والحاجة الدائمة الى الحياة."

ومـــن خـــلال قراءتنـــا لبواكـــير زنكنـــه نضيف الاستنتاجات الآتية:

١. امتـــازت قصص البواكير بجنوحها نحو النفس القصصي الطويل نسبيا والذي جاء بعد إن كتب زنكنه كثيرا ومزق كثيرا ، وجرب كثيرا، فهو محصلة حاصل جهـــد زنكنه المضني ودأبه لاقتحـــام عالم الكتابة من بابه الواسعة.

٢. إن كل قصـــص المجموعـــة لـــم تتنـــاول المرأة كشـــخصية محورية بـــارزة في احداثهـــا، ومهيمنة في أفعالهـــا، وفارضة لوجودها على مســـاحة القص حتى في القصـــة الوحيـــدة التي كانت تـــروي الأحداث فيها (ذهب ولم يعد) ،وعلى الرغم من ضآلة دورها وصغر مســـاحتها داخل النصوص الأخرى اســـتطعنا تلمس بعـــض ملامحها في الوقت الذي ظلت ملامحها الأخرى غير واضحة، وربما تســـرعت فيما مضى فأكدت على أنـــه كان يحمل،منذ زمن المراهقـــة ملامح المرأة التي يريد.

٣. في المجموعة ثمة تجـــارب ذاتية للكاتب حاول التعتيم عليها واخفاءها وراء شخصيات لو دققنا فيها لوجدنا ما يشـــير الى ذلك خاصة تلك التي عثرنا فيها علـــى ما يشـــير بالتحديد الى قبلتـــه الخجول في قلعة كركوك.

٤. قسّـــم الكاتب مجموعته على قســـمين :الأول تناول فيه شخصيات ماتزال البراءة مهيمنة عليها ولم تتجاوزها بعد كما في قصة (أنا الليل) وقصة (قبلة في الظلام) وقصة (اللحن الأخير).وتناول في القسم الثاني شـــخصيات تخطّت حدود البراءة مقتحمة أبواب اللذة والاغتلام الى الشـــهوات كما في قصة (التضحية) وقصة (ذهب ولم يعد) وقصة (الليل والمطر).

٥. اختفاء المرأة في كتاباته ابتداء من قصة (هدية الى ســـعادة الباشـــا) وقصة (الســـد يتحطم ثانية) في

مرحلة متقدمة من البواكير بفعل الانعطاف الفكري والوعـي المبكر الـذي أبعده عن المواضيع ذات الشـأن العاطفـي والذاتـي وقرّبه من الهموم الانسـانية ذات القيـم الموضوعيـة الرفيعة.فضلا عمـا ادخرته من شـحنات درامية كانت بمثابة المؤشر الدقيق لجنوح زنكنه الى الكتابة المسرحية.

٦. ظهـور الخيانة كبنية من البنى التي اهتم بها زنكنه في بواكيره وتناولهـا بنضج في نصوص ما بعد البواكير.

٧. لقـد حملت البواكير ،علـى وجه الدقة، بعض ملامح المرأة التي أرادها زنكنه ولكنها خلت من وجود ما يبرهن على تبلور تجربته معها لأسباب منها قصر التجربة التي لم تتعدى السـنتين في مرحلة فيها من النرجسيات والجهالة والمراهقة،باعتراف الكاتب(٤) ما يجعل التجربة بسـيطة ومتواضعة لـم تبلغ النضج بعد،وعـزوف الكاتب عن موضوعات المـرأة و"العبث الصبياني" وانتقاله الى الاهتمام بهموم البشر وآلامهم وتطلعهـم الى بنـاء عالم لا ينهش فيه الانسـان لحم أخيه.

....

(١) البنـاء الدرامي في مسـرح محي الدين زنكنه – دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ٢٠٠٢

السـرد وتجلياتـه في قصص محـي الدين زنكنه – مجلة به يفين العربي ٢١/٧ آب /٢٠٠٥

(٢) يذكـر الباحـث في صـ٣٣ وجـود دفتر ثالث باللـون الأزرق ومن خـلال تدقيقي وجدت ان الدفتر المعني هو الدفتر الأخضر

(٣) المـرأة في القصـة الأولى كائـن جميل يقدس الكاتب جماله الأخاذ ويهيم به أيما هيام ولكنه بفعل الغـدر يورثه الحـزن واللوعة.ألم يكـن هذا هو حال الرسام الذي التقى بامرأة رائعة الجمال وشرع برسم ملامحهـا وهام بجمالها ثم صدم بحقيقة كونها بائعة هوى في مسـرحية (موت فنان) ؟ ألم تكن الأم متآمرة علـى ابنها والأب متآمر على ولـده من اجل التخلص منهما ليتسـنى لهما فعل ما يرغبان به في مسـرحية (حكاية صديقين) ؟ وثمالة في مسرحية (السؤال) ألم تخن زوجها مع صديقـه التاجرالذي أمعن هو الآخر بخيانة زوجته ليلتقـي وثمالة في خيانة مركبة ؟ و في مسـرحية(الجراد) ألم تكن (الأم) مسـتعدة فعلا للتحول الى صف القـوى الجرادية المعادية، و(العجوز) ألم تتآمر مـع أخيها (المختار) ضد أبنـاء جلدتها(٢) وتطـول الأمثلة التي لا أريـد لها أن تطول وأنا بصدد البواكير.لقـد تمكنا في هذه القصة من أن نضع أيدينا على بنية أساسية من أسس تجربة زنكنه مع المرأة الأ وهي عقدة الشعور بالخيانة والتي تبلورت في كتاباته اللاحقة.

(٤) راجـع مقدمة زنكنه التقييمية لقصصه صـ ٤٢ والتي كتبها بعد سنتين من تاريخ كتابة قصصه



غصن من الظل منكسر.. جدا

دلاور قرداغي
ترجمة: آزاد برزنجي

(قراءة انطولوجية للظل بضمير الشخص الاول الغائب)
الى آزاد برزنجي وكذلك بابولينا

هب اللون على الصف
يا ابنتي
هب اللون..
(سامحيني ان غبت ذات مساء فجأة)
اسامحك..
ان غبت ذات مساء بغتة
اعيدي بورتريت والدك
الى حقيبتك
واستأذني
الحروف المجمدة في حنجرة
الغرباء!
في أسفل الصفحة
ارسمي صورة سوداء وبيضاء
لأغنية
افتحي قوسا للشك
ضعي فارزة امام الغربة
ارسمي خطا بنفسجيا تحت الوحدة
ادخلي ارنبا ورديا واقعا في كمين الجزر
في جملة
اعربي ماء اثناء الالتفاتة
احفري علامة تعجب
على مرفق شجرة التوت في ساحة المدرسة
املئي دفتر املاء الزيز
من: جيد جدا. احسنت
طاب نهارك يا ابنتي:
استريحي.. لقد هب اللون

استعدي.. لقد هبت الشيخوخة
اعيدي بورتريت والدك الى حقيبتك
لاتقفلي ماء اغنية الساحة
لاتسدلي قلق نافذة غرفة الضيوف
بوجه حزن مساءات الزقاق
اصنعي من صفحات دفتر الرياضيات
طائرات ورقية.
ومن صفحات كتاب الجغرافيا
زورقا
لاتراهني عليَ اني اعرف
لون شريط شعرك
هل هو احمر.. ام بنفسجي؟
لا اعرف.. هل صبغ الاظافر ذاك
ينسجم مع حذائك
ام مع لون الغروب؟!
استريحي.. ابنتي
ها قد غار المساء
هبت الشيخوخة!
سامحيني ان غبت في غير اوان
فانا لم اعد اراك وردية
ولا انت ترينني ناصع البياض!
فاللون قد هب!
ليس ذلك اللون الفيروزي
حيث كانت امي تكحل به
عيون الحصرم الرمداء
عند مساءات طيران الجياد
وليس ذاك اللون البنفسجي الفاتح جدا
حيث يطبعه الصيف من شدة الغيرة
على عورة التين!
وليس ذلك اللون الشرابي
حيث كل جدك يأتي كل صباح في عربة
ويملأ منه جيوب اشجار الصنوبر
وعيون الياسمين
اليوم هو السبت:
الله اعلم كم فراشة ستموت
في كتاب التربية الوطنية لابنتي؟
امس كان الاحد
الله اعلم كم غضن ظل بليلا
قد انكسر
في كتاب الجغرافيا لابنتي؟
هب اللون يا ابنتي!
هبت الشيخوخة..
اعيدي بورتريت والدك الى حقيبتك
استأذني.. يا ابنتي
الاطفال الذين
خسروا سيقانهم في الشوارع
ونسوا اعينهم في غسق الليل
بين افانين النزوح والنزوح
استأذني.. يا ابنتي
دنيا صغيرة كهذه
حيث لا باب فيها للهرب
ولا نافذة للانتحار
استأذني.. يا ابنتي
اوثان كتاب التاريخ
ذي الاعناق الطويلة
الاوثان التي اساءت فهمها
لنزاهة الزرافة!!
الاوثان التي انتهزت تيه الانبياء

كي تدون كتب البلاغة
المشكوك فيها!
استأذني.. ياابنتي
سيف الشاه أسماعيل الصفوي
عكاز اتاتورك
عصا معلم النشيد
الكرة الارضية المغبرة
على طاولة غرفة المدير
استأذني
قطعان الغزلان الشاردة
في كتب العلوم
الحمائم الحزينة
عند شباك تيوب نامق علي[١]
طاب نهارك يا ابنتي
استريحي.. قد هب اللون
استعدي.. قد هبت الشيخوخة
اعيدي بورتريت والدك الى حقيبتك
سامحيني ان غبت ذات مساء
فجأة
لاتراهني على..
اين سأحط؟
فلربما اكون تحت حوافي سطح
بيت آزاد شوقي[٢] البعيد جدا
او أغدو قطرة ندى بلبلة
في كف احدى الوان
سامان كريم[٣] الجامحة!

*صور من دفتر رسم ابنتي
بغير علم معلم الرسم*

الرسم الاول:
ابيض نصف عار
والنصف الاخر متناثر
في زاوية قاتمة متروكة
في الوسط والزاوية اليمنى
ثمة بقع سود
تشبه ظلالا
او آثار اقدام حيوان اليف
غصن من الريحان يستقيم
ونقطة سوداء في ساحة بيضاء
تنتفض
طفل يعود من المدرسة
اغنية تتناهى الى السمع.

الرسم الثاني:
ابيض اكثر قتامة
على شكل خط
يأتي من اقصى الزاوية
نحو العمق
ثم ينكسر ليصل اقصى الزاوية الاخرى
سرب من الطيور..
كأنها زرازير
او عقعق
ظلالها اكبر من انفسها
مرات
تطير على حين غرة

صوب اليسار..
تترك ظلالها من ورائها
ليس هناك من احد
وينام القمر!

الرسم الثالث:
لون مائل الى الاسود
يتبخر
ويترك اثرا ورديا
شكل نعش في الوسط
يحتل جزئين من فضاء
اللوحة!
ثمة طفل يمر بجانب
مقبرة
اصوات ميثولوجية
حمامة تلبس في عينيها نظارة.. تهدل
ارنبة في الجانب الآخر تلد
دعموص
يكتب النقد
يأتي الليل!
الصمت

الرسم الرابع:
الوقت هو الأصيل
ثمة ورقة غيرت مجرى جدول
نحو اليسار!
سلحفاة ترنو حائرة الى السماء
صواعق
ظلال.. ظلال.. ظلال.. ظلال

الرسم الخامس:
نقط سود لاتعد
فوق اغصان وفروع الاشجار
بين المراجيح
على حفافي الجداول
في صفحات الكتب والدفاتر وتفاسير الاحلام
تشبه اطفالا صما بكما
يحلمون تحت المظلات.
انها لاتشبه عصافير
تطير الى الضفة الاخرى
طائرة ورقية مضطربة في السماء
اغنية جماعية.

الرسم السادس:
هناك شطب بالخط الاحمر وعلى شكلX
فوق الرسم. وقد كتب معلم الرسم عبارة
بخط رديء في زاوية الرسم البيضاء..
لن اتحدث عن الصورة ولن اقرأ العبارة
لاعتبارات تربوية واخلاقية وسياسية.
*
هب اللون
يا ابنتي..
لقد هبت الشيخوخة
ذات مساء وعند عودتي
ستنفتح شبابيك الاجاص
بوجه الرؤيا
سينتحر الريباس.
والغيوم

ستقتل نفسها
في أوج هطول المطر
لدى عودتي
سأترك صوتي امانة
عند لون عيون الاسماك.
عند عودتي
في غير اوان
ستذوب قطعان الثلوج تلك
في غير اوان
ستطير تلك الاحصنة
في غير اوان.. سأعود معك
الى الازقة المكتظة بالانتظار الزجاجي
في غير اوان.. سأعود معك
وجيوبي مليئة
باشداء الكرز الذابلة
وذاكرتي مليئة
بذكريات الدلب الخضراء.
طاب نهارك يا ابنتي..
استريحي: قد هب اللون
استعدي: قد هبت الشيخوخة
سامحيني ان غبت ذات صباح
فجأة
بعيدا عن المساءات المستلقية
داخل التوابيت.. بخطوة
بعيدا عن تيبس الثورة
وتأرجح التاريخ.. بقليل
مع نزهة المساءات البرتقالية
للسيف
وغثيان الحرب..

سمعتك بالقرب من اللون
حينها علمت:
ان تلك الاصابع الموسيقية
لاتعود لي
والعيون الرياضية تلك
لاتعود لك!
حينها لم اسمح لنفسي:
بالبحث في جيوب الصحراء
للعثور على اصابعي.
خجلت:
ان استرد صوتي من الاسماك
ابت عيوني ان تشهدنا:
ننصب خيمة للعب
هناك.. بعيدا عن الجبهات.
خجلت
من الرهان مع العشق
جنب هندسة الموت
وخلف جبر الرؤيا
طاب نهارك.. يا ابنتي:
سامحيني.. ان غبت ذات مساء
فجأة
اسامحك.. ان غبت ذات مساء
بغتة
ولا تسألي منذ الآن:
الى اي عنقاء
يعود نسب اولئك الكيميائيين
لاتسألي:
ما مدى انتماء اولئك الفيزيائيين الكفار
لأوزان وحجوم الوحدة المائلة الى الصفرة

لا تسألي عن هوية الفلكيين الذين
اغلقوا بوجهنا ابواب الابراج
ولاتسألي عن عمر الطفل الذي
طارد الفراشات
في حديقة الكتب الوحيدة
لاتسألي..
واقرئي ميثولوجيا قطع رأسي
بجانب تجمد الفؤوس
خوضي معركة العمر
مع بواب صوامعي..
لاتسألي..
واقطفي اصابعي
تحت انقاض الورود
واستردي
عيني من الاجاص
وفؤادي من الزقاق
وصوتي من الاسماك
وذراعي من الظلال.
(ذكرى غير كاملة مكتوبة في دفتر مذكرات ابنتي.
هذه الذكرى لشخص مجهول، ولربما قد حصلت عليها
ابنتي مصادفة في احد النزوحات الميثولوجية)
ليالي.. امنح عمري
لفتيات الحدود الوحيدات
احضانهن دافئة
وتفوح من انفاسهن
رائحة الخطاف المقتول توا
والدهن فاجاري متشائم
واما والدتهن.. فيعود اصلها
لصياد سمك
معربد
على الضفاف الاخر للبحر.
كلما اقتربت
ظهرن اكثر عريا
كلما تقدمت اكثر
ازدادت كثافة الوان رينوار المضيئة
وخطاطيف القبل
وسرب نحل اجسادهن
حولي!

*

هب اللون يا ابنتي
هبت الشيخوخة
فما نعمل. انا وانت.
في فيدراسيون هذه المواسم الهمجية؟!
وما الذي نأمل
من تلك الغراميات الوهمية؟
اضحكي!
حتى اقصى الاختناق.. اضحكي
تعري!
حتى اقصى الرقاد.. تعري
أغلقي االنوافذ حتى اقصى العبث
بوجه اللون
وحزن الغروب
ثم ومن هناك ناوليني حرفا من السكوت
لكي ابقى في ذاكرة الماء والاوراث
ونا ولك بدوري شرفة
من الرؤيا
كي تنزلي منها الى حدائق الرقص!
ناوليني مترا مربعا

من الموت
كي امتلك مساحة احارب فيها
واناولك بدوري زورقا
من الخجل
كي تعبري به الى الاستسلام.
طاب نهارك يا ابنتي!
سامحيني ان غبت ذات مساء
فجأة
اسامحك ان غاب احدنا عن الآخر
ذات صباح
اعيدي بورتريت والدك
الى حقيبتك
فثمة شبر من الظل اخيرا
كي لتمدن جنب الرؤيا
واصفق لفوضى الحدائق
كصوفي عدمي
ولكنني... لن اتعلم لغة الاوثان
ولن استطيع عد اعمدة الدخان
انظر الى ورائي واعلم:
اني لن اقدر على مصالحة نفسي
ولن اقدر مبارزة الديالكتيك!
هب اللون..
يا ابنتي
هبت الشيخوخة!
اعيدي بورتريت والدك
الى حقيبتك
لاتقفلي ماء اغنية الساحة
لاتسدلي قلق نافذة غرفة الضيوف
بوجه حزن مساءات الزقاق.
في اسفل الصفحة
ارسمي اغنية
موشكة على الانتهاء
ارسمي خطا اسود تحت الوحدة
ادخلي ارنبا ورديا واقعا في كمين الجزر
في جملة
اعربي ماء
اثناء الانتحار
احفري علامة تعجب
على كف شجرة التوت في ساحة المدرسة
املئي دفتر املاء الزيز
من: جيد جدا.. احسنت
سامحيني أن غبت ذات مساء
فجأة
فقد غار المساء
يا ابنتي
وهبت الشيخوخة!

الهوامش
١-فنان تشكيلي كردي
٢-فنان تشكيلي كردي
٣-فنان تشكيلي كردي

بـــــازايـــــان
مكـــــان كسيماء الخديعة

نص: هوشنك الوزيري

وأخيراً أستيقظنا على صراخ سبابته وهي تنشد
اكتشاف كومة غيب مفضوح أمامنا
"هو ذا المكان.. هو ذا ماء روحنا الأزلي" مشيراً بخشوع
الهزائم المذكورة في كتابنا الذي فقدناه منذ ان كان
المكانُ مكاناً الى هواء يسعل بوجه الجهات كلها. وهاتفاً
بجلال من يكتشف فجأة سره المقدس ويتعثر به
"باركوه.. آمن من يبارك هذا الهواء المغبر بنتف من وجه
الله." ثم انحنى بوجهه الجليل الدامع علينا، وجه لم
يذكرنا إلا بالبذخ البهي للسان المكان حين كان مكاناً
"لنسبح باسم ترابه المبجل ببكاء آبائنا وأطلال السلالة."
وكمن يصيبه رجفان حمى اليقين قلبَ المكانَ بين
راحتيه بحثا عن بوابة نلج اليه
"انه المكان كله لا ينقصه إلا الكلام"

***

مضوا وحدهم
لم يتركوا سوى التوق الذي تخفى بكمائنه
في غبار خطواتهم.
مضوا
وهم يسوقون جِمالهم وبراهينهم و نسائهم
واليأس أيضاً
اليأس الذي لم يشاؤوا أن يتركوه هناك وحيداً، عرضة
للنهب.
كأنهم خارجون من صخب الخديعة
لم تعرهم جهةٌ يقينها.
يمضون
غير آبهين بالأرض وهي تختلس الاصغاء الى ما يسقطه
متاعُهم
من أدعية أصابها الهزال وهي تفاوض الله فيخذلها،

وخسارات لم يعلنوها
و بضعة صباحات تملصت من سيرة رحلتهم
ليتلقفها الأطفال بأرجلهم.

ترمقهم السموات وهي تتمتم بالتعاويذ التي تدفع المكان
يفر مدهوشاً من حمل الحشد وأرثه، ويتزين بسيماء الخديعة.
كمن يحارب الضباب و يسقط منهكاً من شدة الوضوح
مضوا غامضين
يقودهم فجرٌ شائك بخيبته
وهو يسرد لهم عماء نهاراته..

* * *

كيدٍ استدارت لتتلقف ما فات الأصابع من لذة آثار اللمس..
استدار الشيخ الجليل نحونا
نحن الذين لم نكن نشبه سوى قبضة رمل تُركت في رعاية ريح ضاحكة بوجه الجهات،
وخطب
" وجدنا بازايان كث اللحية، عجوزاً
يسعل الصخور ويتقيأ نصوصاً ملغزة و يقيناً أليماً...
لم نفهمه ولم يكن قادراً على تذكرنا.."
وانحنى الشيخ الحكيم الذي كان يضجّ بزمان الأوليين
ومُثلهم علينا هامساً
"كانت الأشياء كلها تمضي إلى نهايتها.
شهدته بعيني الجليلتين.. كان حتف المكان مهيباً.."
كنا نصغي لوجهه منفتحاً ببطئ على أقليم الشيخوخة
وهو يتلو صوابه وصلواته
على حشد يتمايل دروشةً وراءه من فرط اليقين:
" المياه أكذوبة الكهنة واليابسة بدعة صغار الأنبياء حين خرجوا من أفلاكهم
المهلكة وتعبت المياه منهم،
الحق أقول لكم .. لا مكان هنا" و تهتف الجموع سكرى..
ومن ثم مضوا وحدهم يحرسهم عماء حلو...
وهم يسوقون كُتبهم وكلابهم ونسائهم وماضيهم
لم يتركوا سوى هواءً مريضاً وهو يشير بخباثته المعهودة الى متسع من العبث بين سبابة الشيخ التي تعرج
بصوابها وبين المكان وهو يختبيء في اسطبلات الذاكرة.

* * *

بازايان..كم اشتقنا اليك؟
بـازايـــان.. كم من مرة حاولنا العثور عليك فكنا دوماً نتعثر بعمائِنا الضروس التي ثملت بجَمال متاهاتك وخدمها.
بــــازايــــان.. لم يكن لك جسد حين كنا نتوسل من شدة هتكنا للطرقات، عناقاً فكنا نراقص ظلالنا الراقدة على رملك الوثير
بازايان أنت حفنة من غواية متقنة لا يمكن سردها.

* * *

بيقين من؟
لنرشق صوابك قليلاً..
بيقين من كنت تحاول الاقتراب من المكان ملثماً، كمن يلتف بألفباء الليل، لتدون خلسة كل ما يأبى التدوين ومن ثم تُعلن مفزوعاً: هذا وجهي بتمامه وكماله

فأسردوه إن أستطعتم و ليس لكم الحق أن تهملوا زنديقا قد يكمن خلف التجاعيد أو حتى نتفة واحدة من جماله أو قسوته.

كنت بارعاً في تلاش أبهرنا وأخجلنا بهاؤه حين لامستَ منائراً كانت تشمخ في قداسة المكان بحثاً عن دليل لا ينصّب نفسه بطلاً صاخباً على ظل المكان فلم تجد سوى بضع محاربين خرس يشهرون ألسنتهم المقطوعة بيدٍ بينما يرفعون حرابهم التي يلمع عليها رأس اللغة بيدهم الأخرى.

كنت تأمل سبي المكان أو ربما غوايته حين كنت ترنو جهة الشمس و تُتمتم: لم يزل ثمة متسع لشرق سيأتي ومعه حشد من الفقهاء يتراصون بعباءاتهم الكثة في يقين طويل تتقدمهم خرائطهم وكتبهم و موتاهم.. وسيعتكف كلٌ على نوره بهدوء كأنه حكمة الموت باسطاً شريعته وأوراقه ليهندس الخواء مدائناً وزقورات ومعابد ومنائر تتناحر وتتشابك وهي في طريقها إلى السماء.

كنت تغور وتهبط مسحوراً بغوايتك ونحن ننشد لك:
" الحمد لك.. الحمد لك.. أنت القابض على سراب تسميه مكاناً، الساكن قفراً يضج بالعواء وتَخطبُ هذي قلعتنا.."

وفي خضم الإثم هذا كله.. إثم المدينة وهي تهشّ جوقات من بيوت الطين عن وجهها وتسحب وراءها أزقة ومآذن كل حسب نطقها ولعثمة دعاءاتها. إثم أسوار بـــازيـــان ومتاهاتها. في خضم لعنة الهتافات حول أية وحدانية علينا أن نرث، كنتَ تغسل قدميك في ينابيعنا وترشدنا، نحن الذين لم نكن سوى كومة من الخشوع، حول أي قفر علينا أن نغزو
ونحن نصغي ليس لك

بل إلى ذلك الطفل المشاكس الذي يسرد في آخر الليل مرتجفاً وكأنه مصاب بحمى المعنى أو ألقه كلما رآه اليوم: زقاق يحاجج الشارع حول جدوى رقاده البليد هكذا طوال اليوم. شجرة هرمة تشاجر عاشقين كانا على وشك تدوين ذكرياتهما الرخيصة على خصرها. وحكاية المرأة التي كانت تئن وتشهق وهي تجادل جسدها بإصبعها حول معاني الرفعة و الذروة.
و المرآة التي صادف أن رمقت الجمال مرة فتشظّت.
ومن ثم أية ضراوة هذه؟

ضراوة أبنائك العائدين من جدالات مترفة. ضراوة بها وحدها رصصت معتقدات المكان وبنيت ممراته جنوباً يسقط كفاكهة طازجة على أجساد نسائنا البضة، شرقاً يندلق بوحيه الأليم، وجهاتٍ أخرى لم نستطع تسميتها ألفناها ملقاة كأفاعٍ سامة على القلوع وبين الأبراج وبين أقدامنا يحرسها داخل السور صوابُك الذي شيّدته بأبناء تقاة بعنفهم كلما خذلهم المكان في المجيء يجرجرون ورائهم جثة السماوات طبقة طبقة بأطراف حرابهم، ليبنوا مكانهم الحق تحت ظلال سيوفهم.

أبناء مرممون بالصواب ولا يثيرون البتة رجفة شك حول صحة يقينهم.

أي مكان ضروس هذا؟

ضروساً كانت عتبات يابسته التي أوحت لنا، نحن الذين لم نكن سوى قبائلا من الوحل، ان نخيم قبالة عريها الباذخ و نتلوا صلواتنا. ضروساً كان بالحجج المعطوبة لقببه التي تستيقظ كل صباح على هتاف صغار الغزاة وهم يستدرجون المكان الى خزانة ملابسه ليلبسوه ماييناسب لون يومهم المترف.

سفر متواصل هذه الغربة



شعر: محمد كساس
ترجمة: جيهان عمر

إنني محكوم بحب تتقطر منه الوحدة
احس بأنني في نار سقر
ولا يسمع صدى صوتي
أنا مطمئن بأن في سحر (سيروان) عمري
يترك هذا الدهر
لذا لاتبقى قوة لي
وينهب ديوان طربي
الآن لكي تعرفونني
خذوا أماكنكم على جناح العنقاد
ومن نافذة موسم مر، شاهدوني
ومن مرايا عمري المحطمة
انظروا الي
ترون كيف أن كل المواسم الاربعة لعشقي
اصبحت خريف الانتظار

وأنا لوحدي اسقي شجرة الانتظار هذه
انا جئت الى الوجود وحيدا
واحمل صرة هذا السفر غير المجد وحدي
أتابع طريقي من صحراء الى صحراء
هذه الغربة سفر متواصل
غربة بلا نهاية هذا العمر
سراب لفنى من كل النواحي تنضح فيها الوحدة
بقدر الآم وحسرات عاشق
ومع ترديد أغنية «خريف وأوراق الاشجار متساقطة»
أشعل واحدى وخمسين شمعة لخريف عمري
وأنا مع نفسي أعود الى ذكريات مملكة سراب الطفولة
ومع بكاء كل شمعة
رويدا رويدا

اودع قدري لدى سراب الانتظار
حينئذ كل اعضاء جسمي تطفح بحسرة
لا نهاية لها
إني أردت الى متى تبقى نضرتي
ومادام تسمع صلصلة صوتي
فعلي جناح نجمة
اتجول من انحاء ضرائب هذا الكون
لأبحث عن كينونة جمالي وإنسانيتي
ومع غناء مقام الصبا
أبلغ بدموعي غم أزلي الى القدم
أنا أردت أن أبحث عن بستان
فيه شجرة تفاح المحبة
ولم يقطف أحد خديه مع طوفان التلهف والاشتياق
أنا اردت أن أبحث عن أمطار
تجرف مدى عمري عن الضربة
وتود عني لدى العشق
لكن واحسرتاه إنه سراب.. سراب
مزاري عند حافة الغروب
وليست لدي حتى مظلة أحمى بها نفسي
من هطول زوبعة العيون المحدقة المذهولة
أحفظ نفسي لعالم، لنكون أنا وأنت كلانا..
أيها الشعر.. مخلوقين فيه
لتكون أنت طائر نورس كثير الحركة
وألون أنا أمواج رغبة متلهفة
وبالتالي فلا أنت تسمح للفم والحسرة أن يحرثني
ولا أنا أسمع لك أن تتذوق
من تفاح الفناء
تعال كي نثمل
ويلثم بعضنا البعض أعضاء اجسامنا
دعنا نفنى من روح بعضنا البعض،
إلى أن يأتي يوم قيامة عشقنا
وحتى نملأ كل عمق غوصنا بالعشق
الى سحر يضفي الله نوره عليه،
ويترك هلال هذا الغم،
جلسة هذا العمر
تعال كي نثمل
ايها الشعر..!!



عارنامه*

قصة: محمد موكري

ترجمة وتقديم: جلال زنكَابادي

يعد محمد موكري (تولد ١٩٤٥ كركوك/ عصامي النشأة، من أبرز الأدباء في مشهد الثقافة الكردية المعاصرة، فهو قاص، روائي، كاتب مسرحي، صحافي شاعر، رسام ومترجم إلى الكردية عن اللغات:الفارسية والعربية والآذرية. وقد ترجمت غالبية أعماله إلى اللغات: العربية، الفارسية، التركية والفرنسية، ومنها مجموعته القصصية(الطريدة) ورواياته:النباح/ الإنهيار/ الثأر/ والتنين.. ومسرحيتاه: ثلاث محاكمات، وهارون الرشيد.

*من ترجماته عن الفارسية:تاراس بولبا لكَوكَل/فيفا زاباتا لجون شتاينبيك/ حمارنامه/ ودراسة عن الشاعر خسرو كَلسرخي.

ومن ترجماته عن العربية إلى الكردية: همنكَواي لفيليب يونكَ/ هنري جيمس لليون نيدل/ حديقة الحيوان لأدوار ألبي/ الجسر لجورج ثيوتيكا/ المرحوم لبرانسيلاف/ القيثارة الحديدية لجوزيف أوكونور/قصائد بريخت/ مسرحيات: الظمأ، الضباب، عربة الموت ليوجين أونيل/ مسرحيات: البجعة، مسسز جوليا، سموم، اللعب بالنار لسترينبركَ/ مسرحيتا:اليمامة، حلم الملك لمحيي الدين زنكَنه.

ومن ترجماته عن الآذرية:مسرحية الأموات لجليل محمد قليزاده.

ومن ترجماته عن الكردية إلى العربية:قصائد للشعراء قوباد جليزاده وشيركو بيكس وصلاح شوان.

*يعمل منذ سنوات رئيساً لتحرير مجلتيّ (بيفين) الصادرتين باللغتين الكردية والعربية}

***

(مهداة إلى الذين لم يلقوا حتوفهم في الإحتراب الإنتحاري، ولايريدون أن يهلكوا في الإحترابات المقبلة)

(أنا) ولدت بالخطأ وسمّوني بالخطأ، وحياتي كلّها خطأ في خطأ... وقد دحرت الخطأ بالخطأ، حتى استحلت كدساً متراكماً من الأخطاء.

لمْ أدرك هذه الحقيقة بنفسي، ولمْ أكن سائحاً أو من هوّاة السفر، حتى يتبيّن لي هذا الأمر بالمقارنات. قطعاً.. لاأعرف متى وكيف صارت هذه الحقيقة جزءً من حياتي.

خطأً ترى عيناي الأسود كأسود والأبيض كأبيض، وأذناي حسب الدستور نفسه بالخطأ تسمعان الجيّد جيّداً والسيىء سيّئاً. أمّ لساني فهو أكبر خطّاء حدّ لخبطة كلّ نواياي؛ فإن نويت القول:

- " كان صاحبنا يرتدي زيّاً أبيض، ويشبه ملَكاً، وهو بعيد عن المنكر وسوء الطويّة. إنه نعم الإنسان الطيّب الصّالح، وكل ما نتقوّله عنه إفتراء وبهتان وحسد، وبعيد عن سلوكه الحسن الطاهر. إنه ذو شخصيّة قويّة ، ويتسم بقوّة الإرادة والوفاء والإخلاص والجرأة..أجل؛ إنه صادق وشجاع..إنه إنسان بمعنى الكلمة"

فإذا بلساني يستبدل كلّ هذا الذي نويت قوله، ولاأدري كيف ينطق فوراً:

-" كان صاحبنا يرتدي زيّاً أسود، ويبدو شرّيراً شبيهاً بالشيطان. إنه فاعل المنكرات وشخص سيىء؛ فكلّ ما نقوله عنه هو عين الحقيقة ويجلو نواياه الخبيثة. إنه عبد خنوع وعميل مأجور..يا له من ناكر جميل، جبان، بل حيوان إبن حيوان"!

ويبدو أن الخطأ مازال هيّناً حتى هذا الحدّ، وغير مركّز ومكثّف، فماذا ستقولون إن قلت لن أقف عند هذا الحدّ، حيث ينقضّ عليه لساني فيصليه بوابل من الكلمات المدرارة:

-" ليس وحده هكذا؛ إنّما هذا ديدن أصله وفصله، وقد ورث هذه الخصال عن أجداده وأسلافه...إن كلّ السوءات والكبائر لاصقة بهم وتبدر عنهم..أجل؛ كلّ ما تقولونه عنه عين الحقيقة : قاتل، لص، سلاّب، نهّاب، مافيا، خائن، جاسوس، سيّيء الأخلاق، كلب ابن كلب"

وتنهمر الكلمات ومرادفاتها من لساني مدرارة؛ فيحرجني سيلها العرمرم أيّما احراج، حتى إذا ما استفقت أجدني وقد ألصقت بنفسي هذه النعوت والصفات كلّها! ودون أن أراجع نفسي ، أحوّل فوراً لساني التعيس الملتصق بي إلى (الطابكَير) حيث أعيده القهقرى بمائة وثمانين درجة!

-" حقّاً انه من عائلة شريفة نبيلة المحتد...إنه شهم، مضحّ، ثوريّ، ذو سلوك حميد، مخلص، طاهر اليد واللسان، وطنيّ غيور وعالي الخلق.."

وعندها أستعيد وعيي؛ فيتبيّن لي انني أتحدّث عن نفسي، حيث منحت لنفسي كلّ ما ليس لي؛ فأشفق لحظتئذ ليس على نفسي فحسب، وإنما على تلكم الكلمات المسكينة... فيا ترى كيف ينقضّ لساني (حجر المسنّ) هذا على جسمي العارسز وروحي اللعينة، ويمزّق سدى أوصالي إرباً إرباً، ويحيلها لقمة لقمة تقطّعها أسناني ويمضغها لساني للمتخرّصين وأعدائي! أو يعلّق الأوسمة والنياشين الزائفة على صدري!

هذا ما يفعله لساني وهو واحد، فكيف يكون الحال مع أذنيّ سيّئتيّ السمع وهما اثنتان اثنتان؟!

الأذن اليسرى/ الأذن اليمنى كلتاهما تخدع شقيقتها! تستمع اليمنى لليسرى، واليسرى تبتغي السماع حسب رغبتها ومرامها، فإذا ما سمعت الأذن اليمنى:

- "من أجل مصالح المظلومين المحرومين، يرفض يساريّو البلد التعامل مع الحكّام من أعداء طبقتهم" تسجّلها فوراً:

- " لقد تمرّد يساريّو الوطن وانحرفوا متحالفين مع أعداء طبقتهم"

وإذا ما سمعت الأذن اليسرى:

- " أيها الوطن! أنا مفتونٌ بك وقد تذكّرت سيماءك"

تدوّنها هكذا في الحال:

- " أيّها الوطن! أنا ممتن لك وقد تذكّرت سيمائي"

إنني أكداس متراكمة من الأخطاء...فقد ولدت أصلاً بالخطأ، لكن يا للحيف لن أموت بالخطأ نفسه!

ثمّ إن عينيّ اثنتان إثنتان:

اليسرى لإستهداف نفسي، واليمنى للمهمّة نفسها.

ومن ثمّ ثمّة يداي وهما اثنتان إثنتان، ويا للحيف لديّ عشر أصابع فقط.

خنصري للضغط على الزناد والتسديد نحو نفسي.

بنصري للضغط على الزناد وتجريح نفسي.

وسطاي للضغط على الزناد والإنتحار.

سبّابتي للضغط على الزناد وإزاحة نفسي.

وإبهامي للضغط على الزناد وتضريط نفسي.

لاأدري لأيّ من يديّ هذه الأصابع، أمّ أصابع يدي الثانية:

الخنصر للبصق والزعل

البنصر لكلّ شيء ولاشيء

الوسطى للإنتعاض والشتائم السوقية

السبّابة لشهادة الزور

والإبهام لاستمراء الخنوع.

خطأٌ أنا وموجود بالخطأ على هذه الأرض، التي أوسّخها بالأخطاء.

ولي ساقان، يا لهما من ساقين!

فالآخرون تتشوّش رؤوسهم خلال المشكلات والمعضلات، أمّا أنا فساقاي!

ساقي اليمنى عدوّة لنفسها وساقي اليسرى عدوّة لأعدائي وصديقة لأعدائي.

ساقي اليسرى عدوّة لكلّ أصدقاء وأعداء ساقي اليمنى.

كلتاهما عدوّة لجسمي

وجسمي عدوّ لروحي

وروحي عدوّة لكلّ ذي روح

فلكي أبرهن على دقة تصويبي؛ أقتل بلبلاً بطلقة واحدة وألتهم لحمه!

كلّ شيء ينحدر ليساري، بينما تخطو أشيائى اليمينية صعوداً.

إنني أكداس متراكمة من الأخطاء...فقد ولدت أصلاً بالخطأ، لكن للأسف لن أموت بالخطأ نفسه!

لقد هلكت أقوام اسبارطة وساسان وفنيت عن بكرة أبيها، لكنني لمْ أفنَ!

إن بقائي لخطأ التاريخ الشره الكذّاب الحرباوي.

وعنادي هذا لهو خطأ العلم والقسوة.

وإن صمودي وبقائي على قيد الحياة خطأ سايكولوجي، ايديولوجي وتنكلوجي!

وانتحاري الآن وفنائي خطأ الأخطاء.

فأنا الآن خطأ الأخطاء.

قبل بضع سنين قيل لي:

- الإحتراب مع جسمك سيّيء؛ مهما كانت الذريعة.

فصمتت. وبعد إحترابي مع نفسي، وإثر التجربة المريرة؛ تبيّن لي فعلاً مدي ضرره.

وبعد سنين أخرى ، كرروا عليّ القول نفسه؛ فتبيّن لي بعد التجربة انه سيّيء فعلاً؛ فقالوا:

- لماذا كررته وقد عرفت من قبل؟!

- لكي أبرهن عمليّاً مدى سوئه.

وخلال الأشهر القليلة الماضية حدّثني ضميري (الذي عندي وليس عندي) بالشيء نفسه، ولكن ككلام مجرّد..كلام بائس على لساني القاطع لنفسي، فقلت:

- " كلّ شيء تتجلّى جودته أو سوءته؛ إثر التجربة"

وفضلاً عن التفاهات؛ فأنا عدوّ لدود لشبه الضمير هذا! وهذا أيضاً مجرّد كلام، ولقد وضع كلاماً معقولاً على لساني قائلاً لي:

- " إنك ذو تجارب جمّة؛ فليس من داعٍ أن تستنبط النتائج نفسها من الأخطاء المكررة نفسها. وإذا بلساني يستمطرالكلمات هكذا:

- " وكيف أبرهن إذنْ على أن الحرب مدمّرة؟!"

أنا خطأ وبالخطأ سُمّيت ، بل وإنسان بالخطأ؛ وإلاّ فأنا دابّة بهيمة، لو إستبدلوا الحمارَ بي؛ لخسروا البرذعة! وفوق كلّ هذا، أنا مجرّد خادم ، خادم لأحد الآغوات، أبرهن له صواب الأكاذيب..وآغاي هذا خادم لأحد الآغوات

الكبار، يجمّل له أكاذيبه..وآغا آغاي خادم للآغا الأعظم، يجمّل له الأكاذيب الكبرى، ويكذب له وعليه، ويضع الأكاذيب على لسانه!

وهكذا فأنا الخادم الأحمق في مصنع الأكاذيب العظمى، لست سوى كيان كاذب.

ولاأعرف الآن أيّ كذبة أخرى في جعبتي!

إن تهديدي كذب وحروبي أكذَب!

عاطفتي كذب وبغضائي أكذَب!

وأكاذيبي أكذب من الكذب!

لقد ولدت خطأً وسمّيت خطأً فأنا خطأ الأخطاء.

يبدو أنني قد عرّفت نفسي لماماً حتى هذا الحد؛ وقد حان الحديث عن مهمّتي.

إنني مدجّج بشتّى الأسلحة مثل المسلّحين الكثيرين هنا وهناك:

بالمسدّس، الكلاشنكوف، الـ (ب. ك. سي)، الدوشكه، مدفع١٠٦ ملم، المدفع النمساوي، الكاتيوشا...لكن يا للحيف والحسرة؛ ليست لديّ طائرة حربيّة، أسلحة كيمياويّة ونوويّة..يا مائة حيف!

إذنْ؛ لاأحتاج المستلزمات الحديثة الأخرى للحرب؛ فمثلاً لست بحاجة البتّـة إلى كلب بوليسي؛ لأنني أكْلَب! بل كلب ابن كلب أضعافاً مضاعفة، حتى ان أيّ جلاّد متمرّس قدير يحتاج التتلمذ على يدي في دورة تقوية لستة أو سبعة شهور على الأقل! فلي تاريخ مشهود في اللصوصيّة والنهب والسّلب؛ إذْ أتقنت الطفيليّة الشرهة الشرسة حدّ اقتلاع أشجاري وأحجاري وتهريبها مع الديناميت عبر الحدود المجاورة. ولإعماء نفسي وتعريج نفسي وإفناء ذاتي مقلبل بضعة دنانير وتومنات وليرات ودولارات؛ لمْ ولن أتوان عن تشويه سمعة هذا أو ذاك؛ يكفيهم فقط وضع سطر واحد على لساني؛ فلاحقاً لاترتضوا بي، إنْ لمْ أدبّج عشر صفحات عن مثالب أخته وأمّه، بل شجر وحجر منزله، وحتى العصفور المتقافز على شرفته!

هو ذا أنا خطأ الأخطاء...

لست أتذكّر الآن ولن أستطيع إحصاء الخنادق- الإسطبلات، التي إستبدلتها هنا وهناك.. ولاتتصوّروا انهم لايعرفونني على حقيقتي كمخلوق تافه وسافل. أجل؛ إنهم يعرفون حقيقتي جيداً، لكنهم يحترمونني ويكافؤونني؛ لأنني ضروريّ لهم فهم يحتاجونني! بعبارة أوجز، لولاي؛ لما كانوا، ولو لم يكن أمثالي؛ لكانوا مجرّد نكرات وشذّاذ آفاق!

يقيناً ولدت بالخطأ، وبالخطأ سمّيت، وكلّ سنيّ عمري أخطاء تترى...هذا أنا أكداس أخطاء متراكمة، بل خطأ الأخطاء.

أوّل أمس ليلاً، إجتمع بنا قائدنا العسكري الجديد، وابتدأ يسألنا الواحد تلو الآخرعن أسمائنا الثلاثيّة.. ولمّا جاء دوري:

- أنت يا ذا العينين اللامعتين! ما اسمك الثلاثي؟

فبدلاً من أن أجيبه:

- خطأ ابن خطأ، إبن أخ الخطأ.

إذا بلساني اللعين قاطع ذاتي يهبّ ناطقاً:

- كردي ابن كردي إبن أخ الكردي.

فاستحسن الإسم كثيراً، فلم يسيطر على نفسه، فقال متحمّساً:

- تاريخ عائلتكم الفاضلة يشهد على إخلاصها لهذه الأمّة وأرضها..يقيناً لم يكلْ ولم يملْ أجدادكم وأسلافكم من خدمة هذا الشعب المضطهد، البطل، المنتفض، والتفاني من أجله بالغالي والنفيس..بل يتجلّى في عينيك الذكيّتين المتألّقتين مدى تضحياتك وإيثارك وإخلاصك ووفائك..حقّاً انك أبيّ بطل مغوار وابن بارّ شجاع لهذا الشعب والوطن المفدّى.

وراح يستمطرني مدراراً مادحاً إيّايَ وحامداً كلّ ما ليس فيّ! طبعاً ماكان يهمّه قطعاً إنْ كنت أتّسم حقّاً بما ينعتني به أمْ لا! وسرعان ما أناط بي مهمذة قيادة مفرزة ضاربة..ويا لها من مهمّة يسيرة عليّ ! فانطلقت في الحال صوب جبهة الإحتراب الضاري، بينما انطلق قائدي الهصور صوب زوجتي الحسناء الوديعة. وفي صباح اليوم التالي، عدت إثر تنفيذ المهمّة مع غنائمي وهدايا الإحتراب:

إحدى عينيّ/ إحدى ساقيّ/ إحدى أذنيّ/ أنا العبد الخنوع/ إحدى يديّ/ أنا الغلام الخادم المؤبّد!

وإذا بقائدي الجديد ينبح في وجهي:

- ما أقلذ غنائمك وهداياك!

فاجتاحتني الرجفة ورحت أرتعد ارتعاداً..أمذا قائدي االفذ فكان وجهه يتألّق هاشّاً باشّاً كقائدي السّابق... وهكذا دواليك..كان ينطلق نحو زوجتي، كلّما أرسلني في مهمّة، وهو ينصحني:

- إنتبهْ يا صاح! إن نضالك المستميت هذا سيثمر من أجل الكرد وكردستان!

حقّاً مايقوله، فقد كان قائدي السّابق أيضاً كخلفه هذا جريئاً، باسلاً، نهّاباً وسلاّباً، فلاغرابة إذنْ أن يكون(أبنائي!!!) في الإحترابات الإنتحاريّة بسلاء، صناديد، نهّابين وسلاّبين.

حقّاً وحقيقة، ولدت بالخطأ، وأنا خطأ الأخطاء، بل قوّاد القوّادين، مادمت صاحب تاريخ(شرفنامه)!

تنويه لابدّ منه:

أطلب المعذرة والمغفرة من أرواح الرجال الأفذاذ:

- شرفخان البدليسي/ مؤلف(شرفنامه)

- الشاعر فائق بيكس

- بريخت.

* عارنامه/ قصة: محمد موكري/ جريدة(كوردستانى نوى/ كردستان الجديدة) ١٧/كانون الثاني/١٩٩٥



الاقفاص الصغيرة

قصة: دانا فائق
ترجمة: محي الدين محمود

كلما رأيته وهو بهذا الشحوب والوهن مستلقيا في الفراش، اتذكر مباشرة اللحظات التي كنا نعبث فيها معا ونلعب منذ الصباح وحتى الاوقات المتأخرة من الليل.. نجوب الازقة.. ويطارد كل منا الآخر نزعج الناس ونقلقهم.. نهشم القناني على دروب العابرين في أوقات الظهيرة القائظة صيفا .. نقرع جرس البيوت ونلوذ بالفرار نسدد بمصائد الطيور المطاطية اسلاكا قصيرة الى سيقان الفتيات المكشوفة اللواتي يرتدين التنورات القصيرة، نركل صفائح القمامة الموضوعة امام البيوت ونقلبها..

لم أكن ارغب ابدا في التسبب بما يؤلمه و يوجع فؤاده. ولهذا كنت كلما دعاني للخروج الى الزقاق والتعفر بالتراب ألبي دعوته.. يوقظني في الصباح الباكر قائلا: «مازال الوقت مبكرا على تناول الفطور.. هيا لنقضي بعض الوقت باللعب في الزقاق، ومن ثم نعود بعد ذلك لتناول الطعام».

في أوقات الظهيرة القائظة صيفا لم يكن يدعني استمتع بالقيلولة.. ويجعلني اتبعه من زقاق الى آخر.. وفي الليل حيث لم اكن قد شبعت من الطعام، بإيماءة منه يفهمني انه قد حان وقت الخروج الى الزقاق وان كان في كثير من الاحيان يضربني أثناء اللعب ضربا مبرحا لحد البكاء، إلا أنني كنت أراعي باستمرار حقيقة انه أبي، وأن ضرب الاب امر طبيعي أو على الاقل هو في محلتنا يعتبر كذلك.. أضافة الى هذا فقد عرفت عند روايته لي انه لم يكن يجرؤ في الطفولة –خوفا من أبيه- أن يخرج الى الزقاق والاختلاط بأبناء المحلة

ومشاركتهم اللعب.. وليس هذا حسب بل أنه لم يستطع القيام بأشياء كثيرة أخرى.. حيث كان الضحك بكل انواعه ممنوع. والحديث بصوت عال ممنوع، السؤال ممنوع، الغناء حتى لو كان بصوت خافت كفر. الاستلقاء أو تمديد السيقان على مرأى منه من اكبر الخطايا «.. وما الذي لم يكن آنذاك ممنوعا؟!» هذا ماكان يردده أبي.. حدثني عن ألتحاقه بالمدرسة و استلامه الكتب الدراسية وعودته بها الى البيت وهو في أوج فرحه. فنسي من جراء فرحه هذا فضلا عن ألتهائه بتقليب صفحات كتبه ورصفها بانتظام أن يتناول طعامه و نسي ايضا فقرة من القانون المتبع في البيت و المتعلقة باعتبار(الاستلقاء او تمديد السيقان خطيئة كبرى وقلة ادب جزائهما العقاب الشديد.. و استطرد أبي قائلا: «كنت متمددا على بطني و مكورا قدماي من الخلف ناظرا الى الصور الجميلة المزينة لكتاب (الالفباء الكردية) ، ووددت ان استحيل الى احد اشخاص الصور.. فجأة احسست بلسعة في رحى أحدى قدمي تألمت من جرائها و تبادرت رائحة لحم مشوي الى أنفي .. ومازالت احس بهذه الرائحة في انفي الى الان ، التفت بسرعة الى الوراء.. و اذا بأبي جالسا على ركبتيه، و سيكارة بيديه لم يدعها الى ان اطفأئها كاملة بقدمي ، واظن انها انغرست في رحى قدمي حتى العظم. مما اعجزني عن الذهاب الى المدرسة في اليوم القادم.

كنت كلما روى لي أبي شيئا من حياته، أردد في نفسي: «كم كان أبي تعيسا في طفولته؟!» ثم استعيد في خيالي تفاصيل الحادثة.. ولكني كلما سمعت كلمة (رائحة الشواء) اتذكر اليوم الذي قال فيه ابي: «هيا لنخرج، اليوم هو يوم معاقبة الضفادع» لنذهب معا الى المستنقع عند مدخل المدينة، حيث نصطاد هناك الضفادع، فهي كثيرة وسنصطاد منها اعدادا كبيرة.. كنت اطارد الضفادع الكبيرة واكن حبا خفيا للضفادع الصغيرة.. اما ابي فلم يكن يميز بين الصغير والكبير منها.. واظن ان الضفادع قد احسست مسبقا انها ستواجه بعد لحظات.. تراجيديا موتها.. فلبثت ساكنة صامتة.. قمنا بجمع الحطب والاعواد الجافة واشعلنا النار، فكانت نار تذكر الناس بنيران الجحيم، يخرج ابي الضفادع من الجوال الذي كان يحمله واحدة بعد الاخرى، يمسكها من ساق واحدة عاليا فوق النار قبل أن يفلتها فتتهاوى في النار الجهنمية، فتلوح باطرافها محاولة الافلات من قبضته. تتبول عليه من شدة الذعر والخوف، ويند منها صوت غريب، صوت يشبه كل الاصوات باستثناء نقيق الضفادع.

تتسارع رفات جفونها، فتحس في عيونها ببراءة شاخصة.. ثم يرخي أبي قبضته، فينفلت الضفدع متهاويا في النار، ونحن نتقافز مرحا ونضحك بملىء شدقينا سعداء بهذه اللعبة الممتعة، تنتفخ الضفادع وسط النار رويدا رويدا ثم تنفجر ويسيل منها من موضع انفجارها سائل لزج اخضر، ليرسم مشهدا هو اشبه بلوحة رسام ناشىء.. قبل مغادرتنا يحمل ابي الجوال وينظر الي قائلا: «سنكون بحاجة اليه» وقد كان صادقا في قوله، ففي يوم الثأر من القطط استخدم نفس الجوال، وكان تنفيذ معظم هذه العملية على عاتق ابي، فهو الذي امسك بالقطة ووضعها في الجوال، وهو الذي قطع حبل الغسيل في باحة الدار وقسمه الى نصفين ثم شد ذيل القطة بطرف نقطة منه و لف القطعة الاخرى وعقدها حول عنقها وهو الذي شد طرف الحبل الاخر

بالدعامة الامامية للسيارة المركونة.. ثم وقفنا (عن بعد) ننتظر عودة السائق وتدويره لمفتاح تشغيل السيارة وانطلاقتها الاولى. و انا اتخيل المصير الاسود للقطة الشقراء الكثيفة الشعر، تتسلل من غير حياء من خلال الفتحة الكائنة اسفل باب الدار، او تتسلق الجدار احيانا ولا تتوقف حتى وسط الدار.. لو لقيت بعض الرعاية من الاستحمام و النظافة لأخذها الناس معهم الى فراش النوم كمايفعلون بدول الغرب.

مع انطلاق السيارة الى الامام تبادرت الى اذني صرخة كادت تصمني ، بعدها بحثت عن القطة و لم أرى منها الأ ذيلها المدمى ملتصقا بقطعة الحبل المشدود بالعمود ، لم استطع النظر طويلا الى بقعة الدم، وكانت تلك هي المرة الاولى التي ينتابني فيها الذعر من رؤية الدم، قال ابي مناجيا نفسه «هي تستحق هذا البلاء.. تهاجمين الدجاج والفراخ؟ تجرعي اذن نفس البلاء.. فهذا هو مصيرك.. وتذكرت كلماته هذه في يوم محاكمة الدجاجة.. احسست آنذاك ببراءة القطة وفداحة الجريمة التي ارتكبناها.. ففي يوم محاكمة الدجاجة، رفعني ابي ووضعني فوق الجدار القائم بين بيتنا والبيت المجاور وحدد لي الدجاجة التي علي احضارها للمحاكمة.. اخرجت الدجاجة من القن وقذفتها بسرعة الى باحة دارنا، فاخذها ابي الى الداخل، وأثناء تسلقي للجدار عائدا الى باحة دارنا، كان أبي قد اعد مراسيم المحاكمة.. وكأنه يحاكم احد المجرمين.. فينفذ مراحلها الواحدة تلو الاخرى ويردد: «لقد رأيتها بعيني وقد اعتلاها ديك ونال وطره منها، ومن ثم كانت مستعدة لاستقبال الديوك الاخرى. وليس هذا حسب، بل كانت تقف ساكنة لامبالية لديوك البيوت الاخرى ايضا!.. ولهذا فهي تستحق الشنق..» لقد كان أبي الشاهد والحاكم وصاحب القرار. وخلال مدة قصيرة جدا اصدر قرار الاعدام شنقا بحقها، ونفذه بسرعة، وأنا جالس كأحد الحضور المستمتعين بهذه المحاكمة العجيبة الكوميدية. بعد تصديق قرار الاعدام شنقا تم اللجوء مرة اخرى الى حبل الغسيل في باحة الدار وربط الحبل بسرعة بمروحة الغرفة السقفية ولفه حول عنق الدجاجة الوقحة.. و الدجاجة تتقافز وترفرف باجنحتها وتلوح بارجلها للأفلات من غول الموت ، ونحن ننظر ونقهقه ضاحكين، وكان يند بين فينة واخرى من الدجاجة انيق كأنه التوسل، سرعان ماتبدد في قهقهاتنا الضاحكة، وحين كفت الدجاجة عن الحركة والتوسل نحن ايضا توقفنا عن الضحك والقهقهة وصمتنا، ومع رمي الدجاجة من على المشنقة قال ابي: «سلمت ايدينا، كي لاتتعلم بناتنا منها الوقاحة وانعدام الحياء!..»

كثيرة جدا هي حكايات الثأر والدم والمحاكمات التي قام بها والدي ، ولا ادري اي منها بقي بذاكرة ابي، وكم نسي منها، فهو الان شاحب الوجه، واهن القوى، طريح الفراش، عاجز عن القيام بأي شيء، وقد تركت معه ابني الذي ليس له الخروج للعب والعبث في الزقاق، و عليه ان يعتني و يرعى و يخدم جده باستمرار الذي كلما اراه بهذا الشاكلة الدالة على وهنه و انخيار قواه تحتل ذاكرتي احادث الماضي و ذكرياته الغابرة.

قراءة إستدلالية في المسرح الكردي

بشار عليوي

المسرح الكردي .. البدايات الأولى

تعرف الشـعب الكـردي، عبر تأريخـه ومنذ أن أسـتوطن أرض كردسـتان، على أشـكالآ مـن الفنون ألادائية الفطرية، تخضع لتوصيفات المشتغلين في علوم الميثولوجيا فتسمى بـ(الدراما الشعبية). ظهرت هذه الفنون، أستجابة لحاجات أجتماعية /روحية وتعبيرآ دلاليـآ عنها. وفي الوقت الذي تبلورت فيه هذه الفنون في هيئتهـا المعروفة، ظهر المسـرح الوافـد على أيدي المثقفين في مدينة(السـليمانية) المدينة ألاكثر تطورآ وتمدنآ، ثم في مدن أخرى مثل أربيل - دهوك - زاخو - كويسـنجق - حلبجة وغيرها من المدن فـ(المسـرح الشعبي) أن صح التعبير، قد ظهرت بوادره الآولى من خلال أسـتغلال تجمعات الناس في الآعياد والمناسبات القومية كما في عيـد (نوروز) الذي يصادف في ٢١/ آذار من كل عام وهو أكثر الآعياد قدسـية وشـعبية لدى الكرد. حيث يتم تقديم عرض مرتجل مستوحى من أسطورة (كاوه الحداد) وكفاحه ضد الطاغية (ضحاك) وهذه الاسطورة من أشهر الآساطير التي يتداولها الكرد حتى هذا الوقت.

حيث تقدم مشـاهد تصور كفاح الشعب الكردي مـن أجل الحرية. أضافـة الى هذه الآنواع من الفنون التي ذكرناها، هناك تمثيليات ذات طابع شعبي بحت. أبتدعها الآنسان الكردي لتساعده في التغلب على قسوة الحياة وشدتها. وللترفيه عنه وهي تدل في الوقت ذاته على شدة تعلقه بالحياة وحبه لها رغم كثرة الحروب التي دارت رحاها على أرض كردستان.

ظهور المسرح الحديث

بدايــة، لابد من تأكيد وتوضيح نقطة مهمة قبل الولوج في تشخيص البداية الحقيقية للمسرح الكردي، هو أن جميــع المتصدين للكتابة عن المســرح الكردي في العــراق، قد أختلفــوا في تحديد بداية نشــوء هذا المســرح وكل المعلومات المتوافرة في هذا الصدد , تشير الى أن الســليمانية هي أول مدينة تحتضن المســرح في عشــرينيات القرن الماضي. وكل الذين كتبوا عن هذا الموضوع، هــم من الكرد من أمثال {حســين عارف/ محمد تيمور/ ياســين قادر برزنجي/ حسن ته نيا} فكاتب الســطور، لم يجد أية أشارة للمسرح الكردي في الكتب والمقالات التي تناولت بدايات المســرح العراقي بأعتبــار أن المســرح الكــردي هو جزء من المســرح العراقي.

يذكر(حســين عارف) في كتابه/ أعــداد وتقديم مختارات من الآدب الكردي/ الصادر عن الآمانة العامة للثقافة والشــباب - بغــداد/ ١٩٨٦، ما نصه{المســرح الكردي بدأ من المدارس وكان لبعض الآســاتذة الذين تخرجــوا من بغــداد دور في ذلك, مــن أمثال (فؤاد رشيد بكر)، حيث قدم مسرحية"العلم والجهل"}.

وأيــد هــذه الوقائع (ياســين قــادر برزنجي) في كتابه الصادر باللغة الكردية (المسرح الكردي، أرشيف ومقالات - العرض والجمهور) وهو من أصدارات فرقة مســرح ســالار في الســليمانية ٢٠٠٧. كما أيدها أيضآ (حســن ته نيا) في كتابه {المســرح والمسرح الكردي} الصادر عن دار الثقافة والنشر الكردية، وزارة الثقافة والآعلام، بغداد، ١٩٧٦.

لــذا يمكن القــول أن أول عرض مســرحي كردي هو مســرحية (العلم والجهل) التــي قدمت يوم ٢٧/ تموز/ ١٩٢٦ من قبل أساتذة وطلبة مدرسة زانستي في السليمانية، المسرحية من أعداد وأخراج (الآستاذ/فؤاد رشــيد بكر. وهي معدة عن مسرحية (لولا المحامي) للكاتــب اللبناني (ســعيد تقي الديــن) حيث قدمتها (فرقة جورج أبيض) المصرية التي زارت الســليمانية في شــهر نيســان من عام ١٩٢٦ في المدينة وقد شاهدها الآستاذ (فؤاد رشيد بكر) كما تم ذكره , فقام بأعدادها وتقديمها مرة أخرى باللغــة الكردية . وبذلك يكون يوم تقديم هذه المســرحية هو تاريخ بداية المســرح الكردي في العراق.

وقد عرضــت لثلاثة أيــام في دار زوجة الشــيخ (محمود الحفيد) صاحب الثورة المعروفة وأول حاكم لكردستان.

أمــا أول نص مســرحي كــردي هو نــص (الحب والوطنيــة) تأليف الآديب (أبو بكر هاوري) في مدينة الســليمانية عام ١٩٣٣ وتــم تقديمه في نفس العام من قبل أساتذة وطلبة مدرسة زانستي.

بعد مســرحية (العلــم والجهل) توالــت الآعمال المسرحية وهي/

*مسرحية (نيرون) قدمتها مدرسة زانستي أيضآ عام ١٩٢٦.

* مسرحية (الآم) قدمتها مدرسة الزهراء للبنات في ٢٠/ ٣/ ١٩٣٠، وللتنويــه فأن هذه المدرســة هي أول مدرسة للبنات في السليمانية.

* مســرحية (الجندي الشــجاع) قدمتها مدرسة زانستي في شهر كانون الآول من عام ١٩٣٠.

* مســرحية (مــه‌مو زيــن) وهي مســتوحاة من التراث الكردي عن قصة العاشقين (مه‌مو زيــن) أعداد الآديب الكردي الشــهير (پيره‌مێرد) وقدمت من قبل

مدرسة زانستي في شهر كانون الآول عام ١٩٣٥.

⋆ مســرحية (شريف هه موند) المعدة عن الملحمة الكردية (شريف هه موند) أعدها الآديب (پيرەمێرد) قدمتها مدرسة زانستي عام ١٩٣٦ .

⋆ مســرحية (السـيدة الماكـرة) المسـتوحاة من الفلكلــور الكــردي، أعــداد وأخــراج/ أبراهيم علي، المدرس في مدرسة حلبجة الآبتدائية قدمت عام ١٩٣٩ في مدينة حلبجة.

❖ كمــا تعــرف المســرح الكردي على (شكســبير) من خلال مســرحية(تاجر البندقية) التي قدمت في السليمانية عام ١٩٤١ أخراج /طلعت مبارك.

❖ مسرحية (في سبيل الوطن) المعدة عن مسرحية (في ســبيل التاج) لفرانســوا كوبييه، أعــداد وأخراج (رفيق جالاك) قدمت في مدينة بنجوين عام ١٩٤٦.

❖ مســرحية (البقرة والكافر) تأليف/ نوري أمين بك، أخراج/ مجموعة من الممثلين وهم (قادر ديلان/ عمر علي أمين/ ســعيد شــفيق)، قدمت في مدينة بنجوين عام ١٩٤٦.

❖ مســرحية (نضال الشـغيلة) عن رواية الآديب الكردي الراحل(أبراهيم أحمد) أعداد/ أحمد غفور.. أخراج/ روؤف يحيى، قدمت في ١٩٤٨/٥/٥.

❖ مسرحية (البؤســاء) عن رواية البؤساء، لفكتور هيجو، أعداد وأخراج الشــاعر كامران موكري. قدمت في مدينة الســليمانية عــام ١٩٥٢ وفي نفس اليوم الذي عرضت فيه مسرحية البؤساء، تم أستضافة مسرحية (راس الشليلة) ليوسف العاني حيث تم عرضها أيضآ.

❖ مسرحية (المفتش العام) لكوكول، أخراج/ أمين مرزا كريم. قدمت على قاعة ثانوية الســليمانية عام ١٩٥٤.

❖ مســرحية (الرعد والحــلاوة) تأليف وأخراج/ أمين مرزا كريم قدمت على قاعة ثانوية السليمانية عام ١٩٥٤ وهي مسرحية أجتماعية كوميدية.

وفي عام ١٩٥٦ تأسســت (جمعية الفنــون الجميلة الكردية) في الســليمانية وقدمت أول عمل مســرحي من أنتاجها وهي مســرحية (البخيل) لموليير، ترجمة وأعداد وأخراج/ رفيق جالاك ونوري وه شتي.

❖ مســرحية (عطيل) لشكســبير قدمتها ثانوية السليمانية عام ١٩٥٦، ترجمة/ نوري وشتي... أخراج/ أنور توفــر.

❖ في يوم ٢٢/ ٥/ ١٩٥٦ أقيم المهرجان الفني لثانوية الســليمانية، حيث قدمت فيه مســرحية (يد متعبة وبطن شبعانة) أعداد/ نوري وشتي وأخراج/ فريدون علي أمين.

❖ مسرحية (الليلة الجديدة) أعداد وأخراج/ رفيق جالاك عن قصيدة لشاعر أحمد بك قدمت عام ١٩٥٧.

وبعــد قيام ثورة ١٤/ تموز/ ١٩٥٨، نشــط مســرح الهواة وتشكلت الفرق المسرحية في النقابات والمنظمات. وأستمر نشــاطها لفترة قصيرة نسبيآ لآشتداد الصراع السياسي في أرجاء العراق وكردستان أيضآ.

حيث قدمت فرقة شباب السليمانية يوم ١٤/تموز من عام ١٩٥٩ بمناسبة الذكرى الآولى للثورة، مسرحية (ليلة النهاية) تأليف/ سعيد ناكام، أخراج/ أمين مرزا كريم.

ومســـرحية (كاوة الحداد) المأخوذة عن الآسطورة الكردية (كاوه الحداد) أعداد وأخراج/ كامران موكري، قدمت على قاعة ثانوية السليمانية عام ١٩٥٩.

وقدمــت جمعية الفنون الجميلة في الســليمانية، مســرحية (العروس الجالســة تحت الخيمة السوداء)

تأليف أبو بكر هاوري أخراج/ رفيق جالاك، قدمت على قاعة المكتبة العامة يوم ١٩٦١/٣/٢.

وبعد عام ١٩٦٣ حتى عام ١٩٦٩ تقلص النشاط المسرحي لأسباب كثيرة متداخلة مع بعضها البعض، حتى تأسست (فرقة السليمانية للتمثيل) في ١٩٦٩/٢/٤، ليبرز دور الكاتب المسرحي المحلي وتظهر مسحة من التطور على العمل الفني بزيادة أعداد المتخرجين من معهد الفنون الجميلة وكلية الفنون في بغداد منهم الفنان المسرحي الرائد (أحمد سالار) والفنانة (بديعة دارتاش) والفنان (فاضل الجاف) الدكتور حالياً وغيرهم.

حيث دخل المسرح الكردي مرحلة متميزة من نشاط الشباب المتحمسين المدججين بالثقافة المسرحية ، وهذه المرحلة قد أنبثقت بفعل تأثير المناخ السياسي والثقافي الحر في تلك الفترة مما شجع كثير من المسرحيين الكورد على تأسيس فرق مسرحية من أبرزها {فرقة مسرح شورش/ الثورة... وفرقة مسرح خبات/ النضال} التي قدمت مسرحية (فرهاد الثائر) عام ١٩٦٩ أعداد و أخراج /الفنان الراحل (عثمان جيوار) وهو أب لعائلة فنية مشهورة الآن في السليمانة متكونة من {الآب عثمان جيوار/ وأولاده الفنان أبراهيم عثمان جيوار/ الفنان كاروان عثمان جيوار/ الفنانة داليا عثمان جيوار/ الفنانة ره نج عثمان جيوار/ الفنانة هوال عثمان جيوار} .

وشهدت السنوات ما بين عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٨٣، تقديم مسرحيات عالمية رصينة للوركا ومولير وتشيخوف وروبلس وبريخت فضلاً عن تقديم مسرحيات لعادل كاظم وقاسم محمد ومحيي الدين زنكنه ذات نفس شعبي منها منها مسرحية (الآجازة لمحيي الدين زنكنه ,ترجمها للكردية الشاعر شيركوبيكه س أخراج/ أحمد سالار وعرضت على قاعة النشاط المدرسي في السليمانية في ١٠/آب/١٩٧٧.

وقدمت فرقة السليمانية للتمثيل على قاعة النشاط المدرسي في ١٩٧٨/١٢/١٤ مسرحية (معبرآرتا)

تأليف/ جورج سيوتيكا، ترجمة محمد موكري أخراج/ فاضل الجاف (الدكتور حالياً). وقدمت أيضاًفرقة السليمانية للتمثيل على قاعة النشاط المدرس في السليمانية يوم ١٩٧٩/٦/١٦ مسرحية (الهجين) تأليف لانكستون هيووس ترجمة/ محمد علي.. أخراج/ فاضل الجاف.

كما قدمت جمعية الفنون الجميلة الكردية يوم ١٩٨٣/١/٩، على قاعة أعدادية السليمانية مسرحية (سلة الخباز) أعداد قاسم محمد، ترجمة/ فؤاد مجيد، أخراج/ كامران رؤوف.

ويلاحظ أن المسرحيات العربية والعراقية قد ترجمت عن اللغة الآصل بينما ترجمت المسرحيات العالمية عن لغة وسيطة هي العربية.

ومابين سنتي ١٩٨٣ - ١٩٨٩ قدمت العديد من المسرحيات التراثية تؤكد سيادة هذا النوع من المسرحيات المعدة أو المستوحاة من الموروث الشعبي المتكون من الملاحم والحكايات وألامثال والآساطير والملاحم البطولية والعاطفية.

لذا يمكن القول أن المسرح الكردي قد دخل طور الآحتراف المسرحي الكامل، عندما تأسست الفرق المسرحية المحترفة فرقة مسرح سالار في السليمانية التي تأسست في عام ١٩٨٤ وفرقة أربيل للتمثيل عام ١٩٨٥ حيث ضمت هذه الفرق ,الكوادر المسرحية المتمرسة وسارت على النهج السائد في تفضيل النص المستوحى من التراث على غيره.

في الواقع أن تأسـيس هذه الفرق لم يحل كل مشاكل المســرح الكردي لآنه ظل بعيداَ عــن التخطيط المركزي للدولــة التــي كرســت كل الآهتمــام بمســرح العاصمة وفنانيها دون الآلتفات الى فناني المســرح العراقي في باقي مدن العراق الآخرى، وهي مشكلة مازالت قائمة مما حدا بفناني أقليم كردستان أن يبنوا تجربتهم الذاتية بعيداَ عن ألتماعات المركز منذ عام ١٩٩١ وحتى هذا الوقت.

وفي الســنوات العشــرين الآخـيرة، بــرز عدد من الشــباب الكردي الموهوب حاوا بعضهم الآستتفادة من الموروث الشعبي لتطبيق رؤاهم ذات الطابع التجريبي البحــث، وقــد أزدادت أعدادهم بعد تأســيس معهد الفنون الجميلة في الســليمانية عــام ١٩٨٠، حيث كان من أساتذته رائد المســرح الكردي الفنان أحمد سالار و مؤســس (فرقة مســرح ســالار). و الفنانة بديعة دارتاش والفنان كمال رؤوف هنجيره والفنان عصمان فــارس والدكتــور حالياَ، وســيروان برقــي والفنان أسماعيل هورامي.

الموسسات الفنية الكردية التي تعنى بالمسرح في أقليم كردستان

المعاهـد

يضم أقليم كردستان حالياَ، تسعـــة معاهد تقدم أعمال مســرحية ضمن الآنتــاج التطبيقي للطلبة أو نتاجات الآســاتذة من الفنانين المســرحيين. وكذلك أســهامات ومشــاركات هــذه المعاهــد في المهرجانــات المسرحية داخل الآقليم وخارجه، منها..

معهد الفنون الجميلة في الســليمانية، تأسس هذا المعهــد عام ١٩٨٠ وهو أول معهد في كردســتان و معهد الفنون الجميلة في أربيل.

و معهد الفنون الجميلة في مدينة كفري.

وجميع هــذه المعاهــد تابعة لــوزارة التربية في حكومة أأقليم كردستان.

الكليات

١/ كليــة الفنــون الجميلة/ جامعة الســليمانية، لاتضم قسماَ للمسرح لعدم توفر كوادر تدريسية.

٢/كليــة الفنون الجميلة/جامعــة صلاح الدين في مدينة أربيل و وتضم قسماَ للمسرح.

الفرق المسرحيـــة

١/ فرقةأربيل للتمثيل، تأسست عام ١٩٨٠ مؤسسها الفنان صفوت الجراح . قدمت أعمال مسرحية حلت هذه الفرقة عام ١٩٨٩.

٢/ فرقة مســرح ســالار في الســليمانية، مؤسسها الفنــان الرائد أحمد ســالار ويديرهــا بمعية الفنان (أرســلان درويش)، تأسســت في ١٩٨٤/١٠/١١، وهي من أبــرز الفرق في المســرح الكــردي حرصــت في بداية عملها على أحياء الــتراث الكردي وتوظيفه في أعمالها المسرحية التي قدمتها , بالآستفادة من مفهوم المسرح ألاحتفالي الذي كان لآحمد سالار الريادة فيه وتعريف المســرح الكردي به , تقيم الفرقة مهرجاناَ مسرحياَ ســنوياَ خاصاَ بها وتصدر مجلة مسرحية متخصصة باللغتين العربية والكردية بأسم (شانو/ المسرح). كما أصدرت عدة كتب مسرحية، وحالياَ الفرقة متواصلة بعملهــا ونتاجاتها ومن أبرزها أقامة(مؤتمر المســرح الكردي) في شهر كانون الآول ٢٠٠٧ وعقد أتفاق تؤأمة مع (فرقة المسرح الفني الحديث ببغداد).

٣/ فرقة مســرح با/ مؤسســها ومديرهــا الفنان (هورين غريــب)، وهذه الفرقــة متخصصة بانتهاج أسلوب (الورك شوب) في تقديم أعمالها المسرحية.

٤/ستوديو الممثل، تأسست في ٢٠٠٦/٥/٢٧ وهي فرقة مسرحية متكونة من مجموعة فنانين مسرحيين منهم (سفين أنور شكري/ دلير أحمد/ أكرم محمود)، هذه الفرقة متخصصة في أستقطاب المسرحيين الشباب وزجهم في دورات تدريبية لغرض تطوير قابلياتهم الجسدية والصوتية، ومن ثم زج المتميزين منهم في أعمال مسرحية تنتجها الفرقة.

٥/ فرقة أصدقاء كزيزة......

هي فرقة مسرحية نسوية أن صح التعبير، تضم مجموعة من الفنانات المسرحية ترأس الفرقة الفنانة (كزيزة) أبنة الفنان المسرحي الراحل عمر علي أمين، الفرقة متخصصة في تقديم الآعمال المسرحية التي تعالج هموم المرأة وما يكتنف عوالمها الداخلية.

٦/ فرقة المسرح التجريبي في كركوك، مؤسسها ومديرها الفنان(نهاد جامي) وهي فرقة مسرحية متخصصة في البانتومايم، تصدر الفرقة مجلة مسرحية متخصصة أسمها (شانؤكار/المسرحي).

٧/ فرقة مسرح شورش - الثورة، في دهوك تأسست في عام ١٩٩٩ مؤسسها ومديرها الفنان (عادل حسن).

٨/فرقة مسرح آشتي كركوك.. مؤسسها ومديرها الفنان (سيروان بيلانه)

الموسسات الرسمية

١/ يوجد في أقليم كردستان، مؤسسة رسمية واحدة تعنى بالمسرح هي (مديرية الفنون المسرحية واحدة في السليمانية وأخرى في أربيل) وهي تابعة لوزارة الثقافة في حكومة أقليم كردستان، مهمة هذة تقديم الدعم المادي اللازم للفرق المسرحية أضافة الى قيامها بأنتاج ألاعمال المسرحية.

٢/ جمعية الفنون الجميلة الكردية في السليمانية، وهي مؤسسة شبه رسمية تأسست عام ١٩٥٦، تضم الجمعية قسماَ للفنون المسرحية، ينتج هذا القسم أعمال مسرحية.

٣/ منظمة فناني كردستان.....

وقد تشكلت من توحيد كل من (أتحاد فناني كردستان) في السليمانية و (نقابة فناني كردستان) في أربيل، وأيضاَ تقوم هذه المنظمة بتقديم الآعمال المسرحية.

المسرح الكردي الآن......

تعاني الحركة المسرحية الكردية ألان من أزمتين، الآولى هي أزمة النص المسرحي الكردي، حيث يعاني المسرح الكردي من قلة النصوص المكتوبة بأقلام كتاب كرد، رغم وجود عدد لابئس منه من الكتاب الذي رفدوه بنصوص معدة مما أفقده خصوصيته المستوحاة من بيئته الحاضنة له.

والثانية هي أزمة النقد، حيث أن المسرح الكردي الآن يعاني من أزمة خانقة تتمثل بغياب شبه كامل للفعل النقدي المحايث للعروض المسرحية. ومرد ذلك الى فقر المسرح الكردي من وجود نقاد مسرحيين متخصصين، عارفين بأصول اللعبة المسرحية، بأستثناء وجود بعض النقاد الذين لا يتجاوز عددهم، عدد أصابع اليد الواحدة.

فالعرض المسرحي الكردي الآن لا تقام له طقوس الجلسة النقدية والتي تقام عادة بعد أنتهاء العرض كما هو معتاد . فلا وجود لمعقب/ ناقد يقدم ورقة نقدية يقرأ من خلالها العرض. فالقائمون على أدارة الشأن المسرحي الكردي لا يعيرون أي أهمية لهذه المسألة الهامة وكل ما ينشر في الصحافة من (مقالات نقدية)، لا يتعدى كونه ورقة وصفية للعرض ليس ألا، هذا أن

وجدت هذه المقالات . أما أصحابها فيكتبونها بسبب أرتباطهم بعلاقة صداقة أو معرفة مسبقة بكادر العمل وليس من منطلق الآلتزام الثقافي أو من منطلق ترصين المشهد المسرحي الكردي باتجاه تفعيله. ونتج عن هذه الآزمة الخانقة، تخبط المسرحيين الكرد في أختياراتهم وعدم وضوح أساليب محددة ومناهج متميزة في الرؤى ألاخراجية المطروحة، فهناك بعض المخرجين ممن حظوا بالسفر الى بلدان أوربا وأمريكا و يقدلون التجارب الغربية جوهرآ وقالبآ دون وجود أية رابطة بين موجهات الخطاب الفكري والجمالي للعرض وبين البيئة الحاضنة له. كما أننا وجدنا (وهي حالة أيجابية ربما) أن المسرحيون الكرد يحتفون كثيرآ بتنظيرات الفنانين العالميين ويطبقون، حرفيآ، مناهج هؤلاء المنظرين في أعمالهم المسرحية.

فاالمتابع للحركة المسرحية الكردية ويحضر عروضها، يجد أن منها ينتمي الى المسرح الفقير وتطبيقاته بألاعتماد الى تنظيرات (كروتوفسكي)، وذاك ينتسب الى مسرح القسوة ويتبع تعاليم (آرتو) آ . وآخر يستخدم تطبيقات (البايوميكانيك) المايرهولدية حرفيآ. وآخر ينتهج أسلوب (الورشة المسرحية) والتمرين الآبتكاري المستمر، وسبب هذه الآختيارات مما لاحظناه عايشناه، يرجع لسببين:

ألاول:

عدم وجود تلاقح ثقافي بين فناني أقليم كردستان ونظرائهم من فناني العراق الآخرين، فهناك ضبابية تامة لدى كل طرف عما يقدمه الطرف الآخر من نتاجات مسرحية وماهية الآساليب والرؤى المتبعة في عروض كل طرف ففناني العراق الآخرين لم يطلعوا وليس لديهم أدنى معرفة عما يقدمه مسرحيو كردستان، والحال أيضآ ينطبق على المسرحيين الكرد.

السبب الثاني:

أنتعاش أجواء الحياة العامة وأستقرارها في كردستان، مما أثر وبأيجابية على قابلية وجاهزية وأندفاع الفنان الكردي .

مما طور تجربة الآنتاج المسرحي وحركة المسرح في كردستان عمومآ، ليصل الحال الى أن يقرر المسرحيين الكرد في (مؤتمر المسرح الكردي) الذي أقيم في شهر كانون الآول ٢٠٠٧ في السليمانية، تأسيس (الفرقة القومية الكردية للتمثيل) وأرسال قانون الفرقة الى برلمان كردستان لغرض مناقشته وأقراره.

كذلك تمت مفاتحة أدارة (المركز العالمي للمسرح I.T.I) لغرض الحصول على عضوية الآقليم فيه.

المصادر

١/ برزنجي، ياسين قادر، شانوى كوردى [المسرح الكردي - أرشيف وكتابات..العرض والجمهور]، من أصدارات مجلة (شانو/ا لمسرح)، فرقة مسرح سالار، السليمانية ٢٠٠٧.

٢/عارف، حسين، أعداد وتقديم مختارات من ألادب الكردي، ألامانة العامة للثقافة والشباب، بغداد، ١٩٨٦.

٣/ المفرجي، أحمد فياض، مسرح الثمانيات في العراق و دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٩ .

٤/ الدوسكي، بلقيس، المسرح الكردي.. نشأته، مجلة (شانو/ المسرح)، مجلة فرقة مسرح سالار - العدد ٢، السليمانية، كانون الثاني ٢٠٠٧.

٥/ تنيا، حسن، المسرح والمسرح الكردي، دار الثقافة والنشر الكردية، وزارة الثقافة والآعلام، بغداد، ١٩٧٦.



مونودراما..
خوذة العريف غضبان

تحسين كرمياني

المتحدث: خوذة حربية رومانية منسية غير(مجنفصة).

المكان: حذاء شارع عام منخور التبليط يفضي إلى بلدة شعبية،أمام موقع عسكري مقصوف مهجور.

الموجودات : [بقايا ملاجئ مهدمة..‌/بقايا ساتر ترابي دائري متآكل../ قذائف مدفعية متنوعة ملقاة بعشوائية../إطارات مركبات متنوعة مستهلكة متناثرة،بعضها نصف مطمورة../هياكل سيارات عسكرية محطمة بعضها مقلوبة../سبطانات مدافع تبرز من الأرض../دبابتان محروقتان../صفائح ماء ووقود صدئة../أكياس نايلون تتعلق بأشواك متوحشة../ أكياس خيش مهترئة../ علب وزجاجات مشروبات روحية وغازية صدئة../حجارة../حفر../ أحذية جنود متحجرة ملقاة بعشوائية../أنطقة عسكرية../ملابس ممزقة../أكوام براز بشرية يابس../علب سجائر متنوعة../نثار أوراق حائلة اللون../صحف ممزقة..]

الوقت : العاشرة صباحاً..

اليوم : الثلاثاء..

الشهر : مايس..

السنة : ١٩٩١..

* * *

(صمت رهيب،شيئاً فشيئاً ضربات أقدام منتظمة تتصاعد كإيقاع موسيقي منضبط) ..ياااااااااه..يبدو أن أحدهم قد جاء،أخيراً جاء،جاء الذي أبحث عنه،جاء الذي سينقذني..جاء من سينتشلني من

وحشـتي،هللويا..هللويا يـا عالـم ..هللويا..أنا..أنا.. أ..أأأأنا..لـم أيأس،لم..لم..لـم أفقـد رغبتـي في النجاة،صمـدت كثيراً،صمدت كما كنـت أصمد بوجه الشـظايا والرصاص،صمـدت صمـود الحجـر بوجه الرياح..صبرت،صـبر الصخـور العظيمـة أمـام المقالع،الصخور التي لـم تزحزحها الطوفانات،صبرت صـبر المياه التي تمضي وتمضي وتمضي،بلا تذمر بلا تكاسـل..بلا..بلا..بلا محاولـة تمرد،مـن مـكان لمكان،زحفاً تسـافر..من جـدول لنهر،ومن نهر لبحر ومن بحر لمحيط قبل أن تعود غيمة وترجع مطراً،ومن جديـد تبدأ رحلات لا تنتهي،صبرت صبر نسـاء هذه البلاد وهن يقدمن فلـذات أكبادهن قرابين رخيصة لحـروب رعناء،تمجيـداً وتعظيمـاً لأصنام بشـرية بغيضة،انتظـرت حتى..حتـى ظفرت،أرجو أن..أن.. أنننننن..(ظفرت)هـذه المرة،رغـم طـول الانتظـار وبلاغة الصمت لم أفقد شـيئاً من صبري،متماسكة.. قنوعةً..صامدة..بقيت،ولـم اليأس،لـم التذمـر والتشـكي،لم القنـوط،في بلاد قـررت أن لا تنام،بلاد تعاهدت أن تظل تلهـث،أن..أن..آه.. بلاد..بلاااااااااد.. آه..يـا لها مـن بلاد..!!بلاد قدّت مـن حركة ويقظة واللهـاث من غير بوصلة هادية أو..أو..أو..راشـدة ـ لا فرق ـ بلاد تمشـي وفق سرابات عقول القائمين..أو.. أو..أو..السـاهرين ـ لا فرق ـ من غير ملل أو كلل على تيسـير شؤونها..أو..شـجونها..آه..يا لمصيبتي،دائمـاً يأخذني حديث ذي شجون،ينسـيني ما أنا فيه،أو..ما أتهيـأ له،مـا لـي وما يجـري مـن حولي،لأنشـغل بنفسـي،لأتأنى في اتخاذ قراري،لأوفر حديثي للحظة خلاصي،أليـس كل فـرد سـمعته أو..لبسـني علـى رأسه،أو..رأيته، ينشغل بأموره أكثر مما ينشغل بهموم الآخرين،آه..لأصغي جيداً،أنـا خوذة..خوووووودة.. (يتصاعـد الإيقاع)نعم..نعم..أنهـا حركة،حركـة منتظمة،آه..لكـم تحركت،ولكـن كانـت حركات بلا بركات،لكـم تيقظت،ولكـن يقظات فارغـات،أو كما يقولـون صفنات طويـلات، آه..آه..إيقاعات حقيقة.. حقيقة..هذه المرّة..أقدام ..أقدام بشـرية واثقة،تأتي الهوينا،تأتـي إليّ،تأتي..تأتي،أسـرعي أيتهـا الأقـدام الساعية،أسرعي،أسـرعي سـرعة الـبرووووووق الساحقة،أسرعي..سـرعة الرصاااااااصـة لزهق روح بريييييئة،تعالي..تعاااااالي، فتربي بسـرعة قصوى، وخذيني..آه..خذيييينـي حيثما هناك حياة،حيثما هناك بشـر وطيـور وحيوانـات أو..أو..مجرد هناك حيااااااة،حيثما تصدح الأفـواه بالضحكات،واثقة أنا.. صبري علّمني دروس الحياة،علّمني أسـرارها الخفية والمستعصية،لابد أنها أقدام..أقدام بشرية..لا..لا..لأكن أكثر تماسـكاً،يجب أن أكن أكثر تهيئاً،لا يجب أن أخطأ على طـول المدى،لأكـن أدق تأويلاً،أكثـر تروياً،أكثر تمحيصاً،هذه ضربات غاية في التناسق،كأنها موسيقى القـرون الوسطى،موسـيقى بـراءة الوجـود وفطرته،ضربات تخالف ضربـات أقدام الناس،الناس تمشي من غير قانون،لا تفكر بالخطوة التالية،أهواءهم تقود أقدامهم لا رؤوسـهم،ضربات تتشـبه إلى حدٍ ما إيقاع موسـيقي منتظم،ضربات ليسـت كسابقاتها،لا بشرٍ رأيت يمتلك هذه النغمة المنتظمة،البشر يتغيرون وفق إيقـاع الزمن المتحرك،وفق الحاجة الملحة،بشـر يومنا هذا لا نظـام له،يلهث وفق متطلبات مزاجه،أو منسـاقاً تحت ضغوطات المتنفذيـن والخانقين رقاب الناس،أو..أو..أصحاب السـيادة كما كنت أسمع همسات بعـض الجنود،ياااااااااه..يا للهول..ثانية فلت من فلك

واقعي،ولكن أليس واقعي واقع لغو ولهو،واقع ـ غامض حامـض ـ كمـا كنت أسـمع همسـات بعـض الجنود أيضاً،ليـس كل الجنود طبعاً،هناك جنـود لا يهابون الردى كمـا أنهـم لا يهابون..يهابووووو..(الضربات تتصاعـد.. طربك..طربك..طربك..طربك..) ..أنها تدنو..تقترب..مهما يكن..بشـر أو غير بشر،أخيراً جاء مـن أبتغي.ولـم لا أقول جاء الـذي يبتغيني،كثيرون جـاءوا إلى هنا،أطفال وشـبّان وفتيات ونسـاء،جاءوا وغربلوا المكان،ادلقوا أحشاء هذه المزبلة،وأخذوا ما كان يبغونه من أشـياء تنفع أو لا تنفع،أيها القادم..تعال.. تعاااااااااال..انتظـرت قبـل أن أمتثل لسـكوتٍ ممض وموحش،سـكوت ليس من ذهب كما كنت أسمع بعض الهـراءات المتناثـرة مـن قبـل الجنود،كلّمـا كانـوا يتشـاحنون،أو يتخاصمون،يتضاربون،قبـل أن ينبري أحدهم ويتفلسـف ـ إخوان..إخوان..دعونا نسـكت ـ السكوت من ذهب ـ فيرده واحد ـ نسكت أم نواصل أكل البسـكت ـ لا..لا..لا ذهب ولا تنك ولا بطيخ،أنا سكت كثـيراً ولم يتحول سـكوتي إلى قصديـر أو..أو..حتى تراب،سـكوتي هذه المرة أرجـو أن يتحول إلى رماد أو سماد أو أي شيء ينفع،المهم أحقق غايتي الأخيرة،غاية لـم تخطـر في البال،غايتي هي حفظ الـرؤوس من مناهج المـوت،الآن غايتـي سـلميّة،غايتي أن أواصل علاقتـي الوشـائجية مع البشـر،تعلمت من تجربتي كأداة حربيـة لابـد منها،أن كل إيقاع لابد من شـيء يتحرك،كل ـ دم..دم ـ كان يرافقه ـ بم..بم ـ كل اهتزاز كان ينجلي عن مسـرفات تزحـف لتتلاحم وحرائق تحتدم،اشـتباكات حيوانية تتلاحم،درس عسـكري تعلمتـه لا مراء فيه(تتصاعد وتيرة الأيقاعات)آه..آه.. فليدنو أكثر صاحب هذا الصوت المتزن، أيتها الإيقاعات المنبعثة من اللامكان،أيتها الآتية لا أدري من أين،تعالي ..تعاااااااالييييييييييـي،لا تعذبينني أكثر مما تعذبت جرّاء التأويلات الخاطئة لإيقاعات سابقات،ليتها أقدام بشرية اهتدت إلى سواء السبيل من بعد سنوات غليان وضيـاع،كل شـيء وارد،حـين تنجلي أثـواب الحزن وترحل العذابات ويغادر الغبار لابد من صحو،لابد من تغير جذري في دراماتيكية الحياة،كل شـيء سـيلبس ثوبه الناصع البياض،كل شـيء يرجع نقاوته ويرش أريجه المخبأ،ليتهم كوكبة بشر،أحدهم سيغدو منقذي وآخذي،مخلّصـي من غربتي،إذ ليـس من المعقول أن أخطأ مرّات ومرّات،الوهم ليس من طبيعتي،لا أعرف لـم أخطأت في المـرات الماضيات،ربما أنني صرت جزء من الكل الغالب،كل شيء عليه أن يغدو طوعاً أو قسراً كما هو شائع،كل شيء يكتسب طبيعة ما حوله،ليقترب.. ليقترب اكثر صاحب هذه الموسيقى البارعة،علّه يراني أو يسمعني،أو..أو..أو يتعثر بي،أرجو أن لا يكون ثقيل السـمع،أو أعمـى البصر والبصيرة،كثـيرون مرّوا ولم ألفـت مصاغيهم أو أعينهم،عميان أو ـ طرشـان ـ كل شيء وارد في بلاد ترعرعت على دوي المدافع واكتوت بنـيران الحروب،داخليـة وخارجية،بـلاد جائعـة ومحرومة،بلاد صار التشـرد عنوانها والجوع هويتها والتمزق يقينها واللاقـرار ميزتها،بعدما كانت منارة للعلم والسلم،من حق ناسها أن تفقد حواسها،بعضها أو كلهـا،أو أعضاءها،أنهـا الحرب..والحـرب سـفّاح لا يهتم،طعامه لحم ودم،من الأزل حتى العدم،قاموسـه بم.. بم..أو..دم..دم..يعطي السـعادة طرف والطرف المنكود يثقله بالهـم والغم واللطم،ليقترب هذا القادم كي أصـرخ هـذه المرة،أرجو أن يكون شـخصاً وليس أشخاص في مسيرة تأيدية أو احتجاجية،إيقاعات توحي

إن لم أفقد ذاكرتي الحربية وكينونتي العسكرية،مسيرة راجلة لعسكر في أوج نشاطهم،ولكن هل حقاً بقى عسكر في الوجود،أما زال كل شيء بعد الزلزال الهائل،ليس لي إلاّ الصراخ،وحده الصراخ يفلح في هذه البيداء،ربما يجدي الصراخ أخيراً،مشلولة مكبّلة مهملة،ليتني أمتلك القدرة على الحركة،ليتني كنت أمتلك بعض الحول،لتململت وأغريته أن يأخذني،إن كان حقاً صاحب هذه الإيقاعات المتناغمة شخصاً شجاعاً،يزن الأمور الحياتية ومتقلباتها ببعد نظر،ربما ما زال يمتلك بقايا حكمة،ومهيمن على أعصابه رغم الذي جرى ويجري،كل شيء ممكن التأويل في بلاد فقدت بوصلتها،بلاد صارت سفينة تمشي بلا غايات وسط عباب الحياة،أرجو أن لا يخاف هذا الآتي..ولم لا..كل شيء جائز،سيقول جنّي تلبس على هيئة خوذة،أو خوذة مفخخة..تحتها عبوة ناسفة،كل شيء وارد وممكن التأويل،في بلاد غدت أرجوحة تدفعها أوهن ريح،من المستحسن أن أصرخ،سأرفع عقيرة صوتي:أنا..أنا..نا..نا ..نا..!!!!!!!!!!!..آه..ماذا فعلت.. هل جننت،لم صرخت،ولكن هل حقاً صرخت..!!يبدو أنني فقدت صوابي،لم أر من يستحق هذه الصرخة العسكرية(تستمر الأيقاعات بالتصاعد السريع) ليظهر صاحب هذه التناغمات المنعشة أولاً ومن ثم أحرر صرختي،(رجل يركب حمار يمضي،الحمار يمر من فوق الخوذة،يتبعهم كلب أسود،يتوقف الكلب،يشم الخوذة،يرفع ساقه الخلفي اليمين،يسكب بضع قطرات بول،يتقدم خطوتان،ينثر بساقيه التراب خلفه ويهرع وراء الموكب..)..آه..عليك اللعنة،مطر،لكن هذا ليس أوان المطر، إنه..إنه..إنه..يا لرائحته المقيتة،آه..يا كلب أبن كلب/أنعل أبوك لابو أبوك/أنت مثل أبن العريف - غضبان - الحقير غضب الدنيا تهبط على رأسه الكبير السكير،لا فرق بينكما،هو أيضاً سكب عليّ أو بالأحرى في جوفي سائلاً مقيتاً،لكن سائله كان ثخيناً،خلاف بولك يا كلب أبن الكلب،هو إنسان أبن إنسان،إنسان صغير أبن عريف حقير،لا يفهم،أنت كلب كبير تفهم،أليس في الجوار أشواك،لم لم تبل على هذه الهياكل الجاثمة،ياه..بول حار ومقذع،لا بأس ستطهرني الشمس،الشمس مطهر يغسل آثام الجميع،ولكن هل حقاً الشمس تطهر الخطايا والذنوب،أليس ناس هذه البلاد أكتووا بشمس لا تنكسف وظلّوا حمّالوا خطايا،يا لتعاستي..يا لخيبة أملي..سكوت آخر يجب أن أمتثل لسيفه،سكوت قد يطول،نهار آخر سينقضي،نهارات تلو نهارات،كل شيء من حولي يرحل،كل شيء زائل،وحدي خوذة وقت السلم منبوذة مرفوضة وقت الحرب تعويذة،خوذة تحرس هذه القفار،قفار..قفاااااار..لا تنتهي،وحدي ألهج مواجيدي لرياح تهب مساء صباح،أحرس مخلفات لا تنفع،لكن أنتم أيتها الأكياس الراقصة،ليتواصل رقصكم والحانكم الأزيزية،أرقصوا..أرقصوا..وأزّوا.. أيتها الأسمال المهترئة،أيتها العلب الخاوية،يا من أسعدتم البشر ذات مرة وأهملوكم كما أهملوني جملة وتفصيلا،ربما ستسافرون..أو..أو..ستغادرووووون - لا فرق - لا تيئسوا، سترحلون تاركين أماكنكم لمثيلات لابد أنها آتية لا محال،تواصل الرياح دحرجتها من المدن الحافلة بالأوساخ والشوارع المترعة بمخلفات المطاعم وصفائح قاذورات تدلق أحشاءها كلاب ضالة متكاثرة وقطط نست طعم اللحم والشحم مذ توقفت الحرب،لا تيئسوا،لا تقنطوا،ستدحرجكم الرياح شذر مذر،ستجوبون متاهات ومتاهااااات،ستشبعون وحشة

ورحيييييييل،أكيــاس لا تعــرف اليأس،أســمال لا تنفع،أزبــال بــلا قيمة،كل شــيء يحــط ويمضي،إلاّ أنا،مغروســة كجــذع شــجرة ميّتة،ليــس بوســعي التحرك،شمس الصيف تشــويني،مطر الشتاء يرد لي نصاعتي،أنا..خووووووذة..أنا..أنفع من ينتشلني من مكاني،ممكن الاستعانة بي رغم انتفاء الحاجة لي،من يســمعنييييييي..!!،من يحــن أو..أو..يــرق قلبــه وينتزعنييييييــي مــن يأســييييييي،يأخذني من وحدانيتيييييي،لــم لا أحــد يريدنيييييي..؟؟..ألم أجلب إلى بلاد لا تعيش بــدون حروب،بلاد قررت أن تجعل الخوذة عقالها الواقي،رمز عزتها وكرامتها،دليل حضارتها،أليــس من يــدٍ تتكرم وتأخذني عســى أن ينتفع مني أحدهم،ألســت ذا فائدة،أم انتفت الحاجة لي(صريــر إطــارات يتصاعد،تتوقــف مركبــة حديثة،تهبط امرأة،تنــزل ولدين،تهبط من الرصيف إلى مسافة عشرة أمتار،تعالج بنطال الولدين،يقعيان..) أنانانانانا!!..خوذة ..خوذذذذذذذذة،ألا تسمعييييييين نننننييييييي،أنا!!!!!!! خوذذذذذة..خذونيييييي معك مكمكمكمكمممممم،أنــا!!! أنفعكمكمكمكممــم، خلّصوني..خلّصوني..خـ..لّــ.. صـ..و..نـ..يييــي منمنمنمنمنمنمن هههههههذهههههالوحششششششة آه..يبدو أنهم ـ طرشــان ـ لأتكلم بهدوء وتوســل،من حقهم أن يكرهوا الصراخ،شبعوا الوعود والأكاذيب،من قبل السياســيون الجدد،صمّوا آذانهم وقتلوا أحلامهم بالعسل الذي جلبوه لسعادتهم،سادهم اليقين أن الحياة مثــل الحرب أضحوكة،الحياة لا تســتحق العناء والكد وصــاروا ينشــدون دروب البدائية كونهــا حياة غير مكلفة وواضحة،آه..أيتها المرأة الجالسة،لابد أن مثانتك ممتلئة،لابــد أنك شــربت مشــروبات غازية هبطت عليكــم كالمطر من بعــد حرمان طويل، مشــروبات مغرية تجهلون عواقبها،مثل الخراف الضامئة أرتميتم عليها،أفرغــي مثانتك،أيتهــا المتســربلة بــرداء غير محتشم،لدي حكايات جميلة،حكايات الحروب وأسرار الجنود الذين هلكوا وهم يســمعونني وصاياهم،عسى أن يأتي يوماً تبيعوني للمتحف العالمي لمخلفات الحروب البربرية القديمة،خذوني لا ـ تعوفوني ـ أرجوكم ،أنا.. خوذة..خوووووذة(يرجــع الولــدان وتدخل المرأة إلى حفرة،أحدهم يركل الخوذة بقدمه دون أن يزحزحها.. يصعد عليها قليلاً ثم ينزل ويتجهان نحو المركبة..)آه.. أبن الكلب..أنا خوذة تــاج رأس الجنود،ربما كنت تاج رأس أبوك،لست تاج تحت(القنادر)يا أبن العا..العا ..لا ..لا..أمكــم جميلة،أمكــم عيونها كحيلة،لا تســتأهل الشتيمة،ربما تراني وتأخذني معكم..نساء هذه البلاد يتميزن بلملمة كل شــيء،كل شــيء بات ينفع في أيام ســود تزحف،ســتجرف أحلام الحالمين وتمزق رايات المتنفذين،أنا أخبركم بما ســتؤول لهــا أموركم،أنا أبن الحروب التي لا تنتهي،أنا خوذة..خوذذذذذذذة..أعرف أســرار ما بعد الحروب،خذوني لأحكــي لكم تواريخ الفســاد والمــدن التي عاث بهــا الجنــود وأحالوها إلى رماد..(تــبرز المرأة مــن داخل الحفرة،وهي تنشــغل بترتيــب ســروالها الداخلي،تتقــدم إلى المركبة..)أنــا خوذة،خذيني يا امرأة..(تبصق المرأة على الخوذة،تقذف بنفســها إلى داخــل المركبــة وتنطلق..)آه..عليــك اللعنة،خلتك منقذتي ومنجيتي من عذاب السلم،ليت الحروب لم تخمد،ليتها لمّا تزل مستعرة،كنت مسرورة رغم المــوت،لا عدو يســتهدفني،العدو يريد الأرواح،لا يريــدون الخوّذ،كنــت أســمع كل شــيء،حكايات الغزل،حكايات الزعل،حكايات الليالي الطويلة،آه..ليس

بوسعي أن أنسى تاريخي،كنت على رأس جندي وسيم،جندي ارتحت لرأسه النظيف،عكس رأس العربيد - غضبان - كان فتى وسيماً،كان لا يهملني لحظة واحدة،كان جندياً شاعراً،ينفرد في ليل الجبهة على حافة نهير صغير،تحت ضوء القمر الساحر،كان لا يلقيني من فوق رأسه،كان يستبقيني وكنت متهيئة للذود عن رأسه من رصاصة طائشة،أو من رصاصة قنّاص متربص،أو شظيّة قذيفة عشوائية،كان يطلق لسانه الحلو،يحرر كلمات الهوى لحبيبة بعيدة،أحببته وأحبني ،كان يغسلني دائماً،يزيل الغبار عنّي،يحتضنني ويقبلني متخيلاً انني حبيبته،وكنت مرتاحة لـ - بوساته - الناعمة،كنت اسكر لأنفاسه الحارة،كان ينام وأنا بين أحضانه،دافئة احضانه،آه..يا لبؤس الحالمين،يا لبشاعة البشر،أخوة الشر،يتناحرون على أوساخ لا تنفع،قتل الجندي،ليت الشظيّة كانت باتجاهي،ليت ذلك،لذدت عنه،لكن الدوي ألقانا معاً،طرنا في الهواء معاً،طار الجندي وسقط،تلوى من جرح كبير قذف بأحشائه خارج جسده،طرت وسقطت،شعرت بخدوش طفيفة،ذرات تراب صفعتني،صرت بعد أسبوعين من موته على رأس العريف المصيبة - غضبان - أسود - عنزي - بعض الجنود كانوا يتهامسون فيما بينهم - إجه القشمر..راح القشمر - كانوا ينادونه سراً التيس والخنزير والـ - جلب - و- الجولة - والـ - زمال - ،كنت أسمعهم(يبشبشون)فيما بينهم،لكن لا أحد بوسعه أن يقول ذلك علناً،الجندي الشاعر أوّل رأس حملني استحملني،مات الشاعر ووجدت نفسي على رأس آخر،رأس ليس بشاعر،لكم تألمت لفقدي صاحب الأحلام الرقيقة و- البوسات - الناعسة،رضيت بالقسمة،كونه رأس صغير وغير متحمس للحرب،قبل أن ينتبه - غضبان المزنجر - لجمالي وصلابتي،كان عريفاً منافقاً،ينقل كل صغيرة وكبيرة إلى آمر السرية،يجعل - من الحبة كبة - مرة دخل على آمر السرية،كنت على رأسه،قال قولاً كبيراً،آه..عليه اللعنة،هبّ آمر السرية،كمن بوغت بعدوه داخل عليه،هرع معه،كنت أرقص على رأسه الوسخ،أسود - ملولب - الشعر،هناك كان جندي يلتصق بكلبة،كان صوت غزله الحلو يردده الليل،صاح آمر السرية،أرتعب الجندي و- بال - أو..أو..شخ على نفسه،أنا لم أر البول طبعاً،حكاية ظلّ العريف يردده أينما يحل بثقله،أخذه الآمر وأيقظ السرية النائمة من تعب ورثاثة الأوامر،كنت أصرخ لم فعلت ذلك،لم وشيت،إنسان محاصر،إنسان ظلّ ينتظر إجازته الدورية منذ ثلاثة أشهر،ما دامت الكلبة راضية وهو راضي،لم تغار أنت يا - غضبان - ألست من فعلها مع حمارة،آه يا لعين يا نا -......- الحمير،كنت على رأسك يا- غضبان - لكن ليس هناك من يسمعني،أنا خوذة،منقذة الرؤوس من الرصاص،أنا خوذة يا عالم،آه..ذلك الجندي هرع إلى سلاحه،لم يحتمل الإهانة،راح يركض وراء العريف المنافق - غضبان - أراد قتله قبل أن يقتل نفسه،لكن رصاصة عالجته،كان الليل في منتصفه،ولم يعلم أحد من كان طالق الرصاصة المميتة،نجا - غضبان - من عقاب مستحق،ظلّ آمر السرية يسأل عن مطلق الرصاصة،لكم كان غبياً،لو كنت أنا الباحث لتوصلت سريعاً لمن رما،كان يجب أن يجمع البنادق ويشمها،لعرف من قتل الجندي المسكين،الذي تناهضت شهوته القاتلة ووجد كلبة السرية عروس في جبهة جحيمية،العريف - غضبان - أخذني معه ذات إجازة،وصل العاشرة صباحاً،أنا بطبيعة الحال لا أعرف قراءة أميال الزمن،لا

يهمني الزمن وأجـزاءه،أن ما يهمني أنني صنعت من أجل واجب محدد،واجبي كما حدد لي أن أحمي رأس الجنـدي الذي يخاللني،العريـف ـ العربيد ـ كما يحلو لرجـل ضابط أن يناديه،لحظة طرق باب البيت،كنت على رأسه،سمعت زوجته لحظة فتحت الباب صاحت: دائمـاً تأتـي في العاشـرة صباحاً..صاح:هـل الولد في البيـت..؟؟ ..لا..أنه في بيـت أهلي..!!رفعها ونقلها إلى الغرفة،ركبها دون أن ينزلني من فوق رأسـه،قالت له: رائحتـك كريهة يا أبـا الغضب..!!دعيني أتخلص من الجحيم أولاً..!!كنت أتحرك فوق رأسـه، حين ـ فش ـ كمـا ـ يفش ـ بالـون فـرغ هواءه،لاهثاً سـقط على ظهره،قامت هي بإنزالي،زوجته أيضاً ـ عبسـية ـ أو ـ حبشية ـ كلام كنت قد سمعته ذات ليلة من زميله،كنت معلقـاً داخل الملجأ وكان هو في الخارج،لا أحد يحبه يا عالم،لا تنخدعوا برؤية الجنود جنباً إلى جنب،أو معاً في الملاجئ،الـكل كارهين والكل مكروهين،كل شـيء ـ خراء ـ في الجبهة الشـرقية،كلام جندي تم سوقه سراً في الليل مـن قبل رجال مخيفين،قـال كلمته بعدما انتهى مـن قراءة رواية أجنبية تتحـدث عن الجبهة الغربية،قالـوا العريف ـ غضبان ـ هو من كتب تقريراً عنه،أخذوه وعدمـوه وأعادوه إلى أهله في تابوت كتب عليه جبان،سـأخبركم يا عالم،اقتلوا العريف أنه قتل ذلـك الجندي الـذي قال كلمة حق في زمن السـلطان الجائر،هناك من يؤكـد أن الجندي قال كلمة ـ هراء ـ لكن العريف أسـتبدلها بكلمة ـ خراء ـ ومنهم مستعد أن يشهد أنه قال كلمة ـ سواء ـ العريف الواشي،هو من أخذ جثته الطاهرة إلى ذويه كمأمور،من أجل أن ينال إجازة أمدها عشـرة أيام،تكريمـاً لمنافق يطهر الجبهة مـن النظيفـين والصادقـين والحالمـين وكارهـي الحروب،كانـوا يكنونه(جولة)،ليتنـي كنت أعرف ما معنى(جولة)،حـين عـاد الولد،ولده مـن بيت أهل زوجته راح يداعبني،يضعني على رأسه وينزلني،قلت: يا له من ولد لطيف خفيف الروح والجسد،خلاف أبيه ـ السخيف ـ أرجو أن لا ينافق حين يكبر،لكن الولد فعل فعلتـه الكبيرة،هو لم يكن السـبب،أمه اللئيمة كانت السبب،كان الوقت ليلاً،كنت متعلقاً على الحائط،صرخ الولد،نهضت اللئيمة،سقطت عيناها علي،قلت أرجو أن لا تفعلها،لكنهـا أنزلتني وأجلسـت الولـد علي،أفرغ مخاطـاً كريهاً،فرقعـات وبقبقات غازيـة تخرج من دبره،كان الولد يشـكو من إسـهال شـديد،بين لحظة وأخرى كنت أسـمع دمدمات أحشـاءه وكنت الوسيلة لتفريغ ما في جوفه من سائل مخاطي قذر ونتن،العريف ـ غضبـان ـ حين نهض في الصبـاح رآني مملوءاً ليس بالـبراز فقط بل أفـواج الذبـاب تغطيني،صاح على زوجته:مـا هذا يـا أم حرداااااااان..؟؟كانت في فراش نومها،قالت بتثائب(نكاااااسة)أبنك يا ـ غضوبيييييي ـ يا محبوبيييييي..!!أمتثل للأمر الواقع،غسلني على مضض،لم يلبسن رأسه،بل عمل عملته الماكرة،استبدلني بواحـدة كانت علـى رأس جندي،أوهمه بأنني ثقيلة على رأسه،كنت خوذة رومانية،يوم ولدت داخل مفرخ كبير،كنّا آلاف تلو آلاف..وزعونا على صناديق،سـاقونا إلى بلـدان لا تعيش إلاّ على نيران التناحرات ـ داخلية وخارجية ـ بعد سـبات طويل اكتشفت نفسي في هذه البلاد،آه..ما الذي أسمع،يبدو أن أحدهم يقترب،لا..لا.. بل هنـاك أنفار تقترب..(ضحكات نساء،شيئاً..فشـيئاً تتصاعد)،آه..سرب نسـاء،ربما بينهن من تحمل روح خفيفـة،روح تتوق لحبيـب رحـل،أو كان يكتب لها رسـائل رغبات وأشـواق من أرض المضحكة..آه..أعني

أرض المعركة،لا فرق،مضحكة..كه..كه..كه..معركة ..كه..كه..كه..سأتكلم برقة،نساء هذه البلاد،رفيقات،يحملن آلام كثيرة،مجروحات،قلوبهن دامية،أجسادهن حامية،وكل حامية حرامية على حد زعم أم ـ الغضب ـ زوجة العريف،نساء اكتوين برحيل مبكر لبعولتهن وعشاقهن،(خمس فتيات يحملن على رؤوسهن أشواك وحطب،تلقي إحداهن ما على رأسها،يتبعنها الأخريات،واحدة تجلس على الخوذة..)أنا..خوذة، أنا..خوذذذذذذذذة..(يبدأن الكلام والضحك)آه يالها من عجيزة طرية،عجيزة كلها لحم وشحم،أنعم من عجيزة العريف ـ غضبان ـ الذي كان دائماً يجعلني قاعدة أو مقعد ليرتمي علي،كلما يتسلل إلى ملجأ ليسترق السمع ويوشي بمن لا يعرف أو يجيد لغة الكذب،كانت عجيزته ذي رائحة كريهة،يابسة وخشنة،(تتواصل الضحكات والكلام بين الفتيات..)أنا خوذة يا فتاة،خذيني واجعليني مقعداً لعجيزتك الناعمة،خذيني لأحكي لك حكايات جميلة عن الجنود الذين ماتوا ودفنوا هنا،سأحكي لك عن حبيباتهن،ربما واحداً منهم رآك فهواك أو رأيتيه وهويتيه،وربما هو من هواك ومن هويتيه،خذيني..خذيني..أنا خوذذذذذذذذذة،(ينهضن ويغادرن المكان..) آه..أيتها الفاتنات خذوني لا تتركوني،أنا خوذة..خووووووذة.. أنا مؤنثة مثلكن،ما العمل،من يصغي لي،من ينتشلنيييي من وحدانيتيييييي،سينقضي النهار،سيأتي الليل،ناس تأتي وترحل،وحدي مهملة ملقاة في قفار،كانت لي رفيقة أنيسة،كنّا نتحاور،قبل أن ـ كلب أبن كلب ـ جاء وأنتزع زميلتي وتركني وحدي،أحببتها وكانت متعاشقة معي،جمجمة جندي جيء به تواً،جندي وسيم أعطوه ملابس جديدة وخوذة جديدة التي هي أنا..أنا طبعاً،الجندي فرح كثيراً لحظة وضعني على رأسه،أنا أيضاً فرحت،كونني تخلصت من الإهمال داخل مشجب مليء بملابس وأسلحة(مزنجرة)،بعدما هرب الجندي الذي كنت أقي رأسه،جندي كردي أتوا به،لم يتآلف مع الحرب،كان يسب الحرب ومسببيها،بعد مرور شهر ويومان على تواجده،تركني وذهب في إجازة،لكنه لم يعد،الجنود ثمّنوا عمله وقالوا ـ ألعب بيها يا بطل ـ راح والقوني في المشجب،ذلك الكردي هو من ـ ـ قشمره ـ العريف،أخذ خوذته وأعطاه ـ أنا ـ بعدما ملأني أبنه بالبراز،ادخلوني مشجباً رطباً وخانقاً،ويوم خرجت صرت أشم الهواء وأرى الشمس وأتلذذ بالمطر،ذلك الجندي كان آخر من وضعني تاج رأسه،حدثت الحرب القذرة،حرب كبيرة،هطلت أطنان من الحديد علينا،صار تراب الدنيا على رؤوسنا،زلزال هائل،حرائق تتواصل،مات من مات وهرب من هرب،آه..يا لتلك الأيام المقيتة،كنت من تحت التراب أصرخ،كنت أسمع أقدام تدكنا،أيدي تنبش،أسنان تنهش،يئست من العودة إلى النور،قلت هي ذي الخاتمة،لا أحد غير المستكشفين يصل إلينا،لأنتظر قرون وقرون كي تندحر حضارة الحاضر وتبدأ سلسلة أخرى من الاستكشافات البشرية،بحثاً عن حضارة عصر الفشل،على حد زعم جندي كان كثير القراءة،قبل أن يرده صاحبه:عصر ـ الزعاطيط ـ ..!!أتذكر أن الجندي الأول وضع أنامله على فم الجندي الثاني،هامساً في أذنه:لا تفه سيعدموك..!!لكن الجندي الثاني دفع أنامل الجندي الأول صائحاً:كل صاحب سيادة قبل أن يموت يهيأ أبنه لتسلم مقاليد الأمور،هي الجمهوريات الحديثة صارت وراثة يا عزيزيً..!!الجنديان قتلا طبعاً في الزلزال الكبير الذي

عصف بالبلاد،آه..ليت الزمن يتسارع وتأتي تلك اللحظة التاريخية،سأسترد مجدي القديم وحياتي الهادئة،وأزهو في صالات العالم لأحكي قصة أقذر حضارة وأبشعها،شيء ما راح يحفر،بانت أظلاف،بانت أسنان،أسنان قوية انتزعتني،خلت أن الزمن دار والحياة تسارعت وجاء اليوم الموعود،صرت خارج سباتي،لكن ـ كلب أبن كلب ـ جائع توصل بغريزته العجيبة إلينا،راح يجرجرني..(صفير يعلو..تتصاعد رياح مغبرة..شيئاً فشيئاً تسد الأفق وتحجب الرؤية..)آه..ما هذا،رياح جديدة ،رمال..رمال مرة أخرى،(ـ كيس ـ تدحرجه الريح،يلتصق بالخوذة..).. ماااااااا..هههههههذااااااا ـ كيييييييس ـ أبن ـ كييييييييس ـ لم يا ـ كييييييييس ـ أ..ظلمتني،لم جئت علي،ستحرمني من رؤية أحدهم لي،أرحل،اتركني،رح مع هذه الريح إلى أماكن سعيدة،ليتني أملك خفتك،لكنت أوّل المغادرين..(تشتد الريح،سوّارات رمال تتحرك وتلف الأزبال،يغادر الكيس من على الخوذة..)آه..ياله من ـ كييييييس ـ مسالم،استجاب لندائي،فليرحل بسلام وأمان،لكن ما هذه الخشونات الضاربة بعنف،آه..رمال..رماااااال،أيتها الرمال العنيدة،كفاكِ تجريحاً،أيتها الرمال غير النافعة كفّوا عن هذه المهازل،لم تهبون،لم تكتسحون الآماد والأمكنة القصية،كفّوا..كفّوا، ارعووا،ناموا..(يتواصل هيجان الرمال مع هدير الرياح)،آه..صوتي يختنق،صوصوصوصوتيتيتيييي آآآآآآآه..ما ااااا هههههذااااا..ظلاااااام..ظ..ل..اااااا..م..ظلاااااااامممممم مممم..!!

* * *

الوقت : (السادسة والنصف عصراً من نفس اليوم،السماء شاحبة، الرياح ساكتة..)..

* * *

..يااااااااااااااااه..لكم كانت قاسية علي الرمال،حتى رمال هذه البلاد غير نافعة،رمال لا تنتهي،موجات تلو موجات تهاجم،غاضبة،جارحة مدمرة، مثل بعض ناسها،رمال لا ترحم،يااااااااه..أجبرتني أن أكتم مواجيدي،وأخنق هذاءاتي،حرمتني من فرصة نادرة،فرصة قد تكون مثمرة، قدم..قدم بشري،أنا على يقين مما أقول،قدم بشري تعثر بي،لولا الرمال لربما لفت أنظاره،كان يقذف شتائمه وهو يتعثر بي،كان يلعن ابيه وابي أبيه يوم جاءوا إلى هذه البلدة المنسية على حد زعمه،ماتا وتركاه غريباً يواجه حياة عصيبة،ربما كانت فرصة حاسمة لي وله،كنت على يقين أنه سيستنجد بي،لو فعل ذلك لكنت أقي رأسه من الرمال الهائجة،ومن يدري ربما كان الذي مر وتعثر بي العريف ـ غضبان ـ كل شيء وارد في هذه البلاد، الدنيا في هذه البلاد دوّارة،الكل يرجع إلى أصله وفصله،إلى حيث ولد وترعرع وشب قبل أن يغادر موطن ولادته،أو..أو..ما يطلقون عليه مسقط الرأس،لكن ما من أحد يسأل من أين يسقط رأس الواحد،من الهواء من السماء،لا..لا..يسقط من ـ كككككك......... ـ أمه،هكذا كان الجنود يتراشقون السباب فيما بينهم،هذا المار،العابر،العاثر،تحت الغبار،هذا المسافر الغباري،كان يتحدث عن الحرب ويشتمني،سمعته يذكر كلمة ـ خراء ـ قال: كلما أرى خوذة أشتم رائحة خراء..!!لا أحد يدرك العلاقة الجدلية ما بين الخوذة والخراء،سوى العريف النتن ـ غضبان ـ وحده شهد ما فعل إبنه في ذلك اليوم البعيد،ثمة آه..ما أحلى هذه الكلمة،ثمة..ثمة..جندي

كان يلفق رؤوس الجنــود بالفردات الطنّانة على حد زعــم ضابط وصــف كلام الجندي الكاتــب،كان دائماً يتحدث بلغــة متاعلية،كما هو يصــف لغته،متعالية عــن أي شــيء هذا ماظــلّ مجهــولاً عنّي،ثمة علاقة تكوينية أسميها محســومة ما بيني وبين تلك الكلمة المقيتة،كلانا يبدأ بحرف الخاء،ونفس عدد الأحرف،لا أحــد يعرف إنني غــدوت في يوم ما ـ قعّــادة خراء ـ إلاّ هو..وحــده من رآني ممتلئاً حــد التخمة ـ بخراء ـ حردان أبنه،أو كما كانــت تقول امرأته: ـ زربااااااان ـ أبنــك يــا غضوووووبــي يــا محبووووبي..!!يــا للفــرص النادرة،لولا الرمال لربمــا تذكرني من أوّل نظــرة،كل شــيء وارد،كان مــن الممكن على ســبيل التذكار أن يأخذني ويريني أبنه ـ حردان ـ أو زوجته الســوداء،ضاعت فرصة أخــرى يا..يا..أنا..يا..أنا..أنا خوذة،آه..يا لذكريات العريف،أعماله تســتحق التكرار من باب التسلية،أنا خوذة..دليل زمن البشاعة،تعلمت الــكلام غير النظيف مــن لســان العريف،آه..يأخذني ســيل الحنين وجمرة الألــم لأحكيييييــي أو..أو.. أو..لأتشــكيييييي لمن..لمن..لـ..مـ..ن.. ينـ..تـ..شـــ.. لـ..نـيييييي،مــن ينـ..قـ..ذ..نيييييــي مــن هذا الجمود المزمن،من يأخذني ويســتر رأســه بي سأسرد له يومــاً عصيبــاً لا ينســى،يوم ذي محرقة،يوم تم إعدام ســبعة جنود،نعم ســبعة كانوا،قيل إنهم فرّوا مــن الخطــوط الأمامية،جنــود ذاقــوا ذرعــاً بعدم وجود أجــازات دورية،وقيل أنهم يكــدون ويضحون وأبــو ـ جزمة ـ يأكل،حكايات كانت ســراً يتهامس بها الجنود،كانت الأنواط،أنــواط الخرافة على حد تعبير الجندي الشاعر الذي مات وأنا أنظر إليه،كانت تعطى لــن هو مراســل أو خادم في بيت ضابــط،أو جندي ـ لوكــي أو لوتــي ـ مثــل العريف ـ غضبــان ـ وحدهم الشجعان كانوا يستحون من نكس الرأس بين أقرانهم أو آباءهم،كانوا يســتحون مــن الهروب،لذلك يموتون على الســواتر،وحدهم الشــجعان لا يهربون من نيران الحروب القذرة،الحروب غير العادلة،تلك الحروب التي غاياتها واضحة وفاضحة،أهدافهــا التخلص من العباد وتثبيت كرســي الرئاسة،آه يا للهول،كلمات هذه البلاد لها مرادفات وألحان عجيبة،رئاسة..نكاســة ..سياسة.. مكناسة..دناسة..خساســة.. اليوم..اليوم فقط عرفت لم يوجد مزابل الشعر والشعراء في هذه البلاد،كلامهم مــوزون وحياتهم بــلا وزن وقيمة وعافية،مســاكين يلهثــون ويموتون،يبغــون بناء حيــاة مثالية خالية مــن التمرد،أنا يا عالم،أنا..أيتهــا الرياح الراحلة،أيتها البيداء الموحشــة،أيتها الســماء الداكنة،الســاكنة،..أنا لدي أسرار،أســراااااار كبيرة،أســراااااار خطيرة،خذوني كــي أتخلص مــن جيف هذا المــكان الملغــوم بأعضاء وأشلاء الجنود،هل يمكن نســيان يوم الهجوم الموسمي الكبير،يــوم تم إعدام الســبعة،كنت على رأس العريف أبــو الغضــب،كان أو بالأحرى كنّا هنا،جــاء هارباً من الهجوم،هرّبه آمر السرية،شريب العرق في الخنادق،كانا يحتسيان لا يســتحيان الخمر على حساب كل جندي يجلــب زجاجة مقابل عدم إدراج أســمه في الواجبات الليلية،خذوني إلى أو..أو..أجلبوا لي الوحدات العسكرية التــي كنت فيها،سأرشــدكم إلى كل واحد ترك بصمة ســوء في كتاب الزمن،ضبــاط ومراتب،فقط خلّصوني من هذا المكان،آه..كنت بصدد أن أحكي تلك وقائع تلك الواقعة،كانت مفرزة كبيرة تقف،رهيبة،يلتقطون كل جندي فار أو أرسل في واجب إلى الخطوط الخلفية،حتى العائد من إجازتــه الدورية،العريف ـ غضبان ـ كاد أن

ـ يــروح بيهــا ـ على حد زعم آمر ســريته،تمكن أن ـ فلــت منها ـ كما قال لزوجته،مكر ونجا،لم أعد أتذكر ما الذي قاله لهم،لم يعدموه،بل هو وقف،بل هو الذي ربط أيدي الجنود الســبعة على أعمدة الســاتر،صبّوا الرصاصات فيهم،العريف المصيبة قام بمساعدة جنود آخرين بدفنهم في حفر موجودة وراء هذه الملاجئ،كنت على رأســه،كنت أصرخ ليتنــي أرى حتفك يا نذل يا جبان،آه..مــن ينقذني يا عالم،من يأخذني لأحكي له كل ما جرى في هذا المعسكر المهجور من أسرار،أين كنت في حديثي، كنت..كنت..آه..ما هذا..يبدو أوان الكلاب قد أزف..(ثلاثة كلاب تتقدم وتبدأ بالشم وسكب البول على الهياكل..)كلاب لا ترحم،كلاب شــبعت من لحوم البشر،آه..يبدو أحدهم من أخذ معشوقتي ،هو..نعم.. هو..هو..أنه يشمني،يحاول تقليبي،يا كلب أبتعد،أخذت مــن كانــت تؤنســني،أخذت الجمجمة،جمجمة الولد الوســيم،عمّاذا تبحث،عن الهيــاكل الحديدية،عن كل شــيء ذبل ويبس وجف..(يبتعد الكلب بعد أن يرفع قدمه الخلفي اليمين،يســكب بضــع قطرات بول على الخوذة،يتقدم خطوة وينثــر التراب إلى خلفه..)آه..يا كلب أبن الكلب،ليتني أمتلك أسنان لقضمت هذا الأنبوب المتضامر النازل من أسفل بطنك،وجعلتك تقذف بولك من دبرك،آه كان آخر جندي يحترمني وأكن الإعجاب له،قبل أن تزلزل الأرض وتنقلب أحشــاء المعسكر،من يريدني..من يســمعني،أنا خوذة..كنــت على رؤوس كثيرة،رؤوس حالمة،رؤوس مسالمة،رؤوس نتنة،رؤوس منافقة،أمقتهــا رأس العريف(صــوت مركبة..)يبدو أن شــيئاً ما يتقدم،أزيز،صرير إطارات،نعم..إطارات.. إطــارات مركبة،ليــت أحدهــم يهبط،ليــت أحدهم يتضايق،يشعر بتدفق جوفه،أو ثقل مثانته ـ مي خالف

ـ يتبول علي،ربما ســيحتاجني مــا أن يراني..(تقف مركبة،يهبــط شــابان،يبدأان بتجميع كتــل الحديد المتناثر..)مــا الذي يجري،أنهما ينتزعان كل شــيء،لا يبقيان شــيء،أنا..أنا..خذوني معكما،أنــا أنفعكما،أنا خوذة..(يتقــدم أحدهم وينتزع الخــوذة من مكانها ويرميها في جوف المركبة بين أكوام من الحديد..)آخ.. لــم تقذفني هكذا ـ مي خالف ـ المهــم تخلصت..ياه.. جاء الفرج،أنــا خوووووووذة..أنــاااااا حرة..هي..هي ..هي..هي..أنــا قادم يا عالم..أنا تحررت من الكســل والوحشة،اخيراً تحول صبري إلى عافية طويلة،أخيراً.. أخيراً..جاء الفرج،وداعاً أيتها الهياكل الخرســاء،وداعاً أنا ذاهب،سأحكي،سأحكي كثيراً عنكم،عن صبركم،عن واجباتكــم قبل يوم الحســم الأخير،يــا لي من خوذة محظوظة،آه..(يصعد الشــابان وتنطلق المركبة..)آه.. لكــم جميل أن تســافر،أن ترحل،من مــكان لمكان بلا عناء،لكم سافرت بين الملاجئ ومن جبهة لجبهة،فقط العريف(أبــو غضب)من كان ينقلنــي ليريني مدينته البائسة،مدينة وسخة،المزابل متراكمة داخل سوقها،لا أحد يهتم بما يدوس عليه بقدميه،أحشــاء حيوانات منحورة مدلوقة على إفريز الشــارع الرئيس،جيوش من الذبــاب والزنابير تتقاتل بلحــن جنائزي،ورجال البلدية جالســون على أرائك في المقهى،شاياتهم واصلة ـ المعيديات ـ يقدمن لهم لبن وقيمر،عربون ســكوتهم والســماح لهن بالجلوس على الرصيف وبيع ما لديهن من لبن وجبن وقيمــر وحليب في كل صباح باكر،وفي نهاية النهار كانوا يحملون أكياس نايلونية مثل الفقراء يلملمون عطايا البقّالين،هذا يقذف بخيارة من العيار الثقيل لم يرغب بأخــذه أحد،وآخر بثمرة طماطم ـ ممرودة ـ وآخر برأس بصل دب فيه العطن،عطايا من

الدرجة البائسة،آه..لكم كرهت المدن،المدن تعج وتضج بالناس والمركبات،أنا صنعت للحروب والجبهات،صنعت كي أحمي الــرؤوس من الرصاص والشــظايا،ها أنني ماضــي لا أدري إلى أيــن،إلى أين تمضــي أيتها المركبة الحوضية،أيــن تأخذنا،أنت تمضــين إلى المجهول،اتجاه البلــدة علــى عكــس مــا تســيرين،توقفي وغيّــري اتجاهك،أنت تسيرين بأتجاه الظلام،توقفي ..تـ..و..قـ.. فـ..ييييي.. تـ..و..قـ..فـ..ييييييييييييـ..!!

★ ★ ★

الوقت : (الساعة التاسعة ليلاً)..

المكان : (قاعة طويلة..فرن ناري لتذيب الحديد في جهة اليمين،أكوام من القضبان في الجانب اليسار..أكوام حديد مستهلك..يتقدم شاب ضخم ملثّم الوجه،عيناه تشــعان جرّاء توهــج الحديد،ويبدأ بإلقــاء القطع إلى الآتون..)..

..آه..مــا الــذي تعمل أيهــا الفتى،لا تكن قاســياً علينا،مــا الــذي عملنــا لتعدمنــا الحياة،تمهل..تـ.. مـ..هـ..ل..أأأأأأأنــا خــوذذذذة نااااافععععععــة، يميميميميميمكنكنكنكنــك أن..أن..أن تقيييــي بيييــي رأسكسكسكســك من هــذاذاذاذا الجحييييييم،أرجوك،أرجــوك تمهــل وجــرّب ذلك،ضعني..ضعني على رأسك،ســأحكي لك حكايات جميلة تؤنســك،حكاياتي مسليّة،ســأطرد النعاس من جفنيك،أرجــوك تمهل،(الفتــى يواصــل قذف قطع الحديد في النار،ويدنو شــيئاً فشــيئاً من الخوذة)..يا ويلي،يبدو أنــه أطرش،أنت..أيها الفتى الأســود،أيها ـ المزنجر ـ قف لحظة،من فضلك،لحظة واحد فقط،قف وأنظر إليّ،أنا خوذة،أنــا حامي الرؤوس من الرصاص والشظايا،جرّب أن تضعني على رأسك،جرّب،(تصل يد الفتى إلى الخوذة،يرفعها..)آه..أخيراً ســمعتني،ضعني على رأســك لتجدني خير حامي وواقي لرأسك الكبير من لظى هــذا الجحيم،ضعني..هيّــا ضعني..(يدخل رجل كهل،مغبر الملامح،يصرخ بصوت مبحوح:حردان.. حرداااااان ..خف يديك لقد تأخرنااااا..)..مااااااذا.. ماااااذا سمعت،صوت من أسمع..هل أنا في لجة حلم،هو.. هو..هــو..لا..لا..لا أحد يمتلك هــذا الصوت ـ المزنجر ـ هو..هــي أنت أيها الكهل أمــا تعرفني،أنا..أنا،(يصرخ الفتى : حاضر يابــاااااااا..!! ويلقي بالخوذة إلى آتون النار..)آاااااااااااه..يا حرداااااان..آه..يا غضباااااااان.. أنا خوذتكم،أنااااااااااا خوخوخوخوخذذذذتتتتتككم كمكمم ..خـ..و..ذ..تـ..كـ..م ممم ممم مممـ..!

صوت نار متأججة]

ملف
شخصية الفرد العراقي

توطئة

كثرت الاراء و تعددت التفاسير و التحاليل التي خطتها اقلام الباحثين و العلماء و الكتاب و المثقفين سياسين كانوا ام اقتصاديين ام اجتماعيين لتأطير ظاهرة عدم الاستقرار الشاملة لجميع النواحي و الجوانب المتابينة و المتفاوتة ايديولوجيا كان ام غيره و الذي يعاني منه العراق منذ الازمنة الغابرة و الموغلة في القدم، كل ادلى برأيه وو ضح رؤياه فتغربلت وجهات نظرهم الى وجود نزعة غير ثابتة و غير مستقرة في نفسية الفرد و الشخص العراقي (حكاما و شعوبا) و التي هي سبب عدم الاستقرار، و بما ان مجلة سردم العربي تنتهج سياسة الاتيان بالجديد و المفيد و الأني الهادف لأثراء المعرفة الانسانية عامة و العراقية خاصة أرتأينا ان نخصص ملف هذا العدد من (سردم العربي) لأقلام الكتاب و الباحثين كي يعبر كل منهم عن و جهة نظره و نتائج بحثه بصدد شخصية الفرد العراقي متعرضين لكافة القوميات و المذاهب و الاديان المكونة للفسيفساء العراقية، و قد اختلافت زوايا أرتيائهم في المنهج المتبع و الاسلوب المعتمد كما سيلاحظه القارئ عند ولوجه في القراءة، و كما يقول احد الباحثيين ان تناول الشخصية العراقية من منظور التحليل النفسي أمر في غاية الأهمية، ويفترض أن يكون من أولويات المؤسسات العلمية والنخب العراقية، فما نشهده من تشوهات إجتماعية ومصادرة للحريات وإنعدام إحترام حق الاختلاف والفساد الاداري وسرقات للمال العام، وجرائم الخطف والارهاب وقطع الرؤوس، وقبلها سلسلة الانقلابات والسجون والاعدامات والمقابر الجماعية... كل هذه البشاعات هي عبارة عن ظواهر (ونتائج) تقف خلفها (أسباب) سايكولوجية إستوطنت في الشخصية العراقية.

ارجو ان ينال محور بحثنا رضى القراء الاعزاء و أن يساعد و لو بكما قليل في اثراء معرفتهم و أرتواء عطشهم و اشباع نهمهم العلمي و نعتذر عن اي تقصير ان وجد.

هلم أذا لقراءة مواضيع الملف.

المحرر
مهدي مجيد عبدالله

مفهوم الشخصية

الدكتور أسعد الامارة

قبل الاستطراد في تناول الشخصية علينا ان نتسائل ،ماهي الشخصية،كيف حاول الباحثين البارزين المهتمين في دراسة هذا الميدان من ميادين علم النفس وفروعه،وكيف استطاعوا تفسير مجالات محددة من الشخصية مثل القلق ،العدوانية والتضاد الاجتماعي،الحاجة الى الانجاز،الاعتمادية،الاحساس الداخلي للشخصية وموضوعات اخرى تهتم بالدقة في سيكولوجية،في حين اهتم آخرون اساساً بتصميم اختبارات خاصة بالشخصية وتقويم الشخصية،واهتم فريق آخر بنظريات جديدة،هؤلاء كلهم او اغلبهم كانوا من الكلينيكيين،استخدموا ابحاث الشخصية والنظرية والاختبار(المقياس)لمساعدة الناس في فهم انفسهم وحل مشلاتهم النفسية. فسيكولوجية الشخصية اذن هي ليست نظريات الشخصية وليست اختبارات ومقاييس الشخصية،انها علم بحد ذاته حتى وان تداخلت المفاهيم وتشابكت المصطلحات،فالشخصية هي من الشخص ،والاشخاص وغيرها من الكلمات والمفردات التي تدل على الجسم،اي الجانب المادي الوجودي الماثل للفرد في الواقع والذي يحمل اسماً بعينه،كأن محمد او صلاح او مهند او تيسير او لمى او شذى او ابتهال وما ذلك من اسماء لاشخاص تدل على تكوينهم الوجودي في الحياة. استخدم اصطلاح الشخصية Personality في اللغات الاوروبية المنحدرة من اصول لاتينية،هذه الكلمة Personality هي لفظة مشتقة من لفظة برسونا Persona ،ومعناها القناع ،وهذه الكلمة بدورها مركبة من لفظتين ،بير ،وسوناري -Per

sonare ،ومعناها عبر او عن طريق الصوت،واللفظة بكاملها ،يعود استعمالها الى الزمن الذي راح فيه الممثل على المسرح الاغريقي،حينما يريد اداء دوراً فيه على خشـبة المسـرح،يضع القناع على وجهــه لغرض اداء الدور وايضاح الصفـات المميزة التي يتطلبها الدور في هذه الشخصية،هذه الشخصية هي البطل على المسرح او الشـرير او الاناني او البخيل او الوفي او الصادق او الكئيـب او المنحرف،وهو الحال ذاته عند المرأة ويقال ايضا بأن استعمال القناع ،جاء بناء على الضرورة التي شـعر بها احد الممثلين لاخفاء تشويه في وجهه،فليس اسـتخدام القناع لاول مـرة تجنباً للخجـل او العيب او الاحراج،ومـن هذه اللحظة والبداية بدأ اسـتخدام الكلمـة حتى تـم تطويرهـا الى ما تعنيـه الان من مفاهيم حديثة.

اسـتخدم عالـم النفس الشـهير(كارل يونغ) احد تلامـذة مؤسـس التحليـل النفسي(سـيجموند فرويد)لفظة برسـونا Persona للدلالة على القناع الذي يتحتم على كل فرد ان يلبسـه لكي يستطيع ان يلعب دوره بنجاح على مسـرح الحياة الاجتماعية في التعامل مـع النـاس،وفي التفاعل معهـم،وفي التقبل والتقـارب وازاء ذلك فأن الفرد من خلال شـخصيته يكيف نفسه بنجاح مع واقعه الاجتماعي،وما يفرضه عليـه من قيم ومعايير لكي يحقق التوافق بينه وبين المجتمع،افـرادا وجماعات ،اناث وذكور،قيم ومحددات بيئية. هذا القناع الذي يمثل الشـخصية في جزء من ابعادهـا يسـتر في احيـان عديدة العيـوب والتجارب الذاتية الشـخصية التي لا يـود الفرد ان يبوح بها،قد تكـون مخجلـة او رغبات غير مقبولة بوسـاطة هذا القناع يحجب ما يريد حجبه ويظهر ما يريد اظهاره ،فهو يمثل دوره بجدارة مع الاخرين في اسرته الصغيرة مع اطفاله او زوجتـه،كأب ،ومع والديه كأبن بار وفي عملـه كموظف ناجـح يرضي مديـره ويقدم كل ما بوسعه لتطوير عمله من اجل النجاح،كذلك في التعامل مع الناس البسـطاء في الشارع ومنهم صاحب المحل او سائق سـيارة الاجرة او الاشـخاص الذين يلتقيهم في الشارع وهم يقدمون خدماتهم الى الناس ،فهو يتعامل مع كافة الشـرائح بشخصية ترضيهم وربما اخفق في اداء الـدور مـع احدهـم او ربمـا مـع زوجتـه.

ان الشخصية الانسانية هي شخصية الفرد بعينه وهي تعني ايضا شـخصياً بالذات ،وهذا يعني ان هذا الفرد كيـان متفـرد خاص بـه يحمـل صفاته وسـماته وخصائصـه،وكل خصيصـة فيه تختلـف حتى عن خصيصة شقيقه التؤم،هذه الصفات او السمات يعرف بها وتفرقه عن الاخرين من البشـر،فهو تأكيد لذاته ونفي وجـوده في الآخر،فالاخر ليـس هو ،وهو ليس الآخر،فكلاهما مختلف في الصفات والسمات والخصائص الخاصـة والعامة ،ولكنه متشـابه في التكوين والبنية والخلق الانسـاني، وما يهمنا هنا هي ان شـخصية اي فرد لا تتساوى ابداً مع شخصية اي فرد آخر حتى وان تشابه في اللون والحركات والايماءات والتقارب النفسي والسـمات الاخرى،هذا التشـابه مهما بـدا في الظاهر تشابهاً في المظهر والسلوك ،وفي الباطن في الذكاء والمزاج وغـير ذلك مـن الفـروق الدقيقة التـي تعطي لكل شـخصية صفاتهـا المميـزة والخاصـة بهـا.

تعريف الشـخصية بما ان الشخصية هي المجال الاوسع في الدراسـة وهو المجال الـذي تتداخل فيه النظريات النفسـية ونظريات الشخصية والاختبارات والمقاييس النفسـية ،فهو الاوسـع في التعريف الـذي ينطلق من

التطبيـــق ،وهناك العديـــد من العلمـــاء الذين عرفوا الشـــخصية على وفق رؤاهـــم وتصوراتهـــم النظرية وســـنعرض لبعـــض تعريفـــات علمـــاء النفـــس. عرف البـــورت Alport الشـــخصية بانهـــا التنظيم الدينامي في الفرد لتلك الاجهزة الجســـمية النفســـية التـــي تحـــدد مطابقة الفـــرد في التوافق مـــع بيئته. اما شـــيلدون Sheldon فقد ذهب الى القول بوجود ثلاثـــة انماط اساســـية من التكوين الجســـمي-النمط الداخلي،التركيب (الحشوي)-والنمط المتوسط التركيب (العظمـــي) والنمـــط الخارجـــي التركيب(الجلـــدي). ويعرف ايزنك Eysenck الشـــخصية ،انها التنظيم الثابت المستمر نســـبياً لخلق الشخص ومزاجه وعقله وجســـده،وهذا التنظيم هو الذي يحدد تكيفه الفريد مع محيطه.

برت يعرف الشخصية ،بانها ذلك النظام الكامل من الميول والاستعدادات الجسمية والعقلية الثابتة نسبياً،التي تعد مميزاً خاصا للفرد والتي يتحدد بمقتضاها اسلوبه الخـــاص في التكيـــف مع البيئة الماديـــة والاجتماعية. وتعرف ليندا دافيدوف الشخصية:

تلك الانماط المستمرة والمتسقة نسبيا من الادراك والتفكير والاحســـاس والســـلوك التي تبدو لتعطي الناس ذاتيتهم المميزة.والشخصية تكوين اختزالي يتضمن الافكار ،الدوافع ،الانفعالات،الميول،الاتجاهات،القدرات والظواهر المشابهة. ويعـــرف Woodworth and Marquis الشـــخصية: هـــي الاســـلوب العام لســـلوك الفرد كما يظهـــر في عاداته التفكيريـــة وتغيراته واتجاهاته وميوله وطريقة ســـلوكه وفلســـفته الشـــخصية في الحياة. اما Roback فيعرف الشخصية:

هي مجمـــوع اســـتعداداتنا المعرفيـــة والانفعالية والنزوعية.

اما فرج عبد القادر طه فيورد تعريف الشـــخصية كمـــا هـــو متفـــق عليـــه في الاصطلاحـــات العلميـــة للعلـــوم الانســـانية ،يقصـــد بمصطلـــح الشـــخصية : التنظيم الدينامي لســـمات وخصائـــص ودوافع الفرد النفســـية والفســـيولوجية والجســـمية ،ذلك التنظيم الذي يكفـــل للفرد توافقه وحياتـــه في المجتمع ولكل شـــخص تنظيمه هذا الذي يميـــزه عن غيره وبمعنى اخر فـــأن لكل فـــرد في المجتمع شـــخصيته الفريدة. ويعـــرف عبـــاس محمـــود عـــوض الشـــخصية: بانهـــا وحدة متكاملـــة من الصفات تميـــز الفرد عن غيره،والوحـــدة المتكاملة كاللحن الموســـيقي-مجموعة من وحدات صغيرة متفاعلة.

امـــا علـــي كمـــال فـــيرى في الشـــخصية : هـــي التي يجمـــع صاحبها في نفســـه معـــدلا متوازن التركيب من الخصائص الانسانية التي يتقبلها المجتمع بانها في حدود الاعتدال.

ويعرفها ايضا : انه ذلك الفرد الذي تظهر خصائص شخصيته بصورة متكاملة ،وبأنه يستطيع توجيه هذه الخصائص بشكل متوازن نحو تحقيق هدف حياتي معين. اما سيجموند فرويد مؤسس نظرية التحليل النفسي له نظريته الخاصة ،فقد كان يعتقد ان الشخصية الانسانية تتكون مـــن :الهو Id والانا Ego و الانا الاعلى Super Ego . اما الهو ،القدرة الغريزية التي تصرخ «اريد ذلك الشـــئ بدون ضوابط ولا محرمـــات او ممنوعات ، والانا الاعلى هو الضمير المثقل بالذنب،الذي يقول:لا تستطيع ان تنال ذلك الشئ ،اما الانا ،فهو القوة العاقلة التي تقول: دعونا نرى ماذا نستطيع ان نفعل لنحل الاشكال.

وهناك تعريفات عديدة للشخصية نورد بعضا منها :

❖ مجموعــة الصفات الجســمية والعقلية والانفعالية والاجتماعية التي تظهر في العلاقات الاجتماعية لفرد بعينه وتميزه عن غيره.

❖ الشخصية هي مجموعة تأثيرات الفرد في المجتمع

❖ الشخصية هي الاعمال التي تؤثر في الاخرين.

❖ هــي مجموعــة مــن الصفــات الجســدية والنفســية(موروثة ومكتســبة) والعــادات والتقاليد والقيــم والعواطف،متفاعلــة كمــا يراهــا الاخرون مــن خــلال التعامــل في الحيــاة الاجتماعيــة.

❖ مجموعــة التفاعلات الداخلية في الانســان ،تظهر هذه التفاعلات على ســلوكه الخارجي وتنعكس على تصرفاتــه في مواجهة الاحداث التي تعتريه،وكذلك في مواجهــة الافراد المحيطين به،فيؤثر ويتأثر بهم،وكل فرد مــن افراد المجتمع الانســاني يتميز عن غيره في تلك التفاعلات المنعكسة على سلوكه.

❖ بأنها الاجتماعي وليست الخلق Character

الامانــة والشــرف والخــير فحســب،فالخلق جانــب مــن الشــخصية ،كمــا انهــا ليســت المــزاج Temperament :الثبــات الانفعالي،المرح،الخجــل، والاندفاعيــة ،فالصفات المزاجيــة وراثية في الاصل.

❖ هي كل الاســتعدادات والنزعات والميــول والغرائز البيولوجيــة الفطريــة والموروثــة ،وهــي كذلك كل الاستعدادات والميول المكتسبة من الخبرة.

❖ هي تلك الميول الثابتــة عند الفرد التي تنظم عملية التكيف بينه وبين بيئته.

❖ وتعرف الشخصية الطبيعية :

بأن صاحبهــا يتمتع برزانة العقل وبأنه ســعيد ويتمتــع بنشــاط كاف،واســتغلال كامــل لقابلياتــه وبتكامــل مقوماتــه النفســية مما يحــرره من قيام الصراعات،وبتكيــف متوازن مع البيئــة التي يعيش فيهــا مكونات الشــخصية تعد عمليــة التكوين هذه نتاجا لتفاعل العوامل البيولوجية والعوامل النفسية الاجتماعية لا ســيما البيئية العائلية وهي الوســيط الخاص المجســد لنقل الثقافة ،لذا فمكونات الشخصية تمثل خصائــص حصيلة فعل وتفاعــل اعداد هائلة مــن المكونات الاساســية للشــخصية ومتغيراتها،ولهذا فمــن العبث على اي باحث او مشــتغل في هذا الجانب من النفس الانســانية ان يحاول تتبع خاصية واحدة من خصائص الشــخصية الى تأثير جــين واحد او الى فعــل عامل بيئي واحد مؤثر،انهــا مجموعة عمليات متداخلــة بالتفاعل والتحليل الــوافي لتعطي بالتالي سمة الشــخصية الواحدة التي تمثل حصيلة عمليات واسعة من التفاعل والتداخل والتوازن في كيان الانسان بكامله بايولوجيا وبيئيا وتكوينيا ،وعليه فان تكوين الشخصية يتطلب درجة ما من النضج ولكن كما اشار ســيجموند فرويد الى اهمية السنوات الاولى في تكوين الشــخصية ،وان كان التطور والنمــو لا يتوقفان عن تعديل سمات هذه الشخصية فيما بعد ،ولما كان تكوين الشخصية يعني وجود صفات وسمات اساسية تستمر على مــر الزمن وتميز الفرد عن غــيره حتى تجعل منــه متفرد عن غيره،فأن الشــخصية بهذا المعنى من التكويــن لا تتضح معالمها تمامــا في مرحلة الطفولة والمراهقــة بــل الى مرحلــة البلوغ حين يهــدأ ايقاع التغيرات،ولكننا نســتطيع ان نقرر ان البيئة لا تؤثر علــى فراغ او على تكويــن منعدم،ولكنها تتفاعل مع بعض المعطيات الاساسية التي يملكها الانسان بالفعل. ان هناك اراء ترى بان معالم الشخصية تتقرر بالوراثة ،وهذا الرأي يســتند الى ان وراثة الطفل بالتفاعل مع

كل ما يؤثر على نمو الجنين اثناء الحمل،حيث تكون شخصية المولود بها من المعالم الاساسية للام او الاب وبعض الاراء وخصوصا التحليل النفسي الذي يرى بأن معالم الشخصية تتبلور منذ الطفولة وبانها تظل ثابتة لا تتغير مع الزمن ولكن بشكل نسبي،مما يؤكد الاستمرار والثبات في المعالم والتكوين الاساس لها.
ورأي اخر يقول بان هناك تبدلا ملحوظا يحدث في الشخصية حتى تتبدل من مظهر الى آخر،وبأن كل ذلك يتغير على وفق اثر الجانب الوراثي المحدد في التكوين الوراثي للفرد،ويرى كارل يونغ بان شخصية الفرد وستراتيجية حياته تختلف في النصف الاول من الحياة،والذي فيه تتجه الشخصية نحو تأكيد الذات والعائلة والسعي من اجل توفير حاجاتها،بينما تتجه في النصف الثاني من الحياة نحو تأكيد الرغبات الداخلية الخاصة. خلاصة القول في هذا الجانب يمكن صياغته بان معالم الشخصية تتسم بالثبات في الفترة الممتدة من بداية المراهقة وحتى نهايتها،ومن الفترة بين اوائل سن الشباب(البلوغ)وحتى منتصف العمر،وبأن من بعض مظاهر الثبات في الشخصية تتضح في نسبة الذكاء التي يكون عليها الفرد وما يحققه ،فضلا عن المزاج او اسلوب التعامل مع مواقف الحياة حيث تتغير عبر مراحل العمر المختلفة التي يمر بها الانسان،ففيها مرحلة البلوغ والعمل وتكوين اسرة والابوة والمسؤولية والعلاقات الاجتماعية والنضج في التعامل ثم التقاعد.
ان مكونات الشخصية اذن هي الوراثة والبيئة والتكوين وهذه الثلاثية يجمعها مثلث متساوي الاطراف او تداخل العوامل المؤثرة في تكوين الشخصية كما يبين الشكل التالي :
الوراثة البيئة التكوين وكيف تداخلها مع بعضها البعض لتكوين الشخصية ، فاحيانا لا يمكن ان يكون احد العوامل مؤثرا دون ان لا يكون الاخر له تأثر ، فالكل يقل او يزيد تأثيره في التكوين ولكن تبقى الغلبة الاكثر لعامل التكوين النفسي.

الجنس والسياسة
ترجمة: شيرزاد هيني
من مطبوعات دار سردم - ٢٠٠٨

العنف.. والشخصية العراقية

الأستاذ الدكتور قاسم حسين صالح
رئيس الجمعية النفسية العراقية

قضيت ربع قرن في تدريس مادتي (تحليل الشخصية، والاظطرابات النفسية) وقمت بتحليل شخصيات مجرمين ارتكبوا جرائم قتل عادية وأخرى بشعة ...فوجدت ان النظريات التي حللت شخصية الإنسان وتلك التي حددت أسباب الاضطرابات العقلية والسلوكية لا تنطبق على سلوك الشخصية المعاصرة بخصوص (العنف) الذي تمارسه. وعليه فأنني ركنتها جانبا ورحت اجتهد في إيجاد تفسير لهذا السؤال:

لماذا يكون العنف في الشخصية العراقية بهذه القسوة والبشاعة؟

ولقد وجدت أن إحدى الصفات الغالبة في الشخصية العراقية هي ان ((الموقف)) الذي تكون فيه يتحكم بها أكثر من العقل. وأنها تتصرف بأسلوبين متطرفين ومتناقضين، وكأن في داخلها (ملاك رومانسي) يغني بطرب وينثر الفرح والحب على الناس، عندما تكون في أوقات الراحة والطمأنينة، و (وحش هائج) عندما تكون في أوقات الأزمات.

وأكيد أن الأمر لا يتعلق بالتركيبة الوراثية، إذ لا يعقل أن (جينات) الإنسان العراقي تختلف عن (جينات) باقي البشر، أو بالمناخ أو الطبيعة، إنما الأمر يتعلق بطبيعة (الصراع) على السلطة، الذي بسببه تعرض الفرد العراقي الى اضطهاد وقسوة وظلم وقهر واستلاب تفوق ما تعرض له البشر الآخرون. فتاريخ العراق هو تاريخ العنف والدم والمعارك والأهوال والكوارث.. ليس من بدء المشهد الكربلائي وتحوّل السلطة في الدولة الإسلامية الى وراثية، بل الى ذلك

التاريــخ القديم جدا، الذي يذكر لنا معلومة لها دلالة هي أن المهاجرين الى العراق القديم كانوا من المحاربين الأشداء !.

وهذا يعني ان المجتمع العراقي يكاد يكون الوحيد بين مجتمعــات العالم الذي خبر العنــف لزمن يمتد آلاف الســنين، وما يزال. صحيــح أن تاريخ أوربا كان مليئا بالحروب، لكنها ودعت العنف وصار توجهها نحو الحياة، فيما نحن نمارســه بأفضــع صوره حتى صار توجهنا النفســي يميل أكثر نحو الإفناء، لا ســيما في السنوات الخمس والعشــرين الأخيرة التي شاعت فيها ثقافة العنف.

والغريــب في الأمــر، أن الســيكولوجية العراقية والإســلامية (بعــد أن صــارت بغداد مركــز الدولة) أشاعت العنف وجعلته الوسيلة الوحيدة لحل النزاعات ولإجبــار الخصوم على الطاعــة والخضوع. وكانت لا تلجأ الى التفاوض والحوار إلا بعد أن تقطف الســيوف رؤوس أفضل ما في القوم. وهذه خاصية سيكولوجية في العنف، أنها تغلق كل نوافذ التفكير وتحشد كل قوى الحقد والعدوان باتجاه الانتقام.

...وانظــروا الى تاريخكم الحديــث، تجدون بين حوادثه الآتي:

١. قتــل الملك فيصل الثاني صبيحة ١٤ تموز ١٩٥٨، وقطعــت أيادي الوصي وآخرين وطــاف بها الناس في شوارع بغداد.

٢. وقتل في عام ١٩٥٩، وســحل بالحبال، وعلّق على المشانق، أشخاص في الموصل وكركوك.

٣. وقتــل عبــد الكريم قاســم في رمضــان ١٩٦٣، وشوي في الشهر نفسه بالنار سكرتير الحزب الشيوعي العراقي وعدد من أعضاء الحزب وهم أحياء، وآخرون محسوبون على نظام قاسم جرى التمثيل بهم.

٤. وعقب هزيمــة الجيش العراقي في الكويت عام ١٩٩١، وصــل العنــف بالعراقيين أنهــم وضعوا إطارات الســيارات في رقاب عناصر مــن البعثيين وأحرقوهم وهم أحياء.

٥. وبعد انتهــاء الحرب العراقية الإيرانية في ١٩٨٨ أبيد اكثر مــن مائة وثمانين ألف كــردي في عمليات الأنفــال، وأحرقــت آلاف القرى الكرديــة، فضلا عن مجزرة حلبجة المعروفة.

٦. وفي عــام ٢٠٠٣ اكتشــف العشــرات مــن المقابر الجماعيــة تضم رفــات آلاف العراقيين، بينهم نســاء وأطفال دفنوا وهم أحياء.

وتبين أن السلطة في النظام السابق استعملت وسائل العنــف في التعذيب حتى مع من كان موضع الشــبهة، مثل وضع الشــخص وهو حي في الأحماض التي تذيب اللحم والعظم، والكي والحرق وتقطيع الأعضاء.

ويخطــئ من يــرى أن هذا التفنــن في العنف كان مــن مبتكرات النظام الســابق، بل هو في الأصل (إرث سيكولوجي) من الأنظمة السابقة التي حكمت العراق، منذ أن صارت بغداد عاصمة الخلافة الإســلامية لألف عام. ففي هذا الإرث مشاهد من العنف قد تكون أكثر بشاعة وأهانة لقيمة الانسان، إليكم واحدا منها :

في عــام ٢٩١هج جاء جنود الســلطان بالقرمطي (الحســين بن زكرويه) ومعه أكثر من ثلاث مائة من اتباعه، وقد وضعوا في فمه خشــبه مخروطية وشدت الى قفاه كهيئة اللجام. وأمر الخليفة (المكتفي) ببناء دكة في المصلى العتيق. وتجمهر الناس، وجيء بالأسرى يتقدمهــم القرمطي، فصعدوا بــه الى الدكة وقدّم له أربعة وثلاثون من الأسرى وقد قطّعت أيديهم وأرجلهم

وضربــت أعناقهم واحدا بعد واحد. ثم قدّم كبيرهم فضرب مائتي سوط، وقطعت يداه ورجلاه وكوي ثم أحرق ورفع رأســه على خشبه، وصلب بدن القرمطي في طرف الجسر الأعلى الواقع في بغداد طبعا.

وكان العراقي أكثر بني البشر- في زمانه - تعرضا للقســوة والذلّ والإهانة. ففي زمن الخلافة العباسية فقط، ضرب الحصار على بغداد اكثر من عشر مرات، أضطر الناس فيهــا الى أكل القطط. وفي زمن الخلافة العثمانيــة (حوالى ٥٠٠ عام) كانت حتى العشــائر في الريف تتصارع من أجل السيطرة. وكانت بغداد تنهب وتدمــر وتهان لألف عام من الظلــم والطغيان وإذلال اهلهــا من قبل الغزاة. والحقيقة - التي تعيد نفســها اليــوم – أنه حيثما حكمت بغداد أو احتلتها ســلطة أجنبية، ساد العنف كل ارجاء العراق.

إن ممارسة الشــخصية العراقية للعنف تقدم، لمن يريد التقاط العبرة، دروسا في الكشف عن أسبابه، واول هذه الأسباب أن الإنسان ليس مجبولا على العنف، غير أنه يكون أشــد ضراوة من الوحش عندما يتعرض الى (الإحبــاط اليائــس).. أعني عندما يعــاق أو يحرم من تحقيق أهداف وإشــباع حاجات يراها مشــروعة، مصحوبة بمشــاعر الحرمان النفسي، وبخاصة عندما يدرك أنه أو جماعته يحصل على أقل من استحقاقه، أو أن جماعتــه تحصــل على أقل ممــا تحصل عليه الجماعات الأخرى.

وثاني هذه الأسباب، أن اللاشعور الجمعي للمجتمع لــه دور فاعــل في تحديد ســلوكه الجمعــي. وبما أن اللاشــعور الجمعي للعراقيين معبــأ بالعنف ومبرمج من ألف عام على تشغيله في حل الصراعات، ومشحون بالثــأر والحقد، فأن العراقي يســتحضر هذا الانفعال – لا شعوريا – في حل أزماته المعاصرة.

وثالث هذه الأســباب، أن الســلطة في العراق كانت بيد السنّة من ألف عام، فيما كان الشيعة في المعارضة. وأن ما حصل الآن هو تبادل للأدوار، شــبيه من حيث فعله النفسي، بتبادل دوري السيد والعبد. وهذا يعني أن العنــف لا بد أن يحصل في المجتمع المتعدد الطوائف والأعــراق، اذا انفــردت بالســلطة طائفــة أو قومية بعينها.

ورابعهــا أن وجود الأجنبــي في أي وطن كان وبأي مســمّى كان (محتل، محرر...) تثــير في ابن الوطن الإحســاس بالــذلّ والإهانــة والتحقــير والاســتلاب، وتســتنهض فيه – بحتمية نفسية – مشاعر الكرامة وردّ الاعتبار، تدفعه إلى العنف، ليس فقط ضد المحتل بل وضد من يستميلهم المحتل من الناس، خوفا من أن يستفرد المتعاونون مع المحتل بالسلطة وبالمصالح.

وخامســها، يذكرنــا بواقعــة حدثــت في احتلال العراق أيضــا. فقد زار القائد العســكري البريطاني (لجمــن) قبيل اندلاع ثورة العشــرين، المرجع الديني (الشيرازي) في النجف وعرض عليه أن يأتيه بمفاتيح روضة الإمامين في سامراء (وهي بيد السّنة) ويعطيها للشــيعة، فرفض (الشــيرازي) وعاد (لجمن) خائبا، وبعــث بطلب الشــيخ (ضاري – من وجهاء السّــنة) وقال له : كيف تطيعون فتوى الشــيرازي وهو مرجع للشــيعة ؟. فاجاب الشيخ ضاري : والشيرازي مرجعنا أيضا !.

وهذا هــو الموقف الــذي نفتقده اليــوم، وبدونه تتأجج أسباب العنف وينفجر في حرب أهلية لا يعوزها، في حاضرها الآن سوى الإعلان عنها.

وثمة مسألة نوجز بالإشارة إليها هي أن مجتمعنا

الحالي فيه شخصيتان عراقيتان لا شخصية عراقية واحدة. الأولى، شخصية آبائنا التي كنا نفاخر بقيمها الأصيلة (الشرف، الإيثار، النخوة، التكافل الاجتماعي، الخوف من العار ومن فعل الحرام...) وهذه في طريقها الى الاندثار. والثانية، يمثلها جيل بعمر الثلاثينات فما دون..ولّد ونشأ في زمن حروب وكوارث متنوعه !. ومعروف أن الحرب لا تدمر فقط البنى التحتية والفوقية، إنما البنى القيمية للإنسان. استحضروا ما أفرزته الحرب العالمية الثانية في خمس سنوات. فكيف إذا حدثت حروب وكوارث هائلة في وطن واحد استمرت فيه لربع قرن وبدأت العدّ في ربع قرنها الثاني !.

ان أسباب العنف موجودة في المجتمع العراقي كما هي موجودة في أي مجتمع آخر، لكنها كانت راكدة فيه. وأن الذي قدح زنادها أكثر ليس دخول قوات الاحتلال تحت شعار (تحرير العراق) انما – بعبارة أدق – أساليب الغطرسة والكبرياء والأذلال والأهانة التي مارسها الأمريكيون، وجهلهم بسيكولوجية الشخصية العراقية. فضلا عن قصد آخر لأمريكا وضح أمره حين أبقت حدود العراق مفتوحة لتجعل منه ساحة لتصفية أعدائها وتطبيق (نظرية السيفون) عليهم.. التجمع في مكان واحد والقضاء عليهم دفعة واحدة. والأنكى من ذلك، استرخاص أرواح العراقيين حين صرح الرئيس الأمريكي (جورج بوش) من أن اميركا تكافح الأرهاب في العراق، بعيدا عن أميركا، من أجل حياة الأمريكيين، وكأن العراقيين ليسوا بشرا

والسبب الرئيس الآخر لتأجج العنف في العراق بهذه الصور البشعة، هي الأخطاء (وأفدحها كان مقصودا) التي ارتكبتها أمريكا في العراق، وفي مقدمها الأنهيار الكامل لمؤسسات الدولة وشيوع الفوضى وانعدام الأمن، مع أنه من مسؤولية الدولة المحتلة أن تحافظ على النظام في الدولة التي تحتلها. وأشك في أن الأدارة والعقلية الأمريكية كانت تجهل حقيقة نفسية، هي أنه عندما تغيب الدولة وتنهار مؤسسات القانون والنظام، ينفرط عقد الناس الذي يربطهم بالدولة، فيتفرقون الى طوائف وفئات تعود الى جماعاتها المرجعية، سواء كانت طائفية أو عرقية أو دينية... يجدون فيها ملجئا وملاذا يحتمون بها خوفا من خطر حقيقي أو وهمي، يجري تضخيمه في أوقات الأزمات.

وقبل سنتين قال نوح فيلدمان، الكاتب والأستاذ في القانون الدستوري والفكر الأسلامي بجامعة نيويورك : (ان عملية اعادة بناء الدولة في العراق تتضمن العمل على كسب عقول العراقيين وقلوبهم). واظن أن ذلك صار، بعد ما جرى، بعيد المنال. أما القريب المنال فهو، أن العنف بين العراقيين سينحسر ويتوجه نحو المحتلين.. وسينظم اليهم حتى أولئك الذين ما زالوا يرون في المحتل محررا ولا تعلو وجوههم حمرة الخجل !.

العوامل المؤثرة في شخصية الفرد الكردي

سلمان خليل

أحياناً كثيرة أشبّه الإنسان الكردي بالصناديق الصينية فكلما تفتح صندوقاً من هذه الصناديق الصينية تجد بداخله صندوقاً آخر أصغر منه يحتوي بداخله هو الآخر صندوقاً أصغر منه وهكذا دواليك.

الإنسان الكردي رغم امتلاكه الكثير من الصفات الإيجابية التي أكد عليها جميع المستشرقين والدارسين والمهتمين بالشعب الكردي؛ من هذه الصفات الصدق والذكاء والقوة والشجاعة والجرأة وحب العلم والروح المرحة والصبر والاحترام ؛ ورغم الإسهامات الكثيرة التي قدمها الكثير من أعلام الكرد في كافة المجالات العلمية والعسكرية والأدبية والسياسية من أمثال صلاح الدين، ابن الأثير، أبو الفداء، ابن خلكان وغيرهم في مرحلة الدولة الإسلامية وحديثاً محمد كرد علي، إبراهيم هنانو، أحمد شوقي ...ألخ.

هذا يدل على أن الكرد كانوا مشاركين بفعالية كبيرة في الحياة الفكرية والأدبية والسياسية والاجتماعية وفي صنع تاريخ الدول القديمة والحديثة في المنطقة، رغم هذه الإسهامات الكثيرة والكبيرة لأبناء الكرد لم يستطع الإنسان الكردي الارتقاء بفكره ووعيه من أجل تكوين شخصية متميزة خاصة بالكرد وتشكيل حالة كردية، وبناء كيان خاص بالكرد،مع العلم أن الكرد كان لديهم وبشكل دائم شعور عام بكرديتهم وبأنهم شعبٌ مختلف عن الشعوب الأخرى التي تجاورهم مثل العرب والفرس والترك.

نحاول في هذه الدراسة التطرق إلى بعض الجوانب السلبية في شخصية الإنسان الكردي والعوامل التي

ساهمت في نشوء هذه السلبيات في شخصيته والغرض من ذلك ليس التقليل من قيمة الإنسان الكردي، فلكل مجتمع عيوبه ونواقصه، إنما الهدف هو أن نفهم نفسية المجتمع الكردي لنستطيع السير به نحو المستقبل.

تعريف عام للشخصية:

نعرّف الشخصية بأنها مجموعة منظمة من الأفكار والسجايا والميول والعادات التي يتميز بها شخص عن غيره، ويقول موري وكلوكهوهن أن الشخصية البشرية تكوين حركي ومحاولة مستمرة في سبيل التوفيق بين رغبات الإنسان الطبيعية وقواعد المجتمع المفروضة، يتضح من هذين التعريفين بأن الشخصية تنشأ وتتنوع وتنضج حسب قواعد يصعب أن يحيد عنها الإنسان، وإنه قد تسير في الطريق المرسوم لها حسب تفاعل المجتمع والطبيعة، فالإنسان لا يستطيع أن يركّب شخصية ويصنعها كما يريد، بل أن الشخصية نتاج المجتمع الذي يعيش فيه وما لهذا المجتمع من تقاليد وقيم وسلوكيات ومثل عليا، يقول علي الوردي إذا تفكك المجتمع نتيجة تحركه واتصاله بغيره من المجتمعات الأخرى ضعف سلطان المثل العليا الخاصة وقلّ لذلك إيمان الأفراد بها فانساقوا إذاً وراء ما يشتهون رغم الخطب والمواعظ.

إن الإنسان غير قادر على تكوين شخصية له كما يحب ويجمع فيها من الفضائل والأخلاق ما يشاء بعيداً عن المجتمع، صحيح أن الإنسان قادر على تنمية شخصيته من خلال العلم والمعرفة والثقافة والتواصل، ولكن تبقى الشخصية الإنسانية من نتاج الواقع الاجتماعي والظروف المحيطة وما يحمل هذا الواقع من قيم وموروثات وأخلاق وطبائع، ويظهر أثر هذه القيم في أفعال الإنسان، طبعاً العوامل البيولوجية (الوراثية) لها دور في بناء شخصية الإنسان لكن يبقى الدور الأهم للعوامل الاجتماعية ؛ يمكن تشبيه العوامل البيولوجية بالمواد الخام والعوامل الاجتماعية بالمعامل التي تصنع من هذه المواد بضائع شتى، إذاً الشخصية الإنسانية شخصية اكتسابية تنشأ وتتبلور في المجتمع ولولا العوامل الاجتماعية لما نشأت الشخصية ونمت، إذا كان بعض الناس يقعون تحت تأثير التنويم المغناطيسي ويتصرفون حسب ما يأمرهم المنوم المغناطيسي كذلك الإنسان في المجتمع يقع تحت تاثير ما يمكن أن نسميه التنويم الاجتماعي حسب تعبير الدكتور علي الوردي.

الطفل عندما يفتح عينيه للحياة يبدأ المجتمع بالإيحاء له بأنه من جماعة أو طبقة معينة وعليه أن يفعل كذا وكذا وهذا التصرف مقبول وذاك مرفوض وغيرها من الأوامر والنواهي، هكذا تبدأ شخصية الطفل بالنمو وفق معايير المجتمع وتصبح هذه الشخصية انعكاساً لواقع هذا المجتمع وصورة مصغرة عنه، أو كما قال بعض العلماء شخصية الفرد ممثلة للحضارة التي تنشأ فيها، طبعاً هذا لا يعني أن الفرد يأخذ كل مميزاته الشخصية من المجتمع الذي يعيش فيه فهناك في أعماق كل شخصية جزء دفين لا يمكن أن يخضع لقواعد المجتمع أو يستجيب لإيحائه.

بعد هذه القراءة الموجزة للشخصية والعوامل المؤثرة في تكوينها وبأنها نتاج المجتمع نتطرق إلى شخصية الإنسان الكردي، في قراءة متأنية للواقع الكردي يتراءى أمامنا بعض الصفات والمظاهر السلبية المتجذرة في ذهنية الإنسان الكردي سواء أكان هذا الإنسان مثقفا أو سياسياً،عاملا ً أو فلاحا ً، شابا ً كان أم كهلا ً، رجلا ً كان أو امرأة ؛ لتجعل من شخصية الإنسان الكردي شخصية انفعالية تتصرف بردود الأفعال وتفتقد هذه

الشـخصية إلى الفاعلية والتخطيط العلمي السـليم في حياتها، أبرز هذه السلبيات تتجلى في:

١-النزعة الفردية الطاغية على شـخصية الإنسان الكردي وسيادة الارتجال الفردي على سلوكه وذهنيته مع غياب كبير لروح الجماعة وفقدان القناعة والإيمان في العمل المؤسساتي، وما زالت الثقافة التغالبية والتفكير والسـلوك الفـردي وليس الجمعي تلقـي بظلالها على شـخصيته، ما زالت لغة الحـوار مفقودة عنده وثقافة عدم تقبل الآخر هي السـائدة في حياته والأمثلة كثيرة في واقعنا سـنكتفي بالإشـارة إلى بعضها، مثلاً إذا كتب أحد المثقفين مقالة أو دراسـة أو ألف كتاباً يعتقد هذا المثقف أن عمله هذا ليس له مثيل وأنه فوق مسـتوى النقد، وإذا تعرض أحدهم لعمله بنقدٍ موضوعي يتحول هذا المثقف إلى أسدٍ جريح ويدخل في حروب كلامية لها أول وليس لها آخر . مثال آخر عن الأحزاب السياسـية التي من المفروض أن تكون لها الدور الأهم في بناء الفكر المؤسسـاتي وخلق روح الجماعة وتشـكيل حسٍ سليم ما زالت هي الأخرى يتحكم بها شـخصٌ أو شـخصان، ويتصرفون بهذا الحزب أو ذاك بحسـب مزاجيتهم،ولا يتقبلون النقد حتى من أعضاء حزبهم فإذا وجه إليهم النقد يكـون مصير صاحب النقد التهـم الجاهزة و... على الصعيد الشعبي تظهر النزعة الفردية وعدم تقبل الآخر بشـكلٍ أوضح إذا اجتمع عدد من أفراد الحي أو القرية أو مجموعة من الشـباب وتناقشوا حول أمرٍ ما يتحول النقاش إلى جدال ومن ثمّ خصام، حيث كل فرد من هؤلاء يحاول تغليب رأيه على الآخرين وأن رأيه هو الصائب ويجب الأخذ به، بينما آراء الآخرين خاطئة لا تلقى منه سوى السخرية والرفض، إذاً نحن في نقاشاتنا نبتعد عن لغة الحوار لأن الـ (أنا) هي التي تتحكم فينا، لذلك أغلـب أحاديثنا تتحول إلى جـدالٍ عقيم يؤدي إلى نتائج سـلبية أبرزها الخلاف والفرقة وعدم تقبل الآخر (نرى عيوب الآخرين ولا نرى عيوبنا).

٢-الازدواجيــة :تعاني شـخصية الإنسـان الكردي مـن حالة ازدواجية في الشـخصية، بالطبع الازدواجية موجودة لدى كل البشر وفي كل المجتمعات ولكن حدتها تختلف من مجتمع إلى آخر ولدى الإنسان الكردي تبدو هـذه الازدواجيـة واضحة، إن الإنسـان الكردي عندما يتحدث عن الشـأن العام لشـعبه يكون حديثه مشبعاً بالمثـل العليا والقيم الحميدة، ولكن عندما تترجم هذه الأقـوال إلى أفعال تكون الأفعال عكس الأقوال، الإنسـان الكـردي يطالب بالحقـوق القومية لشـعبه ويرى بأن السلطة تطبق إجراءات استثنائية بحق شعبه وعلينا أن لا نستسلم لهذا الواقع، ولكن عندما يترتب على مطالبته هذه نتائج تؤثر عليه ويستلزم منع البذل والمعاناة فهو غير مسـتعد، فهو يفكر بقيم ومبادئ ويدعو الآخرين لتطبيقها ولا يستطيع هو تطبيقها.

هذه السلبيات الموجودة في شخصية الإنسان الكردي ناتجة عـن التنشـئة الاجتماعية وعن واقـع المجتمع الكردي، حتى نفهم الأسباب التي ساهمت في بناء شخصية الإنسـان الكردي علينا أن نعـرف العوامل التي أثرت في نفسـية المجتمع الكردي لأننا إذا اسـتطعنا تشـخيص الحالة بشـكل سليم نسـتطيع إيجاد الدواء المناسب لها؛ إن السـلوك الاجتماعي والأخلاقي للإنسان الكردي التي يظهر فيها ملامح شخصيته هي انعكاس لثقافة المجتمع الكردي، هـذه الثقافة التي هي نتاج تاريخي حمل عبر الزمن رؤى وتصورات ومعتقدات وطرائق في التفكير. يمكن الوقوف على اهل العوامل التي اثرت في طبيعة المجتمع الكردي وشكلت عاداته وثقافته وتصوراته.

أولاً: العامل الاجتماعي

ويتفرع إلى فرعين:

أ- العامل العشائري : كان المجتمع الكردي في القرون السابقة يتكون من عشائر بدوية وعشائر نصف بدوية، والعشيرة غالباً ما كانت خليطاً تجمع بين روابط النسب وروابط المكان، في المناطق الجبلية كان الانتماء القبلي هو الأقوى بينما في المناطق المنخفضة على السفوح وعلى السهول كان الانتماء القبلي ضعيفاً، يقول ديفيد مكدويل بأن القبيلة الكردية كانت بعيدة عن التجانس يمكن القول بأنه تقليدياً كان الكرد مصنفين إلى قبائل ثانوية وقبائل واتحادات قبلية ويبدو ذلك واضحاً من تركيب العشائر الكردية، كانت غالبية العشائر الكردية تقوم على وحدة المكان والقليل منها على وحدة النسب، ويتضح ذلك في بنية العشيرة الكردية حيث كانت هذه العشيرة تتكون من فئتين متمايزتين لا ترتبطان برابطة النسب هما فئة الرؤساء أو طبقة المحاربين – فئة أفراد العشيرة، الطبقة العامة وكانت العلاقة بين هاتين الفئتين علاقة يحكمها منطق القوة، حيث كان رئيس العشيرة الآغا له السلطة المطلقة، يقول مينورسكي أنه في كثير من مناطق كردستان يكاد ينظر إلى الآغا – الرئيس، كأنه الغازي المنتصر وإلى الرعية كأنها من جنس آخر.

أما ملنجن فقد وصف سلطة الرئيس العشائري بقوله أن الرئيس العشائري الكردي هو دكتاتور مطلق لا حد لسلطانه وبوسعه أن يصادر ممتلكات أي فرد عشائري وأن يأمر بقتله متى ما وجد ذلك مناسباً.

مرد هذه العلاقة السلبية بين الآغا وبقية أفراد العشيرة عائد إلى أن جميع أفراد العشيرة ليسوا من نسبٍ واحد، هذا من جهة، ومن جهةٍ أخرى لم يكن لأفراد العشيرة أي دورٍ في اختيار رئيسها، لذلك افتقدت العشيرة الكردية إلى الروابط الاجتماعية والاقتصادية مما أدى إلى انعدام الالتزامات العشائرية أو ندرتها في حال وجدت، لذلك لم تستطع العشيرة الكردية القيام بوظيفتها كوحدة سياسية واجتماعية وفشلت في إيجاد قيم وتقاليد راسخة كانت ضرورية في ذلك الوقت، مثل الدفاع العام في حال الخطر ودفع الدية من قبل الجميع وحماية الدخيل ...ألخ.

بالتالي لم تستطع العشيرة الكردية خلق روح الجماعة والتعاون بين أفرادها عكس عشائر الشعوب الأخرى في منطقتنا، بل ساهمت في رسوخ الـ(أنا) والنزعة الفردية لدى الإنسان الكردي، رغم اضمحلال دور العشيرة ككيان اجتماعي في وقتنا الراهن لكن ما زالت العقلية العشائرية تتطفل على المخيال الثقافي الكردي وتحاول أن تعيد نفسها وفق مسميات جديدة.

ب- العامل الديني:

عندما جاء الإسلام على يد الرسول محمد،كان يدعو إلى الإيمان بالله والمساواة بين جميع الشعوب حسب الآية:(إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا أن أكرمكم عند الله أتقاكم). دخل الكرد في الإسلام وأصبح لهم حضور فاعل في الدفاع عن راية الإسلام ونشره حتى طغت النزعة الدينية عند الكرد على شخصيتهم القومية، لكن على الجانب الآخر ثمة قوميات حكمت باسم الإسلام (العرب أولاً ومن ثم الفرس و الأتراك وغيرهم) استغلت الإسلام لتركيز سلطاتهاالسياسية على العالم الإسلامي،حيث ظهر لدى هؤلاء نظرة الاستعلاء القومي خصوصاً العرب، فعندما انتشر الإسلام في الشرق غير العربي حمل معه الثقافة واللغة العربية ومجموعة كبيرة من

طقوس العرب و عاداتهم وسلوكياتهم وكان تأثيرها كبيراً على لغات وثقافات الشعوب المسلمة في المنطقة لأن مراعاتها أو العمل بها كان ضرورياً بل واجباً إلى حد ما وكان ذلك يجري على حساب ثقافات وعادات وسلوكيات تلك الشعوب، وكان أكثر الشعوب تضرراً منهاوتأثراً بها الشعب الكردي، حيث أدى ذلك إلى بروز نزعة استعلائية عند العرب إلى أن وصل الأمر عند بعض المؤرخين مثل المسعودي أن أرجع أصل الكرد إلى بطون عربية هاجرت من شبه الجزيرة العربية إلى الجبال تحت ضغط دوافع طبيعية وتاريخية وكان الهدف من هذه التصورات هو الإثبات على عدم أصالة السكان الكرد في المناطق التي كانوا ومازالوا يقطنونها لقد أثّر ذلك سلباً على نمو المشاعر وعلى نمو الوعي القومي لدى عامة الكرد أيضاً.

إن طغيان الشعور الديني لدى الكرد بالإضافة إلى التعريب وتعليم اللغة العربية وآدابها كانت مؤثرة على الكرد حتى أنست الكرد أنفسهم، أنستهم لغتهم وهويتهم القومية، يقول أحد رجال الدين الكرد وهو الشيخ محمد الزاهد (١٠٢٦ — ١١٠٧) الذي لقب بتاج العارفين : أمسيت كردياً وأصبحت عربياً، أي كنت في الليل كردياً وعند بزوغ الشمس أصبحت عربياً، لقد أهمل معظم علماء الدين الكرد لغتهم الأم واتجهوا إلى العربية أو الفارسية أو التركية حيث كانت معظم مؤلفاتهم تكتب بهذه اللغات على سبيل المثال ألف مرشد الطريقة القادرية في كردستان الشيخ معروف النودهي البرزنجي (١٧٥٢-١٨٣٨) نحو ٤٦ كتاباً باللغتين العربية والفارسية في مختلف العلوم وألف كتيباً صغيراً أسماه: (الأحمدية في ترجمة اللغة العربية) ألفه باللغة الكردية وهو قاموس صغير عربي — كردي لم يكن الغاية منه خدمة اللغة الكردية بل لأجل تعليم ابنه الصغير اللغة العربية حيث كتب في مقدمة كتيبه «الحمد لله على ما وهب هدانا إلى لسان العرب « لم يقتصر الأمر على ذلك وحده بل إن الكثير من علماء الدين الكرد والأسر الكردية الثرية أو الحاكمة ادّعو النسب العربي في ظل حكم العرب أو النسب التركي في ظل حكم الترك على مايبدو أن طول فترة حكم العرب أو الفرس أو الترك، فضلاً عن التأثيرات الدينية الإسلامية قد جعلت معظم علماء الدين الكرد يعتقدون ويتصورون بأن وضعهم سيبقى كما هو فلم يروا من داع لتغييره باستثناء عدد قليل من العقول الثاقبة مثل الملا أحمدي جزيري وأحمدي خاني اللذان عملا على إحياء اللغة الكردية وتقوية الشعور القومي، إن القوميات الثلاث (الفرس، العرب، الترك) التي حكمت باسم الإسلام حاولت الحط من شأن الكرد، حيث ظهر الكثير من كتابات لمؤلفين وشعراء من هذه القوميات تذم الكرد ولغتهم وأصلهم وبعضهم حاول طمس الحقائق التاريخية وتشويهها مثل المسعودي الذي ذكر في كتابه مروج الذهب بأن الشعب الكردي نشأ نتيجة تزاوج بين الجان وجاريات النبي سليمان فغضب عليهن النبي سليمان وأبعدهن إلى الجبال، بل إن دناءة البعض وشوفينيتهم وعنصريتهم ذهبت إلى أبعد من ذلك حيث اختلقوا أحاديث على لسان الرسول مثل الخواجه سعد الدين المتوفي سنة ١٥٩٩م والذي تولى منصب شيخ الإسلام في الدولة العثمانية وصاحب كتاب تاج التواريخ باللغة التركية الذي كتب يقول: (لما انبثق نور النبوة المحمدية وأخذت الشعوب تهرع إلى الرسول وتدخل الإسلام، اختار أوغوز خان أحد سلاطين تركستان وجيهاً كردياً يدعى (بغدوز) كريه المنظر قبح الوجه

حالــك الخلقة وأوفده إلى مقام صاحب الرســالة محمد ليعبر عن انقياده للدين الإســلامي، فلما مثل بين يدي خير البشــر تنفر الرســول من صورته وهيئته وسأله عــن القبيلة التي ينتمي إليهــا فأجابه بغدوز بأنه من الكرد فقال الرســول لا يوفق الله هذا الشــعب للاتفاق بينهم وإلا غلبوا على الأمم وأساؤوا إلى العالم).

طبعــاً الهدف من هــذه الحكاية التــي لا تمت إلى الحقيقة بصلة هو تشــويه سمعة الكرد من جهة ومن جهــة أخرى إحبــاط معنويات الكرد، وبــأن قدرهم ألا يتوحــدوا ولن يقدروا على بنــاء كيان خاص بهم طالما الرســول دعا على الكرد بعدم التوفيق والاتفاق، إن هــذه الأكاذيــب والإدعــاءات الباطلة أثــرت على شــخصية الإنســان الكردي وجعلته ينغلق على ذاته، والعامــل الديني كان لــه دور مؤثر من ناحية أخرى ففي مرحلة الحكم الصفوي الفارســي والعثماني على كردســتان وما حصل بين هاتين الدولتين من صراع أدى إلى تقسيم كردستان بينهما بعد معركة جالديران ١٥١٤م انقســم الكرد مذهبياً أيضاً حيث أصبح قســم مــن الكرد التابعين للفرس شــيعة والكــرد التابعين للسيطرة العثمانية ســنة وكلا هاتين الدولتين كانتا تســتغلان الكرد مذهبياً ممــا أدى إلى دخول الكرد في صراع مذهبــي فيما بينهم خدمــة لأغراض الفرس والأتــراك، لقــد كان العامــل الدينــي والاختلافــات المذهبيــة بين الكرد ســبباً وحاجزاً منــع الكرد من التواصل فيما بينهم وســاهم أحياناً كثيرة في الفرقة بين الكرد بدلاً من توحيدهم، ناهيك عن وجود عدد لابأس به من الكرد الذين يعتنقون الأزدية حيث كان ينظر إلى هؤلاء من قبل الكرد المســلمين نظرة ازدراء ونفور ممــا أدى إلى تكريس روح الانعزالية والانغلاق عنــد الأزديين إنعدام الثقة بالكرد المســلمين، إن هذه الفروقات الدينية والمذهبية بين الكرد كانت ومازالت إلى حد ما تبطئ عملية التجميع القومي وتستغل من قبل آخرين.

إن الدول التي ســيطرت على كردستان استخدمت رجــال الدين الكرد في إعاقة الوعي القومي لدى الكرد .لأن هــذه الدول أدركت أن التعاليم الدينية مقدســة لــدى الكــرد الذيــن يحترمــون رجال الدين بشــكل كبيرجــداً فإذا تحدث رجل ديــن يكون كلامه بمثابة القانــون المنــزَّل الذي يلتزم به الكرد، لذلك ســخرت هذه الدول رجــال الدين الكرد لتلقــين أبناء قومهم المفاهيم الدينية والإيديولوجية القومية الشــوفينية لهــا ومحاربة القومية الكرديــة وإظهار كل من يدعو إلى النضال من أجل القوميــة الكردية على أنه ملحد ويخالف الشريعة الإسلامية.

ثانياً: العامل الاقتصادي:

لقد كان القرن التاسع عشر مرحلة هامة في حياة شــعوب منطقتنا لأنه حمل معــه الكثير من التغيرات والتبدلات والتحولات لهذه الشعوب، ولعل من أهم هذه التحولات ازدهار التجارة بعد الثورة الصناعية ودخول بعــض الصناعات الخفيفــة إلى المنطقــة خاصة بعد فتح طرق المواصلات ووســائل الاتصال وكان لازدهار التجــارة أثر كبير في تطــور الريف وحولــت الإنتاج الزراعــي القبلي القائم على أســاس كفاية العيش إلى إنتاج موجه للربح، مثلاً ارتفعت صادرات الشــعير في العراق من حوالي ٣٠٠ طن سنوياً في العقدين الأولين من النصف الثاني للقرن التاســع عشر إلى أكثر من ٧٧ ألف طن في السنة التي سبقت الحرب العالمية الأولى، أي أن نســبة الزيادة بلغت ٢٥٠ ضعفاً خاصةً بعد تدفق

المنتجـات الصناعيــة الأوربية كآلات ضــخ المياه التي لعبــت دوراً كبيراً في تغيير معالم الريف، إن انتعاش التجــارة أدى إلى ازدياد المدينة والتطور التجاري الذي حصل في العراق وتركيا ســوريا وما رافقه من دخول المنتجات الصناعية الأوربيــة وتقدم بعض الصناعات الحرفية المحلية في هذه المناطق واكبه تطور وســائل وأدوات الإنتــاج ورافقه أيضاً تطــور اجتماعي أفرز عدة إفرازات اجتماعيــة تولدت من رحم الإقطاعية والعشــائرية مثل نمــو البرجوازية وارتفاع مســتوى التعليــم الذي أدى إلى ولادة فئة المثقفين الذين حملوا على عاتقهم إيصال أفكار النهضة الأوربية إلى شعوبهم، ونادوا بتحرر هذه الشعوب وكان لهؤلاء المثقفين الدور الأساســي في تنوير شــعوبها،وإدخال معالــم الحضارة الحديثة والأفــكار المدنية،لكن كيف كان حال المجتمع الكــردي في هذه الفترة ؟، وهل تأثــر المجتمع الكردي بهذه التطورات والتبدلات؟

إن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في كردســتان لم تتطور في تلك الفترة مقارنة مع المجتمعات الأخرى لعدة أسباب منها، طبيعة جغرافية كردستان التي تتميز بكثرة الجبال ووعورتها التي لا تساعد على الزراعة، أما المناطق الســهلية فقد كانت تعتمد على المطر لــري مزروعاتها، ويــرى البعض إن اعتماد الزراعة الكردية على المطر كان من العوامل الأساسية لعدم قيام دولة كردية، يقول كمال مظهر أحمد « الزراعة في كردســتان اعتمدت منذ أقدم العصــور على الأمطار وكان بإمــكان كل قرية أو جماعة صغيرة أو عائلة واحدة أن تمارس الزراعة دون الاعتماد على وجود الدولة التي توجد مشــاريع الري الكبرى، إن اعتماد الزراعة الكردية على المطر كان عقبة حاسمة في أواخر القرن التاســع عشــر أمام توجه الزراعة الكردية نحو السوق . فماكينات ضخ المياه على سبيل المثال التي لعبت دوراً كبــيراً في زيادة الإنتاج الزراعي للمجتمعات الموجودة في هذه المنطقة كانت ولأســباب واضحة شــبه عديمة التأثير على الزراعة الكردية، وانعكس ذلك سلباً على تأخر التجارة في كردســتان، حيــث كانت الأغلبية الساحقة للبضائع المصدرة من الشرق الأوسط آنذاك من المنتوجات الزراعية، أدى ذلك إلى ضعف كبير وغياب شبه تام للشــريحة التجارية الكرديــة، وفي حال وجد التاجر الكردي كان يتوجه قسراً أو ترغيباً إلى خارج كردستان، لذلــك كانــت أغلــب التجارة في يــد اليهــود والأرمن في كردستان وعندما اندمجت كردستان بالسوق الرأسمالية وصارت النقود الواســطة الرئيســية لتنظيــم العلاقات أصبح الأرمن الأثرياء أكبر مصدر للاستلاف والاستدانة، يقــول س .خمينيز مؤلف كتاب عــن العلاقات الأرمنية الكردية عن ذلك حالما تنشــأ قريــة كردية يبدأ الأرمن بفتح متجر فيها فوراً ولو لم يكن هذا الأرمني موجوداً لخلقه الكردي، فالكردي الفقير يحتاج إلى نتاجات الحرفي الأرمنــي بينما الثــري الكردي يضمن لنفســه خدمات صراف أرمني ويجعل منه رجل أعماله.

هذه الأوضاع من جملــة الأمور التي أعاقت تطور المدينة الكردية ومنعــت الارتقاء بالمجتمع الكردي إلى مجتمــع مدني يحمــل الأفكار النهضويــة ليبقى هذا المجتمــع تحت تأثير الفكر العشــائري ويبقى ريفياً في ثقافته وتفكيره وعاداته وسلوكه مانعاً من ظهور فئة مثقفة كردية تستطيع أن تكون اللبنة الأساسية والنواة القيادية لمسيرة شعبها لتحقيق مطالبه ونهضته:

العامل السياسي:

إن العامل السياسي من أهم العوامل التي أثرت وما زالت تؤثر على شخصية الإنسان الكردي وتفعل فعلها

حتى وقتنا الحاضر فبقاء هذا الإنسان خاضعاً حتى الآن لدولٍ لا تعترف بهويته ولا لغته ولا ثقافته بل على العكس تمارس عليه كافة أساليب القهر والإذلال مرتكباً بحقه على مدار عقودٍ طويلة سياسات التعريب والتتريك والتفريس بالإضافة إلى العنف الذي استخدم ضده وما زال، فالدول التي تخضع لها كردستان لا تعترف بشيء اسمه الشعب الكردي . فالسلطة التركية تعتبرمثلاً أن كل من يعيش على الأرض التركية هو تركي وكذلك هو الأمر ذاته بالنسبة لبقية الدول التي تسيطر على كردستان، مع أن هذا الكردي يعيش على أرضه كما تؤكد على ذلك حقائق التاريخ والجغرافية، فإذا رفع الكردي رأسه وعبر عن مشاعره وعن خصوصيته فهو بنظر هذه السلطات انفصالي ومرتبط بأجهزة خارجية مشبوهة ولا بد أن يدفع ضريبة ذلك، التنكيل والاعتقال والتشريد والتجويع والحرمان من حقوق المواطنة، الإنسان الكردي يعيش في عالم القهر التسلطي والعلاقة القائمة بينه وبين السلطة السياسية في هذه الدول هي علاقة التسلط والرضوخ تستخدم لغة العنف أساساً لها، العلاقة إذاً ليست علاقة تكافؤ ومساواة بل علاقة سيادة وتبعية، حيث يحصل استيلاب لقيمة الإنسان الكردي عن طريق التسلط والعنف، الإنسان الكردي يشعر بالغربة والعزلة رغم أنه يعيش على أرضه، أن الممارسات العنفية وأساليب القهر التي اتبعتها السلطة السياسية في هذه الدول بحق الإنسان الكردي كانت الغاية منها تهديم شخصيته وجعله إنسانا مطواعاً فاقداً للثقة بنفسه زارعةً فيه عقدة النقص حتى لا يقاوم البنى التسلطية التي فرضت عليه، الإنسان الكردي محارب في لقمة، عيشه ممنوع أن يتكلم بلغته يتعرض لأقسى أنواع العنف والاضطهاد والإذلال إذا تحدث عن ثقافته وعن حق شعبه، غير مسموح له أن يتبوأ المراكز الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والإدارية مهما امتلك من كفاءات إلا إذا تنكر لهويته القومية، يتحدث فرانس فانون الذي عمل طبيباً حكومياً في الجزائر إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر عن البلدان الواقعة تحت سيطرة الاستعمار « إن من الصعب جداً تنظيم الشعب في البلدان المستعمرة وحثه على الكفاح،ذلك لأن الشعب خائف في هذه البلدان، إنه يخاف وقد فقد كلّ أمل، أن السلطة الاستعمارية تتوقع من الشعب أن يخافها ولا يعصي أوامرها، فالإرهاب والعنف والمضايقات والإذلال تؤدي إلى شرخ أخلاقي عميق في المجتمع، إذ يفقد الإنسان ثقته بنفسه وبأسرته وعشيرته وقريته وأقربائه ويفقد ثقته بمستقبله، ويتولد لديه بأنه وأسرته وأقربائه وأمته يمثلون مخلوقاتٍ منحطة، وتبدو السشلطة الاستعمارية في نظره خارقة القوى، ويعتقد الشعب أن هذه القوة سرمدية وعلى الناس أن يخضعوا للقدر المفروض عليهم، وما عليهم إلا أن يستسلموا ويتركوا أمرهم بيد الله».

وينشأ في ظل مثل هذه البيئة الاجتماعية والمناخ النفسي أطفال يكبرون وتكبر معهم نزعة عدوانية، يملأ الفزع قلوبهم وبفعل اضطرارهم للاستسلام والخضوع إزاء كافة تدابير القمع التي تمارسها السلطات الاستعمارية يوجهون عدوانيتهم ضد أسرهم ومواطنيهم، إن سلطات الدول التي تخضع لها كردستان حاولت وتحاول بشكلٍ دائم استغلال هذا الوضع النفسي للإنسان الكردي واستثماره إلى أبعد حد لإثارة التناقضات والصراعات في المجتمع الكردي .

إذاً السلبيات الموجودة في شخصية الإنسان الكردي

هي نتيجة لاستغلال الدين من قبل العرب والفرس والأتراك الذين سخروا الدين خدمة لأغراضهم السلطوية والقومية، عندما حكموا باسم الدين وحاولوا ضرب الكرد بعضهم بعض مذهبياً، ونتيجة للعقلية العشائرية التي شلت فكر وعقل الإنسان الكردي وجعلت ذهنيته متصلبة محدودة الأفق، ونتيجة للعنف والقمع اللذين مارستهما السلطات بحق الإنسان الكردي، مما أدى إلى جوّ من الإرهاب المبرمج المسيطر على شخصيته، مانعاً انطلاقته وتفتح شخصيته، نحو الشأن الكردي العام وتصديه لقضيته الأساسية، إن هذه السلبيات الموجودة في المجتمع الكردي نتيجة ظروف وعوامل عرضناه موجزاً، أي مكتسبة، نحن بحاجة إلى مراجعات نقدية وقراءات متأنية للواقع الكردي حتى نستطيع تصحيح وتجاوز هذه السلبيات، لأن بناء ثقافة جديدة لا تأتي بالتنظير، بل عندما نستطيع كشف العيوب والنواقص في ثقافتنا القديمة لأن الثقافة الجديدة هي ثقافة قديمة كشف الصراع عن وجوهها السلبية، والإنسان الكردي قادر على تجاوز هذه السلبيات، لأنه أثبت على مر التاريخ أنه إنسان استطاع أن يحافظ على كرديته وملامحه القومية رغم ما مرّ به من ظروف قاهرة وما تعرض له من حروب وغزوات كثيرة استهدفت وجوده ككيان قومي، وارتكبت بحقه مجازر إبادة تندى له جبين البشرية، وعانى من التهجير القسري من أرضه، ومن التجهل والتنكيل والتجويع و...

كلّ هذه السياسيات لم تستطع أن تحطم إرادته، بل زادته قوة وإصراراً وتصميماً للحفاظ على خصوصيته القومية، وكما قال الكاتب الأرمني آبو فيان: (الكرد فرسان الشرق).

أعتقد أن الكرد بحاجة إلى بناء منظومة فكرية جديدة تتوضح فيها ملامح الشخصية الكردية الجديدة ويتطلب الأمر مزيجاً من إرساء آليات الحوار الاجتماعي والتسامح أي الحديث عن الآخر على انه شريك لنا في هذا الواقع وليس مجرد صدى أو ظل للذات، نحن بحاجة إلى تغيير سلوكياتنا ومن ثم الاحتكام إلى لغة العقل والمنطق للوصول إلى منظومة معرفية لها آلياتها وقوانينها التي تستطيع أن تتجاوز العقلية العشائرية والنزعة الحزبية والمصلحة الذاتية والأنا الفردية وتؤسس لوعي مدني قادر على إشاعة ثقافة جديدة.

كذلك تحتاج الشخصية الكردية أن تجد تعبيراتها المتمايزة في ملامحها القومية وليس الدينية.

وإلى بناء ثقافة تعتمد على مفاهيم المجتمع المدني، والخروج من ثقافة الخوف والعسكرتاريا.

المصادر:

١-علي الوردي، شخصية الفرد العراقي، الطبعة الثانية، لندن، ٢٠٠١

٢-عبد الفتاح بوطاني، بدايات الشعور القومي الكردي في التاريخ الحديث، الطبعة الثانية، دهوك.

٣-سيامند ز. عثمان، ملاحظات تاريخية حول نشأة الحركة القومية الكردية، مجلة دراسات كردية، باريس، كانون الثاني ١٩٨٤.

٤-شاكر خصباك، الكرد والمسألة الكردية، الطبعة الثانية، بيروت، ١٩٨٩.

قراءة سيكولوجية في أنماط الشخصية العراقية الحالية

حوار اجراه: مازن لطيف علي مع فارس كمال نظمي

الهوية الاجتماعية بكل أشكالها الفرعية: الوطنية، والعرقية، والدينية، والطائفية، والأسرية، هي بدءاً ضرورة تكيفية ونتاج حتمي لرغبة الفرد بالانتماء لكينونة اجتماعية ما، يستمد منها شعوره بالأمن والمكانة والاحترام، حتى في حالات غياب التنافس بين الجماعات الاجتماعية المتجاورة. كما إن متانة الهوية الوطنية لدى جماعة معينة لا يتناقض بالضرورة مع وجود هويات فرعية متعددة لدى تلك الجماعة، بل قد تنشأ حالة من التكامل بين البعدين الوطني والديني للهوية الاجتماعية مثلاً، كما هو الحال في المجتمع الأمريكي الحالي..هذا ما يؤكده **فارس كمال نظمي**: اختصاصي علم نفس الشخصية وعلم النفس الاجتماعي بجامعة بغداد، والعضو المؤسس للجمعية النفسية العراقية في حوارنا معه كثير من النظريات حول شخصية الانسان العراقي.

ترى أن التراكم الحضاري كفيل ببناء ارث اجتماعي عظيم، لكن ما يظهر على السطح يثبت عكس ذلك، فالتشظي والدمار الذي لحق بالعراق يتحمله الفرد العراقي ضمن المنطق الجمعي للمفردة .ماهو موقفكم من هذا الرأي؟

- اختلفُ جوهرياً مع مقولة ان الفرد العراقي مسؤول كلياً عما لحق ببلاده من تشظي و دمار. فكل مجتمع بشري يتعرض لأزمة وجود ومصير عميقة، لا بد أن يصنف من الناحية السيكولوجية إلى أنماط متنوعة بل ومتناقضة أحياناً من الشخصيات السائدة فيه، ولا معنى لتعميم نمط واحد من الشخصيات على

كل أفراده. وبمعنى أدق، إن المجتمع بمعناه السوسيولوجي هـو المصنع التأريخـي لأنماط متباينة ومتنافسـة من الشخصيات الاجتماعية في لحظة زمانية معينة.

فمـا الذي يحـدث اليـوم في مجتمعنـا العراقي؟ اسـتطيع القول، وباختزال مقصـود لأغراض الحوار والبحـث (مسـتثنياً من هـذا التحليل «الشـخصية العراقية المقاومة» سواء تلك التي كافحت ضد الفاشية السابقة أو تكافح اليوم ضد الاحتلال الأجنبي والظلم الاجتماعي بشـتى أنـواع الكفـاح)، إن مجتمعنا بات يتألف من شـخصيتين رئيسـتين: «شخصية هدمية عدوانية»، و«شـخصية بناءة مسـالمة»، دون تجاهل حقيقـة أن كلا هاتين الشـخصيتين لها شـخصياتها الفرعية العديدة.

هل يمكن رسم خارطة سلوكية للأدوار الاجتماعية التي تضطلع بها هاتان الشخصيتان؟

- تبلورت «الشخصية العراقية الهدمية» تدريجياً خلال نصف قرن من الانقلابات والاستبداد والحروب والاحتلال، بوصفها نتاجاً مباشـراً للفعل السياسـي السـادي الذي بوشـر بممارسـته ضد الفرد العراقي بعد شـهور قليلة من قيام النظـام الجمهوري وحتى اليوم. وهذه الشـخصية، وإن تنوعت انماطها الفرعية النشـوئية، إلا إنهـا تشـترك على المسـتوى الانفعالي – السـلوكي بتركيبة متناقضة من العناصر السـادو – ماسوشية المتِزجة:

★ إنهـا تغلب قيم الموت على قيم الحياة في سـلوكها، موظفة شعارات «الوطن» و«الدين» و«الواجب» و«الفضيلة» لتبرير أفعالها الهادمة لحياة الآخرين.

★ تكره خصومها حد العمل على إفنائهم.

★ تتسم بالسـايكوباثية، أي ضعف الضمير، وعدم الاتعاظ بالتجارب، والاندفاع والتهور.

★ لا تحقق توازنها النفسـي أو رضاها الانفعالي إلا عبر مشاهد التدمير والقتل وهدم الحياة.

★ أي لباس ايديولوجي ترتديه هو قشرة دفاعية ظاهرية تخبيء تحته منظومة متسقة من الميكانزمات العدوانية الموجهة نحـو ذاتها أو نحو الآخرين، والتي يحركها الاحباط اللاشـعوري العميق، بوصفه العنصر التكويني الأبرز لهذه الشخصية.

أما الأنمـاط الفرعية لهـذه الشـخصية الهدامة فيمكـن تحديدها بوضوح من خـلال العودة للعوامل السوسـيو– سياسية التي أدت الى نشـوئها وتطورها:

١- الشـخصية الهدمية الفاشسـتية: نشأت على مدى أربعـين عاماً في أقبية المؤسسـة الأمنية والسياسـية للنظام الفاشي السابق. تحكمها عقدة الاضطهاد والشك، ولا تجد أي امكانية لاسـتعادة شعورها بالأمن النفسي المفقـود إلا بإقصاء الآخرين وايلامهم وإفنائهم. وهي ما تزال في أوج نشاطها اليوم، بعد أن استبدلت وجهها القوموي السـابق بأقنعة متأسـلمة جديـدة، إذ وفر لها الوضع السياسـي الجديد امكانية واعدة لاستمرار اضطرابها النفسي، ودون أي محاولة موضوعية لإعادة تأهيلها والحد من هدميتها.

٢- الشخصية الهدمية «الارهابية»: تركيبة نفسية مسـتحدثة منذ بـدء الاحتلال الأمريكـي للعراق في نيسـان/ ابريـل ٢٠٠٣م، نتجـت عن تلاقـح بيضة «الإرهاب» (مع التحفظ على هذا المصطلح) المستنسلة اصطناعيـاً في مختبرات دول الجـوار، بحيمن العولمة الأمريكية المتوحشـة التـي لا تجد في العراق أكثر من حساب مصرفي مغلق ينبغي اختراق شفرته مخابراتياً عبر كسـر شـوكة بنيته البشـرية الموحـدة. ولهذه

الشــخصية امتداداتها النســيجية مع الشخصية الأولى (الهدمية الفاشســتية) بزوغاً وديمومــة ومصيراً، إذ تحكمهــا عقدة الــولاء للجمود، والرعــب من التطور وتكفيره، والافتتان بعقيدة تقريب الموت من الجميع، فشــعارها الضمنــي: ((علــيّ وعلــى أعدائــي)).

٣- الشخصية الهدمية الطائفية: تبلورت ملامحها ببطء نسبي خلال الأعوام الثلاثة التي اعقبت الاحتلال، ثم بــرزت بجلاء في بداية العام الرابع الذي نشــهد قريباً نهايته. كان لفرق الموت التي أنشــأها «نيغرو بونتي» اثناء تقلده منصب ســفير الولايات المتحدة في العراق على غرار فرق الموت التي سبق أن أسسها في السلفادور في ستينات القرن الماضي، الفضل الأكبر في المباشرة بنشوء هذا النمط من الشخصيات، وعبر تكنيك بسيط جداً: ((بعد أن تنجح بتأسيس نظام سياسي طائفي البنية، عليــك أن تبدأ بقتل عدة عشــرات من أفراد ينتمون لطائفة معينة يومياً وترمي جثثهم الممزقة في مناطق تسكنها أغلبية من الطائفة الأخرى، والعكس بالعكس، ثم تفتعل في الوقت نفســه اعتداءات مدفوعة الثمن على معابد مقدســة تعود لــكلا الطائفتين)). فحدث الاســتدراج المنتظر، وانخرطت أعــداد محدودة ولكن مؤثرة من أفراد الطائفتين بتأثير مصالح السياسيين ضيقي الأفق، في ســلوك «ميليشياوي» متطرف هدفه الانتقــام الدموي الأعمى من الطائفة الأخرى، دون أي وعــي أو دراية منهم بأبســط مبــادئ البناء الفقهي لفكر الطائفتــين، وما إذا كانت هنــاك حقاً خلافات عقائديــة من أي نوع تســتدعي افناء الآخر وتدميره على هذا النحو. وحدث هذا الاستدراج بشكل خاص في القاع الطبقي لأتباع الطائفتين، إذ كلما ازداد الاحباط الشــخصي والاجتماعي للفرد وانغلقت أمامه الســبل المشــروعة للإصلاح واســتعادة الحقــوق، أصبح أكثر استعداداً للاندفاع اللاعقلاني للتنفيس عن مكبوتاته بالتفتيــش عن أي كبش فداء بديــل يحوّل ضده كل طاقــة اليأس والحرمان والذل التــي تغلي في اعماقه. أمــا المفقــس الطائفي الأساســي الذي ما بــرح يديم وظيفة هذه الشــخصية ويشــجع على تماهي المجتمع بها، فهو المؤسسات الأمنية التي أسسها ضباط الاحتلال ومستشــاريه على نحو يــراد به قصم ظهــر الدولة المدنيــة العراقية العتيدة وإظهار عجزها أمام التنامي السرطاني لجماعات ما قبل الدولة في أحشائها.

وهنــاك، علــى الضفــة الأخــرى مــن نهــر الدم العراقي، تسكن «الشــخصية العراقية البناءة المسالمة»، بخصائصها التأريخية المتراكمة: ((التســامح، والتحضر، وقوة التحمل، والابتكاريــة التكيفية، والولع بالثقافة، وتمجيــد قيم الحياة، والتفتيش عــن ايجابيات الآخر المخالف، والتدين الهادئ))، والتي تشكل بنوعها وكمها المادة الأساسية العظمى من النسيج الاجتماعي العراقي التقليدي. هذه الشــخصية أمست تراقب بفزع جيوش الاحتلال وفرق الموت وكتائب الانتحاريين في الشــوارع، وتستمع للجنرالات الشقر وزعماء الميليشيات والطوائف علــى شاشــات التلفاز، وقــد أدركت تمامــاً أن حضارة البنــاء والحياة والتســامح يمكن أن تغــدو ((رهينة)) الى أجــل غير محدود بأيدي عصابات سياســية محلية وكوزموبولتية تحــترف الهدم والاســتئثار والتعصب. إن مســاحة التمــاس التفاعلــي بــين الشــخصيتين «الهدمية» و«البناءة»، يمكن عدّها هامشية وغير ذات أثر؛ بمعنى أن الفعل السياســي المفبرك من خيوط تقع خارج النسيج الاجتماعي العراقي التقليدي، لم يستطع النفاذ بآلياته «الهدمية» ونتائجه النفسية «العدوانية»

الى الشخصية العراقية المسالمة بخصائصها التسامحية المتحضرة، إلا بامتدادات محدودة يمكن وصفها بـ»رد الفعل الانعكاسي الآني» الذي يتصل بتلقائية الاستجابة الميكانيكية لا بالذخيرة القيمية الجمعية بعيدة المدى. إن المتجول المحايد اليوم في بيوت بغداد ومدارسها وجامعاتها وأسواقها، يستطيع أن يتلمس الخصائص العيانية الملموسة لهذه الشخصية العراقية البناءة المغلوبة على أمرها، ومقدار اعتزازها المتجدد الصامت بهويتها الوطنية المحببة، ومبلغ نفورها وازدرائها لسادية الفئات الهدمية المتسلطة عليها.

ما الفعل الاحتجاجي الجمعي لاستعادة التوازن، فسيظل مؤجلاً إلى حين، ما دامت المسافة النفسية بين الادراك والفعل لدى الفرد العراقي ما تزال مزروعة بالسلبية والقهر واللاجدوى والعجز المتعلم منذ عقود، وهي خصائص تتصل بالفاعلية السلوكية وتوقعات النجاح والاحباطات المتراكمة أكثر من صلتها بخصائص البناء العقلاني المنجز للشخصية الحضارية للفرد العراقي، وهو ما يجعلنا متفائلين بشأن ما سيؤول اليه المشهد الدموي الحالي.

ألا تعتقد ان هناك تصدعاً واضحاً أصاب الهوية العراقية، رافقته تداعيات نفسية مريرة سببتها عوامل عديدة كالاستبداد والهيمنة؟ ترى ما هي عناصر الرؤية الكاشفة لأسباب هذا التصدع والاعتلال؟ وهل تتحمل كيانات مجاورة للعراق جزءاً من مسؤولية ذلك؟

- الهوية الاجتماعية ليست مفهوماً مطلقاً جامداً يتراوح بين الغياب الكلي والكينونة الكلية، بل بناء اجتماعي مرن، متعدد الغايات والكينونات، قادر على انجاز تحولاته وتمظهراته بما يتلاءم مع سيكولوجية اللحظة الراهنة. والهوية الاجتماعية بكل أشكالها الفرعية: الوطنية، والعرقية، والدينية، والطائفية، والأسرية، هي بدءاً ضرورة تكيفية ونتاج حتمي لرغبة الفرد بالانتماء لكينونة اجتماعية ما، يستمد منها شعوره بالأمن والمكانة والاحترام، حتى في حالات غياب التنافس بين الجماعات الاجتماعية المتجاورة. كما إن متانة الهوية الوطنية لدى جماعة معينة لا يتناقض بالضرورة مع وجود هويات فرعية متعددة لدى تلك الجماعة، بل قد تنشأ حالة من التكامل بين البعدين الوطني والديني للهوية الاجتماعية مثلاً، كما هو الحال في المجتمع الأمريكي الحالي.

وعطفاً على محورنا السابق حول نمطي الشخصية العراقية: «الهدمي» و»البناء»، يصعب الجزم أن تصدعاً حقيقياً قد أصاب الهوية الوطنية العراقية بمفهومها الجمعي الشامل. فالإغراء والقسر اللذين يواجههما الفرد العراقي اليوم لدفعه نحو الهرولة خلف هويته الطائفية في ظل تراجع النخبة العقلانية العراقية عن ممارسة دورها التأريخي المعهود، يقابله وعي يومي عميق لديه بأن الطائفية لم تجلب له الا انعدام الأمن وفقدان المكانة وغياب الاحترام وانطفاء المعنى الايجابي للحياة. فالعراقيون بطبيعتهم الشغوفة بقيم الحياة وأسئلة الخلود، لم يكونوا مفتونين يوماً بطوائفهم أو أعراقهم على حساب عراقيتهم أو انسانيتهم الأممية حتى في سنوات الاستبداد والحروب. ومرد ذلك هو التداخل الأسري والعشائري والعرقي والاقتصادي والثقافي بين الجماعات البشرية العراقية إلى الحد الذي أصبحت فيه هويتهم الوطنية هي الملاذ الأوفر حظاً لتحصيل الأمن والمكانة والاحترام.

يحتاج الفرد العراقي لهويته الوطنية أكثر مما يحتاج لهوياته الفرعية الأخرى. وإن المحاولات الجارية حالياً لقسـره على تغيير هذه المعادلة النفسـية الموضوعية قـد تنجح مؤقتاً في جرفـه الى نقطة التردد والصراع بين مفهومي الوطـن والطائفة، إلا إن الجذر المتحضر للشـخصية العراقيـة، ونظرتهـا الواقعيـة، وتدينها الهـادىء اللااصولي، يجعـل على الدوام مـن هويتها الوطنيـة مفهوماً قابلاً للمنـاورة الدفاعية، والتكيف البارع، وإعادة التشكل، ولو بتمظهرات جديدة تحفظ لها ميكانزماتها السيكولوجية الراسخة.

لقد حققـت الهويات الاجتماعيـة الفرعية تناغماً سـلمياً وتوازناً نفسياً مسـتقراً بين وظائفها وأدوارها، ضمن اطـار الدولة العراقية العلمانية التي نشـأت بعد الحرب العالمية الأولى، بالاسـتناد الى ضرورات اقتصادية وديموغرافية تتعلـق ببنية المجتمـع العراقي المعاصر نفسـه. كما كشـفت السـنوات الأربعة الماضية منذ بدء الاحتلال، إن لهذا المجتمع قدرة استثنائية على مقاومة الموت الاجتماعي المفروض عليه، بالرغم من الغياب شبه التام لإطار الدولة الراعية والمنظمة لحركته البشـرية. وبتعبير أكثر تحديداً، إن الهوية الوطنية العراقية مفهوم نفسـي – حضاري منجز الى حد كبير بفعل الضرورات المجتمعيـة الداخلية. وإن محاولة تشـظيتها بتكنيكات سايكوسياسـية مصطنعة تمارسـها شـركات السـلاح الأمريكيـة الاحتكارية ومخابـرات دكتاتوريات الجوار، ضمن رقع جغرافية طائفية أو عرقية متناحرة، سيمنح لهذه الهوية بعداً رومانسـياً حميماً، يحفز الجيل الحالي لصيانتها واستعادتها جيوبولوتيكياً لاحقاً، بعد أن انتهى آباؤهم من انجازها سيكولوجياً وثقافياً واقتصادياً.

الدكتور «علي الـوردي» تناول طبيعة المجتمع العراقي والانسـان العراقي برؤية سوسيولوجية تخللها بعد سـيكولوجي ثاقـب، اذ خرج بنظريـة اجتماعية متفـردة. مـا سـبب النجاح الدائـم لهـذا النوع من الدراسات من وجهة نظر نفسية؟

- يمكن اختزال المنظور العميق والشامل للدكتور علي الوردي بالمقولة الآتية: ((إن سلوك الفرد العراقي هو دالة للتنافر أو التناشز أو الصراع المعرفي بين قيم الحضارة وقيم البداوة في شخصيته)). وبذلك استطاع الوردي أن يفسر أسباب ازدواج السلوك أو تعدد الأقنعة وتضارب المواقف في شخصية هذا الفرد على إنها نتاج لوجـود منظومتـين قيميتين متباينتـين تحركان جهازه النفسي في آن معاً.

لست الآن بصدد تقويم نظرية أستاذنا الوردي، إلا إنه من المعروف أن المجتمعات الشرقية قد عانت وتعاني قاطبة من مسألة الصراع بين قيم التخلف وقيم التحضر، بحكم التطور الاجتماعي الذي كانت تنتقل به وينتقل بها من عصور الـرق والاقطاع والميثولوجيا الى عصور العلـم والتنوير والمدنية. فما يزال الانسـان الشـرقي عموماً موزعاً ضمن أدوار اجتماعية – قيمية متناقضة ومتصارعـة يؤديهـا دونمـا وعـي كاف بازدواجيتها أو تعـارض مضامينهـا. ولذلك فالفـرد العراقي، وهو أنمـوذج للشـخصية الشـرقية «المتنـورة»، يكتنز في سـلوكه وتفكيره وانفعالاتـه صراعاً ثنائـي القطبية على مستويات عدة متزامنة، فإلى جانب صراع ((قيم البداوة × قيم الحضارة)) نجد لديه ثنائيات أخرى،لا نريـد الخوض في عناصرها التكوينية والوظيفية الآن، ولكن نذكربعضاً منها على سبيل التوصيف والتوضيح: ((قيـم التدين × قيـم العلمانيـة))، و((قيم تمجيد العـدل × قيم تبرير الظلـم))، و((الطابع الجمعي ×

الطابــع الفردانــي))، و((التفكير العلمــي × التفكير الخــرافي))، و((الدافع الاجتهــادي × الدافع النقلي)). ولقد أمســك الدكتور الوردي – بوصفه مبدعاً شجاعاً فريــداً من نوعه – بثنائيته الشــهيرة، وكرس لها جل تفكــيره ومؤلفاته، وأغناها بإســلوبه العلمي المشــوق القائم على الشــواهد والحجج والمقارنات، مسلطاً شعاعاً كثيفاً على تلك المنطقة المحيرة من الشخصية العراقية. وهنا يكمن ســـر نجاحه، إذ خاطب المريض بلغة عقلية مشتقة من واحدة من علله التي غالباً ما كان يستشعرها بغموض في وظائفه النفسية ومواقفه السلوكية.

إن نجــاح المفكرين الكبار عبر التأريــخ، غالباً ما تأتى من إحدى ميزتين أو كليهما؛ إما بســـبب قدرتهم الاقناعية الفذة، أو بسبب الأســئلة الجدالية العميقة التي أثارتها أفكارهم سواء لدى النخبة أو عامة الناس. وأظن أن علي الوردي قد امتلك هاتين الميزتين معاً!

لا يــزال علم النفس العراقي يعيــش دوامة النقل والاقتباس من الأدبيات النفسية الغربية. هل تقترحون حلــولاً معينــة للنهــوض بمدرســة علم نفــس عراقية أصيلة؟

- للتعامــل مع هذا الســؤال، لا بد أولاً من التمييز بوضوح بين مســألتي «المنهــج» و«النظرية». فالمنهج هــو طريقــة في البحث العلمــي، أساســها الموضوعية والتقنــين والضبــط. أمــا النظرية فهــي بنيان من الأفكار والمفاهيم والمقولات والحقائق، يجري تنســيقها بإســلوب يــؤدي الى تحليل ظاهرة معينة وتفســيرها والتنبــؤ بها، وربمــا التحكم بمســاراتها أيضــاً. وقد توظــف نظرية ما أكثر من منهج لتدعيم طروحاتها، كمــا قد يكون منهج ما مشــتركاً بــين نظريات عدة. إن مــا يعانيه علم النفس في العراق هــو الغياب التام للتنظــير المحلــي مقابل الحضــور المتطــرف للمنهج المســتورد، إلى حد إن أغلب البحوث النفســية العراقية هــي في مضمونها اجراءات منهجية متسلســلة تفتقر الى قــدرة التوصــل الى أي اضافات نظريــة ذات صلة بمنطلقات البحث ومشــكلته العلميــة. ولا أبالغ إذا ما قلت أن هناك خللاً بحثياً – نفسياً في جامعاتنا يطيب لي أن اسميه بـ((فوبيا التنظير)). فالنظرية الأجنبية مقدسة لا يجوز منافســتها باشتقاق مفاهيم جديدة، حتى في حالة نقد تلك النظرية أو تبيان نقاط ضعفها. وأظن أن ذلك كله مرتبط بافتقاد مؤسساتنا الأكاديمية لروح المغامرة الفكرية المحسوبة، لأسباب تتعلق بنمط «الشخصية الأكاديمية المحافظة» الذي أشاعته سنوات الاســتبداد والركــود والبيروقراطيــة الطويلة، ما دام الاجتهاد كان محرماً في كل مجالات الحياة.

ولذلــك، فالنهوض بمدرســة علــم نفس عراقية أصيلــة، لا يمكــن أن يتحقق بإجــراءات فوقية آنية معزولــة تخص هــذه الكلية أو مركــز البحوث ذاك، انمــا يتعلق الأمــر بنهضة علميــة حضارية متصلة تطــال كل الاختصاصات الأكاديميــة، يغذيها اصلاح تربوي شــامل تتبناه الدولة بميزانية مفتوحة، يبدأ من رياض الأطفال صعوداً، لبناء «شــخصية أكاديمية متحــررة»، تنظــر الى المنهج العلمي بوصفه وســيلة فحســب لا غاية بحد ذاته، وتمتلك الجــرأة الفكرية لاشتقاق تصورات نظرية مبتكرة عن الوجود بشقيه الطبيعي والاجتماعي، ولا تقنط من امكانيات دحض النتائج على المستوى التطبيقي، بل تعد الخطأ العلمي خطوة على طريق الوصــول للحقيقة العلمية. ودون ذلك، سنظل مبتلعين تقليديين للمعرفة، لا نستطيع تمثلها، ولا انتاجها، ولا حتى اعادة انتاجها!

الشخصية العراقية

أ.د. الحارث عبدالحميد حسن الأسدي

إن مـــن أصعـــب الأمـــور علـــى الكاتـــب أن يجيز لنفســـه تناول موضوع خطير وكبير مثل الشـــخصية العراقية، خصوصًـــا إذا كان هو عراقيًا، ولد وترعرع وعـــاش علـــى أرض العراق وعلى مدى خمســـة عقود من الزمان، لم يغـــادره إلا طلبًا للعلم والمعرفة ولعدد محدود من الســـنين، فعاش الوطن بســـرائه وضرائه، وأفراحـــه وأتراحه، وأحزانه وآلامه، وشـــهد التغيرات تلو التغيرات، وتعلم الصبر والمثابرة بعد دراسة تاريخ هذا البلـــد العزيز وحضارته الشـــامخة، وصار بحكم ويلات الزمن وضغوطه مُعلمًا لشيء واحد يعلو صوته فوق كل الأصوات، ذلك هو حب العراق.. أرضًا وناسًـــا وتاريخًا وحضارة.

لكـــن ما يهون المصاعب في الكتابة عن الشـــخصية العراقية، ويذلـــل بعض تداعياتهـــا، أن يكون الكاتب باحثًا ودارسًـــا، يتحرك في مســـاحات الزمـــان والمكان بشـــفافية الباحث وموضوعيتـــه، والتزامه بالمنهجية العلميـــة التـــي لا مفر منهـــا، وهو يتنـــاول بالبحث والدراسة هذا الموضوع الحساس والمثير. وهذا ما أدعيه في الكتابة عن الشـــخصية العراقيـــة في مجلتنا الغراء والشجاعة: المعرفة.

لقد كثرت في الآونة الأخيرة، الطروحات والمقالات والتحليـــلات التي تتنـــاول المجتمع العراقـــي والفرد العراقي، وهي في مجموعهـــا، محاولات جادة ووجهات نظر تعبر عن آراء كتابهـــا، وبغض النظر عن صوابها أو خطئهـــا. وهذا يذكرني بالكـــم الهائل من الكتابات والتصريحـــات التـــي ظهرت بعد نكســـة الخامس من حزيـــران عام ١٩٦٧م والتي تجاوزت في أحكامها أنظمة الحكـــم الســـائدة في ذلك الزمان إلى تناول الشـــخصية العربية ومدى مصداقيتهـــا ووعيها وإرادتها وقدرتها على المقاومـــة والصمود والدفاع عن الأرض والكرامة. إن المحـــر ك الأســـاس، عراقيًـــا وعربيًـــا ودوليًا لهذه الكتابـــات والطروحات، هو ســـقوط النظام السياســـي

السابق في العراق والذي كان يتسم بالدكتاتورية والقسوة والاستبداد، هذا من جهة، والاحتلال الأمريكي - البريطاني للعراق، من جهة أخرى، لكن من المحزن، إن بعض هذه الكتابات، صارت تطلق على الشخصية العراقية والفرد العراقي والمجتمع العراقي، مسميات وألقابًا وكنى، مستمدة من نظرية هنا أو هناك، أو تحليل نظري - أكاديمي هنا أو هناك، فيها الكثير من التجني والحيف، بل السادية أحيانًا. فمن «العراقوية» إلى «ثقافة الهزيمة»، ومرورًا بـ«القابلية للاستعمار» أو حتى الانفصال بين الأمة وروحها، وأزمة الهوية والمواطنة والانتماء.

في هذه المقالة، سنحاول بجدية ومنهجية ومرونة وعقلانية أن نتناول أبعاد الشخصية العراقية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها، دون أن نخوض معركة الجدل مع الآخر في هذا القول أو ذاك. وحتى نكون أكثر مصداقية في تعرضنا لهذه الشخصية العراقية، أجد من الأهمية بمكان، استعراض بعض الأسس النظرية لمعنى الشخصية عمومًا، سماتها وخصائصها، وعلاقة ذلك بالثقافة والبيئة والحضارة التي تعيش فيها تلك الشخصية. وبعد تناول الشخصية العراقية تحديدًا، على مستوى منظومة القيم والأعراف المجتمعية، نعرج على التغيير في الشخصية العراقية، ماضيًا وحاضرًا، ثم نخرج بعد ذلك بعدد من الاستنتاجات المنطقية حول هذه الشخصية وآفاقها المستقبلية.

الشخصية في منظور علم النفس يحتل موضوع «الشخصية» مكانة خاصة وحيوية في دراسات علم النفس وفلسفته، ذلك العلم الذي يدرس السلوك والعقل والطبيعة البشرية. وتتعدد التعاريف لمفهوم الشخصية بتعدد المدارس السايكولوجية والمنظرين الكبار فيها، وتتباين النظريات في علم نفس الشخصية حسب المفكرين والعلماء الذين أبدعوا في دراساتهم وبحوثهم النظرية والميدانية. إن هذا التباين الذي يصل أحيانًا إلى درجة التناقض بين هذه المدرسة أو تلك في دراسة الشخصية، لا يعني نكوصًا أو خطلاً أو حتى خللاً في الطروحات أو التنظير، بل على العكس من ذلك، يشير إلى خطورة موضوع الشخصية وأهميته وحساسيته ودقته، الذي لا يمكن أن تستوعبه نظرية واحدة، جامعة، مانعة في كل أبعادها وآفاقها. وإن الاختلاف في وجهات النظر ينبئ بالقدرة العالية لدى المنظرين والعلماء في تناول أبعاد الشخصية في بيئاتها ومجتمعاتها، مما يوجد لدى الباحث النبيه، نزعة الفضول للتفكير والتمعن والتدقيق والتمحيص في جميع الأبعاد، بل في إضافة أبعاد جديدة تساهم في تكوين الصورة الأكثر عمقًا ومعرفة في دراسة الشخصية الإنسانية.

وتعرف الشخصية عمومًا على أنها: مجموعة الخصائص والميزات لأنماط التفكير والعواطف والسلوك، التي تحدد أسلوب الفرد (الإنسان) الشخصي في التفاعل مع البيئات المادية والاجتماعية.(١) لذلك فإن إحدى المهام الأولية لعلم نفس الشخصية هي توصيف الفروقات الفردية بين الناس، أي الطرائق المختلفة التي يتباين فيها الأفراد عن بعضهم البعض. إن اتخاذ منهج واحد دون غيره في الحكم على شخصية فرد ما، أو تحديد ملامح للشخصية في مجتمع ما، يعد أمرًا فيه شيء من التعسف العلمي أو المعرفي. وهذا هو الخطأ الذي وقع فيه بعض الكتاب الذين تناولوا حديثًا وعبر مواقع الإنترنت والصحف العربية، تحليل الشخصية العراقية، من واقع منظور السمات للإنسان

(البــورت) أو من خــلال البيئــة الاجتماعية حصرًا (الوردي) أو حتى عبر منظور الحاجات لدى الإنســان (ماســلو). فعلى ســبيل المثال لا يعد منهج «الســمة» نظريــة للشــخصية بحد ذاتــه، وإنما اتجــاه عام، أو مجموعة مــن الطرائق والأســاليب لتقييم خصائص ثابتــة للأفراد. يذكر أن ســمات الشــخصية، لا تدلنا على أي شــيء بخصوص العمليات الديناميكية للأداء الوظيفي للشــخصية عبر الزمان والمــكان. لذلك فإن البحــث الحقيقي والكامل عن الشــخصية ودراســتها، يهــدف إلى تجميع وتوليف العوامل العديدة التي تؤثر في تفاعــلات الأفراد في البيئــات المادية والاجتماعية، فضــلاً عن التطــور البيولوجــي ومســتويات التعلم والتفكير والعاطفة والدافعية والتفاعلات الاجتماعية. وبالرغم من تعدد النظريات في الشخصية، فإن ثلاثة مناهج فكرية في الشــخصية، هيمنت على تاريخ علم نفس الشخصية في القرن الماضي، وهي منهج التحليل النفســي، والمنهج السلوكي، والمنهج الظاهراتي. بيد أن هــذه المناهج بثقلها النظري والتجريبي، لا تجيب عن جميع الأسئلة الخالدة في ذهن الإنسان، والتي تبدأ منذ الطفولة وتستمر حتى الممات: من أنا؟ من نحن؟ أشرار أم طيبون؟ ســعداء أم تعساء؟حياديون أم متطرفون؟ نشــطون أم كســالى؟ ما مصيرنا؟ وغير ذلك من هذه الأسئلة التي تدور في الذهن بشكل دائم ومستمر.

ولــم يقتصــر البحث والدراســة في علــم نفس الشــخصية على المناهج الثلاثة التي سبق ذكرها، بل ظهرت نظريات متعددة وكثيرة وخصوصًا في النصف الثاني من القرن العشرين، حاولت جاهدة أن تجعل لها رصيداً في ســبر أغوار الشخصية ومكنوناتها وعلاقتها مــع البيئة والجماعة والمجتمــع. ومن هذه النظريات غير ما ســبق ذكره: منظورعلم النفس الفردي(أولر) ومنظور السمات للأنسان (البورت)، ومنظور الحاجات لدى الإنســان (ماســلو)، والمنظور الوجودي للإنسان (وانكــر وآخــرون)، والمنظــور الاشــتراكي للإنســان (مكارينكو وآخرون).

وضمــن محاولات كاتــب هذه المقالــة في توظيف الفكر الإســلامي الحنيف لفهم الإنســان والشخصية، وقواه وقدراته وطاقاتــه، الظاهر منها والكامن، فقد تنــاول في أكثر من مقالة على مدى الســنوات الخمس الماضية، موضوع الشــخصية ضمن إطار عام شــامل، أطلق عليه «النظرية الســايكولوجية في الإسلام» وقد لاقت هذه المحاولة النظرية الجديدة الكثير من الثناء والنقد والاعتراض خلال المدة المذكورة من قبل علماء النفــس والمفكرين والمثقفين العرب، لكنها في المحصلة، أثبتت وجودها من حيث إنها سلطت الضوء في محاولة نادرة للجمع بين العلــم والدين، على موضوع النفس الإنسانية ومشــكلاتها وآفاقها وجوهرها بضوء الفكر الإسلامي المتفتح الذي يتميز أصلاً بالعلمية والعقلانية والمرونة، فيما لو قرأ قراءة صحيحة ودقيقة ومعاصرة. ولا يمكــن لأي دارس أو باحث في موضوع الشــخصية الإنسانية أن يبقى يدور في حدود الفرد الإنساني على الرغم من أهمية ذلك، بل يجد الباحث نفسه مندفعًا إلى التعمق في المسائل الفلسفية والاجتماعية والدينية عمومًا، من أجل الوصــول إلى حقائق معرفية صائبة حول الشخصية.

أما إذا أراد الباحث أن يتعمق في دراســة الشخصية ضمــن مجتمع مــا، وهذا ما نحــاول أن نقوم به هنا، تصبح المســألة أكثر تعقيــدًا وتركيبًا، إذ إن دراســة التاريــخ والحضارة والثقافة لذلــك المجتمع، تعد أمرًا

ضروريًا وأساسيًا في صياغة طبيعة الشخصية معرفيًا وسلوكيًا فضلاً عن الدراسة الموضوعية للعوامل العديدة والمتناثرة عبر القرون التي تؤثر شعوريًا ولا شعوريًا في بناء لبنات وأسس الشخصية المطلوب دراستها.

من خلال ما تقدم نستنتج أن للشخصية مفهومًا في علم النفس، يختلف عن مفهومها في علم الاجتماع أو علم الحضارة(٢)، فعلم النفس ينظر إلى الإنسان بوصفه فردًا قائمًا بذاته، لذا فهو يدرس الشخصية الإنسانية من حيث كونها مجموعة الصفات الخاصة التي تميز أي فرد عن الآخر، ولذلك فهو يهتم بالفروق الفردية بين الناس بشكل متميز. لكن علماء الاجتماع يضيفون إلى ذلك أن الشخصية في كثير من وجوهها، ممثلة للمجتمع، وهم اليوم يجمعون على أن الفرد والمجتمع، ما هما إلا وجهان لحقيقة واحدة. أو كما قال (كولي): إن الفرد والمجتمع توأمان يولدان معًا(٣)

وهذا يعني أن شخصية الإنسان، تسبك في قوالب يصوغها المجتمع الواحد، متشابهين في كثير من صفاتهم الشخصية، لكنهم يتفاوتون عادة في بعض الصفات العامة تفاوتًا يجعل لكل فرد منهم، الشخصية الخاصة به، وعلى الرغم من ذلك فهم يتشابهون في الخطوط الرئيسة لتلك الصفات.

من الجدير بالذكر، أن عددًا غير قليل من الكتاب والأدباء والمؤرخين والمستشرقين حاولوا دراسة الشخصية العراقية والمجتمع العراقي. وهم دون شك، أضافوا إلى المعرفة أشياء كثيرة ومثيرة حول الموضوع وإن قدموا كمًا كبيرًا متباينًا ومتناقضًا أحيانًا عن هذه الشخصية. لكنهم أرادوا أن يؤدوا دور الطبيب في التشخيص للداء ومعالجته، دون التعرف على الأعراض الحقيقية التي سببت المرض. وهذا يعني أنهم يمارسون دور الطبيب دون أن يعرفوا شيئًا عن علم الطب. أما الدراسة الحقيقية للشخصية والمجتمع، فهي دراسة المرضى على ضوء علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الحضارة، والتوصل إلى تشخيص العلة لمعالجتها، بعد الاتفاق المسبق على الطريقة الصحيحة التي يتم فيها الفحص لأعراض المرض ومداخلاته من أسباب ودوافع ومحركات.

نظريات الثقافة والشخصية انطلاقًا من الحقيقة التي لا غبار عليها والتي تنطوي على أن العراق كان مهدًا لأولى الحضارات في العالم (حضارة وادي الرافدين)، إذًا فهو من أوائل البلدان التي تشكلت فيها المجتمعات، وإذ إن لكل مجتمع ثقافة يتميز بها ويفتخر بعناصرها ورموزها، تبرز الشخصية العراقية بسماتها وخصائصها، وأعرافها وتقاليدها، ومنظوماتها الفكرية والمعرفية، متأثرة بالعديد من الثقافات التي أطرت المجتمع العراقي عبر تاريخه الطويل منذ السومريين فالبابليين فالآكديين فالأشوريين فالعرب المسلمين وحتى يومنا هذا.

لذلك وقبل الولوج في موضوع السمات والخصائص لهذه الشخصية، أجد أن من المناسب، وتأكيدًا لأهمية القواعد المعرفية في تناول أي ظاهرة أو حدث أو قضية، أن نتناول بشكل موجز جدًا، الأبعاد النظرية والفكرية للثقافة وعلاقتها بالشخصية من وجهة نظر علم الاجتماع وعلم الإنسان (الأنثروبولوجي).

إن شخصية الفرد لا تنمو ولا تتطور إلا عن طريق الحياة الاجتماعية، أي وهي منغمسة في ثقافة ما، إذ بوساطة هذه الطريقة ينتقل الإنسان من كائن حي (عضوي) إلى فرد في جماعة، فيصبح إنسانًا(٤).

وقـد بنيـت نظريات عديدة لتفسـير هـذه الفكرة وتأكيدهـا، واتبعت هذه النظريات تيارين رئيسـين، عرفا: بالاتجاه التكـراري والاتجاه التنظيمي. ويؤكد الاتجاه الأول تكـرار الانتظامات، ويذهب إلى القول إن كل عضو في مجتمع ما، هو حامل ثقافة ذلك المجتمع وفي رأسه توجد صورة مصغرة ومكررة لتلك الثقافة، كما في نظريـة روح الثقافة حيـث يرجع الفضل في نموهـا إلى كل مـن (سـابير) و (هـورف) اللذين قالا بإمكانية التعرف على روح الثقافة من خلال التحليل الدقيق للغـة المجتمع،(٥) ونظرية أسـلوب النظر إلى الحيـاة، وتعني النظـرة الخارجيـة إلى الوجود، كما يقـول (روبرت ريـد فيلد)، وهي نظـرة عامة تميز شـعبًا مـا. كذلك فهـو الطريقة التي يـرى عضو في مجتمع ما نفسه بالنسـبة لكل شيء آخر، وفي الوقت نفسـه، هو الصورة التي يكونها أعضاء مجتمع ما عن الأشخاص والأشياء التي تؤدي أدوارًا مهمة في حياتهم. ويؤكد الاتجاه الثاني أي التنظيمي، تنظيم الاختلاف، إذ يعارض القول بمبدأ التشابه التام بين الأفراد. ومن نظريـات هذا الاتجاه، نظريـة الموضوعات (الثيمات) التي تـرى أن في كل ثقافة، هناك عـدد لا نهائي من الجـذور أو الموضوعـات ويقصد بها القيـم والأفكار والاتجاهـات حول مكونات الحياة السـعيدة والأهداف الحقيقية للوجود الإنساني.

ومن رواد هذه النظرية (أوبلر) الذي عارض المبدأ التكاملـي، إذ يقول: تسـيطر على الثقافـة أكثر من قيمة واحدة وتتفاعل هذه الموضوعات كقوى ديناميـة وتتـوازن بعضهـا مع بعض بدلاً مـن أن يكون هناك مجموعة من الأنشطة تدور حول محور واحد (٦).

أمـا النظرية الثانية في هـذا الاتجاه، فهي نظرية الشـخصية المنوالية التي تشـير إلى نمط الشـخصية الـذي يظهر بأكبر قدر من التكرار بين مختلف أنماط الشـخصية في مجتمـع محدد. وينطلـق أصحاب هذه النظرية مـن حقيقة أن أفراد المجتمعـات الثابتة أو المتصفة بالديمومة، غالبًا ما يظهرون سـمات محددة بصـورة أكثر تكـرارًا من الجماعـات الوقتية أو غير الخاضعة لتنظيم اجتماعي مشترك(٧).

إن محاولـة ربـط أي من الاتجاهـين والنظريات التـي تنطوي تحـت كل منهما، بطبيعة الشـخصية العراقيـة والمجتمـع العراقي، وبضـوء الثقافات التي تعرض لها الفرد العراقي،يعد أمرًا بعيدًا عن الإنصاف ويتضمن التطرف. إن النظريات تحت قبة الاتجاهين، قـد تنطبق على الشـخصية العراقية، ولكن في فترات زمنيـة متعاقبـة وبالطريقـة التوفيقيـة، لكن من يتعمق في دراسـة مفهوم الشخصية المنوالية وعلاقتها بالثقافة والمجتمع، قد يجد أنها الأقرب إلى الشـخصية العراقية عبر تاريخها الطويل. وما أفرزته من سـمات وخصائص، ظلت حتى يومنا هذا تتراوح بين الظهور والوضوح مرة، والكمون والكبت مرة أخرى.

الشخصية العراقية ـ تكوينها... وطبيعتها ننتقل الآن إلى الفقرة الرئيسة في بحثنا الحالي عن الحقيقة، ذلـك هـو، الشـخصية العراقية، كيـف تكونت؟ وما طبيعتها؟ وما التغـيرات التي طرأت عليها عبر حقب الزمـان المختلفـة؟ وصـولاً إلى طبيعة الشـخصية في المرحلة الحالية.

وأجد من الضرورة أن أعطي لمحة تاريخية موجزة عن العراق وشـعبه. ولا أعتقـد أن هذه اللمحة زائدة أو متطفلـة على موضوع الشـخصية العراقية، لكنها تمثل قاعدة معلومات أساسـية للقـارئ المنصف عن

مستوى ما تعرض له هذا الشعب الطيب من ألم وقهر وحرمان وحيف، مرة من الطبيعة ومرة من الإنسان. ولا بد من القول بـدءًا إن العراقيين الأوائل بنوا أولى المـدن في التاريخ ومنها: أريـدوا، وأور، والوركاء، وكان العراق مهد أولى الحضارات في العالم. وقد سكنت أرض وادي الرافديـن أقوام هاجرت مـن الجزيرة العربية واسـتوطنت فيهـا، وبنت مدنًا عظيمـة، منها: بابل ونينـوى، والحضر، وبغداد وكونت حضارات عظيمة. ومن الأقوام الجزرية التي هاجرت إلى العراق في قديم الزمـان الآكديون، والبابليون، والآشـوريون، والعرب. واسـتمرت الهجرات في العصور اللاحقة، من الجزيرة العربية وخصوصًا القبائل العربية بعد الفتح العربي الإسلامي.

وقد غزت العراق أقوام من آسيا الوسطى ومنغوليا، فدمـرت في العديـد من الحـالات، مدنًـا وحضارات عريقـة وعظيمة. ومن الأقوام التـي غزت العراق في قديم الزمان: الأخمينيون والفرثيون. كما اسـتمرت في العصور اللاحقة، غزوات أقوام من الشـرق وآسـيا الوسـطى ومنغوليا وأوروبا ومنها: الفرس، والرومان، والمغـول، والعثمانيـون، والإنجليـز، والأمريـكان أخيرًا(٨).

ويعتقـد العديد من الجيولوجيـين وعلماء الآثار أن أقـدم الأزمنـة التي عاش فيها الإنسـان القديم في العراق ترجع إلى فترة تمتد بين حوالي(١٠٠ألف سنة، العصـر الحجري القديم الأدنى، و٥ آلاف سـنة، عصر فجر التاريخ من الآن). ومن الجدير بالذكر أن الكتابة اكتشـفت أول مرة في تاريخ الحضارة، في العراق خلال دور الـوركاء، كما يعتقد العديـد أن طوفان نوح، قد حدث في نهايـة عصر جمدة نصـر(٣٥٠٠ـ٣٠٠٠ق.م).

والسـومريون في تاريخ العراق القديـم هم من أقدم الأقوام العريقة التي اسـتطاعت وضع أساس الحضارة الأولى في العـراق القديم قبل(٥ آلاف سـنة ق.م). ثم جـاء الآكديـون نالكويتون الذين تعـد فترة حكمهم (٢٢٢٢ـ٢١٢٠ ق.م) من الوجهـة التاريخية أولى الفترات المظلمـة في تاريخ العـراق القديم، كونهـم غزاة من جبال زاكروس في همدان.

ثـم جـاءت سـلالة آور الثالثة فالعصـر البابلي القديـم(٢٠٠٦ ق.م) والذي تميز بظهور أشـهر ملوك هذه السـلالة وهو ملكها البابلي السـادس، حمورابي (١٧٩٣ـ١٧٥١ ق.م) حيث اشـتهر بتوحيد البلاد قانونيًا وأصدر عام (١٧٧٠ ق.م) قانونًا موحدًا للبلاد. وفي عام (١٥٩٥ ق.م) اسـتباح الحيثيون مدينـة بابل ونهبوها وخربوها ثـم عادوا إلى موطنهـم في جبال طوروس ليغـزوا العـراق قـوم من لورشـتان، يطلـق عليهم الكاشيين (١٥٩٥ـ١١٥٧ ق.م)، والذين سقطوا على يد قوم غزوا العراق من جديد، هم : العيلاميون (١١٥٧ ق.م). وعاد البابليون من جديد في سلالتهم الرابعة وحكموا العـراق (١١٥٦ـ١٠٢٥ ق.م) وكان مـن أبرزهـم نبوخذ نصر الأول. بعدهم جاء الأشوريون فالكلدانيون الذين يمثلون العهد البابلي الأخير. وفي القرن السـادس قبل الميلاد ظهر على المسـرح الدولي غاز جديد، هو الملك كـورش الأول الأخمينـي الذي اسـتطاع توحيد بلاد فارس ثم التوسـع في السـلطان ليشـمل بابل. وجاء دور الإسـكندر من السـلوقيين، حيث قـام على رأس جيش من الإغريق والمقدونيين، بمحاربة الأخمينيين والانتصار عليهم في معركة أربيلو عام (٣٣١ ق.م). ثم مات الإسكندر في بابل عام (٣٢٣ ق.م) وسقطت بأيدي الفرثين (خراسـان حاليًا). وحكم الساسانيون العراق

أربعة قرون (٢٢٤-٦٣٦م)، بعدها تم الفتح الإسلامي للعراق عام (٦٣٥م) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب، رضي الله عنه. وبعد اغتيال الإمام علي، كرم الله وجهه سنة (٦٦٠م)، انتهت حكومة الخلفاء الراشدين وجاء دور الأمويين الذين بذلوا جهودًا كبيرة لإحكام سيطرتهم على إدارة العراق ولكنهم لم يفلحوا في كسب رضا جميع أهله. ثم جاء العباسيون وأعلنوا انتخاب أبي العباس السفاح أول خليفة لهم عام (٧٥٠م).

وتوالى على الدولة الجديدة (٣٧) خليفة، كان آخرهم المستعصم بالله الذي انقرضت في أيامه الدولة العباسية سنة (١٢٥٨م). وغزا العراق بعد ذلك الأيلخانيون بقيادة هولاكو وبعد حصار لمدينة بغداد دام خمسين يومًا، واستمر حكم المغول الأيلخانيين ثمانين عامًا (١٢٥٨-١٣٣٨م) اتسمت بالخصومات الطائفية. ودمرت بغداد مرة أخرى على يد الفترة الجلائرية التي استمرت ثلاثة وسبعين عامًا (١٣٣٨-١٤١١م) واتسمت بالتدهور والانحطاط في الحياة الاجتماعية والسياسية. وتعاقبت على حكم بغداد في الفترة بين عامي (١٤١١-١٥٠٨م) دولتا التركمان المعروفتان بالخروف الأسود والخروف الأبيض. وخلالها قاسى العراقيون من ظروف التدهور والركود الشيء الكثير. ويصف المؤرخون أن بغداد يكاد يقضى عليها خلال تلك الفترة. وتعرض العراق عام (١٥٠٨ م) إلى الدمار الواسع على أيدي الصفويين الذين احتلوا بغداد في ثلاث فترات مختلفة في أثناء صراعهم المرير مع العثمانيين بين عامي (١٥٠٨م) و(١٦٣٨م). وفي عام (١٦٤٠م) دخل العثمانيون بغداد وهاجموها هجومًا عنيفًا بعد أن أحكموا سيطرتهم على الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية منذ عام (١٦٣١م). واستمر حكمهم للعراق حتى احتلال بغداد من قبل الجيش البريطاني عام (١٩١٧م). وفي عام ١٩٢١ تأسست المملكة العراقية وتوج الملك فيصل الأول ملكًا على العراق، وفي عام (١٩٣٢م) انتهى الانتداب البريطاني وأصبح العراق عضوًا كاملاً في عصبة الأمم. وفي عام (١٩٥٨م) أسقط النظام الملكي وأعلنت الجمهورية العراقية. وتوالت بعد ذلك الانقلابات العسكرية والثورات، حيث قلد صدام حسين رئاسة الجمهورية في العراق عام ١٩٧٩م بعد تولي عدد من الرؤساء إدارة العراق، وهم: عبد الكريم قاسم في ١٩٥٨، وعبد السلام عارف في ١٩٦٣م، وعبد الرحمن عارف في ١٩٦٦م، وأحمد حسن البكر في ١٩٦٨م. وفي ٢٠٠٣/٤/٩م خلع صدام حسين من رئاسة الجمهورية وسقط نظام الحكام من قبل قوات التحالف (الأمريكان والإنكليز) وأنيطت مهمة البلاد من قبل (مجلس الحكم الانتقالي) وبإشراف من الإدارة المدنية لقوات التحالف في العراق.

من خلال هذه اللمحة التاريخية الموجزة، نستنتج أن العراق، أرضًا وشعبًا ومدنًا ومجتمعًا، قد تعرض للتدمير والهلاك والإيذاء والتصدع على مر القرون والعقود. ومع اختلاف القوميات والإثنيات والطوائف والمذاهب لشعب العراق، ومع كل القوى والمؤثرات والعوامل التي تحكمت في المجتمع العراقي، والتي لم يتعرض إلى ما يشابهها شعب آخر أو بلد آخر، فقد تكونت للعراقي شخصية متميزة بسمات وصفات خاصة، وإن تشابهت في بعضها مع شخصيات عربية وإسلامية، بل وعالمية أخرى.

ومن أجمل وأدق التحليلات للشخصية العراقية عبر الزمن، ما جاء على لسان المرحوم الدكتور علي حسين الوردي في كتاباته المتعددة في خمسينيات القرن

العشـــرين، إذ كان جريئًا وشـــجاعًا في طرح مفاهيمه وتحليلاته. لقد كان كتابه «شـخصية الفرد العراقي وطبيعة المجتمع العراقــي» بمنزلة القنبلة الكلامية التي فجرت العديد من القنابل الأخرى في داخل المجتمع العراقــي وأماطت اللثــام عن حقب زمنيــة متعددة امتدت حتى بداية النصف الثاني من القرن العشرين. ونحــن هنا في حديثنا عن الشــخصية العراقية، لا بد من استعراض نظرية الدكتور الوردي لتكون القاعدة التي نتحــرك بضوئهــا في تحليل الطبيعــة الراهنة للشــخصية العراقية، ودون أن ننســى موضوعيتنا في الطرح، إذ ســنتعرض لاحقًا إلى ما تعرضت له نظرية الــوردي من نقد واعــتراض، وما تعــرض له الوردي شخصيًا من تنكيل وصد ومعارضة لقد رافقت الوردي شــخصيًا منذ عام ١٩٨٧م وحتى عــام وفاته في ١٩٩٥م ووجدتــه رجلاً عالمًا ثائرًا وصادقًــا، لا يهاب في الحق لومة لائم. كذلك وللأمانة التاريخية فقد كان الوردي محبًا للعراق وأرضه وشــعبه وراغبًا من الأعماق في أن يصبح العراق يومًا، حرًا مستقلاً، ديمقراطيًا موحدًا.

نظرية الدكتور علي الوردي في الشــخصية العراقية(خلاصة):

يمكــن تلخيص نظرية الــوردي في أن العراق كان مهدًا لأقدم الحضارات، وفي نفس الوقت يقع على حافة أكبر بادية مأهولة بالسكان في العالم، وأن كلاً من سهله (موطــن الحضارة) وصحرائه (موطن البداوة) عالم قائم بذاته ســواء ببيئته أو قيمه أو متطلبات عيشه ونظمه وأنســاقه، وأن موطــن الحضارة فيه كان دائم التعرض لهجمــات البدو الذين اســتقروا حول مدنه كهجرات بدويــة، أو عن طريق التسلســل التدريجي، ونشأت لذلك في العراق حضارتان تتصارعان: حضارة بدويــة محاربة من ناحية، وحضارة زراعية خاضعة من ناحية أخرى، نشــأ بالتالــي نظامان للقيم، نظام يؤمن بالقوة والبسالة وتسود فيه قيم الإباء والشجاعة والكبريــاء ومــا إلى ذلك مــن صفات المحــارب الفاتح، وبجانبه نظــام آخر يؤمن بالكــدح والصبر ويمارس أداء الضريبــة والخضوع والتباكي. إن هذا الصراع قد أثر في شــخصية الفــرد العراقي تأثــيرًا بليغًا فأصبح مضطــرًا لأن يقتبس نوعين من القيم الاجتماعية أو يقلد طبقتين من الناس، طبقة البدوي الغالب وطبقة الفــلاح المغلوب، فهو تارة يؤمــن بالغلبة ويتباهى بها أو يحاول أن يظهــر قوته على غيره، وهو تارة آخرى يئن من ســوء حظه ويشــكي مــن ظلم النــاس له. ويرى الوردي أن قيم البداوة والحضارة قد ازدوجتا في العراق منذ أقدم العصور ولا تزال تصطرع في أنفســنا حتى اليوم.(٩)

صراع البــداوة والحضارة، هذا، يمثل إحدى ثلاث فرضيات رئيســة تتكون منها نظريــة الوردي حول الشــخصية العراقية والمجتمع العراقي. أما الفرضيات الأخــرى فهما ازدواجيــة الشــخصية العراقية والتي تقول إن الفرد العراقي من أكثر الناس سلوكًا متناقضًا دون أن يشــعر بهذا التناقض في ســلوكه أو يعترف به لأنه لا شعوري في الأصل وناشئ عن وقوعه تحت تأثير نظامــين متناقضين مــن القيم. والفرضيــة الثالثة هي التناشــز الاجتماعي الذي غير اسمه فيما بعد إلى التناشــز التراثي، والذي يتمثل في عدم تساوق التغيير في الأجــزاء المترابطــة في المجتمع مما يؤدي إلى حدوث فجوة بينهما. ويصرح المرحوم الوردي في كتابة «لمحات اجتماعيــة من تاريــخ العراق الحديــث» الذي صدر عــام ١٩٦٩م ص ٢٩٧، أن هــذه الفرضيات الثلاث حول

الشخصية العراقية وتكوينها وطبيعتها، هي ليست من بنات أفكاره، إنما استقاها وعدلها حسب ما رأى لتلائم طبيعة المجتمع العراقي والشخصية العراقية، حيث استمد فكرة صراع البداوة والحضارة عن (ابن خلدون) وازدواج الشخصية من (مكايفر)، والتناشز الاجتماعي عن (أوكبورن).وهذا يؤكد مرة أخرى مصداقية الوردي وصراحته وحذاقته، إذ له الفضل الأكبر كعالم اجتماع متميز في توظيف هذه الأفكار بما يتناسب مع الشخصية العراقية والمجتمع العراقي.

نقد نظرية الوردي والاعتراضات عليها: لقد كان الوردي جريئاً في طروحاته، وقد قدم في كتبه العديد من الأمثلة والقصص والروايات التي تدعم أفكاره، والتي استقاها من الواقع الاجتماعي للعراق، من خلال معايشته هذا الواقع. وقد صرح الوردي في أكثر من مكان في كتبه المتعددة، أن ما يتسم به العراقي في شخصيته، يقع عليه أيضاً، فكان ينقد نفسه في كثير من الأحيان بصراحة ووضوح، وهذا يدل على أنه تخلص نسبيًا من عقدة الأنا والكبرياء التي تعانيها الشخصية العراقية، إضافة إلى قدرته على التنفيس عن ما هو مكبوت في اللاشعور الفردي الذي ينطوي عليه، وقد كانت هذه أمنيته التي أرادها للآخرين من أبناء شعبه.

إن معظم الاعتراضات عن نظرية الوردي في الشخصية العراقية جاءت حول صراع البداوة والحضارة وازدواجية الشخصية. فالوردي يرفض النظرية القائلة بأن البداوة مرحلة اجتماعية مرت بها جميع الأمم قبل دخولها في مرحلة الحضارة، وهو يرى أن البداوة ليست مرحلة ضرورية من مراحل التطور، وليس من المحتوم على كل أمة أن تمر بها من خلال تطورها التاريخي. لكنه في نفس الوقت، يرى أن البداوة نظام اجتماعي لا ينشأ إلا في الصحراء، فاذا خرج إلى بيئة أخرى أخذ التغيير يظهر فيه تدريجيًا وهو قد يتجه آنذاك إلى الزراعة أو التجارة أو الصناعة حسب الظروف. أما بالنسبة للازدواجية، فهي حقيقة موجودة في الإنسان. إن صراع قوة الخير والشر، صراع المثل العليا والواقع، صراع الأنا والهو بوجود الأنا الأعلى، موجود عند الإنسان منذ أن وطأت قدماه هذا الكوكب. وهذا يتأتى دون شك من طبيعة خلق الإنسان. فقد خلقه الله تبارك وتعالى من قبضة الطين ونفخة الروح. ومن الطين يتكون الجسد، والروح من الباري عز وجل. إذًا نستطيع أن نرجع كل قوى الشر والعدوان والرذيلة إلى غرائز الجسد وشهواته ورغباته، وهي ذاتها التي عبرت عنها نظرية التحليل النفسي بـ «الهو»، أما قوى الخير والرشاد والفضيلة فهي مستقاة من الروح، تلك الطاقة العظيمة التي وهبنا الله إياها والتي لا تعرف إلا الخير والمحبة والمثل العليا. ومنذ أن خلق الإنسان وحتى يومنا هذا، والصراع قائم بين المادة والروح، بين العقل والجسد، بين الخير والشر. لذلك فإن فكرة الازدواجية في الشخصية قائمة وموجودة عند كل إنسان، وهي ليست تعدد الشخصية كما جاء على لسان بعض المعترضين، والتي تمثل اضطرابًا نفسيًا معروفًا، يتحدد بالتصرف والسلوك بأكثر من شخصية ولمدة زمنية قد تطول أو تقصر، حتى إن الشخصية (أ) لا تعرف بتصرفات الشخصية (ب) وهذه لا تعرف بسلوكيات الشخصية(جـ)، علمًا أن كلاً من (أ، ب، جـ) موجود داخل إنسان واحد. صحيح أن المرحوم الوردي ضخم كثيرًا من فكرة الازدواجية في الشخصية وهي فكرة يمكن تعميمها على

البشــر، لكنه أصاب عندما ربــط فكرة الازدواجية في الشخصية العراقية بعوامل أخرى وصراعات تاريخية قائمة، مما أنتج سمات وصفات في الشخصية العراقية، أقــل ما يمكــن أن يقال عنها، التناقــض. وقد تقترب الازدواجيـــة من النفــاق الذي توصف به الشــخصية العراقيـــة، لا بل إن بعــض النقاد حاولــوا المزج بين المفهومـــين على أنهما واحــد. والحقيقة هي غير هذا، لأن صراعات الأنا في داخل العقل البشري والتي تؤدي إلى الازدواجية التي قصدهــا الوردي، هي صراعات لا شــعورية، أي أن الإنســان لا يعرف بكنهها و لا يعترف بها بســهولة ويســر، أما النفاق فهو عملية شــعورية، تنحصـــر في حدود الأنـــا الواعية للفـــرد وقد يتحول هذا الســلوك عبر الزمن ومع الاســتخدام المستمر إلى ســـمة وعادة في الشخصية يصعب معالجته أو تجاوزه.

العراق في خمسة عقود:

إذا كان الــوردي قد وظف نظريته في الشــخصية العراقيـــة للفترة حتى منتصف القرن العشــرين، فإن العقــود التـــي تلت كتابــات الوردي في الخمســـينيات والستينيات منذ ذلك القرن، هي عقود زاخرة، ومليئة بالأحداث والخبرات والتجارب التي زادت وكرســـت من ســـلبيات الشـــخصية العراقية، بحكم مــا تعرض له الإنسان العراقي من قهر وظلم واستبداد وقمع، أدى إلى كبت رغباته ومصادرة حريته الشــخصية والمجتمعية بطريقـــة ينـــدر وجودها في عالم اليـــوم، بل حتى في عالم النصف الثاني من القرن العشرين.

لكـــن المثير أيضًا، أن العقود الخمس الأخيرة خلقت في داخل العقلية العراقية وجوهرها، اســـتعدادًا كبيرًا للثورة والنضال والمواجهة والدفاع عن مقدسات الذات الإنسانية الشـــريفة التي عانت الكثير على مر العقود والقرون والسنين. وفي نفس الإطار الذي أثاره الوردي حول صراع البداوة والحضارة والتناشــز الاجتماعي، فإن مســـتوى ذكاء الإنسان العراقـــي وحبه للحضارة والمدنيـــة (وإن كان مكبوتًا) وتطلعاته إلى الأمام (وهذا ليس غريبًا عنه فقد شـــارك في تكوين وتأسيس أرقى الحضـــارات في العالـــم)، ورغبته في الثقافـــة والتعلم والتطلع والقراءة، أججت في أعماقه النزعة الجادة نحو التغيـــير، داخل العـــراق كان، أم خارج العراق، وراحت تبني في داخل العقلية العراقية خططًا وأفكارًا، حتى وإن لم تكن ناضجة إلى مستوى الكفاية، فهي تطمح إلى التغيير والانتفاضة ورفع الحيف والظلم والاستبداد.

لقد عانى العراقي كثيرًا على مدى خمســـة عقود من الزمان، تمثل النصف الثاني من القرن العشـــرين، عانـــى حروبًا لم يردها، وإنمـــا أرادها حكامه، وعانى قيودًا وســـجنًا للعقـــل والبصيرة والأنـــا الفردية التي فرضها عليه حكامه، وعانى استلاب الإرادة، واعتقال الهوية، وســـجن الحرية الشـــخصية، وترويض العقلية بالاتجاه الذي يخدم الحاكم من خلال عمليات البرمجة الفرديـــة والجماعية، وتقنيـــات التحوير الفكري من خـــلال الإعلام الموجه والأحادي، حتـــى صار العراقي ســـجينًا في وطنه، ومقيدًا في داره ومسكنه، ومستكينًا في عملـــه وخاضعًـــا في علاقاتـــه ولقاءاتـــه لكنه حي وحيـــوي يتحمل ويصبر،يعاني من أجل يوم الخلاص، يـــوم الحرية، اليوم الذي يســـتطيع فيـــه أن يقول ما يريد ولكن بشـــمم وإباء وليس تحت أي سيف أو قوة مهما كانت في هذا العالم.

ومن وجهة نظر كاتب هذه السطور، فإن الشخصية العراقيـــة في العقود الخمســـة الأخيرة، لم تتغير كثيرًا، بـــل على العكس، ازدادت تزمتًا، وحنقًا، وكبتًا، وقمعًا

وبالتالـي تمردًا، منظورًا وغير منظور بحكم الحروب والمخاصمات والقتال والحصار والحصر والجور والجوع والفقـر الذي تعرض له الإنسـان العراقـي، لكنها في نفس الوقـت ازدادت رغبـةً وأملاً، وتطـورت عقلاً ومفاهيـم، وكظمت غيظ السـنين والعقود والقرون، لتطلق التفـاؤل في الانتقـال إلى مرحلة جديدة دون أن تغفـل أو تغطـي على عثرات الزمان أو مسـميات الماضـي، فهـي تقبل بهـا لأنها جـزء مـن التاريخ.

طبيعة المرحلة الراهنة:

اعتاد الناس من أهل العراق أن يتداولوا فيما بينهم ما قاله الحجاج بن يوسف الثقفي عن أهل العراق من ذم وقـدح، وكذلك ما قاله الإمـام علي بن أبي طالب (رضـي الله عنه) ومـا قاله الإسـكندر المقدوني، من أنهم أهل شـقاق ونفاق. وقد تندر بهذا المؤرخون من المسـلمين وغيرهم من الكتاب وأصحاب الكلام. ويبدو أن جميـع هؤلاء قـد أغفلوا ما وراء هـذا الكلام من عوامل اجتماعية وبيئية ونفسـية. كما ذهب البعض إلى القول بأن طبيعة الجو في العراق قاسـية ومتغيرة حيث درجات الحرارة في الصيف تصل إلى أكثر من ٦٠ درجة مئوية وفي الشـتاء إلى الصفر المئوي. وارتبطت تغيرات المناخ في العراق بطبيعة الشـخصية العراقية. يقال أن الإسـكندر المقدوني كتب إلى أسـتاذه أرسطو، بعـد فتحه للعراق، قائلاً : «لقـد أعياني أهل العراق، ما أجريت عليهم حيلة إلا وجدتهم قد سـبقوني إلى التخلـص منها، فلا أسـتطيع الإيقاع بهـم، ولا حيلة لـي معهـم إلا أن أقتلهم عـن آخرهـم». وفي إجابة أرسـطو للإسـكندر : «لا خير لـك في أن تقتلهم، ولو أفنيتهـم جميعًا، فهـل تقدر على الهـواء الذي غذى طباعهـم وخصهم بهذا الـذكاء؟ فإن ماتـوا ظهر في موضعهم مـن يشـاكلهم، فكأنك لم تصنع شـيئًا!».

وحتـى وإن كانت هذه القصـة مختلقة من المؤرخين المسـلمين، لما فيها من حكمة اشتهر بها الإغريق، لكنها تصـف أهل العـراق بالذكاء. ومن جهـة أخرى يقول الجاحظ في البيان والتبيين عن أهل العراق: «ان العلة في عصيـان أهل العراق على الأمراء هي أنهم أهل نظر وفطنـة ثاقبة، ومع النظر والفطنـة يكون التنقيب والبحث، ومع التنقيـب والبحث يكون الطعن والقدح والترجيح بين الرجال والتمييز بين الرؤسـاء وإظهار عيوب الأمراء... وما زال العراق موصوفًا بقلة الطاعة وبالشقاق على أولي الرئاسة».

لقد شـاع عن أهل العراق أنهم يميلون إلى الجدل. ومن طبيعة الجدل أنه يثير في الناس التساؤل والتطلع ويضعف فيهم الركود الفكري. وقد تتسع دائرة الجدل بين اثنين من الناس لتعم بين مجموعات من البشـر مـن المعروف أيضًا أن العـراق يعد منبعًا لأكثر الفرق والحركات الاجتماعية، ففيه نشـأ الخوارج والشـيعة والمعتزلـة وفيه تعددت المذاهب الإسـلامية وترعرت ونمت. وفيه اشتدت حركات الموالي والشعوبية والغلاة والزنادقة. وفي العراق ظهرت حركات الزنج والقرامطة والعبارين. وفيه نشـأت أول الطرق الصوفية المنظمة. والشعب العراقي شعب قارئ ومحب للقراءة والاطلاع، ويفهم من الحقائق السياسـية وأحـداث العالم، ما لا يفهمه أقرانه في كثير من البلدان الأخرى. فهو يناقش ويسـأل ويستفسـر ويسـتنتج ويفتي، وهو شـغوف بالسياسـة وآفاقها وأخبار الحروب وطبقاتها وأشكالها وآفانينها.

هـذا هـو حـال العراقيـين، كانـوا ومازالـوا، وسـيبقون، لكنهـم في تطـور مسـتمر. وإن كان

عراقـي اليـوم يفخـر بأمسـه، فهو حريـص على غـده ومسـتقبله، وهـو متطلـع إلى الأمـام دائمًـا. إن الحقيقـة التي يجـب ذكرها في هـذا المقام ونحن نتحدث عـن المرحلة الراهنة، هـي أن العراقي اليوم هـو عراقي الأمـس بكل ما يحمله في عقله وشـعوره ولا شـعوره، بكل ما يحمله في جيناتـه وبيولوجيته وسـلوكياته وأفـكاره وتصرفه. وبكل مـا تحمله وما زال يتحمله من ظلم وقهر واسـتبداد وقمع وكبت في الماضي واحتلال وسـيطرة وتجريح النفس والوجدان في الحاضـر. قـد يرضـى العراقي أن يقـال عنه أنه متناقض أو مزدوج، متمرد أو عنيف، مستسـلم حتى حـين، أو خاضع، لكنـه لا يرضى أبـدًا أن يقال عنه أنه ذليل أو خنوع. وما يشـفع للعراقي في شـخصيته غير المستقرة بحكم المتغيرات التي سبق ذكرها، ذكاءه وفطنتـه واسـتعداداته وصبره وقدرتـه العالية حد الإعجاز على تحمل الضيم والقهر والألم حتى وإن كان قادمًا من الطبيعة أو مـن قوى غيبية غير معروفة. العراقـي رغـم السـلبيات التـي تناولناهـا في هذه المقالـة، كريـم ومعطـاء ومحـب ومتحمـس للخير، شـجاع وصبور وأمين وفطري أحيانًا، عشائري قبلي النزعة والتوجـه بحكم الواقع والانقـلاب واللاأمان الـذي يعيشـه، والعراقي يعتـز بهويتـه ومواطنته وعراقيتـه حتـى وإن كان بعيدًا عـن أرض الوطن. وإن كانـت الشـخصية العراقية قد خضعـت للعديد مـن العوامـل والمتغيرات التي أثـرت في جوهر بنائها على مدى العقود الخمسـة الأولى من القرن العشـرين والتي أفرزت نظرية الوردي في الازدواجية والتناشـز والصراع بين البداوة والحضارة، فإن هذه الشـخصية قد تعرضت إلى الأبشـع والأقسـى على مـدى العقود الخمسـة الأخيرة مـن القرن الماضي وحتـى عمليات التغيـير في ٢٠٠٣/٤/٩م. لقد عاش العراقي تحت تأثير أجواء مشـدودة ومكهربة، وحروب متتالية، لا معنى حقيقيًا فيها، فقدم الشـهداء، وفقد من شعبه الكثير، وعاش الباقي تحت نير التقييد والسـجن داخل أسوار الوطـن، فالكلمة الصريحة ممنوعة والسـفر ممنوع، والقنوات الفضائية ممنوعة، والهاتف المتنقل ممنوع، والكتابة الحرة ممنوعة، والعقل النقدي ممنوع، حتى وصل الممنوع في قائمة الحقوق الإنسـانية إلى نسـبة عالية جـدًا، فضلاً عن ذلك فقد أفرزت الحروب التي تعرض لها الشـعب العراقي، كوارث مجتمعية، تصدع بسـببها نظام القيم والأخلاق الحميدة، واهتزت المثل العليا التي تعودها عبر تاريخه، حتى وإن كانت ضمن فكر البداوة وحضارتها، وتخدشـت منظومات الذوق العام التي يرضعها ويتعلمها منذ الطفولة. فزاد السلب والنهب، وتفاقمت الرشـوة والمحسـوبية والمنسوبية، وكثـرت نسـبة الفقر والجـوع و العـوز في المجتمع، وتباينـت القدرة الشـرائية للمواطنين بشـكل لافت للنظر، وتعمقت جروح العراقيين في داخل نفوسـهم، وصـار الخـوف والرعب يلفهم ويحيـط بهم حتى في داخل بيوتهـم، فالزوج يخاف مـن زوجته أن تكتب عنه تقريرًا أو تشي به، والأب يخاف من ابنه، والمعلم يخـاف من تلميذه، والموظف يخاف من مديره وهكذا. لقد أصبح الخوف من كل شيء، خصوصًا من السلطة، هو الهاجس الذي يتحرك في ضوئه العراقي، في ساعات حياته اليومية. وقـد لا يبدو هذا الخوف ظاهرًا، بل يبقـى في أغلـب الأحيان كامنًا ومكبوتًا ولا شـعوريًا، لكنه ينعكس على السـلوك العام للأفراد والمجموعات في داخـل المجتمع. وقد خلق هـذا الخوف المكبوت في

داخل النفس العراقية، نزعةً قوية، واضحة وظاهرة، نحو التحذلق والمنافقة، في محاولة لارضاء الأعلى، أيًا كان هذا الأعلى، مما عزز الدافعية والحافز في داخل الشخصية العراقية نحو الرياء والمكر والكذب أحيانًا. إن البديل لسلوك الخوف داخل المجتمع العراقي، كان النقد والمصارحة والوضوح.. وهذا كان مصيره السجن أو الاغتيال أو الطرد أو الموت بكل أشكاله، المقصود، كما في المقابر الجماعية، وغير المقصود منه، كما في حوادث السيارات أو السم أو الجنون. هناك من يعتقد، أن هذه السمات التي فرضت على الشخصية العراقية عبر عقود من عمليات غسل الدماغ والتحوير الفكري، قد تحولت إلى منظومات فكرية تلقائية (أوتوماتيكية) في العقلية العراقية، حيث العنف والتطرف والتمرد والتحدي، يمثل ردود فعل معرفية لهذه المنظومات. لكن الحقيقة هي غير هذا. إن منظومات التفكير الأوتوماتيكية التي زرعت وترسخت في العقلية العراقية، ليست ثابتة مدى الزمان، بل قابلة للتفكيك وإعادة التنظيم، لأنها منظومات معرفية مفتعلة وليست أصيلة. إذ لا بد لنا أن لا ننسى أبدًا الكم الكبير من المنظومات المعرفية الطيبة والأصيلة الموجودة في العقلية العراقية منذ أمد طويل والتي ما زالت مكبوتة ومقموعة. واليوم... وبعد الخلاص الذي كان ينشده العراقي الأصيل، ومن خلال التثقيف والتوعية الصحيحة والإرشاد السليم والعودة إلى الإيمان الصافي والنقي، سوف تبدأ المنظومات المعرفية السلبية في التراجع والتفكك والتراخي لتحل محلها المنظومات الأصيلة التي تحمل في طياتها قيم الخير والمحبة والسلام والأمن والطيبة والكرم والشجاعة. إنها منظومات الفضيلة عمومًا.

وتقع المسؤولية الكبرى في تحقيق هدف التغيير على مستوى الفرد والمجتمع: على المفكرين والمثقفين من أطباء النفس وعلماء النفس وعلماء الاجتماع والتربويين وأساتذة الجامعات وغيرهم من القادرين على المشاركة في مهمة التغيير من أجل إعادة الأعمار والبناء للشخصية العراقية المحطمة، والمهشمة والمهمشة اليوم بحكم التاريخ، وبحكم الظروف القاسية والمؤلمة التي عاشها، والتي هي ذاتها، تلك الشخصية التي بنت الحضارة وعلمت الناس الكتابة والحرف والكلمة، ونشرت في أنحاء المعمورة يومًا أسس القانون والعدالة والرحمة، واحتضنت عبر تاريخها الأنبياء والرسل والقديسين والقادة والمؤرخين والعباقرة العظام. إن أرضًا احتضنت يومًا، آدم (عليه السلام) أبا البشر، ونوحًا (نبي الطوفان)، لن تخيب أبدًا في أبنائها وشعبها. والشخصية العراقية اليوم، وهي حرة في التعبير والسلوك والتصرف، لن ترضى باقل من أن تنتفض، وتتصالح مع ذاتها أولاً، ومع الآخر القريب والبعيد ثانيًا، ومع البناء الجديد لذاتها وجوهرها وجوانيتها ثالثًا. والأهم من هذا وذاك أن تكون هذه الشخصية، وفيةً مطيعةً، عابدةً، لربها، رب العزة والجلال، الله تبارك وتعالى. وعندما تتحرر هذه الشخصية من رواسب الماضي، وآلام السنين وحيف الزمن، وتغدو مؤمنة بربها ودينها وحضارتها وتاريخها وأصالتها، تعود قوية بثقافتها وأخلاقها وفكرها، وعصيةً لقاهرها ومحتلها، ولكن بعقلية حضارية جديدة، قوامها العقل والفكر والمنهج والمرونة والمحبة والمسالمة. إن شخصية متوازنة من هذا النوع، لا يمكن لها أن تخبو أو تتهاون بل تبقى قوية بحجتها وبراهينها وقدرتها على المواجهة المنطقية

والعقلانية في عالم، أصبحت فيه الدساتير وشرعة حقوق الإنسان، حقائق يعرفها الصغير والكبير.

- استنتاجنا في هذه المقالة، أن الخير قادم، والعراق باق، والشخصية العراقية صامدة، قوية، عصية على المعتدين، لا ترضى بالذل ولا تقبل بالحيف. تطمح لمستقبل زاهر، وترنو إلى غد وضاء. فإن كانت يومًا نموذجًا للحضارة، فهي اليوم على استعداد لتكون غدًا نموذجًا جديدًا ووضاء للخير والتقدم والسلام والحضارة والمدنية. إنها أهل له.. والله شاهد على ما نقول.

المصادر:

١-Introduction to psychology, Hilgard, p.p ٤٤٧, ٢٠٠٢.

٢- الوردي، علي حسين، شخصية الفرد العراقي، ص٤، دار اليقظة، بغداد ١٩٥١م.

٣- نفس المصدر السابق، ص٤،٥،٦ .

٤- موفق ويسي محمود، سمات الشخصية العراقية، رسالة ماجستير مقدمة إلى كلية الآداب/ جامعة بغداد/١٩٨٩، ص٧٣ .

٥- الساعاتي، سامية، الثقافة والشخصية، بغداد/ دار الرشاد،١٩٦٩، ص٢٤٠ ـ ٢٤١ .

٦ - عاطف، وصفي، الثقافة والشخصية، بيروت ١٩٧٩ .

٧ - النوري، قيس، الحضارة والشخصية، بغداد، دار الرشاد ١٩٨٢، ص١٢٧ .

٨ - جورج عزيز ياقو، التسلسل الزمني للوقائع والأحداث الرئيسة في العراق قديمًا وحديثًا، مقالة في مجلة بين النهرين، العدد ١٢٣ السنة ٣١، ٢٠٠٣م.

٩ - نفس المصدر السابق في (٤) أعلاه، ص: ٩

رەخنەی بونیادگەری
لە تیۆرەوە بۆ پراکتیزەکردن
(رەخنەی شیعری کوردی بە نموونەوە)
د. عەلی تاهیر حسەین

النقد البنيوي من النظرية الى التطبيق
تأليف: د. علي طاهر برزنجي
من مطبوعات دار سردم - ٢٠٠٨

حوار مع المؤرخ الكردي د. كمال مظهر أحمد حول:

الشخصية الكردية بين الهوية التأريخية والسمات المرحلية



اجراه: فارس كمال عمر نظمي

نجد في عالم اليوم، وفي حالات ليست قليلة، دولاً تولد من تجمع قبائل انحدرت لتوها من الغابات أو الصحاري، ليعترف العالم باستقلالها وسيادتها، ويصبح لها علم وسفارات ومقعد دائم في الأمم المتحدة؛ في الوقت الذي فيه قومية تاريخية اسمها (الكردية) تعدادها يقارب (٣٥) مليون نسمة، تشغل وطناً تاريخيا اسمه (كردستان) تتراوح مساحته بين (٤٠٠ - ٤٨٠) ألف كيلومتر مربع، موزعة بين جغرافيا العراق وتركيا وإيران وسوريا وبعض الجمهوريات السوفييتية السابقة، ما تزال في مرحلة الكفاح الشاق لاثبات هويتها التاريخية والقومية والثقافية في أذهان الشعوب المجاورة المستعبدة لها، بوصفه (أي هذا الكفاح) مقدمة لنيل حقوقها السياسية والسيادية. إذ يصف (جوناثان راندل) في كتابه (أمة في شقاق) ١٩٩٧ أرض كردستان بأنها : ((أرض الألف ثورة والألف حسرة)). والغريب في هذه المفارقة التاريخية أن الكرد ليسوا من الشعوب المرتحلة من مناطق أخرى إلى كردستان الحالية، بل أنهم سكنوا بلادهم الحالية منذ فجر التأريخ وحتى اليوم، وأقاموا فيها دولاً كردية قديمة مختلفة، سميت تارة باسم المنطقة الجغرافية وتارة باسم القبائل التي أسست تلك الدول.

إن تحرر أي شعب من قيود الاستعباد والتخلف والوصاية، هو عملية تاريخية لها ديناامياتها السياسية والسيكولوجية على حد سواء. فشعور الفرد بانتمائه القومي يمكن أن يغدو واحداً من أهم أوجه هويته النفسية، بل أن شعوباً كثيرة اختزلت هويتها الحضارية

والتاريخية في مرحلة من مراحل صيرورتها وانعتاقها، إلى عنوانها القومي ذي الجذر العرقي، وهذا ما يمكن أن نصف به حال الشعب الكردي اليوم، لا سيما في العراق. ولكن اللافت للنظر أن الإنسان الكردي، في الوقت الذي يقطر الدم من ذاكرته السياسية، إلا أن شخصيته حافظت على مجموعة من الخصائص النفسية ذات الطابع الإنساني – الأخلاقي المتميز.

فتسمية (الكرد) اشتقت لغوياً من وفرة الشجاعة وشدة الحماسة والغيرة، طبقاً لـ((الموسوعة التاريخية الكردية)) لمؤلفها (شرف خان البدليسي). ويتفق العديد من المؤرخين والمستشرقين على تمجيد الشخصية الكردية. إذ يكتب العلامة الهولندي (ماليبارد) عن صمود الكرد وثباتهم: ((الحقيقة لم نر مدينة أو قصراً أو جبلاً استطاع أن يصمد خمسين قرناً من الزمن مثلما صمدت أربيل)). ويشخص الكاتب الروسي (باسيل نكتين) عادات الكرد وأخلاقهم بقوله : ((يمتاز الكردي باستقامته التي لا تتزعزع، وبحفاظه على العهد، وعطفه النبيل على أقاربه، وسلوكه الإنساني. فطبائع الكرد لم تتغير منذ ألف عام قبل المسيح ولحد الآن...انهم شعب قوي وموهوب)). ومع ذلك نجد بين الكتّاب الكرد ذوي النظرة النقدية غير المتساهلة تجاه شعبهم، من يحاول تقصي بعض العوامل الجغرافية والاجتماعية التي راكمت رواسب سلبية في الشخصية الكردية، إذ يكتب (خالص مسور) في تحليله لفضاءات العقل الكردي: ((البيئة الجبلية، وان كانت قد حافظت على الحالة الكردية كشعب،ومنعته من الذوبان والانحلال ضمن واقع وخصوصيات القوميات الأخرى، وهذا هو الجانب الإيجابي في الحالة، إلا أنها ومن جانب آخر أدت وبالتوازي مع ضغط هذه الأقوام الى حجب هذا الشعب عن إشعاعات الحضارات الخارجية...وأسهمت في إكساب العقل الكردي المزيد من التقوقع...مما جعله مغترباً عن محيطه)).

ولأجل مناقشة هذه الأفكار، وتحديد الكيفية التي مارست فيها التطورات التاريخية (سلباً أو إيجابا) فعلها التكويني الموضوعي في السيكولوجيا الكردية، ارتأينا أن نتوجه إلى أحد أعمدة الثقافة العلمية التنويرية في العراق، المؤرخ والمفكر الكردي الأستاذ الدكتور (كمال مظهر أحمد).

ولد الدكتور كمال في السليمانية في العام ١٩٣٧. وهو أول دارس من الشرق الأوسط نال شهادة دكتوراه العلوم (ناووك) السوفييتية في العام ١٩٦٩. له عشرات المؤلفات في تأريخ العراق والكرد، نشرت باللغات العربية والكردية والروسية، من بينها : ((كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى)) و ((الطبقة العاملة العراقية : التكون وبدايات التحرك)) و ((صفحات من تأريخ العراق المعاصر)) وآخرها ((كركوك وتوابعها: حكم التأريخ والضمير) الصادر في العام ٢٠٠٤. ولتلخيص المسيرة الفكرية لهذا المفكر الملتزم بحرفيات المنهج الأكاديمي ذي النزعة التقدمية الإنسانية الصلبة، نقتبسُ من القاضي والباحث (زهير كاظم عبود) هذه الكلمات: ((كمال مظهر أحمد...استطاع أن يؤسس مدرسة تاريخية تضم كل الأصوات الداعية لاعتماد الحقيقة الموضوعية في الكتابة التاريخية، اعتماد المنطق والضمير في التحليل التاريخي... اتسمت كتاباته وتحليلاته بالإنصاف وعدم الانسياق وراء رغبة السلطان ولا فتاوى السلطان، ولم تهتز له شعرة في إصراره على أن يقول الحقيقة ويعلّمها ويصر

عليها..)). وكان سؤالنا الأول هو:

+ هل يمكن القول أن هناك شخصية كردية ذات سمات نفسية تاريخية محددة يشترك فيها أغلب الكرد سواء كانوا في العراق أو إيران أو تركيا أو سوريا أو الجمهوريات السوفييتية السابقة ؟ أم أن هناك شخصيات كردية متنوعة تبعاً لهذا التنوع الجغرافي الذي وجد الأكراد أنفسهم فيه ؟

لا أعتقد بوجود شعب واحد في العالم لا يحمل أبناؤه سمات نفسية مشتركة بغض النظر عن إفرازات جميع الحواجز، طبيعية كانت أم مصطنعة. ينطبق هذا القول حتى على شعوب الولايات المتحدة الأمريكية التي انقطعت جذورها عن الوطن الأم على مدى مئات السنين، فأن طبع ملايين الألمان هناك أقرب الى طبع بني جلدتهم في وطنهم الأصلي البعيد، بكثير من طبع مواطنيهم القريبين منهم من إنجليز وروس وبولونيين ويابانيين وغيرهم من أبناء عشرات الشعوب التي هاجرت الى أمريكا المعزولة عن قارتي أوربا وآسيا. شخصياً احتكيت بصورة مباشرة بأذربيجانيي وأرمن الاتحاد السوفييتي وإخوانهم في إيران والعراق، ولم أكن أتوقع بأن الفكر الاشتراكي لم يهز، برغم قوة تأثيره، القيم النفسية المشتركة بين الطرفين، مع العلم أن أبناء الشعبين بدءوا يعيشون حالتين مختلفتين بصورة جذرية على مدى حوالي قرن من الزمن منذ عهد القياصرة، وبلغ الانعزال بينهما في ظل ما عرف بالستار الحديدي في عهد ستالين ذروته.

حال الكورد حال هؤلاء وغيرهم، بل ربما أنهم عاشوا وضعاً أفضل إلى حد ما، خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار حقيقة مهمة في هذا المضمار، خلاصتها أن حدوداً حقيقية فاصلة بين أجزاء الشعب الكردي المختلفة لم تكن موجودة على أرض الواقع منذ أن ظهر الكورد في وطنهم كردستان قبل آلاف السنين. وظل هذا الواقع يحتفظ بقوته حتى بعد ظهور الدولتين المتصارعتين العثمانية والصفوية، ولم يفض صراعهما المستمر على مدى قرون طوال إلى إيجاد حل لمشكلة الحدود بين تركيا وإيران إلا بعد أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها. ولكن حتى ذلك الحل لم يعدو عن كونه حلاً قانونياً، لذا لم يكن بوسعه أن يحول عملياً دون استمرار التداخل الاقتصادي والاجتماعي بين أقسام الشعب الكردي، خصوصاً في المناطق الحدودية، فأن العشرات من العشائر الكردية التي توزعت على دول مختلفة ظلت تحتفظ بعلاقاتها، ويحمل أفرادها في الغالب أكثر من جنسية، وتتوزع مشاتيها ومصائفها على طرفي الحدود، وتحول التهريب بالتدريج الى مهنة رائجة في صفوفها. لذا لا غرو أن لا يشعر المرء، مثلاً، بأدنى فرق بين نفسية أحد أبناء عشيرة الجاف في منطقة (كەلار) المجاورة لكركوك مع نظيره في منطقة (جوانرود) داخل الحدود الإيرانية. أضف الى ذلك أن ظروفاً خاصة وعامة أدت إلى أن يتخلف الكرد عن الركب الحضاري، الأمر الذي تحول موضوعياً الى عامل مهم يحول دون اختلاطهم الواسع بغيرهم، مما حافظ على نقاوتهم إلى حد كبير، فأن مفردات العربية مثلاً وجدت طريقها إلى لغتهم بصعوبة أكبر من اللغة الفارسية أو التركية.

لا أؤمن شخصياً بوجود فروق جوهرية بين طبائع البشر والشعوب. فباستثناء الشواذ يميل الإنسان عادة إلى الخير إلا إذا حوصر في لقمة عيشه، أو إذا تعرض إلى ما يمس قيمه وموقعه، أو إذا وقع تحت تأثير

فكر متطرف غير عقلاني يعرض بضاعته الفاسدة بأسلوب مغر ٍ. وخير أنموذج يخطر على بالي هو أن الكثير من الطائشين والمتطرفين الآن كان آباؤهم من خيرة الوطنيين العراقيين في أواخر العهد الملكي والمرحلة المبكرة التي أتبعت ثورة الرابع عشر من تموز لأنهم كانوا متأثرين يوم ذاك بأفكار قوى الخير العاملة على ساحة العراق السياسية.

+ إذن، ما دمت ترى أن هناك سمات نفسية تاريخية يشترك فيها أغلب الكرد،فما هي أبرز هذه السمات؟

لا أريد أن أبدي رأيي في السمات الشخصية للكرد برغم اعتزازي اللامحدود بكوني واحداً منهم. لكن غير الكرد، بمن فيهم الرحالة الأجانب، يعطون أوصافاً للكورد فريدة في بابها. منها احترام المرأة والوفاء والطيبة والبساطة والصدق والجرأة وغيرها من الصفات التي لم يكن بوسع النظام السابق، برغم كل أساليبه الملتوية لتشويه أبعادها، بحيث بقيت صورة الكردي تمثل صورة إيجابية مثالية في العقل الباطن للأكثرية الساحقة من عرب العراق وغيرهم. وفي هذا السياق ألجأ الى نموذج بسيط في شكله، عظيم في محتواه، وهو أن أي متبضع في الشورجة يميل الى التاجر أو الحمال الكردي أكثر بكثير مما يميل الى غيره.

+ يوجد انطباع متداول بين الكرد أنفسهم،أن الأجيال الكردية الجديدة تختلف في تركيبتها النفسية، بنسبة ما عن الأجيال السابقة. كيف تنظر الى هذه المسألة؟.

بعد اندماج المنطقة بالأسواق الرأسمالية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر، طرأ بعض التغيير في السمات النفسية لجميع شعوب المنطقة بتأثير قيم الحضارة الأوربية الحديثة التي انتقلت إليها جنباً الى جنب البضاعة النوعية المستوردة من الغرب. يضاف الى ذلك بالنسبة للكورد عامل آخر تجسد في تفاقم الاضطهاد القومي ومحاولات الأوساط الحاكمة الالتفاف على طموحاتهم وقيمهم، مما زاد من حذرهم وشكهم المشروعين. ولقد تجاوز النظام العراقي السابق جميع الأنظمة الأخرى في محاولاته المنهجية الماكرة للنيل من السمات النفسية الإيجابية الموروثة، والراسخة في أعماق عوام الكورد وخواصهم، الأمر الذي كان يهدف الى زعزعة ثقة الكردي بنفسه ليرنو تحت تأثير ذلك الى جنسية ((أفضل وأرقى)) من جنسيته. وكنت حصلتُ بفضل بعض الخيرين على كتب خاصة أعدّتها بصورة سرية شعبة الاستخبارات النفسية التابعة لرئاسة الجمهورية ومديرية الأمن العامة في النظام السابق، منها كتاب يقع في اثنتين وأربعين ومائة صفحة، ويحمل عنوان ((الشخصية الايزيدية). يحمل الفصل السادس والأخير من هذا الكتاب عنوان ((السمات العامة للشخصية الايزيدية))، تحاول مادته بوضوح ترسيخ الاعتقاد بأن شخصية اليزيدي الكردي ((شخصية مقهورة ومتقوقعة ومرتابة ومكبوتة ومذلة ومنقادة وقلقة ومهزوزة ومادية)). ومنها أيضاً كراس ((سري للغاية ومحدود)) عنوانه ((ملاحظات حول عمل الحزب الشيوعي العراقي في المنطقة الشمالية)). يقع الكراس في سبع وعشرين صفحة جلها مكرس للحيلولة دون اتصال الكوادر الشيوعية بالجماهير الكردية المهجرة قسراً من قراها خشية أن يعرقلوا مهمات أزلام النظام الذين كانوا يمارسون عملية غسل دماغ منظمة مع تلك

الجماهير خدمة لسياسة التعريب المقيتة. وفي السياق نفسه أتذكر جيداً كيف منعت السلطة في أواخر السبعينيات وبدايات الثمانينيات من القرن الماضي تداول بعض مجلات الإغواء والإغراء العربية في جميع أنحاء العراق باستثناء المنطقة الكردية بحجة كونها منطقة سياحية، منها مجلة ((الشبكة)) اللبنانية على ما أتذكر.

+ يحذر المختصون بالسيكولوجيا الاجتماعية من أن المغالاة في ((الاعتزاز القومي)) يمكن أن تؤدي في ظروف معينة الى نوع من ((الشوفينية)). أين تضع الشخصية الكردية من هذين المفهومين في الوقت الحاضر، وهي تستعد لمرحلة تاريخية جديدة من مراحل نيل حقوقها السياسية والثقافية والإنسانية؟

بالعكس تماماً، فهناك حد سميك فاصل بين مفهومي ((الاعتزاز القومي)) و ((الشوفينية)). الأول أمر مشروع بالنسبة للجميع، ولا كبرياء عندي يضاهي الكبرياء القومي، خصوصاً إذا كنتُ منتمياً الى خندق المظلومين الذين لا يمكن أن يكونوا شوفينيين أصلاً. فالشوفينية مصطلح ظهر أيام حروب نابليون بونابرت وحملاته التوسعية التي كان يشنها بحجة نشر مباديء الثورة الفرنسية، وكان الضابط (شوفيين) أشد المتحمسين للنزعة البونابارتية هذه ليتحول اسمه الى مصطلح يطلق على غلاة القوميين المتعصبين المنتمين للقومية الكبيرة أو الحاكمة، ممن يطمعون في أرض الغير بحجج واهية تبلغ حد تزوير حقائق التأريخ. وتولّد الشوفينية عادة التعصب القومي في صفوف الطرف الآخر، وهو أيضاً توجه غير إيجابي سوى في كونه رد فعل مشروع على عمل غير مشروع ليتحول بحكم ذلك الى احدى أهم أدوات حماية الذات. ومن خلال متابعتي الشخصية للعديد من الظواهر أستطيع أن أؤكد بأن التعصب الكردي لا يؤلف ظاهرة متفاقمة برغم أن شوفيين الفرنسي لا يستحق أن يكون سوى تلميذ متواضع في مدرسة علي حسن المجيد العراقي.

+ ولكن هناك منظور في علم النفس السياسي يقول: ((إن الأمم التي تُقهر في مرحلة تاريخية معينة، غالباً ما تلجأ الى التعويض النفسي عن طريق الانتقام من مضطهديها في مراحل لاحقة)). فهل تتوقع أن ينقلب الكورد في المستقبل القريب أو البعيد،بعد أن ينالوا كيانهم الذاتي عبر الفيدرالية في العراق،من أمة مظلومة إلى أمة ظالمة تسعى للثأر من أبناء القوميات المحيطة بها؟

كنت أتمنى أن توجه مثل هذا السؤال إلى باحث غير كردي، لا أريد مع ذلك، أن أتهرب من الجواب. الكورد أيضاً مثل غيرهم، من الممكن أن يخطئوا، كما من الممكن أن يصيبوا، الأمران اللذان يعتمدان على حكمة من يقودهم ويقود غيرهم من جيرانهم، وعلى النخبة المنتمية إلى جميع الأطراف، نحن بحاجة إلى عقل ومشاعر (الجواهري) و (معين بسيسو) و (عزيز نسين) و (إسماعيل بيشكجي) و (ايرج) و (خسرو روزبه) و (كوران) و (ليلى زانا) الذين رصعوا معاً إكليل الأخوّة والصفاء بدرر فريدة. كم أتمنى أن يحذو الجميع حذو الشعب الأرمني العريق. نحن ظلمناهم واشتركنا في مذابحهم غير الإنسانية بتحريض من قوى الظلام من أعوان السلطان عبد الحميد الثاني والاتحاديين فيما بعد. إلا أنهم باستثناء حالات نادرة، آمنوا بمبدأ العفو عند المقدرة، فتعاملوا مع كرد أرمينيا معاملة طافحة بمشاعر الكرم والأخوة. رأيت

بأم عيني نعيم كرد بلدة (الكه ز) التي تقع على مبعدة أميال قليلة من العاصمة يريفان.

+ تتباين المواقف في الساحة العراقية اليوم من موضوعة ((الفيدرالية)) وتأثيراتها المحتملة على مستقبل العراق. وقبل الخوض في الإفرازات النفسية للفيدرالية، وما اذا كانت تعد حلاً يحفظ للشخصية الكردية هويتها التأريخية، أود أن أسأل عن جذورها التاريخية؟

تعدّ الفيدرالية تاريخيا من أفضل ما أنتجه الفكر الإنساني النيّر بهدف تجاوز مشكلات اجتماعية مستعصية. أعتقد أن الذين يعادون الفيدرالية لا يفقهون معناها ومغزاها وموقعها الإيجابي في التأريخ. ومن أجل التوضيح أقتبس خلاصة ما ذكرته بهذا الخصوص في كراس لي صدر قبل أشهر بعنوان ((آراء في الفيدرالية)). إن كلمة الفيدرالية مقتبسة في الأصل من كلمة لاتينية قديمة (Foedus) التي تعني الاتحاد نصاً. وكان هذا المصطلح يطلق في عهد الإمبراطورية الرومانية، التي ظهرت قبل الميلاد بعدة قرون، على العشائر الحدودية التي كانت تدافع عن تخوم الدولة وتحميها. من هنا فأن المصطلح ينطوي على مفهوم إيجابي منذ ظهوره قبل أكثر من ألفي سنة.

وهكذا كان الأمر أيضاً في التأريخ الحديث والمعاصر، وهو ما يهمنا أكثر من غيره، فأن جميع الذين آمنوا بالفيدرالية وناضلوا من أجلها في تلك المرحلة كانوا ينتمون إلى خندق الوطنية، والى المظلومين تحديداً، منهم،على سبيل المثال، الفيدراليون الفرنسيون الذين كانوا ينتمون الى المقاطعات والأطراف ممن علقوا آمالاً كبيرة على شعارات الثورة الفرنسية عن الحرية والإخاء والمساواة، فتطوعوا للدفاع عن مكاسب الثورة التي تكالبت عليها القوى الرجعية في الداخل، كما في الخارج، فتوجهوا من كل حدب وصوب الى العاصمة باريس وهم يحملون إيمانا عميقاً وسلاحاً بسيطاً حيث أبدوا آيات البطولة في ميادين القتال، خصوصاً ضد القوى الخارجية التي كانت ترنو الى وأد الثورة في مهدها. وهؤلاء الفيدراليون هم أول من أنشدوا نشيد الثورة الفرنسية المعروف بالمارسيليز. ولم يؤد فيدراليو إيطاليا دوراً أقل شأناً في الحركة الوطنية العامة في مطلع العقد الثالث من القرن التاسع عشر، مما ساعد على تمهيد الطريق لتحقيق الوحدة الإيطالية فيما بعد.

ومن المفيد أن نشير بالمناسبة إلى أن جميع المتعصبين تبنوا مواقف نقيضه تماماً للمواقف التي تبناها الفيدراليون في التأريخ الحديث والمعاصر، وخير مثال نسوقه هنا لتوضيح هذه الحقيقة هو موقف عدد غير قليل من قادة الثورة الفرنسية الذين تخلوا بسرعة عن قيم ثورتهم الكبرى، فغدوا يرون أن من حقهم حكم العالم بأسره بحجة نشر مبادئ الثورة، وبلغ هذا التوجه ذروته في عهد نابليون بونابرت. وهنا ينبغي أن نشير إلى أن جميع حملة النزعة البونابرتية في السيطرة على الغير يقفون في كل زمان ومكان ضد الفيدرالية القومية، بدءاً بشخص نابليون نفسه الذي تبنى موقفاً غير ودي من فيدراليي بلاده المتفتحين، مع العلم أنه كان بأمس الحاجة إلى تأييدهم ومؤازرتهم.

تثبت تجارب التأريخ أن الفيدرالية تبعد أصلاً فكرة الانفصال شرط أن تكون هدفاً ثابتاً لا مناورة تستهدف الاحتواء. وكل تجارب التأريخ تثبت ذلك،وتبين أن أقوى الدول في العالم هي الدول

الفيدرالية. فلم تظهر الفيدرالية كفكر سياسي الا بوصفها استجابة ضرورية لحاجات المجتمع، وفي ضوء خصوصياته المحددة، وهي تحولت الى أساس قوي لتعزيز مقومات الدولة حيثما طبقت بصورة صحيحة.وفي الواقع لم يستجب لهذا الفكر فقط أولئك الذين تخلفوا عن الركب الحضاري لأكثر من سبب، فجلبوا الويلات لشعوبهم بسبب ذلك. وخير أنموذج أسوقه في هذا المجال هو الإمبراطورية العثمانية المترامية الأطراف، فأن نظامها على أرض الواقع كان في أوج قوته يمثل أشبه ما يكون بنظام فيدرالي، بل وحتى كونفدرالي غير معلن، فأن السلاطين الأوائل لم يتدخلوا قطعاً في شؤون الإمارات غير التركية التي ظلت شبه مستقلة، لا تؤدي تجاه الباب العالي سوى ما عليها من التزامات مالية وعسكرية دون ضغط أو إكراه، ودون أي تدخل مباشر، أو حتى غير مباشر في شؤون حياة أهلها الخاصة والعامة،في تقاليدهم ولغاتهم، أو أرض أجدادهم. ولذلك لم يفكر أحد يوم ذاك بالانفصال،حتى أن الأرمن كانوا يؤلفون يومذاك عنصر بناءٍ لا هدم رغم انتمائهم الديني المسيحي، وموروثهم الحضاري. وهذا يعني أن التنوع الأثني والديني والمذهبي تحول الى مصدر خير، وعامل ازدهار للدولة بمقياس الزمان والمكان. غير أنه ما أن انقلبت الآية في زمن السلاطين المتأخرين، وخصوصاً في عهد الاتحاديين، حتى تحولت القوميات غير التركية، وشجونها الكثيرة الى عبء ثقيل على كاهل الدولة، والى عامل فاعل في نخر أسسها، وتحويلها إلى ((الرجل المريض)) الذي تخبط في اختيار الدواء فأدركه الموت غير مأسوف عليه.

+ ومع ذلك، توجد مؤشرات على وجود رأي عام في المناطق العربية من العراق،يعتقد أن الفيدرالية ستكرس (من الناحية النفسية) انعزال الكرد عن بقية قوميات العراق، وما سيترتب على ذلك من نتائج سلبية لاحقاً على وحدة البلاد. كيف ترد على هذا الرأي،بالرجوع إلى الحقائق التاريخية؟

ظهرت أفضل الفيدراليات على أساس الاختيار الحر الذي يحتوي حق تقرير المصير دون أن يلغيه. لكن الملفت للنظر أن أحداً لم يلجأ الى ذلك الحق سوى الفنلنديين الذين انطوى موقفهم على رد فعل مشروع كان مبعثه الاتحاد القسري الذي فرضه عليهم القيصر الروسي. وعلى هذا الأساس لم تجن الدول الفيدرالية في العالم، وبشتى أشكالها، سوى الخير من نظامها، ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وكندا وسويسرا والبرازيل واستراليا والهند وغيرها لأنها حققت المساواة المطلقة بين رعاياها بغض النظر عن جميع انتماءاتهم. فأن (الريتورومان) الذين يؤلفون أقل من (١٪) من مجموع السكان في سويسرا يتمتعون بنفس الحقوق التي يتمتع بها الألمان الذين يؤلفون حوالي (٧٠٪) من مجموع السكان،بما في ذلك حق تبوء أي منصب رئاسي أو وزاري أو دبلوماسي. ولهذا السبب،لا غيره، لم يستطع الزعيم الفاشي (موسوليني) منذ العام ١٩٢٢، ولا الزعيم النازي (هتلر) منذ العام ١٩٣٢ أن يؤثرا على وحدة الألمان والفرنسيين والإيطاليين والريتورومان الذين بدأ أبناء جلدتهم خارج سويسرا يأكل بعضهم البعض طوال سنوات ست من عمر الحرب العالمية الثانية. بل وأكثر من ذلك أن خلفية هذه المساواة جعلت أذهان القوميات السويسرية الأربع مستعدة للتحول الى نظام فيدرالي في القرن التاسع عشر بعد أن عاشت بلادها نظاماً كونفيدرالياً على

مدى حوالي ستة قرون قبل ذلك التأريخ.

إن الإفرازات الإيجابية لمثل هذا التعامل العقلاني لا تعد ولا تحصى، ويكفي أن نقول بهذا الصدد أن من الصعب أن يصدق أحد اليوم أن السويسري الذي يعد أفضل أنموذج إنساني في عالمنا المعاصر على جميع الصعد، ويتمتع باستقرار نفسي قلَ نظيره، كان أجداده يمثلون أسوأ أنموذج على صعيد القارة الأوربية في العصر الوسيط، حتى أنهم تحولوا الى مصدر رئيس لتزويد جيوش المرتزقة الأوربية بالأوباش الذين أدوا نفس الدور الذي أداه ((جحوش كردستان)) على مدى سنوات طوال.

أود أن أشير أيضاً الى حالة فيدرالية عشت في أجوائها على مدى عقد واحد من الزمن، وأقصد بها الفيدرالية السوفييتية. ان من أفضل ما حققته ثورة أكتوبر الاشتراكية عام ١٩١٧ لشعوب الإمبراطورية الروسية هو تحويل نظام القياصرة المستبدين الى اتحاد كونفدرالي في البداية، ومن ثم الى اتحاد فيدرالي اختياري منذ العام ١٩٢٢. لاحظت،مثل جميع زملائي العراقيين الآخرين الدارسين هناك، العديد من الجوانب الإيجابية في الفيدرالية السوفييتية، فلم نحس بأي نوع من التعالي القومي الشوفيني لدى الأكثرية الروسية. وكان لكل جمهورية من الجمهوريات الخمس عشرة علمها الخاص يرفع جنباً الى جنب علم الدولة المركزي فوق جميع المؤسسات الرسمية دون استثناء. كما أن اسم العملة الروسية كان مطبوعاً على الروبل بخمس عشرة لغة،بضمنها، على سبيل المثال، مئات باللغة الأذربيجانية. وكان التعامل مع اللغات القومية يجري على قدم المساواة مع اللغة الروسية في جميع ميادين الحياة اليومية. ولم ألاحظ في المؤسسات العلمية التي كنت أتعامل معها في (باكو) عاصمة أذربيجان السوفييتية، ولا في (يريفان) عاصمة أرمينيا السوفييتية أي وجود روسي. فعلى سبيل المثال لم أجد لا في معهد شعوب الشرقين الأدنى والأوسط التابع لأكاديمية علوم أذربيجان في باكو، ولا في معهد الاستشراق التابع لأكاديمية علوم أرمينيا في يريفان طالباً، أو أستاذاً روسياً واحداً، وكذلك في المكتبات العلمية الكثيرة التي كنت أتردد عليها باستمرار، بينما كان العشرات من أبناء القوميات غير الروسية يعملون ويدرسون في نظيرات تلك المؤسسات في موسكو ولينينغراد وغيرهما من كبريات المدن الروسية. ولن أنسى تواضع وبساطة (رينا) طالبة الدراسات العليا في معهد شعوب الشرقين الأدنى والأوسط بباكو، وتعاملها الطبيعي جداً، بل المشوب بقدر واضح من الخجل، مع الجميع، وتنقلها مع زميلاتها الأخريات مع العلم أنها كانت ابنة السكرتير الأول للحزب الشيوعي الأذربيجاني (آخندوف).

+ من المعروف في حقل دراسات الإدراك الإجتماعي أن الأفراد المنتمين إلى أي جماعة بشرية سواء كانت سياسية أو قومية أو عرقية أو ثقافية،لا بد أن يحملوا في أذهانهم ((صورة نمطية)) عن السمات الشخصية لأفراد الجماعات الأخرى.ولهذه الصور النمطية تأثير مباشر في تحديد طبيعة العلاقات بين هذه الجماعات سلباً أو إيجاباً. ما هي برأيك خصائص الصورة النمطية التي يحملها كل من الكردي والعربي عن بعضهما في عراق اليوم ؟. وهل تغيرت هذه الصورة قياساً بما كانت عليه في الحقب السياسية السابقة؟.وما هي طبيعة الآفاق المستقبلية للعلاقة بين الكرد والعرب انطلاقاً من

نمطية هذه التصورات الذهنية التي يحملونها عن بعضهم؟

العلاقات بين العرب والكرد كانت دوماً علاقات مثالية. لا أقول ذلك جزافاً أو بدوافع عاطفية، بل على أساس شواهد تاريخية محددة. فبعد أن فقد الكرد الأوائل حكم أنفسهم بأنفسهم، وتقلص دورهم الحضاري في ظل الدول التي توالى حكمها على كردستان على أثر سقوط الدول والإمارات الكردية القديمة الواحدة تلو الأخرى، كان أمراً طبيعياً أن يرحب الكرد بالإسلام باعتبار ذلك وسيلة للانتقال الى وضع أفضل مما كانوا فيه. ولقد دشن هذا الواقع أول احتكاك مباشر وواسع للكرد وكردستان بالعرب – حملة راية الدين الجديد- ولم يمس الإسلام الكيان القومي للكرد داخل وطنهم، بل انه ساعد على تعزيز ذلك الكيان بوجه الشعوب والأنظمة غير الإسلامية المتاخمة لكردستان، لا سيما في طرفها الشمالي. ولقد احتفظ الكورد بخصائصهم القومية، وبلغتهم في ظل الإسلام وحضارته على الرغم من تحولهم الى عنصر فاعل بالنسبة لكليهما. وتعززت هذه العلاقات أكثر في أواخر العهد العثماني، ولا سيما بعد انتقال السلطة الى الاتحاديين المتعصبين الذين عادوا العرب والكورد على حد سواء. فحسب الوثائق الروسية الخاصة أجرى الشيخ محمود اتصالات خاصة مع شريف مكة، حسين وأولاده، مقترحاً عليهم التعاون في نضال الطرفين ضد الاتحاديين، بأن بعث إليهم رسائل عديدة بهذا الخصوص، وقعت إحداها بيد المسؤولين العثمانيين. وعلى أديم الشعيبة اختلطت دماء العرب والكورد في نيسان ١٩١٥ أثناء تصديهم للجيوش البريطانية الغازية، فمنح بسطاءُ الفرات الأوسط الكوردَ ثلث الجنة في هوسة شعبية معروفة وردت بصياغتين ((ثلثين الجنة لهادينا وثلث الجنة لكاك أحمد وأحفاده))، و ((ثلثين الجنة لهادينا وثلث الجنة للشيخ محمود وأكراده)).

وقد دخلت هذه العلاقات مرحلة جديدة مع انتهاء الحرب العالمية الأولى وفرض الاحتلال ثم الانتداب على العراق. وبحسب وثائق وزارتي المستعمرات والخارجية البريطانيتين، وبشهادة مؤلفين إنجليز مطلعين من أمثال (لونكريك) و(ادموندز) كان ((الطائر الشؤم)) الشيخ محمود، حسب وصف البريطانيين له،على اتصال مباشر برجال الحوزة في النجف وكربلاء، وبعدد من رؤساء العشائر العربية المعروفين. وتحدثت إحدى الوثائق عن استقبال زعماء العبيد والبيات للشيخ محمود بعد عودته من منفاه في الهند سنة ١٩٢٢. وتتحدث وثيقة خاصة أعدت لشخص الملك فيصل الأول في كانون الثاني ١٩٢٣ عن اجتماع مهم عقده الشيخ محمود مع (٤٣) رئيساً عشائرياً لوضع خطة لنظامه، كان اثنان منهم من رؤساء العشائر العربية في الحويجة، الأول رئيس فخذ البوعلي فرحان الروحان، والثاني هو سيد عبد القادر اغا من ملحة. ومن المناسب أن أشير هنا الى عبارة وردت في نص القسَم الذي كان على كل من يمنح العضوية في صفوف الحزب الشيوعي العراقي في خمسينيات القرن الماضي أن يؤديه، وهي أنه يكون مخلصاً لتراث محمد جعفر أبو التمن والشيخ محمود.

ومع ظهور الفكر التقدمي على الساحة اتخذت الأخوة العربية - الكردية بعداً أعمق حين تحول النضال المشترك للشعبين الى واحد من أهم عناصر الحركة الوطنية العراقية، مما تجسد في أيام الوثبة

عام ١٩٤٨ وانتفاضة ١٩٥٢ وحركة الاحتجاج ضد العدوان الثلاثي على مصر. أتذكر شخصياً حتى اليوم الهوسة التي كنا نرددها نحن الطلبة العرب والكرد معاً في ساحة دار المعلمين العالية، وفي شوارع الوزيرية وباحة السفارة المصرية: ((مصر الحرة ما نبيعها، عشر سنين نحارب بيها)).

هذا يعني،على الخيرين أن يبذلوا كل ما في وسعهم من اجل إحياء هذا التراث السياسي الجليل بعد أن امتدت إليه يد التخريب والتحريف في ظل النظام السابق الذي زرع بذور التفرقة والشقاق والتعصب الأعمى بصورة منهجية على مدى خمسة وثلاثين عاماً، وأصبح الكرد الضحية الأولى لمثل هذه السياسة الخرقاء لأنها جعلت وجودهم القومي، وأرض أجدادهم أمام خطر محدق حقيقي غدا معه كل ما هو كردي مرفوضاً لا في نظر المتعصبين وحدهم، بل وحتى في نظر قطاع من بسطاء الناس بسبب وعيهم المتدني، أو بدوافع مصلحية ضيقة، مما أصاب الوحدة الوطنية في الصميم، وجريرة ذلك تضاهي جريرة القبور الجماعية دون ريب. مع ذلك علينا أن نكون متفائلين ونؤمن بالمستقبل. ان جميع زملائي وأخواني الكثيرين من العرب والكرد يفكرون مثلما أفكر، وفي ذلك مبعث تفاؤلي دون أن أنسى أن الساحة بدأت تشهد ظواهر خطيرة للغاية تمس الكرد وكرامتهم في الصميم، وهي غريبة عن طبيعة العراقيين وتأريخ علاقة العرب بالكرد الذين أتمنى أن لا ينفذ صبرهم.

+ هناك رأي يقول أن الجالية الكردية في بعض بلدان شمال أوربا - التي ما تزال لها أواصر اجتماعية واقتصادية قوية بموطنها الأم- صارت تشكل بحد ذاتها مجتمعاً كردياً له خصائص حضارية وسلوكية متمايزة إلى حد كبير عن مجتمع كردستان. ما تأثير هذا الانقسام الجغرافي على الهوية التاريخية للشخصية الكردية مستقبلاً؟

كنت أتمنى دوماً أن يكون للكورد والعرب دوما ً، كما لليهود لوبيهم الخاص في الغرب الذي يتمتع بتأثير مباشر على سير الأحداث في كل مكان. كان الشهيد الدكتور (عبد الرحمن قاسملو) سكرتير الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، يولي هذا الموضوع اهتماماً استثنائياً إدراكا منه لأهميته، وحقق في مضماره مكاسب جديدة خدمت القضية الكردية. فقد قطعت علاقات قاسملو الودية بعدد كبير من كبار الساسة والصحفيين الأوربيين شوطاً بعيدا ً، بحيث عندما استشهد في فيينا نقل جثمانه خصيصاً الى باريس ليدفن هناك في مقبرة الاشتراكيين في تشييع مهيب حضره عدد كبير من أقطاب اليسار المعروفين.

وقد أدى الوجود الكردي الملموس،خصوصاً في فرنسا وألمانيا، دوراً متميزاً في جلب انتباه العالم المتمدن الى مأساة الكرد. من هذه الزاوية يفترض تقويم وجود الجالية الكردية في الأقطار الأوربية. وأرى أن ما هو ايجابي في هذه الظاهرة أكثر بكثير مما هو سلبي. فقد تحول معظم هؤلاء الى مصدر رزق لأفراد أسرهم في الوطن الأم،فضلا عن ظاهرة التزاوج فيما بينهم، أو إقبالهم على الزواج من قريباتهم في كردستان التي تؤشر حرصهم على هويتهم القومية وتمسكهم بتقاليدهم الخاصة. ومن المعروف أن لدى الجالية الكردية في أوربا تنظيماتها وصحافتها الخاصة بها، وهي تولي أعيادها وتقاليدها الموروثة كل ما يستحق من اهتمام، وتتابع القنوات الفضائية الكردية أكثر من غيرها. وشخصياً أحتفظ بعشرات

الرسائل من شباب تلك الجالية دون أن أعرفهم، كما أن العديد منهم يتصلون بي هاتفياً في مناسبات مختلفة، ويبعثون لي بمؤلفاتهم،الأمر الذي ينطبق أيضاً على مثقفنا البارز محمد الملا عبد الكريم المدرس، وربما على غيره أيضاً.

+ وأخيراً... تبقى قضية حق الكرد في تقرير مصيرهم بما فيه حق إقامة دولتهم القومية المستقلة، قضية لها بريقها وحيويتها في نفس كل كردي،بل ويذهب غالبية الكرد الى القول أن الكرامة الكردية تظل منقوصة حتى يرفرف علم موحد لدولة كردستان المستقلة.إلا أن هناك رأيا آخر أقل انتشاراً يقول أن الشخصية الكردية يمكن أن تجد فرصتها الإنسانية في تحقيق ذاتها ضمن عراق ديمقراطي تعددي فيدرالي أكثر مما هي عليه في دولة كردية مستقلة ذات طابع قومي عشائري في بنيته السياسية. فما هو موقفكم من وجهتي النظر هاتين؟

يحق للكورد أن يتمتعوا بكل ما يتمتع به غيرهم، وهذا قانون طبيعي ينطبق على جميع شعوب الدنيا دون استثناء إذ ولى عهد ((شعب الله المختار))، ولا اختلاف بين عقلاء الناس في تقويمهم لهذا المبدأ القويم الذي من شأنه أن يساعد كثيراً في حل مشكلات العباد والجماعات والبلدان. فمنذ القرن الرابع عشر كان يوجد نظام في إنجلترا ينطبق على الجميع اسمه ((قانون العدالة أو المساواة)) Equity. وبعد مرور أكثر من ستة قرون على ذلك لا يقر الظلاميون المتخلفون مثل ذلك الحق للكورد. أما حق تقرير المصير تحديداً فأنه أصبح شائعاً على نطاق واسع في عصر الثورات البورجوازية الأوربية الكبرى، ولم يتصد له هناك سوى من كانوا يحملون بقايا الفكر الإقطاعي، وللأسف الشديد يعيد التأريخ هنا نفسه بحذافيره لدينا.

مع انتصار أول ثورة اشتراكية في العالم في تشرين الثاني ١٩١٧ ترسخ مبدأ حق تقرير المصير الى حد كبير. مع كل ذلك علينا أن لا ننسى أيضاً أن حق تقرير المصير لا يعني الانفصال بالضرورة، ومن الثابت أن الانفتاح ساعد كثيراً على احتواء النزعات الانفصالية في كل زمان ومكان.علينا أن نواكب العالم المتمدن في توجهاته العقلانية. ان الحدود الدولية في طريقها الى الزوال في أوربا الغربية منذ أواخر القرن الماضي، وحل اليوم الصفاء والوئام بين الفرنسيين والألمان بعد أن فرّقت أنهار من الدم بينهما على مدى قرون طوال، وفي هذا درس بليغ لكل من يريد أن يعتبر، وأن يدرك بأننا دخلنا القرن الواحد والعشرين.

ومع آخر حروف الدكتور كمال في سياحته التأريخية في الأعماق الكردية، وجدنا كلمات شاعر الكرد الخالد (عبد الله كوران) تصدح فيّ :

أريد من الفتى الكردي أن يضع على كفه
قلبه الدافئ، المفعم بالإحساس
ويطوف به بين فرق الشباب
ويذيع مشاعره في أعطاف العالم
ولا يتوهم أنه كردي، متأخر، ضئيل
فقد بزغ في الأفق فجر للإنسان
يمحو مساحات الصغر والكبر بين الشعوب.



القاص و الاعلامي مصطفى صالح كريم:

الاحداث المبكرة التي عايشتها انضجت تجربتي

اجرت الحوار: رحاب حسين الصائغ

اشكاليات الحياة لاتترك الجادين بدون أن تركز صنمها في قلب أيامهم، وبما أنهم يملكون قوة حسية فكرية خاصة تعمل على تحدي ذلك الصنم ودحره، تجدهم دائماً في الصفوف الأمامية يعملون على مواجهة المواقف الصعبة ومخالب الظلم، من شروط البقاء وخلود الحركة نحو زمن التقدم وشق فجر المستقبل بالتفاني الدائم دون عجز أو إبطاء، لأنَّ حامل الشعلة خطواته ثابتة ويقينه السير إلى الأمام والوصول للهدف.

حين التقيت بالصحفي والقاص الأستاذ، مصطفى صالح كريم نائب رئيس تحرير جريدة الاتحاد، نالني إحساس جميل بالقوة لما تحمل شخصيته الثائرة كالطبيعة والتي تلهم محاوره الكثير من معاني الحياة والرقة الممزوجة بالثقة المتبادلة، الحديث معه يجعلك شارداً بين يدي زاهد ملم بمعارف الهبة والرغبة، وبيان كمال فائض في قدرته على أشغالك بتاريخ حياته الحافل بالصبر والتحمل والمواجهة رغم كل المعاناة، وإصراره على أن يكون كما يريد هو ويرى، لم يثنه شيء أو عائق، التقيته منذ ايام وكان هذا الحوار الشيق معه.

× اسالك اولا عن العلامات الاولى عن تلك البدايات البعيدة..

- حينما كنت في الصف الرابع إعدادي في المرحلة الثانوية من دراستي، فصلت بسبب نشاطي السياسي، حينها اصابني القلق تجاه مستقبلي وكوني طالبا متفوقا وذكيا، نصحني بعض الأصدقاء من الأقارب أن

ادخـــل دار المعلمين الابتدائية في بغداد، رغم احترامي الشــديد للتعليم، لم أكن متهيئاً لهــذا الموضوع الذي كان يتعــارض ورغبتي في إكمال دراســتي ورغبتي في دخول احدى الكليات حيث لم تكن الجامعات موجودة آنــذاك، لذلــك اضطررت أن ادخــل دار المعلمين التي دفعتني إليها الظروف مرغماً، أكملت دراســتي في دار المعلمين في الأعظمية ببغداد، ولكني في الســنة الثانية كنت قد قررت أن امتحن الخامس الإعدادي إلى جانب دراســتي في الدار كي انتقل لكلية دار المعلمين العالية، لكــن التحقيقات الجنائية ألقــت القبض عليَ، وهكذا عرفت الســجن مبكراً لذلك أقول إن عبارة مبكر وهي لازمــة عندي لذلــك، ورغم اني لم اكــن قد نضجت بعد سياسياً الا اني نزلت مبكراً ضيفا على المعتقلات والســجون، وبعــد خروجي كان هناك أســاتذة في دار المعلمين أمثال الأســتاذ جمال الدين الآلوسي والدكتور فيصــل الســامر دافعوا عنــي وســاعدوني في دخول الامتحــان حيــث حصلت علــى درجات عاليــة جداً أهلتنــي للبعثــة العلمية، ولكن التحقيقــات الجنائية لم توافق على ذلك، لذلك انخرطت في ســلك التعليم وفي التعليم واصلت العمل كمعلم وكمدير وكمشــرف تربوي، إلى أن أحالني النظام السابق للتقاعد الإجباري بنــاء على مواقف سياســية، تعرضــت للتوقيف مرة أخــرى في عام ١٩٦٣ حيث قضيت ١٨ شــهراً في المواقف والمعتقــلات، وأبعدت عــام ١٩٧٥ للرمــادي لمدة ثلاث ســنوات هذا من الناحية السياســية، أما من الناحية العائلية فقــد تزوجت مبكراً أيضاً كان عمري إذ ذاك في حدود العشرين، حيث كان والدي يتصور أن الزواج المبكر سيبعدني عن السياسة، لكن الزواج لم يحد من نشــاطي السياسي واستمرَّ تواصلي مع العمل السياسي الســري كل هذه الاحداث التي عايشتها بصورة مبكرة لاشك انها انضجت تجربتي.

× **وفيما بعد ما الذي انجزته؟**

- من خلال هذه السلســلة المتواصلة من التشريد والنفــي والاعتقــالات، في عــام ١٩٧٤ صعــدت للجبل وانخرطــت في الثورة الكردية وأصبحت مديراً لإذاعة الثــورة ومن الأعمــال التي لم تفتنــي تذوقي للأدب والصحافــة، فانــا منذ مطلع شــبابي عشــقت الأدب وكانت لي محاولات في كتابة القصة واســتمرت معي، وقد كتبت العديد منها ونشــرت لــي مجاميع (رنين السلاســل) و(شــهداء قلعة دمدم) و(متشحة بالسواد في العالــم الرابع) وترجمت اغلــب قصصي للعربية، ونشــرت في مجلة الأقلام والطليعة والثقافة والمثقف، وكتب عنها نقاد عراقيون وفلســطينيون وســوريون مثــل زهــير كاظم عبود/ ياســين النصــير/ د. فايق مصطفى/ فاضل ثامر /يوسف يوسف/ لقمان محمود، ومن النقاد الأكراد/ د. عزالدين مصطفى/ د.معروف خزندار/ كمال غمبار/ د. رؤوف عثمان/ عبد الرزاق بيمــار/ فؤاد حمه خورشــيد/ محمد البــدري، ولي كتاب دراســة عن الشاعر الكبير بيره ميرد، والى جانب اهتمامــي الأدبي عملت في الصحافة ففي بداية مبكرة تطوعــت للعمــل في صحيفــة محلية في الســليمانية وكانــت أدبية عملت فيها لســنوات دون أن اخذ منها فرشاً واحداً، حتى أصبحت سكرتيراً لتحرير الجريدة، كي أحول مســارها إلى مسار قومي وطني مع الاهتمام بالجانب الأدبي فهذا العشق الصحفي كان دافعه الهواية وليــس الاحتراف، احترفت الصحافــة بعد الانتفاضة، فقــد كلفتني القيادة السياســية في الاتحــاد الوطني الكردســتاني أن اعمل في الصحافــة وابتعد عن العمل

الوظيفي، ولم أقبل أي وظيفة بعد ذلك بقيت كعضو في هيئــة تحريـــر صحيفة كوردســتاني نوى، وعضو هيئة تحريـــر الاتحاد وفيما بعد مدير مكتب الاتحاد وبعـــد ذلك نائب رئيس تحرير الاتحاد ولحد الآن، أما من ناحية العمل النقابي عملت في اتحاد الأدباء الكرد أربع سنوات كســكرتير فرع السليمانية، وبعد عودتي من الرمادي انتخبت رئيســاً للفـــرع، بعد الانتفاضة، كما أســلفت تفرغت للصحافة وحينما تشكلت نقابة صحفيي كردســتان في الســليمانية وبعــد ضغوطات من الأصدقاء والرفـــاق انتخبوني لمنصب نائب نقيب صحفيي كردســتان في الســليمانية، وبعــد أن وحدنا النقابتين رســا المنصــب عليَّ وبقيت نائــب النقيب، وارجو أن اكون عند حســن ظن الذين اختاروني وأنا الآن أعيش بين الاتحاد والنقابة، كل هذا على حســاب الجانب الأدبي، باعتقادي ان الصحافة تقتل الابداع.

× **كيف تنظر لهذه المسيرة الان؟**

- يجب أن يكون المســؤول في الموقع الذي يمكن أن يبدع فيه عندما تناط المســؤولية بشخص مؤهل له، وأتمنى أيضا لشــعب كردســتان العز والحرية في ظل الفيدرالية التي آمن بهــا والتي هي نظام ديمقراطي متبع في عديد من دول العالم وان نعيش جميعاً في أطار العراق الديمقراطــي الفيدرالي الموحد وآمل ان يبقى اصدقاء الكــرد في مواقفهم الأخوية معنا ولايتراجعوا عن تعهداتهم مواثيقهم الســابقة، وأن يعترف الجميع بالحقوق المشروعة للشعب الكردي الذي قدم أنهراً من دماء شهدائه في سبيل حريته وكرامته.

بعد هذا الحديث الشــيق مع الأستاذ نائب رئيس تحرير جريدة الاتحاد، ابعد عني قلق معرفة البراهين وشــروطها المحتملــة، ومــا يخالف القيــاس ألبرهاني والقيــاس الجدي والخطابي، وان كان لا بد من معرفة القياسات علينا دراسة منطق الحياة وقوانينها المفعمة بالتمايز في إدراك المعنــى لوجودنا، وبين يدينا حياة الأديــب والصحفي والمتحــدث اللبق والضليــع باللغة العربية مصطفى صالح كريــم، ونعتمدها مرجعاً في إشكالات تصادفنا في مقتبل أيامنا التي نسعى من اجل أن تكون بالمســتوى المطلوب، لأنه مــن الرجال الذين يعملــون بصمت وصدق ويصلــون الهدف بما وجدوه الصواب لما بدأ، بكل تواضع مازال دؤوباً ونشطاً ويحمل روح الشباب المرح، رجل متفائل يعاند غبار الأيام غير آبه للعاطل منها، محتفظا بذاكرة قوية يحسد عليها.

وثائق

القضية الكردية في حقبة أربعينات القرن المنصرم ابان العهد الملكي في العراق

الشيخ محمد الخال

عثرت في مكتبة والدي -رحمه الله- على مذكرة بالغة الأهمية تخص قضية شعبنا الكردي، وتحوي على احداث هامة صاحبت تشكيل الدولة العراقية وظهور الحركة الكردية من جديد، وحركة الشيخ محمود الحفيد واستفتاء الشعب العراي في شكل الحكم الذي يرغب فيه. (خالد محمد خال)

وفيما يلي نص صورة كتاب وزارة الداخلية المرقم م خ/ ١٠٢٨ والمؤرخ في ١٩٤٤/٥/١٦ الموجه الى :-

متصرفية لواء الموصل

متصرفية لواء السليمانية

متصرفية لواء اربيل

متصرفية لواء كركوك

الموضوع/ اصلاح الادارة في الألوية الشمالية

نرسل اليكم في طيه صورة كتاب سكرتيرية مجلس الوزراء المرقم ١٤٧١ والمؤرخ في ١٩٤٤/٥/١ مع صورة التقرير المتعلق باصلاح الادارة في الألوية الشمالية للاطلاع على ماجاء فيه.

التوقيع/ وزير الداخلية

ان المقترحات الواردة في التقرير تخص اصلاح الادارة في المنطقة الشمالية والعناية بالمعارف والصحة والعمران وغير ذلك من الأمور الحيوية فيها.

سكرتير مجلس الوزراء

القضية الكردية

١-الكرد في العهد العثماني:

كانت التشكيلات الادارية في العراق في العهد العثماني بصورة عامة تتكون من الموصل وبغداد والبصرة والخليج الفارسي الذي يحتوى من جملة مايحتوي على (الكويت والاحساء). ثم اعتبر العراق في آخر عهدهم فيه ثلاث ولايات هن: ولاية البصرة وولاية بغداد وولاية الموصل التي تحتوى على مانطلق عليه الآن اسم الألوية الشمالية (اربيل، السليمانية، كركوك). وكان يلحق بها اقضية (زاخو، العمادية، عقرة وزيبار).

كانت الحكومة العثمانية ترسل من حين لآخر شخصية ممتازة للاشراف على ادارة الولايات العراقية الثلاث تحت عنوان يتناسب والواجبات الملقاة على عاتقها في تسيير دفة الادارة فيها. وكان من بين الشخصيات التي تولت الادارة في العراق ناظم باشا الذي عهدت اليه فيما بعد وزارة العدلية العثمانية، وكان ذلك حوالي سنة ١٩٠٨. ثم اعقبه بعد ذلك الفريق ناظم باشا.

انني اعتقد ان العوامل الجغرافية والاقتصادية وما تقتضيه الادارة هي التي اوحت الى ذوى الشأن في الدولة العثمانية لتقسيم العراق هذا التقسيم في الادارة المدنية الذي سيبقى صحيحا في كل وقت.

٢-الكرد في الوقت الحاضر:

ولما القت الحرب العالمية الماضية (١٩١٤-١٩١٨) اوزارها وانسلخ العراق بنتيجتها عن الامبراطورية العثمانية، واصبح تحت الاحتلال البريطاني وتولت الادارة فيه السلطات العسكرية البريطانية، ظهرت بالأفق حركة كردية يتزعمها (شريف باشا) احد الكرد الذين كانوا بارزين في الدولة العثمانية، وكانت هذه الحركة تستهدف جمع شمل الكرد في العراق وايران وتركية تحت لواء واحد والمطالبة باستقلالهم.

ان مبدأ تقرير المصير الذي وضعه الرئيس ولسون حدا بالحلفاء الى العطف على رغبات الكرد في حركتهم الاستقلالية آنذاك.

٣-حركة الشيخ محمود الحفيد:

في سنة ١٩١٩ قام الشيخ محمود بحركة مسلحة في لواء السليمانية ضد القوات البريطانية مما اضطرها الى تجهيز حملة عسكرية للقضاء عليها وقد نجحت في ذلك واخمدت الحركة والقت القبض على الشيخ محمود ونفته خارج العراق.

ولما تألفت الحكومة المؤقتة في العراق في سنة ١٩٣٠ بقيت الألوية الكردية خارج نطاق ادارتها واستمر المندوب السامي البريطاني في الاشراف على ادارتها اشرافا مباشرا ولم يعينوا احدا من المراقبين عربا كانوا وكردا كموظفين في هذه المنطقة، بينما كان المراقبون في المناطق الأخرى يتولون الادارة بصورة تدريجية.

٤-الاستفتاء في العراق:

وعندما طير العراقيون البرقيات الى المغفور له جلالة الملك حسين لارسال احد انجاله الى العراق، ووصل الأمير فيصل آنذاك، قررت الحكومة العراقية استفتاء الشعب في شكل الحكم الذي يرغب فيه.

فبادر الأهلون باعطاء آرائهم وصوتوا على نصب الامير فيصل ملكا على العراق، غير ان اكثرية المناطق الكردية لم تشترك في هذا الاستفتاء.

٥-الحركة الوطنية في تركيا واثرها في العراق:

في تلك الاثناء كانت الحركة التركية تقوى فاشتد ساعدها وارسلت عصابات تركية الى راوندوز وشقلاوة فاستولت عليها وتقلص نفوذ السلطات العسكرية

البريطانيـــة هنـــاك، مما حـــدا بهم الى اعادة الشـــيخ محمـــود من منفاه في ســـنة ١٩٢٢ وعهـــدت اليه امور الأدارة في لواء الســـليمانية وانسحبت القوات العسكرية البريطانية الى كركوك.

ولمـــا نجحت الحركـــة الوطنيـــة في تركيا بزعامة اتاتـــورك، واخرجت القوات اليونانيـــة من الأناضول وتهددت احـــلام اليونانيين بـــادرت حكومات الحلفاء الى المفاوضـــة مـــع الحكومة التركيـــة الوطنية، حيث كانـــت نتيجتها عقد معاهدة لوزان التي تنص على ان تثبيت الحدود الشـــمالية بين العراق وتركيا تقوم به لجنة دولية تحت اشراف عصبة الأمم، تستفتي سكان الألوية الشمالية فيما اذا كانوا يرغبون في الانضمام الى تركيا ام الى العراق.

و في الوقت نفســـه كانت القوات البريطانية جادة في القضاء على العصابـــات التركية في لواء اربيل. وقد استطاعت ذلك وعاد الأمن الى نصابه.

٦–شكاوى أهالي السليمانية:

قبيل هذه الحوادث راجع عدد غير قليل من اهالي السليمانية من تجار واصحاب مصالح باسطين شكواهم عن الفوضى الســـائدة في لواء السليمانية، مستنجدين بالحكومـــة لوضح حـــد لهذا الارتبـــاك المخل فجهزت الحكومة في سنة ١٩٢٤ قوة من الجيش العراقي تأزرها قوة بريطانية فقضت على الفوضى ووضعت الأمن في نصابه، واحدثت تشكيلات ادارية على الأسلوب المتبع في باقي انحاء العراق. وهرب الشيخ محمود الى مناطق الحدود الايرانية.

٧–تثبيت الحدود العراقية – التركية:

في ســـنة ١٩٢٥ وصلت اللجنـــة الدولية التي عهدت اليها الاســـتفتاء وتثبيت الحدود بـــين العراق وتركيا وفق ماذكر في الفقرة (٥) اعلاه وباشـــرت اعمالها، ثم وضعت تقريرا رفعته الى مجلس العصبة ظهر منه ان نتيجة التصويت الذي اشـــرفت عليه تبين ان اكثرية سكان المنطقة الشـــمالية يفضلون الانضمام الى العراق على شـــرط ان يبقى العراق تحت الانتداب البريطاني لمدة عشـــرين ســـنة، وان تحفظ حقوقهم على اساس ماجاء في مبـــاديء حقوق الاقليات التي اقرتها عصبة الامم ووافقت عليها الدول المشتركة فيها.

وهكذا انتهت قضية الحـــدود بين العراق وتركيا وعقـــدت معاهدة انقرة الثلاثية بـــين العراق وتركيا وبريطانيا ســـنة ١٩٢٦. وفي هذه النهاية طويت صفحة اســـتقلال كردستان الكبير من حقل السياسة الدولية، واضمحل نشـــاط الدعاة الى هذه الفكـــرة اللهم الا اذا اســـتثنينا بعض الصحف التي كانـــت تصدر بين حي وآخر وبعض النشـــرات التي كانت توزع سرا، وبعض الجمعيـــات مثـــل جمعية (خويبـــون). وكل ذلك كان خارج البلاد العراقية والايرانية والتركية.

٨–ظهور الحركة الكردية من جديد:

ثـــم بعثت الفكرة الكردية من مرقدها من جديد ووقعـــت عـــدة مصادمـــات مابين ســـنة ١٩٢٦ و ١٩٢٨، وكان ذلـــك في تركيـــا وايـــران. الا ان الحكومات ذات الشـــأن اســـتطاعت التغلب عليهـــا واخمدتها. وعندما تطورت السياسة العراقية البريطانية وعقدت معاهدة التحالـــف في ســـنة ١٩٣٠ ثم اعقبها دخـــول العراق في حضـــيرة عصبة الامم كدولة مســـتقلة حدثت بعض الحـــوادث في مركز لواء الســـليمانية ترمي الى مطالبة بريطانيا بتنفيذ الشروط التي وضعتها اكثرية الكرد حين الاســـتفتاء الذي قامت به اللجنة الدولية والذي مر ذكرهـــا في الفترة (٧) أعلاه، فكان جواب بريطانيا

بـأن قضية ابقاء الانتداب على العـراق او الغاؤه امر يعـود لمجلس وجمعية عصبة الأمم. اما حقوق الكرد باعتبارهم اقلية فانهـا مضمونة وفق مبادئ حقوق الأقليات التـي اقرتها العصبة والتي لابد للعراق حين قبوله عضـوا في العصبة ان يتعهد، كما تعهدت الدول الاخرى العضوة بمراعاتها. هذا فضلا عن ان للعصبة كل الحق في اسـتماع الشكاوى ضد الدول التي تخل في تنفيذ هذه المباديء.

فبالنظـر لهـذه التأكيـدات أطمئن الكـرد على حقوقهم و خلدوا الى السكينة.

وفي سنة ١٩٣١ مهد الجيش العراقي بمساعدة القوة الجوية البريطانية لتأسـيس الادارة المدنية في منطقة بارزان اسوة بباقي اجزاء العراق.

٩-الخلاصة:

لا بـد لي وقـد اوردت لمحة موجـزة عن تاريخ القضية الكرديـة في العصر الحديث وخاصة مايتعلق منها بالعراق، ان اذكر شـيئا عن كرد العراق وميولهم بصـورة عامة باعتبارهم مواطنين وان اوضح الخطة التـي يجب ان يسـيروا عليهـا في ادارتهم في الظروف المعقـدة التي نحـن فيهـا الآن. ان كـرد العراق -في نظري- ينقسمون الى طقبات ثلاثة:

١-رؤسـاء العشائر- وهؤلاء يعيشون في حياة اقرب الى الاقطاعية منها الى المدنية، وليس لهم هدف سياسي معين وانما همهم الأكبر هو الابقاء على ما ورثوه من سيطرة ونفوذ ضمن حدود مناطقهم وعشائرهم.

٢-التجار- وهؤلاء يرومون دائما سيطرة حكومية تامة ليسـود الأمن والنظـام بغية ترويـج تجارتهم ورعاية مصالحهم.

٣-المثقفون- وهم بأزدياد مطرد. اما رغباتهم فانها لا تتعـدى رغبات باقي المثقفين من ابناء العراق، فهم يطالبـون بالاكثار من المدارس ونشـر التعليم وزيادة وسـائل المدنيـة كالعمران والصحـة في تلك الربوع. كمـا انهم يرغبون في جعـل الادارة المحلية في ايديهم والقضاء على نفوذ الطبقة الاولى.

امـا اهدافهم السياسـية في اسـتقلال كردسـتان الكبرى فان العقلاء منهم يعتقدون ان ليس في الامكان تحقيـق هذه الفكرة الا اذا ايدتها الدول الكبرى، وذلك لأن مايربـو على ٨٠٪ من المناطق الكردية يقع خارج العراق.

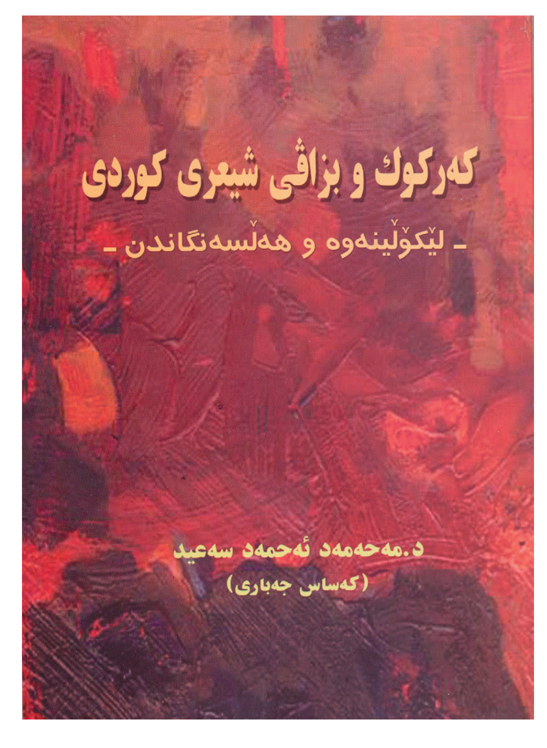
اننا اذا امعنا النظر وتتبعنا الحوادث والاخبار من خلال هذه الحـرب الطاحنة، نجد بـوادر تظهر من حـين لآخر تدل على ان بعض الـدول الكبرى ترغب في اسـتغلال القضية الكردية لصالحهـا وان كان هذا الاسـتغلال لم ينته امره، ولا يعلـم احد مبلغ صحة الوعود وزمن ومدى تحقيقها.

ففي عالم ملبد كالذي نحن فيه، والى ان تسـتقر الأمـور وتنجلـي الحقائق وتظهـر المواطن يجب على العـراق ان يتروى في ادارة الكرد في المنطقة الشـمالية وخاصـة اذا علمنا ان الفوضـى ضاربة اطنابها داخل الحدود الايرانية ورؤسـاء العشائر هم المسيطرون في مناطقهم وان الحكومة الايرانية تحاربهم وتسايرهم. وقـد تأسسـت في المناطق الكردية في ايـران المتاخمة لتركيا -والتي تحت النفوذ الروسـي- مجالس محلية من الكرد لتنظيم وادارة شؤونهم. واما في داخل تركيا فقد حشـد جيش تركي اكثر من المعتاء للسـهر على اسـتتباب الأمن والنظام في المناطـق التركية المتاخمة لايـران والعـراق. وقد قيل ان الاتصـالات بين الكرد علـى اختلاف طبقاتهـم جار في الأيـام الأخيرة اكثر

من السابق وبشكل ملفت للنظر. ان هذه الاتصالات تسيرها وتنظمها الدول ذات الشأن للوقوف على مجريات الأحوال في المناطق بأجمعها.

يتضح مما سبق بيانه اننا نمر بظروف غير اعتيادية تحتم على المسؤولين ان يبالغوا في الحيطة والحذر وان يتجنبوا الحوادث التي من شأنها ان تفسح المجال امام الطامعين ليستغلوا هذا الوضع غير الطبيعي طيلة مدة الحرب وخاصة اذا ما تبين ان ليس للكرد في العراق هدف يخالف مايصبو اليه باقي ابناء العراق. فهم كغيرهم يطالبون باصلاح الادارة والعناية بالمعارف والصحة والعمران وغير ذلك من الأمور الحيوية التي لابد من القيام بها في كافة انحاء العراق عاجلا او آجلا، وذلك لرفع مستوى الشعب وزيادة كفاياته وتنمية موارده. فما زالت هذه اهداف المسؤولين فلا يجب ان نجعل من تأخير بعض الاصلاحات وسيلة للاستغلال تعود علينا بالمتاعب وتكدر صفوا العلاقات القائمة بين الكرد واخوانهم العرب.

واني حين اطلب عناية خاصة في المناطق الشمالية والمبادرة الى الاصلاح لما يمكن اصلاحه قبل غيره لا أقصد من وراء ذلك اصلاح المنطقة الشمالية على حساب المناطق الاخرى، وانما هو ترجيح تقتضيه الظروف الاستثنائية الحاضرة، على اننا يجب ان ننظر الى العراق كوحدة شاملة ونقوم باصلاح شامل ايضا يعم خيره على الجميع.



كركوك والحركة الشعرية الكردية
تأليف: د. محمد احمد سعيد
من مطبوعات سردم - ٢٠٠٨

مذكرة اتحاد الشبية الديمقراطية في كردستان الجنوبية

الى مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية - الافريقية

المنعقد في القاهرة من ٢٦-٣١ كانون الاول عام ١٩٥٧

في غمرة الاحداث الجسام التي تجتاح عالمنا هذه الايام، وفي غمرة تطلع الشعوب الى حريتها وتخلصها من نير النفوذ الاستعماري ونضالها المجيد في سبيل التحرر والانعتاق يتعقد مؤتمر تضامن الشعوب (الاسيوية- الافريقية) ليعيد الامل الى نفوس ملايين الناس من ابناء الشعوب المختلفة في شتى انحاء الارض وان تعاون المتبادل بين هذه الشعوب للوقوف ضد مؤامرات النظام الاستعماري قضية من اشد قضايا الساعة الحاحا.

ويبدو واضحا ان المنطق الاستعماري لايريد ان يفهم، في هذا العصر الذي انتصب فيه الوعي الوطني الشامل شامخا في اوطان كافة الشعوب، ان ادامة السيطرة الاستعمارية على اي قطر من الاقطار يناضل شعبه في سبيل حريته وتحرير وطنه قد اصبحت في ذمة التاريه. وذلك لان التطور التاريخي ينبذ فكرة خلود الاستعمار ويفسح الطريق واسعة امام قوي التحررية الصاعدة.

ان الشعب الكردي ينتهز فرصة انعقاد مؤتمر تضامن الشعوب الاسيوية- الافريقية ليرفع تحياته الى روح الصداقة التي تجمع بين شعوب اسيا وافريقا والعالم باسره في سبيل توطيد السلم والاخاء بين كافة الشعوب، ومكافحة جميع مشاريع الاوساط العدوانية التي تروعها بصورة فظيعة المثل العليا التي تنعقد من اجلها هذا المؤتمر وان شعبنا الكردي ليثق ثقة تامة بالدوافع الطيبة التي حفزت اخوته شعوب اسيا وافريقا للاجتماع من اجل التضامن والتعاون في

ميدان المصلحة التي توحدها الظروف الراهنة من اي وقت مضى، وذلك تحت شعار احترام حقوق الانسان الاساسية واغراض ومباديء ميثاق الامم المتحدة وحق الشعوب في تقرير مصيرها بنفسها.

ان تعاضد الشعوب في سبيل رد المظالم الاستعمارية واحباط المؤامرات العدوانية من اهم ميزات عصرنا الحاضر انه السمة الرئيسية التي تطبع وجه ايامنا بطابع التفاهم بين الشعوب على نطاق واسع ومنذ انعقاد مؤتمر باندونج (١٨-٢٤ ابريل عام ١٩٥٥) ادركت شعوب الشرق الاوسط ومن بينها الشعب الكردي ان قضاياها قد دخلت مرحلة الصراع الحاد لاجل التخلص من نير الاستعمار والظفر النهائي، وان هذه العقيدة الراسخة هي التي حدت بالشعب الكردي الى رفع اسمى تمنياته لنجاح مؤتمر الشعوب الاسيوية – الافريقية ويدفعه الى ذلك ادراك عميق لاهمية هذه المؤتمرات المساعدة على ازالة التوتر العالمي وتوطيد العلاقات الاخوية بين مختلف شعوب الارض.

لقد عبرت المباديء العشرة لمؤتمر باندونج المنبثقة عن المصالح المشتركة لشعوب اسيا وافريقا عن كامل اماني الكرد. وفتحت امامهم افاق الثقة بالمستقبل الوضاء وحفزتهم الى مضاعفة النضال في سبيل ضرب المصالح الاستعمارية والاحلاف العدوانية خاصة حلف بغداد الذي اعتبر الشعب الكردي عدوا داخليا له.

ام مبداء احترام سيادة ووحدة اراضي جميع الامم في رأس مطالب لشعب الكردي الملحة التي ناضل من اجلها، وان اعتراف بالمساواة بين الاجناس وبين جميع الامم كبيرها وصغيرها هو الغاية الرئيسية التي يهدف اليها نضال شعبنا الكردي وان تاريخنا المعاصر انصع الدلائل على ذلك فقد قدم شعبنا اراضيه واحترام سيادته والاعتراف بمساواته مع الامم الاخرى.

لهذه الاسباب بالذات يتوجه الشعب الكردي بنفوس ملؤها الاحترام لمؤتمر، املا ان يبحث في عداد القضايا العادلة الاخرى المدرجة في جدول اعماله قضية ومأساة الشعب الكردي.

القضية الكردية:

ان وطن الكرد (كردستان) يفرضه وجود الشعب الكردي كمجموعة ذات لغة وتاريخ وعادات وتقاليد والالام ومصالح مشتركة واحدة، وقد قطن هذا الشعب المنطقة المعروفة باسم كردستان ولم يبرحها منذ فجر التاريخ رغم العديد من الحروب الضارية والغزوات الاقطاعية في العصور القديمة والمؤتمرات الامبريالية التي تنفذها بعض دول الشرق المنضوية تحت لواء الاستعمار في عصرنا الحاضر، وقد تمكنت السياسة الاستعمارية من تقسيد كردستان الى ثلاثة مناطق والحاقها بكل من الدول الشرقية الثلاث، ايران وتركيا والعراق.

ان الشعب الكردي على ثقة تامة في ان ضمير الشعوب الممثل في مؤتمركم الموفق لايحتمل بقاء اثنتى عشر مليونا من الأكراد الذين يشكلون امة كبيرة في هذه المنطقة من العالم، تحت عبودية مصالح الرجعيات المحلية في كل من تركيا وايران والعراق الخادمة المطيعة للاستعمار العالمي، لاسيما وان الدلائل التاريخية تؤكد بصراحة ان الكرد امة واحدة ذات وطن واحد هو كردستان وان لا فواصل طبيعية او قومية تفصل بين اجزاء بلاد الكرد المزقة التي تؤلف وحدة تاريخية، لغوية، اقتصادية جغرافية متماسكة.

ان الشعب الكردي يرغب في اسماع صوته الى مؤتمركم العظيم ليطلع شعوب العالم على حقيقة

وهي ان الكرد يناضلون وسيناضلون في سبيل حريتهم وتوحيد بلادهم وان الضغط الاستعماري لم ولن يستطيع ان ينتزع من نفوسهم رغبتهم الحقيقة في تحرير وطنهم للمساهمة في بناء المدنية الانسانية والسير في ركب التقدمية العالمية.

الأكراد والاستعمار:

لقد عبر الكرد عن رغبتهم هذه خلال عشرات الثورات التحررية خاضوها بجرأة وشجاعة خارقتين ضد سياسة الاستعباد الاقتصادي وادامة احتلال كردستان التي تمارسها كل من دول تركيا وايران والعراق بمساعدة الدول الاستعمارية.

ان موقع كردستان هو احد المواقع الاستراتيجية والاقتصادية الهامة في العالم، لذا فان الاوساط الاستعمارية تحاول جهدها استغلال وطننا من هاتين الناحيتين، وهي تقف من اجل ذلك امام كل حركة تحررية التي يقوم بها الشعب الكردي لتمنعه من الانطلاق والوحدة كما ان لوجود البترول في مختلف انحاء كردستان كديار بكر وكركوك وكرمنشاه وخانقين اثرها البارز في جذب انظار شركات الاحتكار اللواتي توجهون دفة السياسة الاستعمارية نحو كردستان والضغط على الحركات التحررية الكردية ودفع الحكومات العميلة في تركيا وايران والعراق لتمنع هذه الحركات. وقد برزت في السنوات الاخيرة بشكل مفضوح نشاطات استعمارية غايتها استخدام كردستان كقاعدة حربية في حرب عالمية ثالثة. اجل ان المصالح الاقتصادية والسياسية والاستراتيجية للاستعمار مازالت تعمل بصورة فظيعة لتكتيل المساعي الرجعية بغية تثبيت الاوضاع التي يناضل ضدها شعبنا الكردي. اما الكرد يدركون ادرتكا جيدا ان النصر في النعاية بجانبهم وبجانب كافة الشعوب المظلومة وان الخسران والاندحار لقوى الشر والاستعمار.

كردستان والمعاهدات والدولية

ان شعبنا ككافة الشعوب الشرقية قد وثق بالمعاهدات الدولية كسيفر وغيرها التي كان من الممكن ان تحقق له بعض مايصبوا اليه، لقد اقرت معاهدة سيفر الموقعة في يوم ١٠ اب ١٩٢٠ بين تركيا المغلوبة من جهة وبين الدول المتحالفة المنتصرة من جهة ثانية في المواد ٦٢ و ٦٣ و ٦٤ ومن الفصل الثالث المتعلق بكردستان مايلي:

المادة ٦٢: تجتمع لجنة مقرها استاتبول، مؤلفة من ثلاثة اعضاء تعينهم كل من الحكومات الانكليزية والفرنسية والايطالية، فتسن خلال ستة اشهر بعد ان توضع المعاهدات موضع التنفيذ مشروع ادارة مركزية تضم المناطق التي اغلبية سكانها من الكرد، تمد شرقي الفرات والى جنوبي حدود ارمينا كما ستعين فيما بعد وشمال الحدود التركية المتاخمة لسوريا ومابين النهرين كما جرى تحديدها في البند ٢٧-٢ (٢) و (٣) واذا لم تتم الموافقة بالاجماع على اية مسألة كانت فان كل من اعضاء اللجنة يحيلها الى حكومته وعلى المشروع ان يتضمن ضمانات لحماية الاثورين- الكلدان — واقليات اخرى عنصرية او دينية ضمن هذه الاراضي ومن اجل هذه الغاية ستوفد لجنة من ممثلين انكليز وايطاليين وايرانيين والكرد الى المناطق المذكورة فتقرر التعديلات —اذا شاءت- التي يجب اجراؤها في الحدود التركية حيثما يلزم وفقا لبنود هذه المعاهدة التي بموجبها تتفق تلك الحدود

مع الحدود الايرانية.

المادة ٦٣: وبهذا توافق الحكومة التركية على قبول وتنفيذ قرارات اللجنتين المذكورتين في المادة ٦٢ وخلال ثلاثة اشهر بعد ابلاغها الى الحكومة المذكورة.

المادة ٦٤: وفي غضون سنة واحدة بعد دخول هذه المعاهدة موضع التنفيذ اذا اراد الشعب الكردي القاطن ضمن الاراضي البينة في المادة ٦٢ ان يرفع طليا الى مجلس عصبة الامم بشكل يظهر فيه ان اكثرية هذه المنطقة ترغب في الاستقلاق عن تركيا واذا راى المجلس ان هذا الشعب قادر عل استقلال كهذا. ويوصى المجلس بوجوب منحه له توافق تركيا على تنفيذ مثل هذه التوصية وان تتنازل عن جميع الحقوق والامتيازات في هذه المنطقة.

وان شروط التنازل ستكون موضوع اتفاقية على حده بين الدول المتحالفة الرئيسية وتركيا وعند تنازل كهذا فان الدول المتحالفة الرئيسية سوف لاتمانع واذا شاء هؤلاء لكرد القاطنون ذلك القسم من كردستان الذي ادخل حتى الان في ولاية الموصل الالتحاق الاختياري بدولة كردية مستقلة كالتي هي موضوع البحث.

الا ان مصالح الدول الاستعمارية وتركيا لم تسمح بتطبيق هذه البنود رغم النواقص الموجودة فيها ورغم ما فيها من تقييد لحقوق الشعب الكردي واتفقوا فيما بينهم على ابقاء الكردستان مقسمة مجزاة الاوصال بموجب معاهدة لوزان التي قعت في ٢٤ تموز عام ١٩٢٣.

وبعد توقيع معاهدة لوزان بدات الثورات في كردستان الملحقة بتركيا تندلع وتقابل بقوة الحديد والنار من قبل الحكومة التركية ولقد ساهمت الدول الاستعمارية انجلترا وفرنسا في قمع هذه الثورات. ففي السنوات ١٩٢١ و ١٩٢٤ و ١٩٢٥ و ١٩٢٦ و ١٩٢٧ و ١٩٢٨ و ١٩٣٠ لم تخمد جذوة الثورة في كردستان المحتلة من قبل تركيا واهم هذه الثورات هي ثورة ١٩٢٥ بقيادة (الشيخ سعيد البيراني) في منطقة دياربكر وثورة (اغرى) في عام ١٩٣٠ بقيادة الجنرال الكردي احسان نوري باشا. ولندع الان الباندبت نهرو يروى لنا ماحدث، يقول نهرو مخاطبا انبته: اخبرتك سابقا ان تركيا اصبحت دولة وطنية متماسكة وان العناصر الدخيلة فيها قد تقلصت كثيرا ولكن ظل في شرق تركيا شعب غير تركي متاخم للحدود التركية- الفارسية وهم الكرد القدماء الذين يتكلمون لغة ايرانية وكانت بلادهم كردستان مقسمة بين تركيا وفارس والعراق ومنطقة الموصل وقد قامت القومية بحركة قومية بعد الثورة التركية عام ١٩٠٨ كما طالب ممثلو الكرد في مؤتمر الصلح في (فرساي) بأعطائهم الاستقلال القومي. وفي عام ١٩٢٥ قامت ثورة كبيرة في الرقعة الكردية من تركيا وكان ذلك ايام الاحتكاك الناشب بين بريطانيا وتركيا حول منطقة الموصل التي كانت قسما من المنطقة التركية الكردية التي قامت فيها الثورة وقضى كمال باشا بعد ذلك على الكرد بلا رحمة واقام محاكم (الاستقلال) الخاصة لمحاكمتهم بالألوف واعدم الزعيمان الكرديان الشيخ سعيد والدكتور فؤاد وغيرهما الذين ماتوا وامنية استقلال كردستان لاتفارقهم.

هكذا نرى ان الاتراك الذين حاربوا مؤخرا للحصول على حريتهم سحقوا الكرد لمطالبتهم بحريتهم فما اغرب تحول القومية من دفاع عن الوطن الى هجوم لسلب حرية الغير.

في عام ١٩٢٩ ثار الكرد ثانية ولكن ثورتهم سحقت

ولــو الى حين اذ كيف يمكن ان تخمــد الى الابد ثورة قوم يكافحون من اجل الحرية وهم مســتعدون لدفع الثمن.

(لمحات من تاريخ العالم، للبانديت نهرو –الطبعة العربية ص ٢٥٩-٢٦٠)

وفي ســنوات ١٩٣٦- ١٩٣٧- ١٩٣٨ قام الكرد بثورة في منطقة (درســيم) وكانت كل هذه الثورات التحررية العادلــة تقابل من طرف التركية الرجعية باســاليب القمع الوحشــي ولم تتورع تركيا من ان تســتعمل في شــل الحركات القومية التحررية الكردية بالاســلحة الثقيلة من مدافع ودبابات وطائرات وقنابل ســامة، مع العلم ان مطاليب الشــعب الكردي في تلك الظروف لــم تكن تتعــدى ابتغاء الحكــم الذاتــي والحرية في بنــاء الثقافة الكردية والمحافظة علــى اللغة والعادات والتقاليد وتأمين النهوض بمســتوى معيشــة الشعب الكردي على ضوء المصلحــة القومية الخاصة، غير ان سياســية التتريك كانت تتبعها الحكومة التركية كانت ترفض كل هذه المطاليب العادلة والانســانية وتمارس هجومــا على الاماني القوميــة التحررية للكرد تحت سمع وبصر الحكومات التي تدعى رياء ونفاقا العدالة والديمقراطية وبموافقتها ايضا.

اما بالنسبة للعراق:

فقــد كانــت انجاترا من بين الــدول الموقعة على معاهدة ســيفر ومن اكثر اهتماما بمصير كردســتان، وذلك لان منطقة كردســتان تعتبر من المناطق الشرق الاوسط الغنية بالترول -كما بينا سابقا- ولانها احدى الطرق الرئيسية المؤدية الى الهند التي كانت جزءا من الامبراطورية البريطانية انذاك.

فعندمــا وضع العراق تحت الانتداب البريطاني في ايــار عام ١٩٢٠ كان الكرد هنالك ثائرين ثورة جامحة بقيادة الشــيخ محمود البرزنجي يطالبون بالاستقلال فاضطــرت انكلترا للاعتراف بقيام دولة كردية. لذلك فقد اصدرت بالاشــتراك مع الحكومة العراقية يوم ٢٤ كانون الاول عام ١٩٢٢ التصريح الآتي:

(ان حكومة صاحبة الجلالة البريطانية وحكومة العراق تعترفــان بحقوق الكرد القاطنين ضمن حدود العراق لتأسيس حكومة كردية في المناطق التي يشكل فيها الكــرد الاكثريــة المطلقة، وترجــو ان العناصر الكردية المختلفة ان تصل فيما بينها باســرع مايمكن الى اتفاق من شــأنه تعين شــكل الحكومة التي يرغب الكــرد بها. وتعــين حدود هذه الحكومــة وان يبعثوا بممثلين رســمين الى بغداد للمداولة بشــأن علاقتهم السياســة والاقتصادية بحكومتي بريطانيا والعراق) ولكــن بعد ان تشــكلت هذه الدولــة الكردية لم تدم اكثــر من مدة قليلة اذ ســرعان مــارأت بريطانيا ان مصالحهــا الاســتعمارية تقتضى ضــرورة ازالتها من الوجــود وفعلت ذلك بالتعاون مع الســلطات العراقية العنيلــة، وقــد حصلت اثر ذلــك اضطرابات وثورات دامية نشــيت في كردســتان الملحقة بالعراق عام ١٩٢٢ وتابــع الكرد القيــام بثورات التحرريــة خلال اعوام ١٩٢٩- ١٩٣٠- ١٩٣١- ١٩٣٢- ١٩٤١ ثــم كانــت ثورة البطل الكردي مصطفــى بارزاني عام ١٩٤٣ وقد تبعها بثورة اخرى عام ١٩٤٥ واشــتركت السلاح الجوي البريطاني في قمع هذه الثورات وقاد القوات العراقية في اخماد ثورة ١٩٤٥ الجنرال الانجليزي (رنتن).

اما حالة الكرد في ايران:

فهي اســوأ وامر، اذ ان الحكومة الايرانية تضطهد

الكرد بقصد صهرهم في بوتقة الشعب الفارسي، ولقد ابادت هذه الحكومة منــذ عام ١٩٢٥ الى الان عددا من العشـائر الكردية وفرضت اللغة الفارسية على الشعب الكردي. ولاشــك ان الاوسـاط الاسـتعمارية موافقة علــى تصرفات الحكومة الايرانيــة موافقة تامة، وفي عام ١٩٤٦ قام الشـعب الكردي بقيادة حزب كردستان الديمقراطي بتأسيس جمهورية كردستان في (مهاباد) برئاسـة قاضي محمد وقد اعترفـت حكومة طهران بجميع الاصلاحـات التي قامت بها هـذه الجمهورية وذلك في اتفاقيــة تبريز-طهران ولكن لم تمضى على توقيع هذه الاتفاقية سـوى مدة وجيزة حتى هاجم الجيش الايراني المسـلح بقاذفـات القنابل الامريكية الثقيلة جمهورية كردستان واشترك ضباط امريكيون في هذه الحملة وساندها الاستعمار البريطاني تتحشيد جيوشــه في بصرة بالعراق اسـتعدادا للتدخل، وكان المسـتعمرون الامريكان والبريطانيون يحاولون اشعال نــار حرب اهلية في ايران ليكون مقدمة لحرب عالمية ثالثــة جدا فمنذ اكثر من قرن ودمــاء الكرد الزكية تراق في سـبيل حريتهم وانهم اليوم من اجل متابعة هذا الكفاح المقدس ليسـوا بحاجة الى اي تشجيع ولن يكون الشـعب الكردي خاضعا للاستعمار كحكام الدول التي تقتسم وطن الشعب الكردي.

ولهــذه الاسـباب بالذات تبرز بشـكل ملـح امام المؤتمرات التي تنعقد لبحث المشـاكل العالمية وقضايا الشـعوب كمؤتمركم الموقر ضرورة بحث قضية الامة الكردية كجزء من العمل للاخذ بين الشعوب المظلومة والاعتراف بحق تقرير مصيرها وكضرورة من ضرورات اقرار السلم في هذه المنطقة الحساسة من العالم.

لقد اثبت شعبنا الكردي خلال تاريخه الطويل انه لم يبادر ويدرك ايضا ان مصالح الاستعمار والرجعية العالمية كانت ومازالت تدفع الحكومات الرجعية المحتلة لكردسـتان للقضاء على حرية الشعب الكردي وسلب قوت يومه. ورغم استقامة هذا الشعب الفطرية التي شهد بها عدد كبير من المؤرخين ورغم حبه للانسانية وصفاء طويته فان مؤامرات كبرى كمؤامرة سعد اباد بين تركيا والعراق وايــران عام ١٩٣٧ لمقاومة الحركة التحررية الكردية وحلف بغداد العدواني الذي تشترك فيه نفس الحكومات مازالت تسـتنزف دماءه وتسـد امامه طريق التطور والتحرر الوطني.

ان عبوديــة عهد الرقيق مازالت تطبق بحذافيرها ضد شـعبنا الكــردي فهو في كردسـتان الملحقة بتركيا وايــران محروم من اية مدرسـة كرديــة، ممنوع من اصدار المنشـورات والصحـف او التاليف العلمية بلغته القومية، وفي العراق لم تطبق النص الدسـتوري الذي يقــول بان اللغــة الكردية هي لغة رسـمية في الدوائر الحكوميــة والمـدارس والمحاكـم بمنطقة كردسـتان، وتوضــع امام الطالــب الكردي الذي اسـتطاع تكميل تحصيلــه الثانوي مئــات العراقيل لمنعــه من متابعة دراسته العالية، كما يستبعد الضباط والموظفين الكرد عن المراكز الكبرى او الحساسة واجهزة الدولة المغتصبة وتخضع المناطق الكردية فيها الى نوع خاص من الادارة العسـكرية الجائــرة، ولاتقوم هذه الــدول باي اصلاح اقتصادي او صحي او ثقافي في هذه المناطق لرفع مستوى حياة الشـعب الكردي سـواء في المـدن او القرى وذلك بغية ابقائه تحت سـيطرة الرجعية المحلية ولتسهيل نهب خيرات كردسـتان على الاستعمار، كما تحذف من المناهج الرسمية والخرائط وسائر الكتب التاريخية او الجغرافية كل كلمة تتعلق بالكرد او كردستان.

ماذا يريد الشعب الكردي:

والان بعــد ما عرضنا بعــض الحقائق عن اوضاع شــعبنا في عصر انهيار وتفسخ النظام الاستعماري وفي عصر تمت وتوطدت قوى الديمقراطية والاشــتراكية والسلام في معظم اجزاء العالم وتحررت شعوب كثيرة مــن نير العبودية والاســتبداد الاســتعماري نرى من الضــروري ان نعرض بايجاز اهداق شــعبنا ومطالبها العادلــة ونحن نســتصرخ ضمير احــرار العالم لفهم قضية شــعبنا والوقوف بجانبها ومساندتها ان الشعب الكــردي يريد ان يحصــل على حــق تقرير مصيره بنفســه. هذا الحق الذي تؤديه مباديء الامم المتحدة ولائح حقوق الانســان ومقررات مؤتمر باندونغ وهو المطلب الاساسي لكفاح شعبنا.

ان شــعبنا يريــد ان يســتعيد حقه المشــروع في وطنه ويريد ان يكون ســيد نفســه وصاحب الحق في ثــروات وطنه التي تنهبها الان الشــركات الاحتكارية الاســتعمارية انه يريد العيش باخاء وسلام مع جميع الشــعوب وتوطيد الصداقة معهــم، وهو يريد صيانة الســلام العلم ومنع الحروب المدمــرة ويؤيد مباديء التعايش الســلمي ويناضل في سبيل تحقيقه انه يؤيد نضال الشعوب من اجل الحرية والاستقلال والسياسة الوطنية. كما يصون على الدوام وحدة كفاحه المشترك مع الشعوب المجاورة والصديقة في جميع اجزاء وطنه الملحقة بالعراق وايران وتركيا ويناضل مع شعوب هذه البلدان جنبا الى جنب من اجل تحريرها من سيطرة الاستعمار والحكومات الرجعية والاحلاف العدوانية.

والخلاصــة انه لايريد اكثر مــن تطبيق مباديء (بلندونــج) العادلة ليقيم في وطنه نظام الحكم الذي يلائمه ويبني مســتقبلا ســعيدا يســتطيع المساهمة الفعالة في ركب الانســانية السائرة نحو النور والسلام. ان مؤتمركم هو الملاذ القوي لقضية شعبنا، وانه اليوم يتجه اليه بقلب ملئه الامل لكي تبحث قضيته العادلة في عداد القضايا المدرجة في جدول اعمالكم.

عاش تضامن الشعوب الاسيوية- الافريقية

عاش نضال الشــعوب في ســبيل حريتها وتقرير مصيرها وتفضلوا بقبول فائق الشكر والاحترام

اتحاد الشبية الديمقراطية في كردستان الجنوبية

ملاحظة:

تؤجــد اخطاء لغوية واملائيــة ومطبعية، حفاظا للسياق التأريخي، ارتأينا ان نبقيها كما هي.

سردم العربي

شخصيات كردية

إسماعيل آغا الشكاكي (سمكو)

عوني الداوودي

شغلت حركة سمكو آغا صفحة بارزة في سجل تاريخ إيران المعاصر، فالحديث عن سمكو آغا، يعني بالضرورة الحديث عن كوردستان وإيران في أحرج المراحل التي مرت بها المنطقة قبل وأبان وبعد الحرب العالمية الأولى، وبالرغم من إعلان إيران الحياد، إلا أن أراضيها تحولت طيلة سنوات الحرب إلى ساحة قتال بين جيوش الجبهتين المتحاربتين، بما فيها أراضي كوردستان إيران، التي إنطلقت منها الشرارة الأولى للحرب في ميدان الشرق الأوسط، كما يقول م . س . لازريف، وفي رأينا أنه بدون دراسة علمية لمختلف مراحل حركة سمكو آغا، ستظل إحدى الحلقات مفقودة لدراسة تاريخ كوردستان إيران. سنحاول هنا إلقاء الضوء على جزء من الأحداث البارزة التي مرت بها حركة سمكو آغا، وشخصيته وعشيرة الشكاك التي ينتمي إليها.

سمكو هو التحريف الكوردي لـ إسماعيل، فهو إسماعيل آغا أبن محمد باشا أبن علي خان أبن إسماعيل خان. ومن المتبقين من نسله، أبنه خسرو، وهو متقاعد الآن، ويعيش في استنبول، أما أبنته صفية خان زوجة شيخ جتو بن سيد طه الشمزيني، فيعيشان في أربيل في جنوب كوردستان « العراق « وعن عشيرة الشكاك يقول العلامة محمد أمين زكي بك : « تبلغ ستة آلاف أسرة سيّارة، عشيرة شهيرة تقطن ثلاثة شهور في بيوت الشعر، موطنها غربي بحيرة أورمية على الحدود، وكان إسماعيل آغا المعروف بـ سمكو رئيس هذه العشيرة،

وفروعها: شفكي، بوتان، شوه لي، شكاك». ويقول مارتن فان برونسن عن هذه العشيرة : «إن عشيرة شكاك تأتي بعد عشـيرة كه لهر، التي تعيش غرب كرمنشاه، والشـكاك تعيش في المناطق الجبلية من سوما وأورمية، وكان تعدادهم في عام ١٩٢٠ حوالي ألفين أسرة.

اسـتطاعت هذه العشـيرة أن تسيطر على مساحات شاسـعة من الأراضي، وفي مراحل عديدة خارج المناطق التي تعيش فيها، منذ أيام الجد الأكبر لـ سـمكو» إسـماعيل خان « لما تميزوا به من خصال قتالية نادرة، وهذا ما جعل غالبية رؤوساء هذه العشيرة، تصمد وتقاتل ضد الإيرانيين، وفي أحيان أخرى ضد الترك.

لعب سـمكو آغا دوراً بارزاً في النضال التحرري الكوردي، وكانت حركته تسـتهدف التحرر القومي، ويرجع تاريخ بروز إسـماعيل آغا الشكاكي « إلى سـنوات ما قبل الحرب العالمية الأولى، ولا سيما بعد أن قتلت السلطات الإيرانية شـقيقه الأكبر جوهر آغا غيلة في العـام ١٩٠٥، لاتصاله بالثوريين الإيرانيين، فمنذ ذلك الوقت أصبح سمكو على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان وبالروس الذين أشاروا إلى أسمه ونشاطاته في وثائقهم الدبلوماسية، وقد ورد عنه في تقرير روسـي خاص : تقريباً منذ العام ١٩١٤ أصبح أسـم سـمكو معروفاً على نطاق واسع في الدوائر الدبلوماسـية الروسـية، والبريطانية، والإيرانية، والتركية ، ففي سـفارة كل واحدة من هذه الأقطار وكذلك في وزاراتها الخارجية ملف كبير عن سمكو.

إن هذا التقرير يعطينا صورة واضحة عن الدور الذي لعبه سـمكو، وهذا ما جعل رضا خان (شـاه لاحقاً) وفي البداية حين تسـلم السـلطة في إيران، ولإدراكه مدى تأثير وقوة ونفوذ سمكو آغا، أن يعقد علاقات صداقة معه، تظاهر بالاحترام والتقدير لشـخصيته، ولم يسـتطع رضا خان أن يعلن نفسه شاهاً، إلا بعد أن قضى على حركتي سمكو في كوردستان، وخزعل في عربستان.

تحمس الروس إلى إقامة علاقات ودية مع سمكو، وفي المقابل تعاون سمكو مع الدبلوماسيين الروس، وسعى إلى نيل العون منهم، ومن ناحية أخرى كانت الصحافة البريطانية تعتبر سمكو : روبن هود الشرق، وفي الحقيقة كان هذا اللقب يطلق أيضاً على شـقيقه الأكبر جوهر آغا، وعن سياسـة سـمكو آغا يقول مارتن فان برونسون : « ومن أجل أن تبقى الأبواب جميعها مفتوحة أمامه، تبنى سـمكو في سـنوات الحرب العالمية الأولى سياسـة تميزت بهدوء نسبي، ولكن بعد انتهاء الحرب، تحول سمكو إلى أبرز عنصر في النضال التحرري الكوردي الإيراني الـذي تعمق مضمونه وتحددت أهدافه أكثر، ليتحول إلى ظاهرة بارزة في تاريخ إيران السياسـي، خصوصاً بعد ظهور رضا خان فوق المسرح، والذي تبنى سياسة لا ديمقراطية تجاه المسألة القومية الملتهبة دائماً بحكم واقع إيران».

وكان إسماعيل آغا الشكاكي على اتصال وثيق بعبد الرزاق بدرخان أحد أعضاء الأسرة البدرخانية، والشيخ نهري من شـمدينان، وسـيد طه بن عبيد الله ، وفي حرب ١٩١٤ عقدوا اتفاقية مع الحكومة القيصرية الروسية، وتحالفوا فيما بينهم لخوض النضال المشـترك من أجل تأمين حقوق شـعب كوردسـتان القومية، وبعد انتهاء الحرب، بدأت مرحلة جديدة في تاريخ حركة سـمكو آغا، فبعد بسـط سيطرته على أورمية والمناطق المجاورة،

بدأ بإصدار جريدة سماها في البدء « روزي كورد شەوی عەجەم «أي نهار الكورد أو شمس الكورد، ليل العجم « ومن ثم غير الاسم إلى نهار الكورد، وأخيراً إلى الكورد ، وأسدى رئاسة تحريرها إلى الشيخ محمد تورجاني من أهالــي قزلجة، كان ذلك في عام ١٩٢٠، وهذا يدل على أن ســمكو آغا كان يــدرك دور وأهمية الصحافة والإعلام، ومــن المفيد ذكره أن محاولات ســمكو لإصدار صحيفة كوردية ترجع إلى ما قبل الحــرب العالمية الأولى، وذلك عندما ســاهم مع صديقه عبد الرزاق بدرخان على إصدار مجلة كوردســتان في مدينة «خوي» وعندما ألقي القبض على عبد الرزاق بدرخان من قبل روســيا القيصرية وتم أبعاده، تبنى سمكو وحده إصدار تلك المجلة، أما بالنسبة لعلاقات سمكو مع القوى التي كانت في المنطقة والدول المجاورة، فلم تكن جيدة، حيث فشل في بناء علاقات صداقة مع الإنكليز وذلك لتخوف الإنكليز من التورط في المشاكل الكوردية مع إيران من جهة، وحرصاً على عدم استقرار تركيا من جهة ثانية، وفي الحقيقة فإن موقف الإنكليز المناور، أصاب سمكو بخيبة أمل كبيرة، من باب ترحيبهم بالانتصارات الإيرانية عليه في مهاباد، واحتلال مقرهم الرئيسي في جهريق. كتب أدمونس: «أنه اندهش (أي سمكو) لمدى اهتمامنا بالفرس، رغم أنهم كانوا يتعاونون على طول الحدود مع الأتراك الذين طردونا من راوندوز ورانية، والذين كانوا لا يزالون يحاربوننا علناً».

أما مع تركيا فكانت علاقاته بين مد وجزر، وســنأتي على ذكرها لاحقاً، وبالنســبة لإيران فكان في عداء وحرب مســتميتة، أنتصر عليهم في الكثير من الأحيان واســتطاع أن يبسط سيطرته على أماكن شاسعة ومدن كبيرة ، سابلاغ ، أورمية، سلماس، بانه، وسرده شت، وغيرها، وفي المقابل استطاع الإيرانيون أن يهزموه في أحياناً أخرى حتى وصل به الأمر أحياناً إلى اللجوء إلى الأراضي التركية والعراقية.

في العام ١٩٢٠، أسس سمكو آغا جمهورية مستقلة باسم «جمهورية آزاد ستان» أي «جمهورية الحرية» ودامت عدة أشهر فقط، وكانت الدول المجاورة لا تثق بـ سمكو ، وتدرك مطامحه من أجل بناء كيان كوردي، وصعوبة ترويضه، ليكون ورقة بأيديها تســتعمله كيفما تشاء، ومن أجل ذلك كانت ترغب في التخلص منه في أي فرصة ســانحة. ففي شــهر آب من عام ١٩٢٢ ، وعندما هُزم من قبل الإيرانيين، أضطر إلى اللجوء إلى الأراضي التركية «كوردســتان تركيا» وكان يتوقع بأن يســاعده الترك، لأنه تعاون معهم في عدة مواقع سابقة، لكنه فوجئ بأنه محاصر، وقتلت زوجته في تلك المعركة، وأخذ أبنه خسروا أسيراً، فاضطر أخيراً إلى اللجوء إلى الأراضي العراقية «كوردستان العراق».

وتبدو وجهة النظر التركية جلية حول سمكو آغا، في الوثيقة التالية:

ديار بكر ١٤ /٦ /١٣٣٨ هـ

إلى القائمقام يوزدمير بك

أستخبارات . نومرو ١٧٤٥

١- سيمتقو «كان الأتراك يلقبونه بـ سيمتقو» رجل محتال، وماكر، وبمهارته يخفي الخنجر الذي سيشهره علينا في حينه، أن هذا الرجل يحمل فكرة الاستقلال في رأسه، وأنه يحاول ألا يقطع علاقته بنا إلى حين تمكنه،

وازدياد نفوذه وقوته في إيران، ويصل إلى أهدافه ومآربه.

٢- إن ازدياد سلطة سيمتقو داخل العشائر الكوردية بهذه الصورة، تجري في غير صالح حكومتنا الشعبية « المقصود حكومة مصطفى كمال « لكن في نفس الوقت ليس من مصلحتنا أن نهاجمه، ونقطع علاقاتنا معه في الوقت الحاضر، لكنكم لو تستطيعون « يوزدمير « أن تبدأوا بحملة دعاية واسعة ضده « تأليب العشائر الكوردية عليه « وفي الحقيقة أنكم بهذا العمل ستقدمون خدمة جليلة للحكومة . أنشروا بين الناس بأن سيمتقو يقاتل بمال الإنكليز، والدم الكردي يذهب هدراً لمصلحة الإنكليز ومصلحته فقط . هكذا كان الأتراك يعملون في الخفاء ضد سمكو، وفي نفس الوقت كانوا يظهرون له الود والاحترام، ويمدونه بالمال والسلاح، ويبدو بأن مثل هذه السياسات لم تكن تنطلي على سمكو آغا بسهولة، فمن خلال الحوار التالي بينه وبين مصطفى باشا يامولكي تتبين لنا كيفية تفكيره وعلاقته بالأتراك:

*** حسناً أنت تناضل من أجل الحقوق القومية للكورد، وبناء الاستقلال لهم، لماذا لا تبدأ أولاً بمناطق، وان، أرضروم، بتليس، هكاري، خربوت، وتحريرها من ظلم وجور مصطفى كمال ؟ لماذا لا ترفع راية خاصة بك، وتعلن للآخرين أهدافك ؟ ومن أن هذه الحركة ليست لإراقة الدماء٠ كما يشاع، بل أن هدفك الأسمى هو التحرير بصورة سلمية٠ لماذا لا تحاول التفاوض مع الفرس؟**

أنا أفضل أن أبدأ من إيران، وليس من الحكمة أن أكون في خصام مع الأتراك في الوقت الحاضر، فضلاً عن هذا، فهم يمدوني بالسلاح والعتاد، وليس من الضروري في الوقت الحاضر نشر البيانات والنشريات، ومن جانب آخر سمعت بأن الأوربيين على خلافات وصراعات فيما بينهم، ومن أجل هذا يجب أن نناضل ونعتمد على أنفسنا، ولا نسمح أبداً بعودة الفرس إلى أورمية وسابلاغ « هذا يعني بأنه كان يسيطر على هذه المناطق في تلك الفترة التي كان مصطفى باشا الياملكي في زيارته، أي عام ١٩٢١ ونحن بدورنا لن نستسلم أبداً، ولطالما بقي شكاكي واحد سنقاوم». وفي اليوم التالي ٢٠ /١٠ /١٩٢١ يستمر النقاش طويلاً بينهما:

جناب إسماعيل آغا، أن اليوم ليس مثل ايام عبيد الله، وإن ما يحدث في كوردستان يجلب انتباه الدول الأوربية، وحتى الولايات المتحدة الأمريكية تعلم بما يجري هنا، وأن دولة عظمى مثل بريطانيا التي تحكم الآن في السليمانية والمنطقة تنتبه إلى ما يحدث في الحركة الكوردية، وما لا يوافقها ستقف ضدها عسكرياً وسياسياً. صحيح إنكم تنسقون جيداً مع الترك في أناضوليا، لكن إذا لم يحالفهم الحظ وهزموا فسوف تخسرون أيضاً، وما من معين يساعدكم، وكما تعلم فإن حركة مثل حركتكم، لا تستطيع أن تحقق أهدافها ومطامحها، دون مساندة ودعم دولة أوربية، لا سيما أن بريطانيا أصبحت اليوم جارة لنا، كما أن جلالة السلطان محمود الثاني يعتبر ما يقوم به القوميين الأتراك - حركة أناضوليا - خارجة عن القانون، ومن أجل هذا تقدم اليونانيون تجاه «أنكور»، وهم مستعدون للقيام بعملية ضدهم، وفي أناضوليا هناك الكثير ممن يرحبون بقدومهم، وقد طلبوا منهم احتلال المنطقة، لأنهم يكرهون القوميين الأتراك، ويجب ألا ننسى بأن القوميين الترك هم ألد أعداء الكورد، وقد كبدوا الكرد خسائر فادحة منذ عام ١٩٠٨ وإلى الآن، وعلى كل حال فإن اليونانيين هم أفضل

من الأتراك بالنســبة لنا، على الأقل هم متحضرون، وليسوا متخلفين وجهلة مثل الترك، ومن الأفضل أن تبني جســور العلاقة معهم، وأن تٌعلم الإنكليز بذلك، ومن أجل أن تحل مشــاكلك مــع الدولة الإيرانية، أتصل بهم، وأستفد من الأخطاء والفرص المتاحة، وحاول أن تتفاهم وتتفق في تلك المناطق التي لا يوجد فيها البريطانيون أو الأوربيين، وحسب مداركي إذا اتبعت هذا الخط، فسيستجيب الأوربيون لمطالبك.

فيرد عليه إسماعيل آغا:

وأنا أيضاً أمقت القوميين الأتراك، وأعلم بأنهم أشــد عداوة من الفرس بالنسبة للكورد. بعثت بعدة رسائل إلى الإنكليز، وأبلغتهم بأنني لا أقف ضد سياســاتهم، ونحن بحاجة إلى مســاعداتهم دوماً. ليقف الإنكليز بجانب الكورد، وأنا سأفي بإلتزاماتي وأتعاون معهم، نحن بحاجة إلى العتاد والسلاح، وإذا لم يسعفونا من هذه الناحية، ســأقع في مشــاكل كبيرة جداً. بعثت سيد طه إلى بغداد ولكن دون جدوى، والآن أنا وسيد طه سنوكلك للتحدث معهم، فإذا إستجابت الحكومة الإنكليزية بنفسها، أو عن طريق أصدقائهم البشدريين ـ بابكر سليم آغا ـ وأمدونا بالســلاح والعتاد، دون أن يضعونا تحت رحمة ضباطهم، نســتطيع أن نحتل ونحرر، وان، أرضروم، ســيواس، وهكاري، وننظف المنطقة من الأتراك، وعند ذاك ســنلقن هؤلاء الذين في راوندوز درســاً كبيراً ـ يقصد الأتراك ـ هــذا هــو اقتراحي، ولكي تكون مطمئناً أعــدك بأننا صادقون في هذا الحوار. وقبل أن يختتم ســمكو كلامه يسترســل : نحن نســتطيع أن نبسط سيطرتنا على أنكور، وإذا لزم الإنكليز الصمت، سنحتل سنه «سنندج» في وقت قريب.

ذهاب إسماعيل آغا إلى السليمانية:

لم يكن ذيوع صيت إســماعيل آغا محصوراً في شــرق كوردســتان (إيران) فقط، بل طافت شهرته جميع أرجاء كوردســتان. وفي عام ١٩٢٣ زار مدينة الســليمانية، وعقد علاقات طيبة مع الشيخ محمود الحفيد، وكان الشيخ في أوج عظمته آنذاك، ويخاطبه في مراسلاته بـ « قهرمان كوردستان حضرت إسماعيل آغا ــ أي حضرة إســماعيل آغا بطل كوردستان « . ولأهمية تلك الزيارة، وشعبية سمكو وحب الأهالي له، أستقبل بحفاوة بالغة على المســتويين الشــعبي والرســمي. كتبت جريدة روزي كوردســتان في العدد ٨ المصادف ١٠ /١ /١٩٢٣ تقول : قبل أسبوع تحرك جناب وحضرة كاتب المجلس الملوكي ـ كاتب الديوان الملكي، طاهر أفندي مع قوة مؤلفة من الفرسان الخيالة، لاستقبال حضرة قهرمان كوردستان، جناب إسماعيل آغا.

ففــي ٨ ١ ١٩٢٣، تعطلت الدوائر الرســمية عن العمل، إحتفاءً بقدوم جناب الآغا، وأن جميع الســادة الكرام ومأموري العســاكر الملكي، ورؤســاء الدوائر، والأشــراف، والأهالــي المحترمين، إنطلقوا، راكبــين، وراجلين، إلى ضواحــي المدينة لإســتقبال جنابه، كما ذهب جناب رئيــس الداخلية،مع جناب كابتــن جيمن، وكيل فخامة المندوب الســامي راكبين الســيارة، وسائر رؤســاء العشــائر، الذين كانوا متواجدين في مدينة السليمانية، وكل

مــع مجموعتــه ودائرته، وبصورة منظمة اصطفوا في مراســم الاســتقبال، وكان فخامة الملك المعظم الشــيخ محمود وحاشــيته في اســتقبال إســماعيل آغا، فــكان اللقاء في ضواحي المدينــة، لقاء حميماً، أخذ إســماعيل آغــا موقعــه بجانب الملــك إلى داخــل المدينــة. كان الضباط والعســاكر الكردســتانيين المنصوريــن، واقفين بصــورة منّظمة خارج المدينة للاســتقبال، وكانت الأناشــيد الوطنيــة « في النص الأغانــي الوطنية « تغنى بصــوتٍ عــالٍ ، وكان الجمهــور يهتف بموفقية وتقدم الحكومــة الكوردية. بعد ذلك قــام جلالة الملك المعظم، وحضــرة الأغا إســماعيل، بإســتعراض الحــرس الملكي، ومن ثــم أودع إســماعيل آغا في المــكان المخصص له. وتختتم الجريدة وقائع الاستقبال بقولها:

* في الحقيقــة أنــه ليــوم تاريخــي، ومهما قلنا لا نســتطيع أن نثني علــى ما يقوم به إســماعيل آغا من خدمــة للوطــن. لكن باســم عموم الشــعب نرحــب بحضرة وجنــاب بطل كوردســتان، ورفاقــه المحترمين. ونشرت الصحيفة نفسها في العدد ٩ ، المصادف ١٧ /٢ /١٩٢٣ الإيضاح التالي:

[عند دخول بطل كوردســتان إســماعيل آغا إلى مدينة السليمانية، أطلقت سبع طلقات من المدافع، ترحيباً بهذه الشخصية، فنرجو المعذرة لعدم ذكر هذه الواقعة في العدد الذي نشرنا فيه وقائع الاستقبال]

محاولة اغتيال سمكو آغا:

عندمــا يئــس الإيرانيــون مــن القضــاء علــى ســمكو بالأســاليب العســكرية، والمؤامــرات السياســة، والدســائس وتأليــب رؤســاء العشــائر عليــه، لجــأوا إلى أســاليبهم القديمــة، أســلوب الحيلــة والغــدر، فقد تفتــق في هــذه المــرة ذهــن أحــد قــادة الإيرانيــين علــى حيلــة وهــي إرســال قنبلــة موضوعــة داخــل علبــة حلويــات إلى ســمكو آغــا، وقــد إتفقــت الروايــات جميعهــا حــول هــذه الحادثــة، وهــي بإختصار: كلف محمد على شــازاده ولي عهد تبريز عبد الملك ـ مكرم الملك، بأن يعمل أي شــئ في سبيل القضاء على سمكو، فتبنى الأخير المهمة، فكلف بعضاً من الأرمن بصنع قنبلة، وتثبيتها داخل علبة جميلة، لغرض الاغتيال. ويذكر عن ســمكو شــخصياً : « عندما أحضروا علبة الحلويات على أنها هدية من حماتي إلى أسباطها، أصر ولدي على فتحهــا، لأنهــا هدية من جدته، لكنني تذكرت في تلك اللحظة قصة اغتيال (شــجاع نظام) والطريقة نفســها، فتملكني الشــك في هذه الخطة الخبيثة، وفي هذا الأثناء حاول البعض فتح العلبة، وبمجرد فك الشــرائط، لمحت شرارة صغيرة قد أندلعت، وبسرعة فائقة رميت بالعلبة بعيداً، واحتضنت أبني، وألقيت بنفسي على الأرض، ثم انفجرت العلبة». نجا إسماعيل آغا من محاولة الاغتيال، لكن ذهب أخواه، علي وخورسيد ضحية هذه المؤامرة.

مقتل مار شمعون:

بالرغم من قصر حياة ســمكو آغا، إلا أنها كانت حافلة بالأحداث والغموض، والملابسات، ومما لا جدال فيه أنه كان يتمتع بمواهب قيادية، وككل سياســي وعســكري في آن، أصاب في الكثير من الأحيان ونجح، وفي المقابل

أخطأ مراتٍ عدةٍ، ومن كبرى أخطائه التي لم يغفرها له التاريخ، هي حادثة اغتيال البطريرك مار شـمعون، الزعيم الروحي والسياسي للآشوريين.

يتفـق معظم الذين كتبوا حول حادثة مار شـمعون، على أن الإيرانيـين كانوا وراء حادث الاغتيال. يقول البرفسور الآشوري قسطنطين بيتروفيج: «عندما علم محافظ تبريز مهدي الشمس بهزيمة المسلمين، بعث مباشرة برسالة إلى سمكو، جاء فيها إذا قتل البطريرك مار شمعون، فأنه سيحظى برضى الحكومة الفارسية».

وهذا ما يؤكده المؤرخين. فبعد مقتل مار شمعون، هجم الأشوريون بتعداد ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة الأمير كوزمين وداويد أخ البطريرك ، الذي كان بصحبة مار شمعون ونجا، والملوك برخو وإسماعيل وخوشابا وأوشانا، هجموا على قرية كوهنه شـه، فاحتلوها، وقتلوا الكثير من المسـالمين، وعثروا في منزل سمكو على وثائق تشهد على تآمر الحكومة الإيرانية مع سـمكو ضد مار شـمعون. وفي رده على سـؤال مصطفى باشا اليامولكي حول حادثة اغتيال مار شمعون، والظروف التي أحاطت بها، أجاب سمكو آغا:

أنك تعلم لا شـك، بما فعله الأتراك والروس بالأكراد أبان الحرب العالمية الأولى، والآن سـأوضح لك أسـباب اغتيال مار شـمعون ، في المعارك التي دارت رحاها في شـمال كوردسـتان بين الأتراك والأرمن، أنحاز الآشوريون إلى الأرمن، وسـاعدوهم في المعارك، وباندلاع ثورة روسـيا ـ أكتوبر، سحب الروس قواتهم من سابلاغ وأورمية، وتركوا للآشـوريين كميات كبيرة من البنادق والمدافع والعتاد ومخازن السلاح، كان البعض من الضباط الروس، الآشوريين، والبعض من الأوربيين العاملين في كوردستان يعلمون بأن إيران قد وهنت والسلطة قد ضعفت، وقلتْ الموارد الاقتصادية، ولذا فلا تستطيع الدفاع عن نفسها، فلم يضيع الإشوريون هذ الفرصة الثمينة من أيديهم، وبما أن أذربيجان منطقة اسـتراتيجية للأرمن والأتراك والفرس فاسـتولوا عليها، وبعد الانتصار الذي حققوه، أعلنوا الاسـتقلال، وطلبوا مني المسـاعدة لتنسـيق القوى، لندخل معاً إيران، ووعدتهم بدوري لكن الإيرانيين علموا بذلك، فجاءني ممثل عن الحكومة الإيرانية وطلب مني ألا أساعد الآشوريين، مقابل الصلح والمفاوضات، وفي نفس الوقت كنت على علم بمآرب الآشوريين، ومطامحهم في بسط نفوذهم على شمال كوردستان واحتلالها، ولهذا قتلت مار شمعون، ومن ثم تراجع الإيرانيون عن وعودهم فقمت بالمقابل بالهجوم على أورميه، وبسطت نفوذي عليها، وإدارتها من قبل رجالي».

يتضـح من جواب سـمكو آغـا، بأنه كانت هناك عدة أسـباب، دفعت به لقتل مار شـمعون، منها طموحه للتفاوض مع الحكومة الإيرانية عسـى ولعله أن يحصل على الحقوق التي يطالب بها من خلال التفاوض، ومن جهة ثانية يبدو بأن سمكو قد خبأ في صدره ثأراً للذين قتلوا من الكورد على يد الأرمن والآشوريين وبمساعدة الروس، وفي نفس الوقت خوفه على مسـتقبل المناطق الكوردية من مطامح الآشـوريين في الجزء الشـمالي من كوردستان، بعد حصولهم على كميات كبيرة من السلاح والعتاد، ويبدو واضحاً من خلال إستقراء تلك الحقبة،

بأن المشاعر الدينية كانت تلعب دوراً كبيراً في تهييج العواطف والتحالفات والمساومات.

نهاية سمكو آغا:

وأخيراً اســتطاع الإيرانيون أقناع إســماعيل آغا بالقدوم إلى « شــنو « للمفاوضات، وهناك نصب له كمين وقتل في أيلول ١٩٣٠، وهكذا ، التاريخ يعيد نفسه، فقبل خمسة وعشرين عاماً من مقتل سمكو آغا، قتل جوهر آغا، شقيقه الأكبر، وأثناء المفاوضات، وقبل هذا وذاك ، بسنين طويلة، دعي إسماعيل خان الجد الأكبر لـ سمكو للمفاوضات، وقتل غدراً، وبعد تســعة وخمســين عاماً من مقتل سمكو آغا قتل الدكتور عبد الرحمن قاسملوا غيلة، وأيضاً أثناء المفاوضات مع الحكومة الإيرانية في النمســا ! وســيبقى الســؤال المحير : كيف اقتنع ســمكو بالذهاب إلى إيران، وللمفاوضات؟

المراجع:

١-كوردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، الدكتور كمال مطهر أحمد.

٢-تيكه يشتني راستي، الدكتور كمال مظهر أحمد.

٣- شــيخ محمــودى قارمــان، ده ولــه تــه كــه ى وخــوارووي كوردســتان، بــه ركــي دووم، محمــد رسول هاوار.

٤- في سبيل كوردستان، مذكرات زنار سلوبي، ترجمة ر . علي.

٥- القضية الكوردية، ماضي الكورد وحاضرهم، د . بلج شيركو.

٦- ـماموستاي كورد، زماره ٢٦ ، جه ند كورته باسيك له باره ى سمائيل ئاغاى (سمكو) وه ره ئووف ككلى.

محطات ثقافية



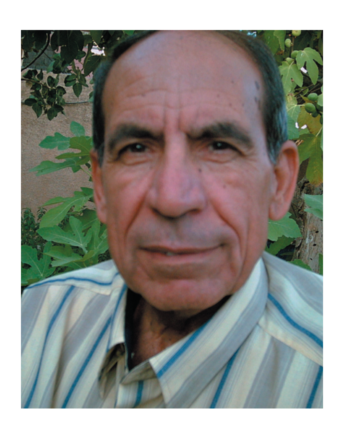
الشعر يخسر نهراً...

شێركۆ بێكەس

عندما يحط شاعر طائر بجناحيه الواسعين على الأرض ليودعنا توديعه الأخير... عندما يرحل «محمود درويش» عن دنيانا التي نجدها أضيق بعده... تتبدل الطقوس وتتغير الألوان... فتنكمش قباب السماء وتهتز أركان اللغة. انه الحزن الذي يتراءى دخاناً... ويتصاعد مغطياً، بلون الرماد، آفاق الكلمات!

لقد بلغ عدد الشعراء العرب، حتى الآن، عدد أوراق شجرة كثيفة الأنغام، لكن «درويش» يبقى النغمة التي تأبى أن تسكن أو تكفّ عن العطاء. انه الطائر الذي لوّن بجناحيه سماء الشعر بمدارات وأطياف ساحرة لما يقارب نصف قرن... وستمتد الى فضاء الأجيال القادمة من حيث الزمان... كما امتدت، من حيث المكان، الى فضاء الشعر الكردي وفضاءات آداب الشعوب الأخرى، فتأثر به جيل رائد من الشعراء الكرد وشعراء المنطقة. لم يكن «محمود درويش» لسان حال الأشجار والأحجار الفلسطينية فحسب... بل كان، كذلك، ناياً غائراً بأنغامه الحزينة والمتمردة معاً أعماق الإنسان أينما أصغى الى نبضه. كان شعره ضوء قمر يمنح متلقيه هدوءاً وزوبعة يمنحهم اليقظة في الآن نفسه. كان صهيل حصان أصيل يعدو على الأرض وتغريد يمامة تبحث، عبثاً، عن عشها في السماء. اننا، الشعب الكردي، لا ننسى أبداً ما غنّاه لكردستان، ولا ننسى قصيدته الأخيرة «ليس للكرد إلا الريح».

ان شعره يأبى أن يموت... لأنه منسوج من كلمات تحفر الذاكرة كما يحفر النهر الأرض ويشق المجرى في الزمان والمكان. ان محمود درويش كان «قدس» الشعر العربي، وسيبقى للإنسانية نورس البحر، الناصع حباً، طالما هناك الحزن والأمل. (عن الحياة).



فؤاد قادر، حديقة الشاعر المؤثثة بقناديل الحكمة والحلم

فاروق مصطفى - كركوك

التجوال في اغبرة الضياء الكركوكي

عرفت الصديق الشاعر فؤاد قادر في الثلث الاخير من ثمانينات القرن المنصرم – جالسته في مقهى ابو عوف.. الذي يتثاءب عند حافات ساحة الطيران. عادة يتردد عليه وقتئذ.. شباب ومثقفو المنطقة يتناولون اقداح الشاي وبعد ذلك تعلو اصواتهم في مناقشاتهم وجدالاتهم التي تطول مع ساعات العصر، ومع حلول الغسق يغادرون الى طياتهم، في هذا الوقت اكمل صديقي فؤاذ دراسته العليا حائزا على شهادة الماجستير، الا انه لم يتعين فكان، لديه المزيد من الساعات للقراءة والتأمل والشغف بهدم العالم القديم وكل مافيه من صور القسوة والفقر والاظلام، نقرأ ونتبادل الكتب ونتناشد مقاطعنا المتواضعة وندخل احلامنا ونتصعلك قطوف غيومها الداهشة، ونبدأ احيانا تجوابنا العصري من اطراف (جرت ميدان) صعودا الى حافات القلعة ثم نتوغل في ازقة (المصلى) ودرابيتنها الملولبة وصولا الى تخوم (الشورجة)، وهو في قمة وعنفوان شبابه، بينما انا اضع خطواتي الاولى في عالم كهولتي وانضج فواكه شتائها، كان معظم صحبي في (جماعة كركوك) غادروا المدينة، بعضهم ترك العراق وتشتت في اصقاع المعمورة ولا اسمع بهم او التقط اخبارهم الا لماما باستثناء الزيارة التي قام بها (صلاح فائق) الى كركوك عام ١٩٨٦، ولكن لقائي بالشاعر فؤاد جدد ايامي لسابقة في التجوالات التي تتسول اقدام النهارات، والقراءة التي تفتح لنا ابواب الاحلام المطلسمة وبعد تجوابنا المسائي كنا نقف عند حافات نهر (الخاصة) ندلى اقدامنا في امواهه الاليفة وايدينا تتحسن حبات التين المجفف واجزاء من القمر المتشظي على اسرته الحصوية الناعمة وهمسات وصيفات الاميرات الكركوكيات والتي تتصاعد من

اعماق القوريات الشجية تتلاطم بجدران القلعة ثم تصل الى مسامعنا مبتلة بصبابتهن ومنقوعة بصهباء الالفة وحفيف الوجد الحميمي.

رحلات المدن الثلاث الماطرة

مع قدوم العقد التسعيني، صديقي يقدم اوراقه الى جامعة صلاح الدين، يتعين هناك تدريسيا وتبدأ مرحلة جديدة في حياته يحضر دروسه ويحاضر في اروقتها وينقل الكثير من افكاره وخواطره وتأملاته الى طلبته، الا انه لم يقطع زوراته لكركوك وبمجرد ما يصل المدينة يزورني ويتحفني بالكتب التي يحملها من مدينة (اربيل) وقد امسى لي بمثابة كوة اطل عبرها الى المشاهد الواقعة خارج كركوك، اسمع منه اخبار الادب والادباء وآخر اصدارات الكتب والصرعات النقدية المتدوالة والمصطلحات الادبية التي تتقافز هنا وهناك وقد عودني على هذا الوضع فأستمرأت اقواته واستعذبت اشربته، وعندما تهيأ لدراسة الدكتوراه وحصل على مقعده الدراسي في العاصمة بغداد بدأت رحلاته المكوكية بين المدن الثلاث: اربيل، كركوك، ثم بغداد، لقد توزع بين هذه الحواضر، يكمل محاضراته في كليته ثم يغادرها الى كروك ويتزود فيها بأوراقه ومصادره ثم يشد الرحال الى بغداد، واعتقد انه تعب وكيف لايتعب ونحن عشنا تلك الاعوام العجاف بحصارها وفقرها وضنكها، ولكن مع ذلك ذلل العصوبات كلها ونعم تضاريسها الخشنة من اجل تحصيله العلمي، ومرت السنون وانقطع الصديق عن المدينة، عبثا حاولت العثور عليه في الاماكن التي يتردد عليها والمناطق التي يعشق التجواب فيها من مكتبة المرحوم (امين) الى منزله المستلقي بين احضان البساتين، لقد غاب صديقي وكل محاولاتي ذهبت سدى، وفيما بعد علمت من اطراف عائلته انه اكمل دراسة الدكتوراه وانه مازال يفكر بصداقتنا وتلك الامال التي ارقنا انبذتها على حواجز مخيالها واردنا ان نجالس كل اصدقائنا الشعراء الذين شغفنا بهم في كافتيريا الاحلام المجنحة.

حديقة الشاعر

ادخل حديقته الشعرية ويدهشني اكتظاظها باصدقائه الشعراء وصحبه المفكرين يجولون ويصولون تحت افيائها الوارفة وقد اثث اظلالها بصنوف من قناديل الحكمة ونثر فوقها ضروبا من اقوال الفلاسفة وافعالهم، وها انني المح الشاعر (رامبو) الزنجي الابيض الرائع التمدن يخبو على جواده في السهوب الفساح نحو المجهول، وغيرهم يتهادون في تيههم وابهتهم وابصر الحلاج، ماركس، هريقليطس والحكماء الثلاثة زرادشت، كونفوشيوس وبوذا، التقيهم واعانقهم، انهم اصدقاء الشاعر وصحبه الطيبون، فالشاعر عبرهم يفجر احلامه البيضاء في القبض على جمرة الحياة لينساب ويتدفق نسغها المبارك في عالم بعيد عن الويلات والحروب وكل مايفرق الانسان عن الانسان:

الانسان ملح الارض
فإذا فسد
فبأي شيء نلح الحياة؟

وتقول (غروشنكا) احدى بطلات الكاتب الروسي (دوستويفسكي) في رائعته (الاخوة كرامازوف): «ان الدنيا مكان جميل وان كنا فيها اشرارا، ولكنها مكان صالح للعيش» والشاعر يستذكر «سقراط» عملاق الفلسفة اليونانية في تحديه لكن الذين خانوا عشق الحياة وتنكروا للحق والخير والجمال.

انهزمت كل محاكم الدنيا
يوم بذر «سقراط» الحقيقة

في رحم الشوارع.

في نصه الذي يحمل عنوان «التاريخ المتحلزن لحلم هيرقليطس». يرحل الشاعر عميقا الى جذور التأريخ ليقف مع محبيه المفكرين والشعراء والذين واجهوا الطغاة والقياصرة والظلمة ووقفوا امامهم رافعي الوجوه بكلماتهم وافكارهم النيرة لتستمر حدائق الحياة خضراء يانعة مزنبقة بأقاحي احلامهم، والشاعر يأخذ جانبهم ورسالته لنا لاحبة وعشقه للانسان واضح لابد من هدم عالم الكوابيس والرعب الاظلام واقامة مملكة العشق والحلم.

وشاعرنا الذي يتخذ من حلم هيرقليطس قناعه الشعري فهو من فلاسفة اليونان الجدليين وقد حظي مؤلفه الفلسفي «في الطبيعة» بالتمجيد بسبب عمقه ومن مقولاته الفلسفية، «كل شيء في الطبيعة في فيض مستمر وحيث ان كل شيء يتحول بأستمرار ويتجدد فإن المرء لا يستطيع ان ينزل النهر الواحد مرتين، لانه في المرة الثانية ينزل في مياه جديدة». وهكذا هي اشكاله الشعرية تقوم متوهجة متشكلة ثم تتهدم وعلى انقاضها تتهندس ابنيتها الجديدة مزامير للاحلام التي تنفتق طفولة وبراعم وغناء ترفعه حناجر انقياء الناس. يستطيع الناظر في شعر فؤاد قادر ان ينزل نصوصه في دالتين اثنتين، دالة النصوص التي تتحدث عن احلامه ودالة النصوص التي تتناجى مع قصائده، فهو يؤنسن قصائده، يلبسها ثياب المودة ويهندمها بهندام قامة الصباح.

ستظل القصائد الحالمة

وسائد عشق

لرأس شاعر حزين

يحلو له التنزه والتجواب تحت امطار احلام قصائده التي يخلق عبرها طقوس ايامه ويمنحها عشقه ويتركها تتموسق في حديقته الشعرية متموجة مع انفاس صحبه الشعراء وهو شاعر حب جوال بحثا عن القصيدة الحلم والحلم القصيدة لانه عندما خرج في رحلته الحياتية قبل العديد من الاعوام، كان قد حمل زوادته بقليل من الزاد ولكن بكثير من الاحلام التي تتشرنق قصائده، لاينسى المتلقي وهو ينظر في افق قصائد الشاعر تيتمه بمظاهر الطبيعة وتولهه بصورها الخلابة فالطبيعة هي كتابه الاخر يقرأ فيها اغنياتها المخبوءة تحت اسطرها المكتوبة بحبر الانداء.

حين تصحو الغابة مع الفجر

فإن زقزقة العصافير

تموسق خرير الجداول

والتقي الشاعر في حديقته الشعرية متكئا على قامة غنائه مفتوح القميص يترك صدره للرياح ويفتح قلبه لها، ذلك القلب الذي التقط نهره الجميل وغمامه الداهش وهو يقبل بتوقه السامي انساغه الصاعدة من اغنياته التي لاتمل من طرق ابواب قلوبنا الظمأى لافتنان كلماته وحفيف احلامه الدافقة.

الشِّعرُ الكردي بين الواقع والطموح

عبدالكريم يحيى الزيباري

هــل من الممكن أن يتقدَّم الشــعر الكردي نحو العالمية قبل أن تصاحبه حركة نقد نشيطة؟

أليس من الممكــن أن نتحلى بالجرأة قليلاً لنقول عن الشعر الرديء هذا شعرٌ رديء؟

حين تقول لشــاعر(هذا شعرٌ جميل، ورائع)وأنت تعتقد خلاف ذلك، تكون قــد قتلته، قتلت موهبته، عليــه أن يعمل طويــلاً على قصيدتــه، ويقرأ كثيراً، قبل أن يدّعي الشِّعر، فالشــاعر يعاني مخاضاً لا يقلُّ عن مخاض الولادة، عند كتابة نصه الشــعري، وبعض شــعراؤنا انخدعوا بأضواء الحداثة وما بعدها، فظنوا أنَّ كل الترَّهات التي يكتبونها: شعرٌ عظيم.

أنساق الكلام كلما تباينت استشرفَت معانٍ جديدة، وكان أول ممجِّد حقيقي للغموض والتغميض في الشِّعر هو الجرجاني(المتوفى ســنة ٤٧١ هـ) في كتابه أســرار البلاغة/ص٥٠ (المعنى إذا أتاك ممثَّلاً، في الأكثر ينجلي لــك بعــد أن يُحْوِجك إلى غير طلبــه بالفكرة وتحريك الخاطرِ له والهِمَّــة في طلبه، وما كان منه ألطف، كانت امتناعه عليك أكثر، وإباؤه أظهر، واحتجابُه أشدَّ، ومن المركــوز في الطبع أن الشــيء إذا نيل بعــد الطلب له أو الاشــتياق إليه، ومعاناة الحنين نحــوه، كان نَيله أحلَى، وبالمزِيَّــة أولى، فــكان موقعه من النفــس أجلّ وألطف، وكانت به أضَنَّ وأَشْغَف،...وأشــباه ذلــك مما يُنال بعد مكابدة الحاجة إليه، وتقدُّم المطالبة من النفس به، فإن قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعمُّد ما يَكْسِــب المعنى غمُوضاً، مشــرِّفاً له وزائداً في فضله، وهذا خــلافُ ما عليه الناس، ألا تراهــم قالوا إن خَيْر الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك، فالجواب إني لم أُرد هــذا الحدَّ من الفِكْرِ والتعب، وإنما أردت القــدر الذي يحتاج إليه في نحو قوله: فإن المِسْــكَ بعضُ دمِ الغَزَالِ(. ومؤيد طيب!! ماذا يقول الطيب؟

(ليلها ذئاب/ نهارها سكين/ ومنذ الأزل، تجري على أرضها ثلاثة أنهر:/ دجلة والفرات والدم)مجلة آفاق سبيريز- العدد٢-ص١٧٦ مَنْ هي التي وصفَ ليلها ونهارها؟ كيف زاد الرافدين رافداً سمَّاه الدم؟ وهل الرافد الثالث هو ذاكرةُ ماءِ دجلة والفرات؟ وبماذا سينفعنا هذا الرافد الثالث؟ إذا كان الكشف عن ٢٠٪ من حروف الشريط الوراثي(DNA) أدى إلى تصنيع ما يقرب من ١٠٠ دواء مختلف كعلاج للعديد من الأمراض الناشئة عن خلل في الجينات خلال العشرين سنة الماضية. وهم بانتظار الكشف والتلاعب بالجينات المسئولة عن البلوغ والشيخوخة بل أسباب الموت نفسه. فماذا ننتظر نحنُ من الرافد الثالث؟ هذه الذاكرة التي تقول لنا أنَّ على ضفاف الرافدين عاشَ أناسٌ اخترعوا الكتابة، بينما كان العالم حولهم غارقٌ في ظلام الجهل.

وفي قصيدة عبدالرحمن بامرني "شعر طليق" (على خشبة المسرح/ هذا أنت تقوم بمشية الخريف/...أنت شعر بل أجمل من الشعر/ أنت شهم وأي شهامة/ زميلي أكبر أخ لي/ أنت أجمل بنت/ أقبح امرأة)مجلة آفاق سبيريز- العدد ٣- ص١٠٦. خشبة المسرح هي الحياة، لكن ما هي مشية الخريف؟ إذا مشى الخريف ماذا يترك وراءه؟ يترك أوراق الشجر الميتة، وماذا بعد؟ كان حريا بالمترجم أن يكتب(وأية شهامة)أمَّا ما تلاها من عبارات فقد افتقدت الشعرية بشكل تام، فلا تقديم ولا تأخير، ولا أسلوب، ولا صورة شعرية، ولا أية خصيصة أخرى من خصائص الشعر، وهو من الشعر الذي قال عنه أدونيس (القول بشعرٍ يقرؤه الجميع ويكتبه الجميع يعني شيئاً واحداً: القضاء على الشِّعر. وفي مناخ من هذه المقولة يعيش القارئ العربي- يعيش، في ما يشارك في القضاء على الشِّعر دون أن يدري)زمن الشعر- ص١٢٧. ولكن شعر بامرني مترجم، ولذا يجب أن لا يقدم على ترجمة الشعر إلا شاعر.

وقصيدة الشاعر عبدالكريم الكيلاني " أطرق بابك يومياً" (يوميا أطرق بابك هذا الموصد في وجهي/ أطرقه يوميا يا زنبقتي/ ...أهرب منك اليك وحيدا/ أتمرد أبكي/ أتوارى خلف ملاءات الطرقات/ إلاك/ لا ليل يضم عذاباتي/ لا أذن يضاجع همساتي/ لكني يا فاتنتي/ لن أبعد عن عينيك الحالمتين/ وسأطرق بابك يوميا/ فأنا لاملجأ لي إلاك/ ولا منفذ)آفاق سبيريز- العدد ٣- ص١٣٤. وهو أيضاً من الشعر الذي يكتبه الجميع، إلا أنَّه بدلاً من أن يقول(أطرق بابك يومياً) قال(يومياً أطرق بابك)وبتقديم ظرف الزمان إلى بداية الجملة، ظنَّ أنَّ هذا شعرٌ عظيم. فلا معنىً ابتدع ولا أسلوباً صَنَعْ، وهو يقول(لا أذن يضاجع همساتي)والصحيح أن يقول تضاجع.

والمعاني كالجواهر في الصدَف، لا يفوز بها إلا غواص اللؤلؤ الخبير، وكالمسئول الكبير، لا يؤذنُ لأيِّ شخصٍ كان في مقابلته، وكذلك ليس كلُّ ذهنٍ مؤهل لاكتشاف المعنى الغامض.

وسبق شعرُ أبي تمام، تنظير الجرجاني، إذ سأله أحدهم: لماذا تقول ما لا يُفهم؟ فأجابه: ولماذا لا تفهم ما يُقال. وكما قال المتنبي:

ومن البلية عذل من لا يرعوي
عن جهله، وخطاب من لا يفهم

ويصوغ أدونيس بيت المتنبي نثراً(فإنَّ تهمة الغموض دعوى باطلة: قناعٌ يُخفي به القارئ ضعف ثقافته وقصورها، غالباً. ويخفي إصراره على أنْ يفهم ما تغير بذهنية لم تتغير). أدونيس- زمن الشِّعر- دار الساقي-٢٠٠٥-بيروت- ص١٦. لكن لمحمود درويش رأيٌ آخر(قصائدنا بلا لون/ بلا طعم..بلا صوت/ إذا لم تحمل المصباح من بيت إلى بيت!/ وإن لم يفهم

«البُسَـطا» معانيها»/ فـأولى أن نُذَرِّيها/ ونخلدَ نحن.. للصمت!/ لو كانت هذه الأشعار/ إزميلاً في قبضة كادح/ قنبلةً في كف مُكافحْ/ لو كانت هذي الأشـعار!) محمود درويش- الأعمال الشعرية الكاملة- أوراق الزيتون: عن الشعر- ط١- ٢٠٠٣- دار الهدى- كفر قرع- حيفا- ص٢٨. وكلام محمـود درويـش في ديوانـه الأول الذي أصدره ١٩٦٤، ويقـول درويش بعد ثلاثة عقـود من تمجيده للوضوح (وهذا يعني أن الغموض، هنا، لا يعود إلى كون شـعر الشـاعر مجرد طلاسـم وألغاز، وإنما يعود، كما ذكرت ، إلى عمق فكر الشـاعر واتساع ثقافته.» ويسأله المحاور» - شـعرك واضح الى حـد الغموض بل الى حد الاستغلاق احيانا. في حالة من ابهام كامل كمثل قولك: «أعرف ما يحزن قلبـك المثقوب بالطاووس». فيجيب درويش(«القلب المثقوب بالطاووس» بالنسبة لي صورة في منتهى الوضوح. لكني لا أعرف كيف أفسرها. نعرف كيـف يفرش الطاووس غروره ويطلـق بذلك احتفالا لونيا. إذ ذاك يثقب أي قلب) مجلة مشـارف- عدد ٣- تشـرين الأول ١٩٩٥- المقابلة التـي أجراها معه عباس بيضـون- ص٩٣. فدرويـش يكتـب صـورةً في منتهى الوضـوح في ذهنه، ولكن ليس الوضـوح غايته، كما أنَّ الغمـوض ليس غاية أدونيس الـذي يقول(الغموض في الشعر، ليس بذاته نقصاً، وأن الوضوح ليس بذاته كمالاً، الغمـوض على العكس دليل غنى وعمق، وهذا ما تنبّه إليـه ناقد عربي قديم(أفخر الشـعر ما غمض)ويقول أيضاً(العمـل الفنـي كمثل الينبوع، سـطحه في عمقه، وَعُمْقُهُ في سَطْحِهِ) . أدونيس، زمن الشِّعر-دار الساقي- ٢٠٠٥-بيروت- ص١٣ وص١١٣ على التوالي.

ولم يعجزني الناقد القديـم الذي ذكره أدونيس ونسـيَ اسمه، والقول هو(لأبي إسحق الصابي في الفرق بين الكتابة والشعر، وهو جواب لسائل سأله، فقال: إن طريق الإحسان في منثور الكلام يخالف طريق الإحسان في منظومه، لأن الترسـل هو ما وضح معناه، وأعطاك سماعه في أول وهلة ما تضمنته ألفاظه، وأفخر الشعر ما غمض فلم يعطك غرضه إلا بعد مماطلة منه/ ابن الأثير/ المثل السـائر في أدب الكاتب والشاعر/ ص٢٩٠). والغمـوض تحدٍّ لذائقـة القارئ، وإغـواء كبير(يعلن أدونيس غير مـرة أنَّه يكتب لعـدة مئات فقط على امتداد الوطن العربي) وفي قوله هذا لومٌ وعتاب يخفي وراءه إغراءً كبـيراً، " دعْ عنك لوْمِي فإن الّلوْمَ إغراءُ» وهو نهـيٌ للقارئ العربي، بألا تقرأ شـعري، لأنَّك لن تفهم، «ما زادهُ النهيُ شيئاً غيرَ إغراءِ»

وَكُلٌّ يَدَّعى وَصْلاً بليلى
وليلى لا تُقِرُّ لهم بذاكا

وكما يقول دعبل الخزاعي:

تَسَلَّ بأخرى غيرها، فإذا التي
تَسَلَّى بها تُغري بليلى ولا تُسَلِّي

ويقول درويش بعد أربعة عقود في حوارٍ مباشر على قناة الجزيرة، يسأله محاوره خالد الحروب(محمود درويش في المراحل الأولى كتب "قصائد بلا لون بلا طعم بلا عنوان إن لم يفهم البسـطا معانيها" ينتقـدك البعض ويقولون البسطاء الآن لا يفهمون ما يكتب محمود درويش؟

محمـود درويش: أنا ككل شـاعر آخـر يتمنى أن يفهمه جميع الناس وحلم الشـعراء أن يكون شعرهم بسيطا كالخبز ومفهوما..لأن هدف الشاعر ليس البحث عـن الغموض ولكـن الوصول إلى الوضـوح من خلال الطريـق في هذا الغموض الذي هـو من طبيعة العمل الشـعري بس الغموض ليس غاية أبدا) قناة الجزيرة الفضائية- برنامج: الكتاب خير جليس- ٢٠٠٤/١٢/١١-

تقديم خالد الحروب- ضيف الحلقة: محمود درويش.

تاريــخ الشِّــعر يمضــي، منتشــياً بالغمــوض ما اســتوقفه الوضوح لحظــة، من المقاهي الشــعبية إلى قاعات محاضرات الطلاب في الجامعات: تبقى عذابات الشِّعراء وأنَّاتهم وأنينهم الحرفي (قدَّم روربرت غريفز في إحدى محاضراته في جامعة كمبردج للعام ١٩٥٤- ١٩٥٥ حول وليم بليك جنيهاً إسترلينياً لكل من يستطيع أن يحدد معنى مطلع قصيدة توماس بليك(إنْ كان رأسي آذى منبت شــعرة)وعندما انبرى م.هودغارت مطالباً بالجنيه، مقدِّماً تأويله المشــهور بأنَّ الجنين في الرحم يخاطــب أمَّه، بقــيَ المحاضر غير مقتنع بما ســمع) المقدمة بقلم سي بي كوكس- ديلان توماس- ترجمة جبرا إبراهيم جبرا- ١٩٨٢- دار الرشيد- بغداد- ص٩.

هذا الموت الذي يشغل الإنسانية في أكثر تفكيرها، نال حظّاً كبيراً من أشــعارهم، يقول محسن قوجان(يغفوا على وســاداتنا/ تســاؤلٌ هائل/ لماذا لا نعقدُ صلحاً مع الموت)مجلة آفاق سبيريز- العدد٢- ص١٤٣. هذا السؤال الذي يؤرِّق البشــرية، ويكرره الإنســان منذ كلكامش ورحلتــه بحثاً عن جواب، لكن المعنــى هو المكرر، أما قوجان فقد صاغه بأسلوبٍ جديد. كيف سيعقد صلحاً مــع الموت؟ هل يقصــد الخلود الحقيقــي كلكامش أم المجازي كبوريس باســترناك(لا تنمْ، لا تنمْ، اشتغل، لا تتوقف عن العمل، لا تنم، حارب النعاس، كما النجمة، كمــا الطيــار، لا تنم، لا تنم، أيها الفنان، لا تستســلم للنوم. أنت رهينة الزمن، أنت عند الخلود ـ أسير). لم يفقد شعر باســترناك ألقه الإيقاعي، ولا رونق معناه الأصيل رغم ترجمته كسؤال قوجان.

وحــين يقول الشــاعر رمضان عيســى(ليتهم لم يجعلوا مني اليوم/ ســياجاً للنبع المتسخ/ ثق/ لكنتُ الآن أعلى شــاهدة) هو يتحــدث بضمير المتكلم(مني/ أنا)لكن مــن هو المتكلم؟ حجارة صغــيرة، ربما كانت كبيرة، ربما كانت شيئاً آخر، تتكلم، والمعنى هو المكان غير المناســب، لكن الهمَّام لم يرضَ أبداً بمكانٍ لا يليق به، يقول إمرؤ القيس:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه
وأيقن أنَّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنما
نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

والرجل هو الذي يضع نفســه أولاً، قبل أن يضعه الناس، وأول ذلك ذلُّ الســؤال والخنوع، لا كهانئ الذي أنقذته همته(وذكر أن معاوية ولَّى كُثَيِّر بن شــهاب: خراســان، فاختلس مالاً كثيراً ثم هرب فاســتتر عند هانــئ بن عروة المرادي: فبلــغ ذلك معاوية، فهدر دم هانئ. فخــرج إلى معاوية، ثم حضر مجلســه وهو لا يعرفه، فلما نهض الناس ثبت مكانه. فســأله معاوية عن أمره فقال: أنا هانئ بن عروة. فقال: إن هذا اليوم ليس باليوم الذي يقول فيه أبوك:

أُرَجِّلُ جُمَّتِي وأَجُرُّ ذَيلي وَتَحْمِلُ شِكَّتِي أُفُقٌ كُمَيْتْ
وأمشي في سَرَاةِ بني غطيف إذا ما ساءني أمر أبيت

قال: أنا والله يا أمــير المؤمنين اليوم أعز مني ذلك اليوم. فقال: بم ذلك؟ قال: بالإسلام. قال: أين كثير بن شهاب؟ قال: عندي وعندك يا أمير المؤمنين. قال: انظر إلى ما اختانه، فخذ منه بعضاً، وسوغه بعضاً، وقد أمناه ووهبناه لك)ابن عبد ربه- العقد الفريد- ج١- ص٣٨.

(Footnotes)

[1] أدونيس- زمن الشِّعر-دار الساقي-٢٠٠٥-بيروت- ص١٣ وص١١٣ على التوالي.

اسس المعتقدات الدينية القديمة في المجتمع الكوردي

معتصم سالەیی

جميع بني البشر من الذين يدينون بالأديان السماوية يوجهون وجهتهم نحو السماء،يتضرعون الى الله الواحد القدير وينشدون رحمتة ومغفرتة،جميع الملل والنحل وكل الأمم والشعوب يمارسون شعائرهم الدينية الخاصة بهم ويرفعون اكفهم نحو السماء طلبا لرضى الله وشفاعته، وان اختلفت الأديان فيما بينهم بخصوص بعض الظواهر الشكلية والأمور الجانبية، الا انهم يجمعون على عبادة الله، جميع الأديان المندثرة والسائدة في الوقت الراهن يتمسكون بفكرة وحدانية الله امثال:الزرادشتية والمانوية والبوذية واليزيدية واليهودية والمسيحية والأسلامية.. وغيرها.

لم تظهر الأديان على مر العصور على حين غرة وبشكل عفوي وتلقائي بل يمكن القول بان جميع الأديان برزت الى الوجود لأسباب ودوافع انسانية وروحية وحضارية من اجل سمو النفس البشرية وتطهيرها من الأنجاس والأرجاس، ومن ثم تمهيد السبيل نحو حياة افضل واقامة علاقات انسانية وبشرية متينة بعيدة عن البغض والحقد والكراهية، فمن هذا المنطلق يمكننا القول بان الشخص الذي لايحترم معتقدات الآخرين الذين هم على غير دينه ويكفرهم،فان هذا الشخص من حيث يدري او لايدري لايحترم دينه ايضا ولا يقيم له وزنا، فتعدد الأديان والأقوام واللغات هي سنة الحياة،فلا يمكن تصور عالم واسع على الكرة الأرضية بدين ومذهب واحد ولغة وقومية واحدة،كل هذه التنوعات والأختلافات الفكرية والأثنية والروحية تعطي زخما وحيوية للحياة، فعلينا الرضوخ التام لهذه المشيئة الألهية،والقرآن الكريم يصف بصدق هذه الحالة عندما يقول :(ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة),لكل دين وحركة روحية طقوسه ومراسيمه الخاصة بها والتي تعبر عن مضامين ومفاهيم تلك الأديان، لدى

دراستنا لمسار التاريخ نتوصل الى نتيجة مؤداها بان جوهر ومظاهر جميع الحركات الدينية والروحية، تتداخل وتتشابك بشكل من الأشكال مع مفاهيم ومضامين حياتنا المعاصرة،ولاتوجد البتة حركة دينية مجردة عن ارض الواقع المعاش،فمنذ اقدم العصور قام العلماء والفلاسفة بتقسيم وتصنيف المصادر الأساسية لبنية الطبيعة الى اربعة عناصر، وهذه العناصر الأربعة هي :التراب او الغبار والماء والهواء والنار... على سبيل المثال هناك في زماننا الحالي حركات سياسية وبيئية باسم مجاميع الخضر (Green peece) في جميع دول العالم المتحضر، وتضع هذه المجاميع على عاتقها مهمة الدفاع عن سلامة البيئة وانقاذ كوكبنا من جميع انواع التلوث التي تصيب عناصر الكون، بمقدورنا ان نقارن بعض الأهداف السامية لهذه الحركة مع ما كانت تدعو اليها الديانة الزرادشتيةو التي كانت سائدة بين الشعب الكوردي قبل انتشار الديانة الأسلامية،وليس من المنطق أن نجزم بالقول بان كل ما كانت تدعو اليها الديانة الزرادشتية تصلح لأن تطبق في عالمنا المعاصر, كانت الديانة الزرادشتية تقول بان الجسد بعد خروج الروح منه يعد مادة بغيضة نجسة وملوثة، ومن ثم يحرم على الناس ان يلمسوا أي نوع من انواع جثث الموتى, او ان يحرقوها او يدفنوها في الأرض, لأن النار طاهرة مقدسة لايصلح ان تلوث بما هو نجس،ولأن الأرض مقدسة ايضا، فانها مصدر ارزاق الناس واقواتهم، فلا يجوز ان تودع باطنها تلك الجثث الملوثة،وقد اقيم لجثث الموتى برج منعزل عالي الجدران،لا سقف له يسمى برج الصمت (دخما)، تحمل اليه الجثث نهارا على نعوش من حديد، ثم تلقى فيه لتاكلها طيور الهواء، ومن ثم تفيد الطيورمن هذه الجثث التي ليست لها فائدة اخرى[1] والأعتقاد السائد لدى تلك الديانة هو الحفاظ على طهارة عناصر البيئة، وبما ان النار كانت تشكل احد عناصر البيئة، لذا يجب تقديسها وعبادتها ايضا، لأن النار في اعتقادهم هي الشكل الدنيوي للنور الألهي الخالد الأزلي، فقد كان يعدم حتى اوائل العضر الميلادي، كل من القى بجيفة او براز لبقر في النار، بل كل من نفخ في النار بنفسه[٢] .

في وقتنا الراهن تنادي مجاميع الخضر بالعمل من اجل توسع مساحات الغابات ورقع النباتات الخضراء التي تسهم في تنقية الهواء وتلطيف الأجواء، وبنفس الروحية ابدت الديانة الزرادشتية اهتماما بالبيئة،ومما يتصل بالأهتمام بالزراعة ان الزرادشتية تنظر الى الثور والكلب نظرة تقديس، لأن الأول يستخدم في حرث الأرض وريها، والثاني يستخدم في حراسة الزرع وحماية الماشية, ولدفع الفلاحين من اجل المزيد من الجهد ودفعهم نحو العمل الزراعي نقرأ في قسم (ونديداد) من الكتاب الزرادشتي المقدس (ئافيستا) مايلي:

(ان من يبذر الحبوب يبذر القدسية، انه يجعل قانون ئاهورامزدا ينمو ويزداد رفعة ويعلو قدرا،انه يجعل – في حدود طاقته – قانون اهورامزدا يخضرويزدهر، ان عمله يساوي مائة عمل من اعمال محبة الله الخالق وعبادته، ويعدل الفا من اعمال الأبتكار والأبداع وعشرة آلاف من اعمال التضحية.

وحينما ينمو الشعير تنزعج الشياطين، وحينما تخرج الحبوب يغشى على الشياطين،وحينما يحصد القمح تهلك الشياطين، وعندئذ لايستطيعون الأقامة في البيت، لأن البيت الذي يدخله القمح تخرج منه الشياطين، مذمومة مدحورة, كانما تكوى حلوقها بحديد محمى احمر متوهج حينما توجد الكثير من

الحبوب)[٣] نتيجة لظهور الديانة الزرادشتية في منطقة زراعية خضراء، وتحديدا في مدينة (ورمي) الكردية الحالية في بلاد ماد القديم، لذا نجد ملامح المجتمع الزراعي تظهر بجلاء في تعاليم الديانة الزرادشتية, ومن اجل النهوض بالنشاط الزراعي ورفع مستواه، اعفي الفلاحون والزراع من تادية واجب الصوم الذي كان مفروضا على العامة والخاصة، وبخلاف البيئة الزراعية لبلاد ماد القديمة،نجد في الديانة الأسلامية المنبثقة في شبه الجزيرة العربية القاحلة تؤجل فريضة الصوم على التجار والمسافرين لحين عودتهم من السفر.

في الفصل الثالث من قسم (الونديداد) في كتاب زرادشت المقدس (ئافيستا) نجد حوارا مطولا بين زرادشت و(آهورامزدا) اله الخير بالشكل التالي:

-يا خالق عالم الأجساد يا قدوس

ماهو اول مكان تشعر الأرض فيه بانها اسعد؟

*اجاب هرمزد:

هو حيث يدعو مؤمن يا زرادشت وبيده الحطبة، وبيده باقة من شجرة البرسمن، وبيده لبن بقرة، رافعا صوته باتفاق تام مع الدين داعيا، (ميترا) سيد المزارع الواسعة (راما احفاستر)

-ياخالق عالم الأجساد ياقدوس

ماهو ثاني مكان تشعر الأرض فيه بانها اسعد؟

*اجاب هرمزد:

هو حيث ينشىء المؤمن دارا مع ماشية مع زوجة مع اولاد مع قطيع جديد، فتنمو في هذه الدار الماشية، تنمو الفضيلة، ينمو العلف، ينمو الكلب، تنمو المراة، ينمو الولد، تنمو النار، وينموكل شيء صالح للعيش.

-ياخالق عالم الأجساد ياقدوس

ماهو ثالث مكان تشعر فيها الأرض بانها اسعد؟

*اجاب هرمزد:

-هو حيث يزرع الرجل اثر مايمكن من الحنطة والعشب والأشجار المثمرة, يا(اسبيتاما زرادشت) وحيث يجلب الماء الى الأرض ليس فيها ماء، ويجري الماء من مكان يكثر فيه.[٤]

لو تناولنا أي دين بالبحث والتمحيص، نجد بانه ياخذ اتجاهين ويتشكل من جانبين اثنين, الجانب الأول من الديانةيتمثل في رسم دستور للحياة اليومية,وترسيخ قاعدة شرعية لتوجيه المجتمع بموجبها نحو حياة تتسم بالعدالة والمساوات, اما الجانب الآخر للديانة فيتجسد في العبادة وفي اقامة الصلاة والدعاء والتضرع الى الله واقامةمراسيم وطقوس روحية، ولكل قومية على سطح البسيطة لغتها الخاصة لتؤدي من خلالها دعائها وصلواتها،فباي لغة توجه العبد نحو ربه بالدعاء فان دعائه وصلاته مستجاب وكما يقال فان الله ينظر الى القلوب والنوايا الصالحة الكامنة في النفوس البشرية، ولكل امريء مانوى, وبما ان الغالبية العظمى من الكورد في وقت الراهن من اتباع الديانة الأسلامي، لذا فان الكورد يؤدون فريضة الصلاة باللغة العربية، وبالأضافة الى ذلك هناك المئات من الأدعيةوالتضرع الى الله باللغة الكوردية، وهنا نختار لاحقا بعضا من تلك الأدعية باللغة الكوردية ونترجمها الى اللغة العربية:

*خوايه شوكورم به بهشت: اللهم اشكرك على قسمتك.

*خوايه لهمن حهرهكهتو لهتويش بهرهكهت: اللهم مني الحركة ومنك البركة.

*خوايه له پياوى زاڵم به دوورمانخهيت: اللهم ابعدنا عن الأنسان الظالم.

*خوايه بمكوژيت بهلاّم زهليل نێو جێگام نهكهيت: اللهم انني اناشد الموت بدلا من الوقوع طريح الفراش.

* خوايه رووى پياوى دروزن رەشكەيت: اللهم افحم وجه الأنسان الكاذب.

* خوايه نائوميّدمان نەكەيت: اللهم لاتجعلنا من القانطين.

* خوايه رەحممان پێ بكەيت، بێ حورمەتمان نەكەيت، موحتاجى دەستى نامەردمان نەكەيت: اللهم ارحمنا ولا تاخذ بحروماتنا، وابعدنا عن مناشدة العون لكل من هو خسيس.

*خوايه شێر بمخوات بەلاّم رێوى نەمشكێنێتەوە: اللهم انني افضل ان ياكلني الأسد، على ان يحط من قدري الثعلب.

*خوايه دەرگاى خيرمان لێ بكەيتەوە : اللهم افتح لنا ابواب رحمتك.

*خوايه رۆژمان لێ نەكەيت بەشەو: اللهم لاتجعل نهارنا ليلا.

* خوايه كورد سەرخەيت: اللهم انصر الكورد.

كما هو معلوم فان الأيزيدين يعتبرون مكونا مهما من مكونات الشعب الكوردي، فان جميع ادعيتهم وصلاتهم تتلى وتدون باللغة الكوردية، يقول الكاتب (هوشنك بروكا) بان(ملك طاوس حسب الميتولوجيا الأيزيدية مخلوق من نور الله وسره العزيز, وهو الوجه الآخر للألوهية بل هو اسم من اسماء الله الحسنى) ويقوم الكاتب في دراسته حول الديانة الأيزيدية بترجمة بعض ادعية تلك الجماعة من اللغة الكوردية الى اللغة العربية على الشكل التالي:

رب ملك الملك الكريم
ملك عرش العظيم
رب القديم منذ الأزل
رب قدس الأقداس
لك المديح والثناء
رب كل الجهات
تؤدي اليك
يارب العالمين(٥)

ويكتب الأستاذ (زهير كاظم عبود) حول تلك الديانة قائلا:(وقيلت العديد من الأفكار والأتهامات بحق ديانتهم وبحق طاووسهم وبحق جميع رموزهم،الا ان التطور التاريخي والأجتماعي والثقافي اظهر ان العديد من هذه الأتهامات لا سند لها من الصحة،فالأيزيدية لا تعتبر الطاووس ملك هو الله لأنه لا يرقى الى مستوى الأله العظيم،وانه الملاك الكبير والقريب الى الخالق حسب مايعتقده الدين الأيزيدي وهو نفسه رئيس الملائكة)(٦)

عثر الأستاذ عبدالرزاق الحسيني رسالة باللغة الكوردية طبعت في (مطبعة الترقي) بدمشق سنة ١٩٣٣م تحت عنوان (صلوات الأيزيدية) وقيل له بانها بقلم السيد جلادت بدرخان, وطلب الأستاذ عبدالرزاق الحسيني من صديقه المؤرخ ملا جميل بندي الروزبياني لينقلها الى اللغة العربية، ونشرت نصوص تلك الصلوات باللغة العربية في كتاب (اليزيديون في حاضرهم وماضيهم)(٧)

وفي تادية فريضتهم (ثاش نظيذ) أي (بعد الصلاة) يتضرع الأيزيديون من الله بلغة كوردية فصيحة قائلين:

بنافي يزداني باك ئي دلوفانء مهربان
أمين. أمين. أمين. خداي أريكاري دين
يا ربي خيرا توبدي، شرا راكريني
شمس الدين. فخر الدين. عماد الدين. ناصر الدين
حقو تو بادشاهي، خداني مهرو ماهي. رزاقي جنء انسي
خدايي عالما قدمي، خالقي جنء انسي

شرف الدين غرزي كلي مزكيني بيني كوردستاني
بلافكن دفترا ايماني، شيمس روزا ايزيدييانة
شرف الدين ميرة ل ديوانة
شيليغان بكتن كردستاني
وي طوبان برداتن توركستانى
تختى راكفن بينن كردستانى
قداوى بكفت مالا عةرقبستاني[٨]

هنا يوجه الأنسان الأيزيدي دعائه وصلواته الى الخالق بلغة كوردية مفعمة بالأيمان، ونقول مرة اخرى بان دعاء وصلوات المخلوق مقبولة لدى الخالق باية لغة من اللغات تليت، والشيء الثابت بان بيئة الأنسان والمراحل التاريخية تفرض نفسها على مفاهيم البشر تجاه ربه، وتحدد ايضا نوعية مراسيمه وطقوسه الروحية، بما ان الديانة الأيزيدية ظهرت في ربوع بلاد كوردستان, فانه من البديهي ان تكتسي تلك الديانة ملامح البيئة الكوردستانية, على سبيل المثال في كتاب (قصة الديانة الداسنة أي اليزيدية) الذي نشر سنة (١٩..)ميلادية في روما بقلم القس (اسحاق).يوجه مؤلف الكتاب بالسؤال نحو احد القادة الدينين للأيزيدين قائلا:

س:باية لغة خاطب الله ابانا آدم ؟ فقد سمعت المسيحين يقولون انه خاطبه باللغة السريانية,بيما يقول اليهود انه خاطبه باللغة العبرية.

ج:الأمر ياأخي ليس كما يقولون، لقد تعلموا هذا من كتبهم اما نحن فنعلمك انه خاطبه باللغة الوقورة, أي اللغة الكوردية التي هي لغة الحق [٩]

اثر الخلافات التي حصلت سنة (١٩٢٤ — ١٩٢٥) بين الدولة التركية والحكومية الانكليزية حول مسألة الموصل. ارسلت عصبة الامم أنذاك وفداً الى المنطقة لتسوية المشاكل وأخذ أراء المواطنين بخصوص تلك المعضلة. بتأريخ (١٦) حزيران سنة (١٩٢٥) رفعت اعضاء الوفد تقريرهم الخاص الى المسؤولين. ومن ضمن مواد التقرير تحدثوا حول معتقدات الايزديين القاطنين في منطقة سنجار: (ان الايزديين لديهم اعتقاد سائد بأن اللغة الكردية هي لغة التخاطب في الجنة..)[١٠]

الهوامش:

١. حامد عبد القادر. زرادشت الحكيم. مكتبة نهضة مصر بالقاهرة (١٩٥٦) ص ٧٦.

٢. جيمس فريزر. الغصن الذهبي. ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا.

٣. حامد عبد القادر. زرادشت الحكيم... ص ٩١.

٤. الابستاق. نقله من الفرنسية: دكتور داود الجلبي. دار ئاراس للطباعة والنشر. الطبعة الثانية. اربيل ٢..١ ص (٥.).

٥. هوشنك بروكا. الايزيدية والطقوس الدموزية. جريدة التأخي. ٢..٢/١٢/١..٤.

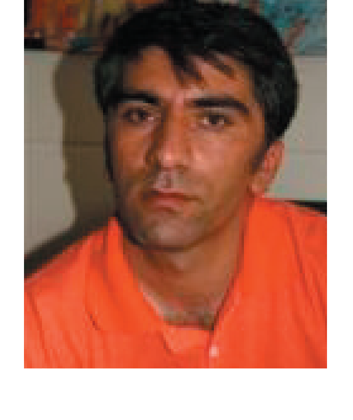
٦. زهير كاظم عبود. طاؤوس ملك. دار سردم للطباعة والنشر. سليمانية ٢..٥ ص ١٧٤.

٧. السيد عبد الرزاق الحسني. اليزيديون في حاضرهم وماضيهم. الطبعة الثالثة. معرفة العرفان (صيدا) ١٩٦١. ص (١٧١).

٨. انستانس ماري الكرملي. كتيبى ئيزيدييةكان — بيبلوكرافيا — الترجمة من الفرنسية الى الكردية: نجاة عبد الله. زين. سليمانية ٢..٦ ص (١٨٥).

٩. جورج حبيب. اليزيديون بقايا دين قديم. دار بترا. الطبعة الثانية ١٩٩٦ ص (١,٦).

١. احسان نوري باشا. ميزوى ريشه ى نزادى كورد. الترجمة الى الكردية: وريا قانع. دار ئاراس للطباعة والنشر. اربيل ٢..٣. ص٤٢.



رحيم ذبيحي:
يلماز غوناي معلمي الأول و أكاديميتي

حوار: دلشا يوسف

رحيم ذبيحي، توَلد مدينة (بانا)الكردية في شرق كردستان(ايران)، عمل في المسرح في البدايات، و شارك في عدّة مسرحيات كممثل حيناً و كاتب سيناريو و مخرجاً حيناً آخر. عانى كباقي المسرحيين من جيله. بدرت لديه فكرة العمل في السينما لأول مرة سنة ٢٠٠٠، بعد مشاهته لأحد أفلام السينمائي الكردي الكبير(مظلوم غوناي). حيث ترك في نفسه اثرا كبيرا، لدرجة كرر فيه عملية مشاهدة الفيلم لسبعة مرات. حينها تعمّقت لديه ادراك مدى تأثير السينما الكبير على تغيير الإنسان و المجتمع. عشق السينما و تشرَبه من خلال يلماز غوناي. بعد ذلك بدأ بإنتاج اول فلم له و بعكس باقي المخرجين السينمائيين كان فلمه الأول(ألم الفراق الأبدي) طويلا(٧٥) دقيقة، حاز على خمس جوائز، بمشاركته مهرجان السليمانية السينمائي. أخرج و أنتج حتى الان حوالي (٦) أفلام سينمائية. تتسم أفلامه بخصوصية الكردستانية من حيث طرحه لقضيايا تشمل المجتمع الكردي بأربعة أقسامه.

ألتقينا مع السينمائي رحيم ذبيحي في مدينة السليمانية و كان لنا معه الحوار التالي:

- بدايةً، ما هي الأفلام التى قام رحيم ذبيحي بإخراجهم و ماذا تروي لنا؟

أول فلم طويل قمت بإخراجه، هو فلم (ألم الفراق الأبدي). يتحدث الفلم عن قضية الطفولة في كردستان، طفل مبتور القدم يبحث عن الجندي الذي زرع اللغم في أرضه و تسبب في معاناته. كذلك يروي الفلم مسألة هجرة الشباب من كردستان الى الخارج و قضية الأنفال. تم عرضه في كثير من الجامعات و هذا دفعني الى انتاج فلم آخر بعنوان (الصراخ)، انتاج عام ٢٠٠٢ و يتحدث هذا الفلم

ايضــا عن القضايــا الإجتماعية و قضية الشــرف في مجتمعنا الكردي. و هو فلم قصير لا يتعدى ١٥ دقيقة.. كان للفلم تأثيرا كبيرا على المجتمع الإيراني و شــارك في مهرجانات عالمية، حصل على شهادات تقديرية من (كليرمونت كرانت) افضل مهرجان سينمائي فرنسي للأفلام القصيرة. كما شــارك في مهرجان شــورتينك هامبورغ و في مهرجان ايران. تم شراؤه من قبل عدَة قنــوات تلفزيونية اوروبية. حصل على المرتبة الأولى في اربع دورات متتالية.

فلــم (عبور ارهابي) يتحدث عن مســألة الإرهاب و العمليات الإنتحاريــة. لاقى الفلم اهتماما كبيرا من المجتمع الإيراني و التركي و الأوروبي. شــارك في (انتر فلم برلين) و مهرجانات أخرى عديدة.

فلمــا (نهاية حرب) و (ســتلايت) يرويان قصة الحرب و تاثيره السلبي على المجتمع العراقي. وبالأخص معاناة الأطفال في مراحــل الحرب و كيف ان الأطفال يحولون دبابة مدمرة الى وســيلة لممارســة هواياتهم ويصنعون من جدرانها مرســماً لهم و يعلَقون عليها أراجيحهم.

امــا الفلم الأخــير (اليــوم الآخر)، مدتــه (٧٤) دقيقيــة. يعالج الفلم أحد أهم القضايا التي تشــغل مجتمعنا الكردي و هي قضية انتحار النســاء، الشــدة و العنف الأســري المطبَق على النساء و الأطفال. تشير الإحصاءات في كردســتان الى نسبة انتحار فظيعة بين صفوف النســاء تصل لــ(٨) حالة في اليــوم الواحد.. يطــرح الفلم ســؤال لماذا تضطر النســاء الى اخذ هذا القــرار الجائر بحقهن، و اختيار هذا الأســلوب المريع لإنهــاء حياتهــن؟و يبحث عن حلول جديدة تســلكها النســاء من أجل تغييروضعهن نحو الأفضل و الحصول على حقوقهن.

- ماهي الرســالة التي تحملها أفلام رحيم ذبيحي التــي تتخذ من القضايــا الإجتماعية و بالأخص قضية المرأة اساسا لها؟

بــرأي إن وضع المجتمع الكــردي و بالأخص وضع المرأة الكردية ســيء للغاية. الجنســين مشــتركين في تأســيس الحياة. لكن عندما يعاني طرف ما من قسوة الحياة يتأثر الطرف الآخر بنفس المستوى. لكن الذكر لا يعي هذا الوضع. حينما أرى النساء تصبحن ضحايا للعنف و القمع الأسري و العائلي أشعر بالمهانة بقدرهن و أكافح من أجل القضاء على ذلك. أشعر برابط قوي بيني و بينهن. يبدو من الصعوبة ان تحافظ النســاء على كرامتهن و شــرفهن في مجتمعنا. لذا حتمت على نفســي واجب الدفاع عن حقوقهن و انتصار قضيتهن في مجتمعنا. آلام النســاء تتمحور في محاولتهن التمرد على وضعهن و الدعوة من أجل تجاوز العقبات و الرفع من قدراتهن و شأنهن. أنا اقدَس عائلتي و أطفالي. ان المــرأة الكردية نموذج ايجابي و متفانية للغاية، لكنها مقتنعة بوضعها. انا ادعو النســاء الى التمرَد و الوعي بذاتهن وجنسهن و قضاياهن المصيرية و السينما أفضل سبيل لإيصال هذه الرسالة للمجتمع.

- ترى مــا هو وجه الخلاف بين الســينمائي رحيم ذبيحي و باقي السينمائيين الكرد؟

هنالــك نقــاط عديــدة تجعلني اختلــف منهم، مثال نظرتي للســينما. حيث إنني أرى بأن الإنســان نفســه هو الــذي ابدع الســيمنا، لكن الســينما تخلق الإنســان أيضا. للســينما أهمية كبــيرة في التأثير على شــرائح واســعة من المجتمع و بالأخص مــع التطور التكنولوجــي الكبير. يتجــاوز عمر الســينما العالمية

الآن أكثــر من قرن و عقــد من الزمن. اما الكرد فقد بــدأو بخلق هذا الفن متأخريــن. لكنهم مختلفين في اسلوب التشكيل الســنمائي. يعني يبدر لذهني مسألة إلى أي مــدى اســتطاعت الســينما الكرديــة ان تخدم القضايا الإجتماعية الملَحــة في المجتمع الكردي؟ إهتم الســينمائيين الكرد على الأكثر بمصالحهم الشخصية عن طريق حصــد المزيد من الجوائــز في المهرجانات العالميــة. لكنهم لم يعطــو الأهمية لمعالجــة القضايا الإجتماعيــة. اعني بكلامــي،لا يتم عــرض الأفلام المنتجة، لشــرائح المجتمع الواسعة. لذا يقلل ذلك من قيــم هــذه الأفلام من حيث الرســالة التــي تحملها. هنــاك نوعين من الأفلام، تجاريــة و هادفة. فالأفلام التجاريــة كما التــي تنتجها هوليود و التي ســخرَت المجتمعــات العالمية لمنتوجاتها الســينمائية و شــكَلَت لنفســها مشــاهدين من نوع خاص. تقوم اسسها على الترويــج للجنس و الخلاعية و العنف و القمع. تدخل هذه الأفلام المعلَبة لمجتماعتنا بســبل متعددة. حينما يشــاهد أفراد مجتمعنا هذه الأفلام، يشعرون بالنقص و الإحباط تجاه الشخصيات القوية التي تعرض قواها و عضلاتها في هذه الأفلام، بالتالي يشعرون بالحرمان و المهانة تجاه الحياة المترفة و البذخة للشخصيات التي تلعب الأدوار فيها. تعــرض هذه الأفلام ترَفع المجتمع الأمريكــي و تفّوقه على المجتمعات الأخرى. يتســبب كل ذلك في زرع بذور الإحباط و الشعور بعدم جدوى الحيــاة و الإخفاق. و هذا يؤثر ســلبا على روح الخلق و الإبــداع في مجتمعاتنا و التراجع في الإنتاج في جميع مجالات الإبداع. يتم اســتهلاك معظم طاقات الشباب في تطمين غرائزهم من خلال الأفلام الخلاعية و يتم استثمار النســاء و الإتجار بهن من خلال استخدامهن كسلعة في هذ الأفلام.

أما السينما الهادفة فهي تعالج القضايا الإجتماعية و تنــادي بالحياة الجديدة. لذا علينــا مرة اخرى ان نسأل انفســنا كســنيمائيين كرد، هل أدينا واجباتنا بهذا النحو؟ سيكون الجواب...لا، حتما.

أعطي للســينما الدور الكبير في توجيه المجتمع و تغييره و تقدمه الثقــافي. اذا انطلاقا من هذا المفهوم ارى نفسي في خلاف عن السينمائيين الكرد الاخرين، حيــث لم اهتم بالمصالح الشــخصية و لم أرى في ذلك مصدرا للعيش.

- اذا ماذا منحت السينما للفنان رحيم ذيحي؟

لقد منحتني السينما الحب و الجمال، بالحكم على الأمور السيئة و الرفع من شأن الحب و الجمال. كوني منحتهــا أمورا كثيرة و ضحيّت بكل ما لدي دون تلقّي اي دعم مــادي و معنوي من اية جهة، و خضت هذه التجربة بمبادرتي الشــخصية، لكنني صاحب هدف و شعور بواجبي الإنساني تجاه القضايا الهامة في المجتمع الكردستاني.

- ما هو رايك حول الآكاديمية في الســينما، و عرض ذلك من خلال تجربتك الخاصّة؟

ان الآكاديميات و الجامعات ليســت أماكن سيئة و لا ايجابية، لكن الذي يحدد ذلك هو الإنســان نفسه و مدى قدرته على الإنتــاج و الإبدع بعد إنهائه المنهج. مثال ذلك هناك في تاريخ الســينما، ســينمائيين كبار لــم يتخرجوا مــن الأكاديميات. لكنهــم أبدعو لأنهم كانو على معرفة بفلسفة الحياة. عرفوا كيف يعبرّون عــن أفكارهم و آرائهم بفلســفة ســينمائية. يتخرَج ســنويا مجموعات كبيرة من الطلاّب من الأكاديميات الســينمائية، لكن كم من هؤلاء يســتطيعون صناعة

أفلام جيدة و ملفتة للنظر. و المثال الأكبر لدى الكرد في هذا الشأن هو السينمائي الكير (يلماز غوناي). كان عملاقا في السينما لكنه لم يتخرّج من اي آكاديمية.

- لماذا اتخّذ رحيم ذبيحي من السينمائي الكردي (يلمازغوناي) بالذات مثالا يحتذى به؟

السينمائي(يلماز غوناي) شخصية مؤثرة جدا، اولا كإنسان و ثانيا كسينمائي عملاق. استطاع ان ينتج أعمالا سينمائية كبيرة في أحلك الظروف، حتى و هو قابع في السجون التركية . في فترة كانت تدار الدولة التركية من قبل الجنرالات و النظام العسكرتاري. كان الشعب الكردي يتعرَض حينها للقمع و الإنكار و الجينوسايد. ابدع و انتج تحت ظروف طارئة جدا. فهو لم يكن سينمائيا فقط، بل سياسيا، كاتبا، ممثلا و مخرجا بنفس الوقت. اعتبر يلماز غوناي معلمي الأول و آكاديميتي التي تخرَجت منها. شاهدت ستة أفلام له حتى الآن و أظن بأن ذلك كافي من أجل تخرَجي.

- برأيك هل هناك سينما كردية بكل معنى الكلمة؟

نعم يمكننا القول انه هناك سينما كردية و ميراث سينمائي كردي. بدأت السينما الكردية بأفلام يلماز غوناي رغم انهم جميعا باللغة التركية لكنهم يطرحون القضايا التي تعاني منها الشعب الكردي في تركيا. و يلماز غوناي هو الذي أنتج أفلامه و لجهة الإنتاج أهمية كبيرة في تحديد هوية السينما. رغم ذلك أرى بأن السينما الكردية هزيلة و فتية و فردية، ليس لها استراتيجية معينة و هذا امر يستحق الوقوف عنده، حيث يتوّجب وجود مؤسسات منتجة للسينما الكردية.

- في هذا الحال بأي جهة نستغيث من أجل مأسسةالسينما الكردية؟

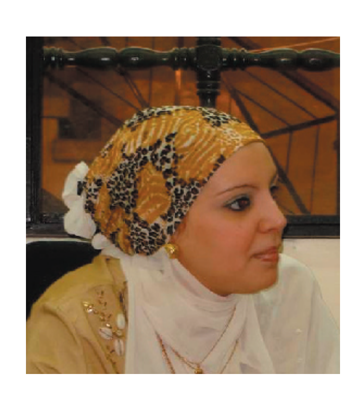
على السلطة الكردية ان تعي بأمر هام و هو ماذا تستهدف من الفن السينمائي؟ حيث ان كل فلم سيكون بمثابة سفير للشعب الكردي، ينقل القضايا المصيرية للشعب الكردي و يطرحها في المهرجانات العالمية. اسطع مثال على ذلك مسألة الأنفال، حيث من حق الكرد إعلام الرأي العام العالمي بتاريخ الكرد و معاناتهم، لإسترجاع الحقوق المسلوبة.

نحن بحاجة ماسّة لإقامة مؤسسات سينمائية قوية. لذا يتطلب من الحكومة الكردية أن تقوم بتأسيس سينما متكاملة و توَظيف السينما من أجل معالجة قضايا المجتمع و الأجيال.

- أخيرا ماذا ينوي رحيم ذبيحي القيام به مستقبلا بشان السينما؟

أرى الآن من وظيفتي الأولية، عرض فلم (اليوم الآخر) في جميع مناطق كردستان بأقسامه الأربعة.و اتمنى ان يلقى الإهتمام من المشاهدين. كذلك هناك مشروع كبير أنوي القيام بتحقيقه و هو عبارة عن انتاج حوالي (٢٠) فلم دوكمنتاري حول حياة النساء الكردستانيات و عرضهم لشرائح مختلفة من المجتمع الكردي.

الشاعرة آمنة محمود:
الأدب الكركوكي يتنفس هواء الحرية وهو الآن خارج نطاق الخوف



حاورها: رزگار شواني

❖ الشاعرة امنة محمود من مواليد بغداد/ الاعظمية عام ١٩٧٤ حاصلة على دبلوم اعداد المعلمات بكركوك عام ١٩٩٤ تكتب الشعر والمقالات النقدية والقصة القصيرة ، حيث نشرت نتاجاتها في العديد من الصحف والمجلات العراقية ، قرأت العديد من النصوص الشعرية المترجمة لشعراء كرد وعرب وتركمان ولها حضور متميز في المهرجانات الثقافية والاماسي الشعرية وهي عضوه في اتحاد الأدباء والكتاب في العراق .. بغية التعرف على هواجس ورؤى هذه الشاعرة ارتأينا ان نحاورها في إحدى الجلسات الأدبية بمدينة كركوك ، تلك المدينة التي كتبت لها الشعراء والأدباء بمختلف القوميات والأطياف ..

× **متى بدأت بكتابة الشعر وأول قصيدة نشرتها؟**

- ليس هنالك تاريخ معين للبدء ، الشعر لا يبدأ بل هو يتكون فيك ويعيش بداخلك ويكبر معك، وحين يفيض تخرج الكلمات .. منذ طفولتي وانا اعشق الشعر وتستهويني اللغة وصناعة الكلمات وتركيب الجمل والأفكار ، من اجل ذلك اخترت ان اختص باللغة العربية أثناء دراستي في المعهد ، حينها كنت اكتب شيئا يشبه الشعر اسميه (الخاطرة) ومن ثم بدأت الملامح تكتمل فكان النص الشعري ، وأول قصيدة نشرتها في جريدة (العرب اللندنية) التي كانت تحمل عنوان (اتاملك)

× **لمن تكتبين الشعر؟**

الشعر أولا هو حالات التعبير عن الذات ومن ثم هو خلاصته مفهومك عن الأشياء ، والنظرة للعالم بعدسة عين الشعر تختلف كثيرا عن غيرها.. التعبير عن الذات بالشعر هو الطريقة المثلى للتخلص من كم العواطف التي تتفاعل بداخلك وهذا (التخلص) لا يعني بالضرورة إبعاد هذه العاطفة بل هي عملية إعادة

هيكلية الأشياء بما يتلائم ودرجة الاستقرار والتوازن النفسـي، بمعنى آخر: إعادة إنتـاج العواطف الأليمة (على سـبيل المثال) لجعلها اخف وطـأة بتحويلها إلى كلمات ، فهـي لا تخرج من داخلك حين تتحول لكنها تبقـى بطريقة اقـل إيلاما مما سـبق. أما خلاصته مفهومك عن الأشـياء فهـي مجموعة الخبرات والرؤى تتجسـد بمعانيك الخاصة وعواطفك ويساعد الخيال علـى انجازهـا وإخراجها كشـعر، أنا اكتب لنفسـي ولوطنـي ولأصدقائـي وعائلتي، إنهم وحـي إلهامي وقصائدي، اكتبهم واكتب لهم ولكل من يقرا القصيدة ويعيشها.. وان القلم أمانة والكلمة أمانة ورسالة فهمة الشاعر ليست محصورة بالمعاني الضيقة بل هو رسول ملزم بإيصال رسالة..

× **حضورك في المهرجانات والاماسي الشعرية؟**

- احضرهـا وأشـارك فيهـا إذا كانـت في كركوك أو كردسـتان إنها نوع مهم جدا مـن التواصل الأدبي والفكري تتلاحق فيه الأفكار والرؤى لكنها قليلة جدا وأحيانـا تكون مؤطرة بإطار معين أو تحت شـعار ما فتفقد بذلك قدرتها على التوهج..

× **أين تجدين نفسك من خارطة الأدب العراقي؟**

- لنـأت أولا إلى إشـكالية الخارطـة : إنهـا مجزأة بوجود الأدب الداخل والأدب الخارج وأدب كردسـتان إذا جاز التعبير إن هذا التجزؤ لا يعطي لترمومتر الأدب العراقي القراءة الصحيحة، ما نطمح إليه وما نحلم به هو ان يتصالح الأدب العراقي وان تمحى الضغائن التي تقف حائلا بوجه تطور الإبداع التسميات آلاف كثيرة والألقـاب عديدة لكن السـؤال هو ما مسـتوى درجة الإبـداع العراقي الآن؟! أجد نفسـي شـاعرة في هذه المدينة الشعرية أصلا.. اكتب الشعر والنقد والمقال ، لا أعطي لنفسي درجة التقييم لكني ما زلت أراني على خط البداية في هذا المضمار الطويل أمامي..

× **بمن تأثرت من الشعراء الفطاحل؟**

- علـى الشـاعر أولا ان يكون قارئـا جيدا كي لا يكـرر ما كتبـه غيره ولكي تتسـع رؤاه ومن اجل ان يصنع لنفسـه الأرضية الملائمة على الشـاعر أن يقرأ الشـعر والفلسـفة والكتب السـماوية ان يقـرا النقد جيدا والقصة والرواية والمسـرح والتاريخ والسياسة، وان يقـرا ما حوله بمعنى ان يكـون ملما بما يجري ومستوعبا له، لا اسـتطيع اختصار تأثري بمن قرأت بأسـماء معينة لكن القصيدة هي التـي تؤثر في الآن وليس الشـاعر أقرأ الأدب القديـم والحديث والعالمي والعربي والعراقي والكردي والتركماني. ان مجموع ما تقراه هو الذي يساهم في صنع البيئة الفكرية للأديب شاعرا كان ام قاصا او روائيا..

× **كيـف تجدين مسـتوى الأدب الكركوكي قياسا إلى السابق؟**

- مسـتوى الأدب في كركـوك وحسـب وجهة نظري المتواضعة حتما أفضل ، ففي السابق كانت الرقابة مشددة على الأديب الكردي والتركماني والعربي أيضا لكن بدرجات متفاوتة وبعض الأسـماء كانت ممنوعة من النشر وكانت الإصدارات قليلة جدا ومعظم الكتب ممنوع دخولها, كنا أشـبه بمن يعيش في قبو مظلم أمـا الآن فالأدب يتنفس هواء الحرية إذا فهو خارج نطاق الخوف..

× **هـل قـرأت مـن الشـعراء الكـرد، ومـاذا استنتجت؟**

- قرأت روايات كردية ومجاميع قصصية مترجمة وشعر الشـعراء الكرد باللغة العربية أو مترجما إليها، تعجبني الشـاعرة (كزال احمد) وأتابع ما تنشر الأدب

الكـــردي وان الأدب الكردي أدب راق ، بعض الانجازات التـــي تتكرر فيها فكرة الانســحاق والأوقات العصيبة والتقتيل التي تعرض له الشــعب الكردي وارى برأي المتواضع ان الشعر الكردي يتفوق على القصة والقصة تتفوق على الرواية..

× **ماذا لديك من المجموعات الشعرية؟**

- لـــدي ثلاثة كتب غـــير مطبوعة منها مجموعة شــعرية بعنوان (فراشـــات آمنة) ومجموعة مقالات نقديـــة بعنوان (الحمامة المتوحشـــة) و (كتاب الحب) نصوص تجمع بين الشعر والقصة

× **أخيرا ماذا تتمنى آمنة محمود؟**

- الحرية

كەژاڵ احمد تعشق طويلا في عمق الغد



هشام القيسي

مثلمـــا آن للحلم أن يتجـــول في الحدائق ، ويهمس ليحمل الأناشيد الجديدة دوما ، آن للنجمة في مساحات البهجة أن تتمدد. ان الأنهار تعقد في كل رحلة صفحة لأسرارها ، الأنسان وبعض مايملك العاشق ومن يحدق في الماء . منفردة وســط الشعر تبصر الوجد، كيف لا وهي العاشـــقة لاتستعير ســوى خصائصه، وتسقط في وقع الأيام سعادة النبع:

((لماذا لاتفسح
طريقا؟
لأن يغدو فؤادك عصفورا
يحط بين جداول شعري
أنا
أحبك
أنت))[1]

قلبـــت أوراقها بعـــد الحب ، للأحـــلام ، وللأزهار، وحيث تستيقظ الأمواج.

انها تـــوازي كل الأشـــجار، ومازالت وســـط الروح تتحدث. لم تر في المسالك أشواكا راقدة مثلما لم تر في الصحو سوى العشق وما يدور بالعاشق الى أوجاعه.

قصائدهـــا الأفـــق الجميل، تعرف تراتيلـــه، ومداه.

تتأمل في الأيــام الماضية، وتغطس في الأيام التالية، تعبر عن أسفارها وأنفاسها، صافية في أكوام من سنين صاخبة. انها تحضر في كل صحو دون ضجة ، وتتعلم بين الأوراق ومنفى الشاعر كيف تتجول ، وكيف تعلن، وتنطق:

((أولم، تعرف..!!
بأن المودة
غل يقيد أطرافك
حملك مثقل بالهموم
فل تجعلني ، فوق أحمالك حملا
ولن أرغب
أن أكون كابوسا
لأغدو مبعث سأمك - في لياليك..))[٢]

هي اســتيقضت، والجرح لم يســتيقظ بعد. وكما جاءت ووطأت لم تكن سوى امراة تفتح عينيها لنوافذ الوجود عبر الشعر.

هاهــي كزال تدخــل الفضاء ولاتنســى أن تنادي كل الشــجر والنهــر والفجر الذي اســتقر في الصفاء. في قصائدها تكون وســط الغصــون، والينابيع، والنمو الراكض بهــدوء، مثلما تكون وســط الوقفات الهادئة تمنح فيها طقوســها، وتواصــل في الغيم رحلة تصعد الجبل والبحر، وتتبادل في الأنسان الدروب التي تلتقي فيها الممرات بألفة وصدق ينبع من الأعماق:

((هذه الفتاة التي تأتي وتروح معك
لاتمل من تساؤلاتك الجمة
وأنت تعرف ، حدود مدينتها
المرور فيها عسير
ولن تكون لأي كان
هذه الفتاة التي تقطع الطريق معك
من ذلك اليوم الذي تعرفت على نفسها
تود الصدق ، والأشياء بلا شائبة))[٣]

فصولها تحتضــن في طريقها مــرآة تتصاعد من وجدها أيام الأشــياء ٠والأيام لهــا في تموجات وصعود وتحليق كزال رسوم تفاجيء الأمطار في تجوالها، حيث تمشــي صوب يقظتها، تحمل لشــجرة النفس والرؤيا حقائق الوجــود بلا قيود. فهي تقطف من بســاتين المــودة ورقة، وتودع في بئر الزهو أقمار الأشــجار عبر جدل الحقيقة الذي تمســك به، وتؤمن ولتبتعد عن وسط اضطراب المسافات.

هكذا عبر اقرارها، لكي لاتضيع، ولاتنكسر، تكون رؤياها مسلة أيامها

((الآن.. أنا سحابة
ينهمر في العشق والشعر
في تأمل يسألني
(أين ضفائر شعرك الأسود
متى ذبلت..!!)
وأريت احدى الأمسيات
وابتعت لك كتابا
العمر يجري
وأنا من دونك يأكلني الذئب
وأنت بدوني
ليس في طاقتك
أن تكتنف الشمس
دوامات الأرض.. تلفنا
امسك يدي
كي لاأضيع
كي لاتضيع))[٤]

وهكذا حين تكتب ، وتواجه ٠ كزال أحمد شــرارة لاتخمد ، تعشق طويلا في عمق الغد.

الهوامش:

(١) قصيدة أنا أيضا.. أحبك ص ٩٩

(٢) قصيدة رجاء ص ٩٩

(٣) قصيدة أنت جزء من الأنسان ص ١٠٠

(٤) قصيدة امرأة قالت بهمس ص١٠١

تنويه/

القصائد المتناولة للشاعرة هي من ترجمة الشاعر الراحل عباس عسكر في كتابه (كلمات تعدو نحو الينابيع) الصادر عن مؤسسة الشفق الثقافية في كركوك ٢٠٠٥.

من النهر الى المحيط
قراءة لقصائد نزند بكيخاني



الشاعر والمترجم البريطاني ريجارد مكين (١)
الترجمة الى الكوردية: آمانج حمه
تعريب: قيس قره داغي

ينفجر الزمن متجولا في متن قصائد نزند بكيخاني، تتحول طفولتها الى دجلة متدفقة لتستقر أخيرا منفية في ضفاف لواغ وشواطئ الأطلنطي، ولكن نزندا لا ترتأي الأنجراف مع امواج الزمن، فهي تحارب بشعرها، وتقارع النظام الذي نفذ جرائم الأنفال ضد المدنيين الكورد في أواخر الثمانينات، وتقف بوجه جرائم قتل النساء بحجة الحفاظ على الشرف ، وكذلك تعمل من أجل خلق صورة انسانية للكورد في الغرب.

قصائد نزند تعج بالآلام، آلام المرأة وآلام الكورد، وعلى قرائها في الغرب أن يتآلفوا معها ويكونوا شهودا لها.

منذ أمد بعيد وساسة الغرب والشرق قد خيبوا آمال الكورد وبالمقابل لم تشهد الحركة الكوردية اتحادا بين فصائلها ولذلك علينا أن نسترقي السمع لشعر نزند بكيخاني وشيركو بيكس والشاعرة الشابة ?ومان هردي لكي نتوصل من خلالهم الى الصوت الكوردي الأصيل.

علينا الاصغاء الى فلسفة أخلاقهم التي تتجاوز حدود هذه الدنيا، تماما مثلما تجاوز الشاعر الروسي أوسيب مادلسن حدود ستالين، فالطغاة الذين يضطهدون الكورد باتوا معروفين.

الكتابة في المنفى تتخذ أبدا مدارين أثنين، فالى

جانب الاوستاليزيا نستمع الى المزيد من الصراخ، ومع الانغمار في العاطفة نستمع الى الموسيقى، فقصائد بكيخاني تحتضن تقاسيم أربع، فهي ولدت في كوردستان وتلقت تعليمها بالعربية وهي طليقة باللغتين الفرنسية والانجليزية الى درجة تألقها في ترجمة نصوصهما، وهذا أمر طبيعي، فهي تقيم في فرنسا منذ أمد بعيد وأكملت تعليمها العالي في جامعة السوربون، ترجمت بودلير وأيليوت الى الكوردية.

فإن تمعنا شعر نزند نتيقن كم تأثرت بشعر أليوت وأستفادت منها، وكذلك من شعر (لواغ) وخاصة عندما تقول (أنه لزمن جاف) فهنا نلتقي بحس اليوتي، فلنكتفي بحقيقة الصعوبة المتوخاة من ترجمة بودلير وأليوت وكم يسدي مثل هذا العمل من خدمة الى الشعر الكوردي بصورة عامة وشعر نزند بصورة خاصة.

لقد أندهشت في بادئ الأمر عندما عرفت بأن باكورة عمل نزند الاكاديمية خاصة بعلاقة الرجل بالمرأة في رواية (دوسي ليدي جاترلي)، الكاتب الانجليزي اللورنسي، وكذلك رسالتها التي نال بها درجة الماجستير كانت تتحدث عن التأثيرات التي تركها الشعر الأنجليزي وخصوصا شعر (شيلي) على الشعر الكوردي الحديث، وأخيرا أطروحتها التي نالت بها درجة الدكتوراه تتحدث عن صورة المرأة الكوردية في الأدب الأوروبي.

حياة نزند بكيخاني تقترن بسياسة الجينوسايد المطبقة على الكورد، أثنين من أشقائها تعلقا على أعواد مشانق النظام البعثي في العراق، شقيقها الثالث نجى من السجن بأعجوبة لتنتهي حياته بحادث مأساوي في ألمانيا، توفى والدها عام ١٩٨٦ إثر تلقيه بطش وتعذيب البعثيين في سجونهم، منحتها وزراة الخارجية الفرنسية زمالة دراسية عام ١٩٨٩ في جامعة السوربون، تقول نزند (بالأبداع، الابداع الفني، بالشعر ، يكون بمقدور المرء تجاوز الحقد والالم).

عندما نلتقي نزند، نكون قبالة امرأة رشيقة باسقة القوام، تتحدث بهدوء، انسانة لطيفة تتجول بين الفرنسية والانجليزية برشاقة تامة، عملقة نزند لا تمحي حرقتها لضياع حقوق الأنسان، لا بل هنالك عقد بين هذا وذاك، فنزند هي تلك الانسانة النادرة التي تؤمن بالحوار وتحترمه في مجمل الجوانب المتعلقة بالمسألة الكوردية، وهي في الوقت نفسه واحدة من القائدات المناهضات لقتل المرأة بجريرة الشرف ومن المدافعات عن حقوق الانسان الكوردي.

أثناء مشاركتي في مؤتمر (مداد أدباء المنفى) شاهدت فلما وثائقيا عن مأساة حلبجة من أعداد صحفي ايراني، فقد كانت عدسة الكامرة الجامدة تعنق الأجساد الطرية الملفوفة بالألوان الزاهية التي هجرتها الروح للتو لتذكرنا باللقاء الذي جمع أعضاء الأسرة في ذلك المكان الموعود، فالى الآن لم ترتقي كلماتنا التي كتبناها الى مستوى تلك التراجيديا التي تركها صدام في كوردستان والتي تعتبر بحق من أبشع ما شهده القرن العشرين من مآسي، أود أن أقول للقارئ أني لا اسايس في كتابتي هذه ، فهذه المآسي هي رموز كونية تركت بصمات واضحة على مجمل الشعر الكوردي الحديث.

ففي قصائد نزند نتوصل الى حقيقة دفاعهاعن جسد المرأة، وفي قصيدة (جسدي ليس ملكا لكم) تقف ضد القوة المضطهدة للجماعة ،عندما تقول: (لكنني كنت أنا لوحدي وهم جميعهم) فهذه المقولة تعيدنا

الى مقولة الكساندر دوما: (الفرد للجماعة والجماعة للفرد أو على الفرد)، فمن السهل علينا أن نتضامن مع نزند وهي تقول في قصيدة (الحلم):

(في رؤياي
أقف وسيطة بين الله والثعبان
أعيد آدم الى نعيمه).

تكون هذه الأبيات ذات تأثير أكبر حينما نعلم بما حل ببرج بابل ورياض عدن ، فأنا لا اريد أن اكشف النقاب عن الأسرار التي تكتنفها قصيدة (الرجاء) ربما تكون مفزعة للقارئ، لكن هذه القصيدة تحمل معان كبيرة للذين يحلمون ببناء عالم أصدق يسوده مبدا حقوق الانسان.

مع أن شعر نزند يحمل الكثر من الرموز التراثية والفولكلورية، ولكن برأيي إنها تستحق أن ترشح لأحتلال مكان لها في منظمة أطباء بلا حدود، فنزند تلاطف روح الأنسان برقة ونعومة في شعرها، كثيرة هي تلك القصائد التي خصتها نزند لأمها، فقصيدتها (الله عند أمي قيوم) مثال حي للحقيقة التي مفادها أن اللغة قادرة على أن تكون معبرة لمعنيين قوين:

(فان كنت أنت
ترمقين زرقة السماء
لترين فيها أرواح فلذاتك
وهي تحلق كالنور
إذن لا ترتأين أن يموت الله
فالله عند أمي قيوم).

في قصيدتها القصيرة (السفر) تعبر نزند عن وجدانيتها وهي تقول:

(عبرت الى الضفة الأخرى
الضفة الأخرى للأشياء
الوجه الآخر للكلمة
ظهر الريح
ماوراء الجسد
لكي أبلغ ذاتي).

أحيانا نجد الشاعرة تبلغ حدود الفلسفة في أقصر مسافة شعرية:

العلم نقيض الجهل
بل هو فضاء
لرؤية أخرى
لرؤية نافذة ضاحكة
تفيض نورا مختلفا).

وحتى السعادة تتحول الى صعود شاقولي في شعر نزند:

(السعادة سلم
تعال كي نتسقله سوية).

ديسمبر ٢٠٠٤

(١) الشاعر البريطاني ريجارد ماكين (١٩٤٧) صاحب أكثر من عشرين كتابا، عضو الهيئة المؤوسسة لـ(ئى ئى ئين) الانجليزي، إضافة الى كتابة الشعر ترجم ماكين الكثير من نتاجات الشعراء الروس والترك من أمثال مندلستم و سيدكوفا وأرونزون واتا أخناتوفا و،ذلك ناظم حكمت وأوكتا رفعتي.

نقد السلفيين للديمقراطية

علي عبدالعال

علــى الرغم مــن القبــول الواســع الــذي تلقاه «الديمقراطية» ـ كنظرية سياسية للحكم ـ بين شعوب العالــم، بما تكفله من حريات للأفراد والجماعات وما تخلقــه من حقوق وضمانــات، إلا أنها ظلت مرفوضة بالنســبة للإســلاميين وخاصة لدى أصحاب «المنهج الســلفي». وبعيداً عن موقف بعــض فصائل الصحوة الإسلامية ـ ممن قبلوا العمل تحت راية الديمقراطية، واحترمــوا لعبتهــا، وحرصــوا على مكتســباتها، كما هو الحــال في (تركيا، والمغرب، وماليزيا، وفلســطين، والجزائــر، والكويت) ـ ظل «الســلفيون» على مبعدة من كل ذلك متمســكين بتأصيلهم الشرعي للمباديء والأسس التي تقوم عليها الديمقراطية.

ولعل رفض السلفيين للمشاركة السياسية الحالية في مجتمعاتهم ينبع من رفضهم للمنظومة الأيديولوجية الكلية التي تحكم وتســير هذا العمل، وعلى رأس هذه المنظومــة تــبرز «الديمقراطية» كنظرية سياســية ســائدة، ناصبها الســلفيون العداء وانتقدوها وأصلوا لهذا النقد تأصيلاً شــرعياً، فلم يكــن رفضهم رفضاً عبثيــاً بل انطلق من فــروق جوهرية تصادمت فيها «الديمقراطية» مع النظرية السياسية في الإسلام.

ففــي كتابه «حكــم الإســلام في الديمقراطية» يقــول عبد المنعم مصطفى حليمة: «فالديمقراطية ليســت هي خيارنا الوحيد ـ كما يقولون ـ بل خيارنا الوحيد هو الإسلام.. وأي خيار نرتضيه غير الإسلام؛ يعنــي الانســلاخ كلياً مــن دين الله تعــالى والدخول في ديــن الطاغــوت». ويقــول الدكتور عــلاء بكر : «والإسلام يجعل الهداية في شرع الله - تعالى- ويستمد قوانين الأمة منه، في ظل ثوابت عقائدية وأخلاقية وتعبديــة لا تتغير ولا تتبدل، ومنهج لمعاملات الأمة يجمع بين القواعد العامة وبعض التفصيلات تراعى صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، ونظام للعقوبة رادع يضمــن للأمــة الأمــن والأمــان، والتكافل بين أبناء المجتمع الواحد يؤهل المجتمع للتماســك والتواد والتواصل».

ماهية الديمقراطية

«الديمقراطية» مصطلح يوناني الأصل مكون من مقطعين: (ديموس) ويعني الشعب، و(قراتوس) ويعني الحكم، فصارت الكلمة المركبة من هاتين الكلمتين تعني: «حكم أو سلطة الشعب»، ومن ثم فهي نظام للحكم يعني أن يحكم الشعب نفسه بنفسه لنفسه. ويتميز النظام الديمقراطي بمجموعة من الخصائص الأساسية التي لا قيام له بدونها، بحيث يصدق القول على كل نظام لا توجد فيه هذه الخصائص بأنه نظام غير ديمقراطي، وأبرز هذه الخصائص الأساسية وأظهرها:

سيادة الشعب

فقد ظهرت الديمقراطية في أوروبا لتبرير انتقال السلطة من أمراء الإقطاع ورجال الكنيسة ـ الذين استبدوا بالأمور ـ إلى الشعب أو من يحكم باسمه، وصار الحكم وسلطة إصدار القوانين والتشريعات من حق الشعب أو من ينوب عنه، ومن ثم برزت نظرية «سيادة الشعب» على اعتبار أنه «مصدر كل السلطات». ومع هذا المبدأ تجلت أولى صدامات الديمقراطية بالإسلام، إذ أن التشريع لازم من لوازم العقيدة الإسلامية التي تجعل التشريع والحكم لله تعالى وحده، فبينما المُشرِّع في الديمقراطية هو الشعب، فإن المُشرِّع في الإسلام هو الله، وحيث يقول الله تعالى: «وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللهِ»(١)، تقول الديمقراطية: وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الشعب، وهو ما يصفه المفكر الإسلامي الأستاذ أبو الأعلى المودودي، بـ: «حاكمية الجماهير وتأليه الإنسان».

وفي كتابه «أزمة العصر» يقول الدكتور محمد محمد حسين: «الحاكمية في الإسلام لله، فكتاب الله وسنة رسوله مصدر الأحكام.. بينما الأمة أو الشعب ممثلاً في نوابه هو عند الديمقراطية مصدر الأحكام، فالأمم محكومة في الإسلام بتشريع الله الحكيم العليم.. وهي في الديمقراطية محكومة بقوانين صادرة عن شهوات الناس ومصالحهم.. فالأحكام مستقرة دائمة في الإسلام، وهي متبدلة متغيرة لا تستقر في الديمقراطية». وفي «ظلال القرآن» يقول المفكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله : «إن أخص خصائص الألوهية هي الحاكمية، فالذي يشرع لمجموعة من الناس يأخذ فيهم مكان الألوهية، ويستخدم خصائصها، فهم عبيده لا عبيد الله، وهم في دينه لا في دين الله».

العلمانية

لقد تأكد أن الديمقراطية تلزمها أرضية علمانية تترعرع فيها، لأن منطلقاتها لا تفرق بين الأشخاص بحسب معتقداتهم (مسلمون، نصارى، يهود، وثنيون)، ولا تمايز بين الأحكام التي توافق الدين أو تلك التي تتناقض مع مبادئه. فمنذ ظهورها جاءت الديمقراطية: «ناقمة على تعاليم الكنيسة وكل شيء اسمه دين، ووقفت الموقف المغالي والمغاير لتعاليم الكنيسة (..) فعملت على نزع سلطة السيادة عن باباوات الكنيسة لتجعلها حقاً خالصاً لباباوات المجالس النيابية، فكانت الديمقراطية بذلك أول من تبنى عملياً مبدأ فصل الدين عن الدولة وعن الحكم والحياة، ورفعت الشعار المعروف: (دع ما لقيصر لقيصر، وما لله لله)».(٢)

في كتابه «حقيقة الديمقراطية» يقول محمد شاكر الشـريف :إن «العلاقة بين الديمقراطيـة والعلمانية هـي علاقة الفـرع بأصله، أو علاقـة الثمرة الخبيثة بالشـجرة التـي أثمرتهـا (..) فالديمقراطية إذن هي التعبير السياسـي أو الوجه السياسي للعلمانية، كما أن الرأسمالية تعبير اقتصادي عن العلمانية، وهذه العلاقة بين الديمقراطية والعلمانية نستطيع أن ندركها بكل سـهولة ويسـر إذا علمنا أن نظرية العقد الاجتماعي التي تمثل الأساس الفلسفي لنظرية السيادة التي تقوم عليها الديمقراطية، كانت في نفس الوقت تمثل الركن الأسـاس في فكر زعماء الثورة الفرنسـية التي أقامت دولة علمانية لأول مرة في تاريخ أوروبا النصرانية».

وفي «معركة الثوابت بين الإسلام والليبرالية» يقول الدكتور عبدالعزيز كامـل : «فالديمقراطية إن كانت نوراً في الغرب النصراني، فللشرق الإسلامي ظلامها، وإن كانت عدلاً هناك فهي هنا للشـقاء والشقاق، (..) حتى لو جلبت شـيئاً من سـعادة الدنيـا ـ في حال تطبيقها بشفافية في بعض بلاد المسلمين ـ فإن ذلك سيكون على حساب العديد من ثوابت الدين وأصول التشريع وأركان الاعتقاد، لأن الديمقراطية علمانية المنبع والمصب، ولا يمكن أن يحملها على عاتقه إلا من يضع مسئولية أخذ الدين بقوة عن كاهله، لأنه لابد أن يحمل شـعار : (لا سياسة في الدين ولا دين في السياسة)».

الأكثرية

تعد ممارسة السلطة باسم الأغلبية محور النظام الديمقراطي وجوهره: «فالحق ـ في نظر الديمقراطية الـذي لا يجـوز الاسـتدراك أو التعقيـب عليـه، هو ما تقـرره الأكثرية وتجتمع عليه لا غـير..!». وهنا يفترقان ـ الإسـلام والديمقراطية ـ لأن الحق لا يعرف بكثـرة مؤيديـه. يقول الإمام ابن القيـم رحمه الله: «اعلـم أن الإجماع ، والحجة ، والسـواد الأعظم ، هو العالـم صاحب الحـق وإن كان وحده، وإن خالفه أهل الأرض». والله تعـالى يقـول : «وإن تطـع أكثر من في الأرض يضلـوك عن سـبيل الله» ، «ومـا أكثر الناس ولـو حرصت بمؤمنين» ، «ومـا يؤمن أكثرهم بالله إلا و هم كافرون». وبالرجوع إلى السـنة النبوية نجد أن الرسـول ـ صلى الله عليه وسـلم ـ قـد خالف رأي الأكثرية في التشـريع، وذلك في صلح الحديبية لما قال : «والذي نفسـي بيده لا يسـألونني (يقصد مشركي مكـة) خطة يعظمون فيها حرمـات الله إلا أعطيتهم إياها»، وكان أكثر المسـلمين يومئذ يرون أن في الصلح إجحافـاً بهم، حتى أن النبي صلى الله عليه وسـلم لما أمرهم أن يحلقوا رؤوسهم وينحروا هديهم تباطئوا.

وفي الصحيحين:»إنمـا الناس كإبـل مائة لا تكاد تجد فيها راحلة». أي لا تكاد تجد فيهم من يتحمل أعباء السفر وتكاليف وتبعات طريق هذا الدين إلا واحد من كل مائة.

كما أن «التصويت في النظام الديمقراطي تعبير عن الصراع الذي تأسست عليه الحضارة الغربية، ففلسفة الديمقراطية تقـوم على الصراع من أجل السـلطة، والتنافس من أجل الحصول على الأغلبية العددية»(٣). أما النظام الإسلامي فإن القرار في الشورى ثمرة حوار وتشـاور بين أهل الاختصاص، يهـدف إلى الإجماع، أو الاتفـاق على حل يحوز الإجمـاع، أو يرضي الأغلبية بسـبب اقتناعهم بأدلته وأحقيته وفائدته. فالشورى حوار فكري وجهد عقلـي ومنطقي ـ في ما ليس فيه نص ـ يؤدي إلى القرار الصواب والوصول إلى الحق.

إطلاق الحريات

قامت الديمقراطية على أساس إطلاق الحريات للأفراد والجماعات في مجالات الاقتصاد «الرأسمالية»، والسياسة والأخلاق والاعتقاد «الليبرالية» وتضمن حرية الاعتقاد حق الفرد في الإلحاد، وحرية السلوك الشخصي. و»الليبرالية تعتبر الحرية المبدأ والمنتهى، الباعث والهدف، الأصل والنتيجة في حياة الإنسان»(٤) ، «فالليبرالي يصبو على نحو خاص إلى التحرر من التسلط بنوعيه: تسلط الدولة، وتسلط الجماعة، لذلك نجد الجذور التاريخيَّة لليبرالية في الحركات التي جعلت الفرد غاية بذاته».(٥)

والإسلام لا يقبل إطلاق الحريات بلا ضوابط، فالحرية في المجتمع الإسلامى مبنية على آداب الشرع وحدوده وما يملي على الانسان من التزامات وواجبات وسنن، وهي مقيدة بمرعاة تقوى الله ومخافته في السر والعلن، في الغاية والوسيلة. فالإسلام لا يعطي الحق للإنسان في أن يرتكب ما يشاء من محظورات (أخلاقية، واجتماعية، وفكرية، وسياسية، ومالية) ثم بعد ذلك يصبغ على تصرفه هذا الشرعية والقانون، أو باعتبار حقه الشخصي، وخصوصياته التي لا حق لأحدٍ في أن ينكرها عليه. لكن الله تعالى يقول :{قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِين}َ الأنعام١٦٢

التعددية

من بين الأسس التي تقوم عليها الديمقراطية «التعددية» الأيدلوجية والسياسية التنظيمية الحزبية، وذلك كنتيجة مباشرة للحرية المطلقة. إلا أن الإسلام يجعل الأمة كلها حزب واحد وصف واحد {ألا إن حزب الله هم المفلحون} وفي آية وصفهم بأنهم : {هم الغالبون} ، وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : «لا تحدثوا حلفاً في الإسلام».

فمع تعدد الأحزاب يحتد الصراع ويتكرر الصدام بين أفراد المجتمع الواحد، وقد يصل إلى حد الاقتتال في بعض الأحيان على السلطة، حيث يتقلد حزب الأغلبية وظائف السلطة التنفيذية (الحكومة) وتتحول باقي الأحزاب الأخرى إلى معارضة، حتى لو لم تجد شيء تختلف عليه مع الحكومة عارضت فقط من أجل المعارضة.. كما تتصارع أحزاب المعارضة فيما بينها نتيجة لاختلاف برامجها السياسية وأهدافها ومطامعها، كل حزب يسعى للكسب على حساب الآخرين. والصراعات التي تنتج عن «التعددية» صراعات مستمرة بلا نهاية لا تتوقف، فإذا وصلت المعارضة إلى الحكم صارت هي (الحكومة) وتحول حزب الأغلبية إلى صفوف المعارضة، وهكذا. أما الإسلام فيأبى أن يتحزب أهل القبلة ويكونون مع أحزابهم سواء كانت على الحق أو على الباطل، بل الذي تقتضيه الروح الإسلامية أن يدور أفراد الأمة مع الحق حيثما دار.

ثم وأين التعددية من الفرقة الناجية التي قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم عنها: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة»، وقال محذراً أمته من التفرق: «وستفترق هذه الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة».. قال ابن تيمية رحمه الله: «فكل طائفة ممتنعة عن التزام شريعة من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة يجب جهادها، حتى يكون الدين كله لله، باتفاق العلماء»، «كما قاتل أبو بكر الصديق وسائر الصحابة مانعي الزكاة». قال تعالى: «وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا

جَاءهُــمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَـئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»، وموجب أيضاً لبراءة الله ورســوله ممن يفعل هــذا، قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِــيَعًا لَّسْــتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ».

رفض الديمقراطية لا يعني إقرار الإستبداد

في نهايــة رســالته التــي هــي بعنــوان «حقيقة الديمقراطيــة» حرص محمد شــاكر الشــريف، على التأكيد على أن رفــض الديمقراطية الغربية لا يعني بأي حال القبول بالدكتاتورية والخضوع للإســتبداد، حيث يقول: «فإننــا حيث دعوناك إلى الكفر بالنظام الديمقراطي والبراءة منه وعــدم قبوله والرضى به، فما أردنــا بذلك أن نَــرُدك إلى قبول النظــم الظالمة المســتبدة التي تنـزل بأهل بلادها وشعوبها من ألوان الظلــم والطغيــان ما الله به عليم، وإنمــا أردنا بذلك أن نــردك إلى النظــام الإســلامي نظام الحــق ونظام العدل ونظام الخــير ؛ النظام الذي تكون فيه الحقوق والحريات مبنية على إذن الله العلي الكبير ورضاه الذي يُعرف من نصوص الوحي المعصوم: الكتاب والســنة . ومن منطلق هذا الإذن والرضى فإن الحقوق والحريات في النظام الإسلامي تكون خيراً خالصاً مبرّءاً من العيب أو القصور، وتكون أيضاً حريات وحقوقاً لصالح الفرد ولصالــح الجماعــة في توازن لا جور فيــه، وتكامل لا تناقض فيه».

الهوامش:

١-«حول الدولة المدنية» الدكتور علاء بكر

٢- (الشورى (١٠)

٣- «حكم الإســلام في الديمقراطيــة» عبد المنعم مصطفى حليمة

٤- «الأبعــاد السياســية لمفهوم الحاكمية» هشــام جعفر

٥- «الليبراليــة.. فلســفة اقتصاديــة وسياســية وأخلاقية» محمد خلف الرشدان



البناء السردي في شعر شيركو بيّكەس للناقد فاضل عبود التميمي

بقلم: لقمان محمود

حازت تجربة الشاعر الكردي المبدع شيركو بيّكەس الشعرية اهتماماً نقدياً لافتا طيلة مسيرته الابداعية، هو الذي ترجم شعره الى لغات عالمية عدة، كما تناول النقد اعماله من نواحي عدة كان اخرها عمل الناقد فاضل عبود التميمي، الذي ألف كتاباً قيِّماً بعنوان "البناء السردي في شعر شيركو بيّكەس". والسؤال: لماذا السرد في شعر شيركو بيّكەس؟ يقول المؤلف: لأحقق فيه هدفاً يخرج إلى هدفين: دراسة الشعر، ودراسة السرد معاً.

يتألف الكتاب من أربعة فصول، ففي الفصل الأول، والمعنون بـ"شيركو مؤلفاً وساردا"، يحدد المؤلف موقع الشاعر من متوالية التجديد في الشعر الكردي، من خلال ثلاثة مباحث. ففي المبحث الأول، يقدم المؤلف لمحة تاريخية سريعة عن الشعر الكردي، بدءاً من الشاعر بابا طاهر الهمداني، المتوفى في عام ١٠١٠ ميلادي، والذي فجّر المكبوت اللغوي الكردي، بعد مرور ثلاثة قرون على الفتح الإسلامي لكردستان، مروراً بـ(أحمد الجزري)، المتوفى في عام ١٤٨١ ميلادي، (أحمدي خاني، نالي، مولوي، محوي، فائق بيّكەس، بيره ميرد، وعبدالله كوران). هذه المقدمة السريعة أراد منها المؤلف أن يقول: أنَ شيركو بيّكەس كان وارثاً لسلسلة شعرية طويلة، ولكنه رغم ذلك لم يكن وارثاً سكونياً: تقليدياً، وإنما كان متلقياً مبدعاً همّه الإضافة والتركيب وتجاوز المنجز القديم بروؤيا جديدة. أما المبحث الثاني، فيتناول شيركو بيّكەس مؤلفاً، وخاصة إذا عرفنا أن شيركو بدءاً من "مضيق الفراشات" قد أدخل الشعر الكردي إلى منعطف جديد، همّه تأسيس رؤية جديدة تعيد تركيب ميثولوجيا الأمة الكردستانية شعرياً، وقد نجح الشاعر في ذلك. في المبحث الثالث، والمعنون بـ(شيركو ساردا)، يقول المؤلف: أن الشعر والسرد متجاوران منذ القديم، وأن التجانس بينهما تمليه ضرورات موضوعية، هدفها

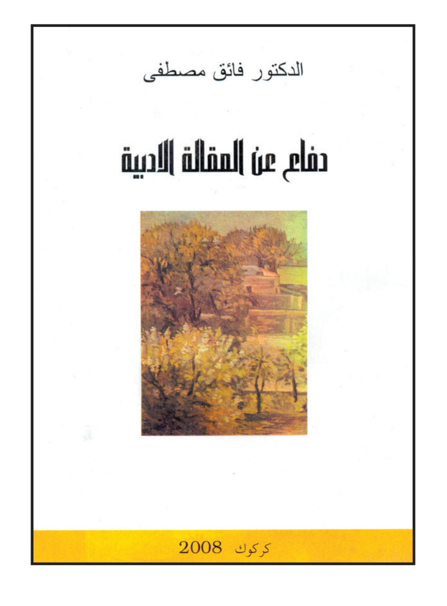
مواكبة أو إستشراف المستجدات والمتغيرات الواقعية والإقتصادية للوصول إلى مضمون جديد. وقد حدَد المؤلف وظائف السارد حسب نظرية (جيرا جينيه)، للكشف عنها في شعر شيركو بيّكەس، وذلك بحسب مقولاتها في الوظيفة التواصلية، الوظيفة التوجيهية، الوظيفة الإيديولوجية، الوظيفة السردية والوظيفة الشهادية. في الفصل الثاني، والمعنون بـ"بناء الحدث والشخصية"، يسعى المؤلف إلى الإلمام بعناصر البناء السردي في شعر بيّكەس، وذلك بالإعتماد على بناء الحدث، وعلى بناء الشخصية. أولاً: في بناء الحدث، يقول المؤلف إن الحدث بوصفه نشاطاً قابلاً للرصد وللتعيين، لايمكن الإطمئنان إلى سرديته، إلا إذا كان مشتملاً على حبكة تسهم في تحديد طبيعته الإنشائية. والحبكة – والكلام للمؤلف – سلسلة من الحوادث يقع فيها التأكيد على الأسباب، أو مجموعة من الوقائع الجزئية، مرتبطة ومنظمة على نحو خاص والحدث وفق ذلك إما أن يكون وقائع حقيقية، أو وقائع متخيلة. ثانياً: في بناء الشخصّية، يقول المؤلف: إن الشخصّية هي من أكثر العناصر أو الوحدات أهمّية في بناء السرد، لأنها – الشخصّية – تؤدي السردية بوصفها أحد الأفراد الخياليين، أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة. وشخصّيات الشاعر شيركو بيّكەس يوزعها المؤلف ويجمعها في الشخصيات الأدبية، الشخصيات التاريخية وشخصيات الشاعر. في الشخصيات الأدبية، نجده – شيركو بيّكەس – قد رصد شخصيات كردية لها مكانتها في الساحة الكردستانية: مثل (مولوي، نالي، سالم، فائق وكوران). أما في الشخصيات التاريخية، فإنه إختار شخصية الشيخ محمود الحفيد، كما في قصيدته "ملحمة به رده قاره مان" . أما في شخصيات الشاعر فإن هذه الشخصيات، شخصيات إنسانية إكتشفها الشاعر لأنها بالأساس شخصيات لغوية، مثل الألوان، الكرسي والطبيعة. في الفصل الثالث، يتطرّق المؤلف إلى ثنائية الزمان والمكان. وقد أراد المؤلف أن يدرس الزمن من خلال الأنماط الزمنية في شعر الشاعر السردي، والتي تُقرأ من خلال: الإستيطاق، الإسترجاع، الإشارات الزمنية والزمن الحاضر. ففي الإسترجاع، نجد أن شعر شيركو بيّكەس يعود إلى ماضٍ لاحق، من خلال إسترجاع داخلي لبدء السرد، فقد أخَره السارد لأسباب فنية ترجع إلى طرائق قول الشعر، والإتصال بقضايا السرد. أما في الإشارات الزمنية، والتي هي بالأساس إشارات تتخذ من السرد الشعري دلالات لها مكونات زمنية معينة كالإشارات التاريخية، إشارات الصباح، إشارات منتصف الليل. هذا التقسيم محدد بالإطار التاريخي لزمن الأحداث، والتي إستعملها الشاعر للإحالة على زمن معيَن له حضوره في الذاكرة الكردستانية، والتي يستحضرها الشاعر من خلال الإشارات التاريخية المحددة، والتي تُحيل على تاريخ مجزرة حلبجه.

بعد أن درس المؤلف الزمن في شعر الشاعر من الناحية السردية، يتحول إلى المكان، بإعتباره – المكان – يحتل موقعاً متميزاً في تجربة الشاعر شيركو بيّكەس. وقد أراد المؤلف أن يدرس المكان في سرديات الشاعر وفقاً للأنساق الثابتة في تجربة هذا الشاعر المبدع، الذي أخذ من السرد هيأته، ومن الشعر تخيلاته. ولبناء المكان في النص الشعري "الشيركوي"، قسَم المؤلف هذا البناء إلى: المكان الساكن، المكان المتحرك والمكان المتخيل. وبالإمكان القول: أنَ شيركو بيّكەس قد نجح نجاحاً باهراً في إستحضار كردستان كاملة ومكملة في شعره.

في الفصل الرابع، وهو الفصل الأخير، يسلّط المؤلف الضوء على السرد الذاتي والسرد الموضوعي، من خلال وسائل البناء السردي المقترن بالحوار وبالوصف. فالعنوان "أساليب البناء السردي ووسائله" يُعتبر إزاحة للتفسير النمطي لشعرية السرد عند المبدع شيركو بێكەس، وهذا يعني أن الإنزياح عن دلالية لغوية مغايرة للنص الإبداعي المرتبط بالتوليد الدلالي القائم على مغايرة النسق، مصدرها الطبيعي جماليات الخبرة عند الشاعر. فشيركو بێكەس ينمَي قصيدته بالحوار السردي كي تبقى حكايته الشعرية، أو روايته الشعرية، أو كما يقول هو حرفياً على غلاف كتابه "الصليب والثعبان ويوميات شاعر": "قصيدة روائية". والحق يقال: أنَ شيركو بێكەس قد أوصل الشعر الكردي إلى مرتبة الملاحم، وإلى مرتبة الأناشيد الخالدة.

قراءة في كتاب (دفاع عن المقالة الأدبية)

د.فاضل عبود التميمي
ناقد وأكاديمي من العراق



صدر عن دار(آرابخا) في كركوك٢٠٠٨ كتاب(دفاع عن المقالة الأدبية) للناقد د. فائق مصطفى أستاذ الأدب، والنقد الحديث في جامعة السليمانية لينفتح على نمط من الكتابة الأدبية التي قلّما توقف النقاد، والباحثون عند عتباتها لأسباب كثيرة منها ما يرجع إلى حداثة عهدها في الأدب العربي، ومنها ما يرجع إلى قلة المبدعين فيها، فضلا عن عدم شيوعها قياسا إلى شيوع الشعر، والكتابة السردية بأنماطها المعروفة.

الحقيقة أن الأسباب السابقة لم تكن مسؤولة عن تعثر شيوع المقالة قراءة، وتلقيا، ونقدا وإنما الأسباب الحقيقية تكمن في اجتماع عدد من المسببات الطاردة لوجودها، فعزوف المناهج الدراسية عن التذكير بها، والتقديم لها، وايلائها المكانة التي تستحق أسباب وجيهة حجبت القارئ عن تلقيها، فضلا عن اعتقاد البعض أن المقالة بسبب شيوعها في وسائل الإعلام ,لا صلة لها بالأدب!.

لقد ظلت المناهج الدراسية في المدارس والجامعات العراقية تلاحق الشعر بوصفه الجنس الأدبي الذي

يرقــى إلى مصاف الدرس، والتحليل، والحفظ,, والنقد إلى ســنوات قريبة من يومنا هــذا إلى أن تنبه النقاد، وقســم مــن أســاتذة الأدب العربــي، والقائمون على المناهــج، والتأليف إلى أهمية النثر فشــملوا بنظرهم الســديد القصة، الرواية، والمســرح وكانــت الالتفاتة إلى المقالــة على قدر معيّن، ومحــدود على الرغم من التذكــير المبكر الذي أطلقه الناقد علي جواد الطاهر- رحمه الله- إذ نادى بإنصاف المقالة ودرسها، وتقديمها إلى القــارئ بوصفهــا نصّــا أدبيّــا لا يقــل جمالا عن القصيدة، والقصة،فالمقالة ولا سيّما الأدبية منها(نص) يدعو الباحثين إلى دراسته، وتتبع مناحي الجمال فيه، فضلا عن تحليل موضوعاته، وطرائق تشكيله وبنائه ,وقد اســتجابت الجامعــات العراقية إلى هــذا النداء، فكانت جامعة الموصل الأكثر اســتجابة، فسجلت فيها رســائل، وأطاريح درست المقالة لعل منها: المقالة عند محمود درويش للباحث بسام خلف الحمداني، ومقالات ولــي الدين يكن للباحــث راكان احمد خلف، و المقالة الأدبية عند أحمد أمين للباحث محمد صالح رشــيد، والمقالــة في العراق ١٩٦٨- ١٩٨٠ للباحثة وفاء رفعت، أما في جامعة كويه فقد سُــجلت رسالة ماجستير عنوانها المقالــة الذاتية في أدب أمــين الريحاني للباحث صباح كريم مولود، وفي الجامعة نفســها أنجز الطالب ســتار بابان رسالة أخرى عنوانها فن المقالة والخاطرة في أدب عبــد المجيد لطفي ، أما جامعة البصرة فقد سُــجلت فيها أطروحــة واحدة عنونها المقالة في الأدب العراقي الحديــث للباحــث مقداد الشــيخلي، وكذلك الحال في جامعة تكريت التي نوقشت فيها رسالة ماجستير عن المقالــة للباحث نوري محمد طاهر عنوانها فن المقالة عند علي جواد الطاهر.

أما الجهود العراقية التي درست المقالة ونظّرت لها منذ بدايات القرن العشرين فإنها قليلة جداً قياسا إلى جهود درس الشــعر، والبحث فيــه، فهي تتمثل في: ما كتبه د. منير بكر التكريتي في كتابه(أســاليب المقالة وتطورها في الصحافة العراقية)، وما كتبه عبد الجبار داوود البصــري(رواد المقالة الأدبية في الأدب العراقي الحديــث)، وكتــاب د. علي جــواد الطاهر(من يفرك الصدأ) دراســة عن حســين مردان مقاليّا، فضلا عن كتاب د. سعيد عدنان (الطاهر ناقد ومقاليا)، وكتاب د. فاضــل التميمي (جماليــات المقالة عند علي جواد الطاهر)، ويأتي اليوم كتاب د. فائق مصطفى ليكون إضافة علميّة تثري الموضوع، وتذكر للاتصال به.

لقــد جاء كتاب د. فائق لفتح باب القول والمناقدة في المقالة وهو الأستاذ الذي عني بها تدريساً، وتوجيها على مدى الســنوات التــي قضاها أســتاذا لمادة الأدب والنقــد الحديــث في جامعات: الموصل، والســليمانية، وكويه ولّما يزل حامل لواء التذكير بها فكأنه في عمله هذا وارث خطى أســتاذه الطاهر الذي عني بها إبداعا، ودرسا...

اشتمل (الكتاب) على مقدمة وست مقالات وملحق، كانت المقدمة التي لم ينص المؤلف على عنوانها تحمل اســم الكتاب وترغب في الدفاع عن المقالة التي تتوافر فيها عناصر الخطاب الأدبي ،وخصائصه، فهي (مقالة) عن المقالة التي هي على حد تعبير أحد النقاد قريبة جداً من القصيدة الغنائية لان كلتيهما تغوص بالقارئ إلى أعمق أعماق نفس الكاتب ،أو الشــاعر، وتتغلغل في طيات روحه حتى تعثر على ضميره المكنون، والمقالة عند المؤلف جنس أدبي يلائم روح العصر القائم على الســرعة؛ والحركة ذلك لأنها تأتــي في صفحات قليلة

وتحملها إلى القارئ الصحف، والمجلات فضلا عن الكتب، من هنا رأى أن قراءتها ستكون سهلة... وأضيف: أنّ شبكة المعلومات العالمية أسهمت اليوم في نشرها، وانتشارها لتكون حيّزا جديدا يمدها بالديمومة، والعبور إلى القرية الكونية.

في مقالة(مصطلح المقالة في النقد العربي الحديث)تتبع المؤلف المصطلح في كتابات النقاد العرب بدءا من العقاد الذي سمّى المقالة (عجالة)، و(نبذة)، و(أحدوثة)، و(أملية)، و(مسامرة)، ومرورا بأحمد أمين الذي قسمها على مقالة أدبية،وأخرى علمية... ومحمد يوسف النجم الذي قسمها على مقالة ذاتية, وأخرى موضوعية، ومحمد عوض محمد الذي استوت في كتاباته(مقالة أدبية) وعبد الكريم الاشتر الذي أطلق عليها المقالة الذاتية، واحمد هيكل الذي سماها المقالة التعبيرية، والمقال الإنشائي، وعلي جواد الطاهر الذي استعمل مصطلحي المقالة الأدبية، والمقالة التعليمية، ثم عرج المؤلف إلى المعجمات النقدية فوجد أن ناصر الحاني أطلق عليها المقالة الشخصية، ومجدي وهبة، وكامل المهندس سمياها المقال الحر، ثم عاد إلى أحمد أمين، وزكي نجيب محمود فوجدهما قد أطلقا عليها المقالة الأدبية التي كانت عند شوقي ضيف المقالة النقدية والثقافية، وكذا حالها عند احمد هيكل.

ورأى المؤلف في نهاية المقالة أن(المقالة الأدبية) بشروطها، وسماتها هي المصطلح الصحيح لما يكتب من مقالات نثرية سماتها الاعتدال في الطول، والعفوية، والذاتية والإنشائية... ثم تحدّث عن صلة المقالة الأدبية بالأدبين الأوربي والعربي رائيا أنها مقتبسة من الأدب الأوربي، ولا صلة لها بالتراث العربي ولا سيّما بما كتب عبد الحميد الكاتب.

أما في(شعرية المقالة الأدبية) فقد تطرق المؤلف إلى موضوعة جديدة لم يتناولها ناقد آخر بالبحث، والتحديد فقد رأى في المقالة الأدبية شعرية تنهض بسياقها لتؤسس لها هوية فنية شأنها شأن بقية الأجناس الأدبية التي لها شعرياتها عادّا أركان الشعرية في المقالة الأدبية في ذاتيتها التي تعبر عن تجربة معينة تقرّب الخطاب المقالي من روح الشعر وحرارته، وعفويتها التي تمنحها غنائية تأخذ من الطبع الذي ينحاز إلى الشعر، والتصويرية التي تقوم بتحويل المعاني المجردة إلى هيئات، وأشكال تنتقل بالحواس، فالمقالة عنده لا تخلو من الصور التي تعبر عن الأفكار والرؤى بأساليب شعرية معروفة وكذلك الإيقاع الذي هو خاصية شعرية بقسميه الداخلي ،والخارجي لا سيّما الأول الذي تشتغل فيه التوازيات، والتكرارات، والتنغيم، والبناء النحوي، والتناص الذي تتداخل فيه نصوص كثيرة فهو خاصية شعرية تعمل في النثر أيضا، ثم السرد الذي يرتبط بالشعر في علاقة تاريخية قديمة من خلال عناصر الوصف، والحوار، والزمان، والمكان التي بمجموعها تنهض بمحمول المقالة لتضعه في فضاء الشعر.

في(ابن الجوزي رائدا للمقالة الأدبية) انتهى المؤلف إلى أن إجماع المؤرخين على أن الكاتب الفرنسي مونتاني هو أول من كتب المقالة الأدبية رأي فيه نظر فعنده أن ابن الجوزي العالم الأديب البغدادي المتوفى في ٥٩٧هـ هو أول من كتب المقالة في كتابه(صيد الخاطر) معتمدا على التدقيق في متن الكتاب وتحليل ما فيه واجدا أن خصائص المقالة الأدبية وشروطها في الكتاب تتطابق وشروط المقالة الأدبية من حيث الطول والذاتية والعفوية في البناء والأسلوب ولكي

يقرب رأيه هذا مــن القارئ عمد إلى تحليل فصل من فصول ابن الجــوزي ليخرج بالنتيجة التي تؤكد رأيه السابق.

إن ما قاله المؤلف في مقالته الســابقة يتعارض مع قولــه في ص٢٦ من الكتــاب((ولا ادري.... كيف ذهب باحث مثل محمد عوض محمد إلى القول بان رســالة عبــد الحميد الكاتب إلى الكتّاب وغيرها من الرســائل التراثيــة تكمن فيها أصــول المقالة الأدبيــة العربية الحديثــة...)) فكتاب ابن الجــوزي هو الآخر محمول تراثــي فكيف يرقى إلى مقاربة المقالة عند المؤلف مع أن محمد عوض محمد لم يقل بالمقاربة وإنما قال: إن في رســالة عبد الحميد الكاتب إلى الكتّاب تكمن أصول المقالة، والأصول غير حقيقة الأشياء؟ .

إن التعارض بين القولين سببه أن الكتاب لم يؤلف على وفق منهجية واحــدة، وإنما ألّف على وفق جمع مقــالات متعددة كانــت مقالة(مصطلــح المقالة) قد كتبت في زمن ســابق لمقالة(ابن الجوزي رائدا للمقالة الأدبيــة)، وحين جمعت المقالات حافــظ المؤلف على متن الأولى من دون أي تغيير.

أمــا في مقالته(المقالــة الأدبية واســطة لتدريس العربيــة العامة) فهي دعــوة إلى الجامعات لكي تعمد إلى تدريــس العربية العامة بوســاطة(المقالة الأدبية) بدلا من كتب العربية العامة التي تخلو من التشويق، وحجته أن المقالة الأدبية فن أدبي نثري محدد الطول، والموضوع، ولغته ســهلة يبرز فيها الطابع الذاتي، وهو فضلا عن ذلك يحمل أفكارا عميقة تتعلق بمشــكلات الحياة، وقضاياها المختلفة مما يجعله مشوقا قريبا من اهتمامات الطلبة وهم في أول سنوات الدراسة، ولا سيّما إذا قرأوا مقالات الأدباء والكتاب المعروفة بجودتها.

ثــم يقــترح المؤلــف مجموعة مــن الإجــراءات المنهجيــة التي تتكفل تلقي المقالة وفهمها عبر القراءة الدقيقــة لنصها، وشــرح قواعد اللغــة العربية فيها، والعنايــة بالمضامــين الفكرية المشــكّلة لهــا، وربطها بالواقع، وتحليــل الجوانب الجمالية لنصوصها مختارا مقالة(رمضان) التي كتبها احمد حســن الزيات مجالا للتطبيق بالرجوع إلى الإجراءات المنهجية المقترحة.

إن دعوة المؤلــف الكريم لتدريس العربية العامة في الأقســام العلمية والتطبيقية، والإنسانية بوساطة المقالــة دعــوة كريمة من لــدن أســتاذ قدير عايش التعليم العالي عن قرب، وقدّم خلاصة مركزة لواحدة مــن خبراته الكثيرة فيها، وإني إذ أنوه بمقالة د. فائق يحدوني الأمــل إلى أن تلقى صدى عنــد الأكاديميين تحليلا، ونقدا خدمة للمشروع الأكاديمي المعاصر.

أما(أحمد أمــين والمقالة العربيــة الحديثة) فهي مقالة تعرض ،وتحلل مســيرة أحمد أمين المقالية ،ولا ســيّما في كتابه المهم(فيض الخاطر) بأجزائه العشرة حيث يبرز أسلوبه السلس الواضح، والدقيق في الوصف، والإيجاز، وطغيان العقل على العاطفة حيث أدى أحمد أمين أثراً بارزاً في تاريخ المقالة العربية، وقد آثر المؤلف أن يقف عند واحدة من أشهر مقالاته الموسومة بـ(كن معلما) التي عدّها أروع ما قيل في المعلم، ورسالته، لقد اجتهد المؤلف في تقريب صورة المقالة عند احمد أمين وهدفه إشاعة الحقيقة عن هذا الرجل الرائد في إبداع المقالة الأدبية في مصر.

في (جماليــات المقالة عنــد د. علي جواد الطاهر) ودّ المؤلــف أن يقــرأ الكتاب الذي وقــف عند مقالات الطاهر وقفة نقدية واجداً أن الكتاب دراسة تطبيقية لنصــوص مقالية تعنى بالجماليــات دون أن تنصرف

إلى المضامين والأفكار، وقد وجد مؤلفه غير قادر على إخفاء عاطفته تجاه أستاذه الطاهر، وهذا ما جعله يبتعد عن الموضوعية في البحث قليلا، إلا أن الكتاب من وجهة نظره أول مؤلف في النقد الأدبي يختص بدراسة كاتب واحد.

أما مقالته(الخطاب المقالي والتنوير) فهي دعوة تذكّر بأهمية المقالة التي تعترف بالآخر، وتقدره، ولا تلغيه، أو تهوّن من شأنه في خطاب عقالاني أراد المؤلف أن يشير إلى علاماته المشكلة لطبيعة بنيته، وفيها ردّ على ما قاله د. عبد الله الغدامي عن فقدان النثر العربي القديم لروح العقلانية، واتصافه بصفات الخطاب الشعري، أي انه خطاب نثري مشعرن غير حرّ، وعقلاني... لقد وجد المؤلف في نصوص ابن الجوزي مقالات يسود فيها العقل، وتغيب فيها الروح, والانفعال لتبتعد عن العيوب النسقية المتمثلة في الترهل الإنشائي، فالمؤلف في هذه المقالة يؤكد أن المقالة الحديثة وثيقة الصلة بقيم التنوير، واللبرالية لأنها بدأت مع عصر اللبرالية العربية الإسلامية على يد مفكري مصر وأدبائها، ثم خلص إلى أن المقالة هي أدب اللبرالية، وخطابها المعرفي، والجمالي.

أما ملحق الكتاب فهو مجموعة من المقالات الأدبية التي اختارها المؤلف من أدب مصطفى لطفي المنفلوطي، وأحمد أمين ،وزكي نجيب محمود، وعبد المجيد لطفي، وعلي جواد الطاهر، ومحمود درويش، وعز الدين مصطفى رسول، وهي بمجموعها تمثل اختياراً موفقاً دلّ على ذوق المؤلف، وحسن تتبعه لفن المقالة، وكنت أتمنى لو أنه أضاف إلى تلك المقالات مقالات أخرى لحسين مردان، ورشدي العامل، ويوسف الصائغ، لكان الاختيار مقدما لجهود الأدباء العراقيين في مجال إبداع المقالة.



Vol,6 - Autumn 2008

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by
Sardam Printing & Publishing House

Sardam Printing & Publishing House
www.serdamco.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي